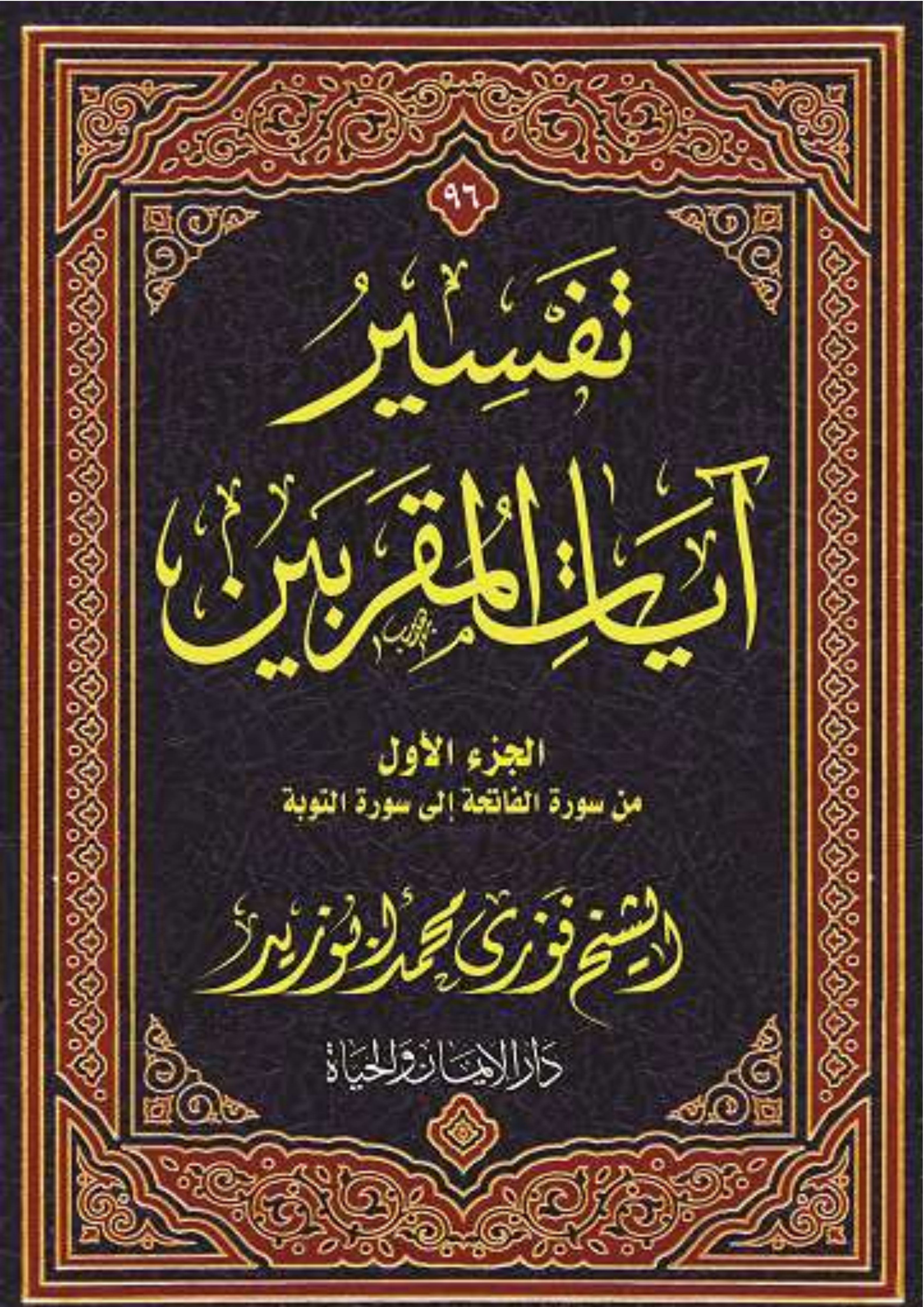

٩٦
تفسير
آيات المقربين
الجزء الأول
من سورة الفاتحة إلى سورة التوبة
الشيخ فوزي محمد أبو زيد
دار الإيمان والحياة

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ

Again on Us (devolves) the explaining of it.
[75:19]

الكتاب	تفسير آيات المقربين – جزء ١
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة	غرة ومضان ١٤٣٦ هـ ٦ يونيو٢٠١٦ م
كتاب رقم	السادس والتسعون من المطبوع
سلسلة	تفسير القرآن الكريم، الكتاب السادس
الداخلى	٤٨٠ ص*٨٠جم /١٧*٢٤، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط*٣٥٠ جم*٤ لون، سلوفان مط
إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ ، المعادى، القاهرة، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠-٢-٠٠٢٠، ف: ٢٥٢٦١٦١٨-٢-٠٠٢٠
إيداع محلى	٢٠١٦/١٣١٣٧
ترقيم دولى	978-977-90-4032-5
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم القرآن ، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على نور البيان ولسان التبيان سيدنا محمد وآله الحسان وأصحابه الأعيان وكل من تبعهم على هدي السنة والقرآن إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين، آمين .. آمين يا رب العالمين.

وبعد، .... سرنا على نهج ارتضيناه في ندواتنا في الدعوة إلى الله في جولاتنا المختلفة وهي بكافة أنحاء البلاد ، وهي أن يتقدم قارئ للقرآن الكريم ويقرأ ما تيسر له من آيات كتاب الله في بداية الندوة ثم نقوم بعد ذلك بتفسير هذه الآيات وشرحها على حسب أحوال السامعين وثقافة الحاضرين، وقد جمع الأحباب لنا في ذلك كتابا واحداً في جزئين كبيرين وقد تم طبعه وسميناه (نفحات من نور القرآن الكريم).

ثم ظهر لنا بعد ذلك أن نفسر آيات القرآن مبوبة على حسب الموضوع الذي تتناوله، فقمنا بتفسير الآيات الكريمة التي تتحدث عن قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح لما لها من أهمية كبيرة فى بيان آداب المعلم والمتعلم, وما تحويه من إشارات وأنوار للسالكين والواصلين والأبرار، فكان كتاب (أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام) وطبع مرتين.

ثم قمنا بعون الله بشرح الأدب الواجب على أهل الإسلام نحو النبي ﷺ وتم طبعها في كتاب سميناه (الآداب القرآنية مع خير البرية)، وبعدها وفقنا الله لشرح قبسا من الآيات التى تتحدث عنى نبى الله إبراهيم وأسرار خلته وأسميناه (أسرار خلة إبراهيم).

وبعد ذلك رأينا أن نشرح على قدرنا ونفسر على قدر علمنا الآيات التى تتحدث عن المقربين وأوصافهم وجزاءهم ونعيمهم الذي أعده الله عزوجل لهم في القرآن الكريم، وذلك بعد أن جمعنا بعض هذه الآيات مرتبة على حسب ترتيب المصحف وكان ذلك بإشارة نبوية ونحن في المدينة المنورة عام ٢٠١٥م ...

وقد أتممنا بفضل الله ﷻ من أول البسملة إلى آخر سورة التوبة ، وهذا هو الجزء الأول من تفسيرنا لآيات المقربين في القرآن الكريم.

نسأل الله ﷻ أن يعيننا على إتمامه كما يحب ويرضى.

وهذا النمط من التفسير يسمى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ...

حيث أنه يتتبع الآيات التي تدور في أفق موضوع واحد في كتاب الله ﷻ ومنه:

- تفسير آيات الأحكام لمحمد على الصابوني وغيره من العلماء.
- وكذلك بدأ الشيخ محمد الغزالي ذلك في كتابه (نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم).
- ومن ذلك أيضاً تفسير الآيات العلمية للقرآن الكريم وغيرها من الكتب الموضوعية التي تحدد موضوعاً واحداً ثم تجمع ما نزل فيه من آيات القرآن كقصص القرآن وقصص الأنبياء في القرآن ...

ولعل ذلك يكون أجدى للباحثين وأنفع للطلاب والقارئين وأيسر للبحث والمدارسة أو للمراجعة، نسأل الله ﷻ أن يجعل القرآن الكريم ربيع صدورنا وجلاء حزننا وذهاب همنا وغمنا آمين .يا رب العالمين .... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الجميزة في ٧ من رجب ١٤٣٧هـ ، ١٤ من أبريل ٢٠١٦م



البريد : الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية

تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩

موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإليكترونى: fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com,

fwzyabuzeid48@gmail.com,

fawzyabuzeid@yahoo.com

تمهيد

القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أنزل كتابه القرآن الكريم شفاءٌ لما في الصدور، وهدىً ونورٌ لأهل القرب والحضور، وجعله مائدة الرحمن ينهل منه العارفون ما لذَّ وطاب من العلوم الإلهية والأنوار الربانية والحكم القدسية، وفيه من التجليات والمؤانسات والملاطفات ما يجلُّ عن الكلام والوصف والخطاب، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد التطبيق العملي للقرآن، فكان ﷺ هو القرآن الحيُّ الذي يمشي بين الناس، صلى الله عليه وعلى آله الكرام وصحابته العظام، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين.

اتفق الصالحون منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين أن القرآن الكريم هو سرُّ الوصول لكل عبد تمسَّك بالأصول، وأراد أن يُشرف عليه رب العزة ويمتعه بأنوار الوصول، لأن النبي ﷺ قال في شأنه:

{ أَفْضَلُ عُبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ }[١]

لكن التلاوة مع التدبر والتذكر والتفكر، سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه قال: ((سلكتُ طريق الذكر، ثم سلكت طريق الفكر، ثم سلكتُ طريق الصيام والقيام، ثم رأيتُ الحبيب ﷺ في المنام، فقلتُ: يا رسول الله ما الطريق الذي أصل به إلى الله؟ قال: القرآن)).

فأقبل على القرآن حتى أفاء الله ﷻ عليه من علوم القرآن ما جعل أهل زمانه ومن بعدهم يتحيرون في كمِّ هذا العطاء الذي خصَّه به رب الأرض والسماء!!.

حتى رُوي أنه - أي سيدي أحمد بن إدريس - وهو في زبيد في بلاد اليمن، وبها روضته[٢]، كان بعد صلاة الفجر يجلس مع رفاقه يُفسِّر لهم آية من كتاب الله، ومكث في تفسير الآية حتى قريباً من صلاة الظهر، وصلَّى الظهر ثم أخذ في تفسير الآية حتى قريباً من العصر، وصلَّى العصر وأخذ في تفسير الآية حتى قريباً من المغرب، وصلَّى المغرب وأخذ في تفسير الآية حتى منتصف الليل، وأخرُّوا صلاة العشاء، ومكث على هذا الحال ثلاثة أيام وكلما فسَّر أتى بجديد لم يسمعوه ولم يقرأوه.

١ شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب عن النعمان بن بشيررضي الله عنه
٢ وروضته في زبيد في بلاد اليمن، وأنا لا أحب لأحدٍ أن يقول: زُرت قبر فلان من الصالحين، ولكن تقول مثلاً: روضة الإمام الحسين، روضة السيدة زينب، قال ﷺ: " الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ " وهؤلاء أين؟ في روضة، فعندما تتكلم وتريد أن تصف الزيارة تقول: زُرت روضة الولي فلان، وليس مكانه هو المقام، لأن المقام لا يعلمه إلا الله الذي قربه وحباه وأدناه.

وبعد الثلاثة أيام قال: وعزّة ربي لو أعطانا الله الأعمار وجلسنا إلى قيام الساعة ما أعدتُ تفسير كلمة علمنيها الله ﷻ!! لسعة العلوم الإلهية التي أفاضها الله ﷻ على أهل القرب من حضرته: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي ﴾ (١٠٩الكهف) يعني معاني الكلمات، لأن الكلمات ثابتة وكلنا نحفظها، لكن معاني الكلمات هي التي يتنزَّل بها بارئ الأرض والسماوات على قلوب السالكين إلى حضرته طريق القرآن الكريم، متآسين بنهج الرءوف الرحيم سيدنا محمد ﷺ.

والله ﷻ عاد فقال: ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ ﴾ هذه الأشجار كلها لو أخذنا كل فروعها وجعلناها أقلام ﴿ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ ﴾ وليس بحر واحد ﴿ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ (٢٧لقمان) ومع ذلك كما ورد في الأثر:

{ يَأتِي القُرآنُ يَومَ القِيَامةِ بِكْراً وكَأَنَّه لَم يُمس }

كلٌ يأخذ على قدره، وقدر القرآن لعُلو شأنه لا يصل أحدٌ إلى مداه، ولا يبلغ أحدٌ منتهاه، ولكن غاية المني أن يقول كما علَّم الله حبيبه ومصطفاه: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ (١١٤طه)،

ولذلك دائماً نُكرر على الأحباب لا بد أن يكون له وردٌ من القرآن كل يوم، والورد القرآني لا نريده تلاوةٌ فقط، ولكن معه التفكر والتدبر، لا بد أن يكون لك كما كان يعمل السلف الصالح، كان الواحد منهم له ختمة للتعبد، يقرأها بتأني، وختمة أخرى للتدبر، فختمة التعبد ربما يقرأها في أسبوع ، أو في أسبوعين .. على حسب منهجه، لكن ختمة التدبر قد يفنى عمره ولم ينته منها.

سيدنا عمر ﷺ حفظ سورة البقرة في ثمان سنين، لماذا؟ قالوا: كان لا ينتقل من عشر آيات إلى العشر التي بعدها إلا إذا طبَّقها وعمل بها، فليس حفظاً كما نحفظ، عشر آيات ثم عشر آيات، يقرأهم ويتدبرهم ثم يُطبِّق على مسرح نفسه وعلى من حوله ما يطلبه منه رب العزة ﷻ، فإذا طبقها عملاً ينتقل إلى غيرها.

والإمام الغزالي ﷺ يقول: كان من يحفظ سورة البقرة بين أصحاب رسول الله ﷺ يُدعى عظيماً، والذي نقول فيها الآن (باشا) وهي كلمة تركية أخذناها من الدولة العثمانية، لكن هي في اللغة العربية عظيم، فكان يأخذ لقب عظيم من يحفظ سورة البقرة[٣]، وكيف يحفظها؟ علم وعمل.

ولذلك نقول للأحباب لا بد أن يكون معك مصحفاً مفسَّراً تقرأه ولو في عمرك مرة، فتعرف أسباب نزول الآيات، وتعرف معاني الكلمات، وتعرف المعنى البسيط الذي لا غنى عنه للآيات، وبعد ذلك تأتيك النفحات من خالق الأرض والسماوات ﷻ.

---

٣ وفى كتاب (تخريج أحاديث الإحياء للعراقي): وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم، وفى حديث أبى هريرة قال (بعث رسول اللــه ﷺ بعثا وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل ما معه من القرآن فأتي على رجل من أحدثهم سنا فقال ما معك يا فلان؟ قال معي كذا وكذا، وسورة البقرة فقال: أمعك سورة البقرة؟ قال: نعم، قال: اذهب فأنت أميرهم) الحديث تخريج أحاديث الإحياء للعراقي

والمصحف المفسَّر يكون القرآن في النصف والتفسير في الجوانب، وأفضلهم وأحسنهم تفسير الجلالين للإمام جلال الدين السيوطي والإمام جلال الدين المحلِّي، وجلال الدين السيوطي مدفون في القاهرة، وجلال الدين المحلي مدفون في رشيد، وكانا في عصر واحد، وكانا متآخيين وجعلوا هذا التفسير البسيط لآيات الله ﷻ، وبإمكان كل واحد قراءته بالفهم البسيط الذي لا غنى لأحدٍ عنه.

تعرف سبب نزول الآية، وتعرف معنى الكلمات الصعبة في الآيات، وتعرف المعنى اللغوي العام، لأن الله قال لنا في القرآن: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ وليس للتلاوة، ولكن للتذكر ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (١٧القمر)...

أين من يفهم القرآن ويتذكر المعاني الحسان في القرآن؟

وعاتب الله قوماً يقرأون القرآن بألسنتهم وعقولهم غائبة فلا يتدبرون وقال فيهم: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (٢٤محمد) كأن من لم يتدبر القرآن قلبه مغلق، وهذا كلام رب العزة، أي أنَّ على قلبه قفل، فلابد أن نتدبر معاني القرآن لنصل إلى المراتب العُليا والتي أعلاها مراتب الرضوان عند الحنان المنان ﷻ.

ولذلك عندما نستطلع أحوال الصالحين نجدهم على هذه الشاكلة، يبدأ الواحد منهم أولاً أن يقرأ باللسان، وبعدها تحضر الروح، وعندما يقرأ بالقلب والروح فهذه تلاوة مختلفة تماماً، سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يقرأ القرآن كله من أوله إلى آخره في ركعة أو ركعتين ما بعد صلاة المغرب وقبل صلاة العشاء[٤] !!!

كيف هذا؟! هل اللسان يستطيع؟! لا، فيكف كانت هذه التلاوة؟ بالقلوب.

الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ يقول: لما اطلعت على هذه الآثار قلت كيف يحدث هذا؟! فسألت شيخي، وشيخه كان رجلاً أمياً وهو سيدي على الخواص، فقال: إن شاء الله ستصل إلى هذه الحالة، قال: فسكتُّ وبعد فترة قال: يا عبد الوهاب اذهب إلى مقياس النيل بعد صلاة العصر، ثم اذهب وصلِّ المغرب في مسجد الإمام الشافعي، قال: فذهبتُ.

وكان المريدون عندما يسمعون كلام العارفين يقولون: سمعنا وأطعنا، غير مريدين هذا الزمان، فمريدو هذا الزمان يقولون: سمعنا وعصينا، ويقول: أين الفتح؟! أنا لي عشرون سنة أو ثلاثون سنة!! وهل أطعتَ ولم يأتك الفتح؟!

٤ في مصنف عبد الرزاق الصنعانى أورد عبد الرزاق عن معمّر عن رجل عن ابن سيرين أن عثمان كان يقرأ القرآن في ركعة يحيي بها ليله. قال عبد الرزاق: وذكره هشام عن ابن سيرين مثله. وأورد عبد الرزاق عن الثوري وأبي حنيفة عن حماد عن سعيد بن جبير أخبره أنه قرأ القرآن في الكعبة في ركعة وقرأ في الركعة الأخرى: قل هو الله أحد، وقال الثوري: لا بأس أن تقرأه في ليلة إذا فهمت حروفه. مصنف عبد الرزاق الصنعاني

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّأَتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (النساء)!!!

وكلام العارفين ليس فيه إلحاح، وأحياناً يكون إشارات، لأن كل واحد يأخذ من الإشارات ما يلائم حاله، وما قدَّره له مقدر الأقدار ﷻ.

فيقول: ذهبت عند منيل الروضة لمقياس النيل، وبعد صلاة العصر فإذا بي أشعر بالفتح الإلهي في الوقت الذي حدده الشيخ، ثم ذهبتُ إلى مسجد الإمام الشافعي وصليت المغرب خلف الإمام، قال: فابتدأ الإمام بسورة الفاتحة، ثم سكت ليقرأ المأمومين الفاتحة على مذهب الإمام الشافعي، وفي أثناء السكتة أُخذتُ فاسترسلتُ: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (البقرة) وانتبهتُ بعد السكتة وقد وصلتُ إلى سورة المُلك والإمام يقول: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١الملك) انظر إلى أي مدى ما قرأ من القرآن، إلى أن وصل إلى سورة الملك!!.هذه القراءة بالروح، قراءة روحانية، وهي مهما نتكلم فيها فلن نستطيع تكييفها ولا توضيحها، وهي تحتاج إلى: ((ذُق تعرف)).

فالإنسان يجاهد نفسه ويتعرض لفضل الله، ويحرص على صحبة الصالحين ليحظى بنظراتهم، فإن بِسِرِّ نظراتهم يقربه مولاه ويرفع عنه كل حجاب، ويجعله من المقربين عنده بسر ملاحظات الصالحين ودعوات الصالحين ونظرات الصالحين.

وهذا ما يقول فيه الإمام الشافعي رضي الله عنه: ((مابين وضع قدمي في سرج دابتي وامتطاء دابتي يمرُّ القرآن كله من أوله إلى آخره على قلبي)) ماهذا؟ هذه حالة روحانية نالوا فيها وراثة الإسراء والمعراج لخير البرية، ذهب لبيت المقدس وصلى بالأنبياء وصعد للسماوات، مع أنه يقول:

{ مَا بَيْنَ سَمَاءِ الدُّنْيَا إِلَى الأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَغِلَظُ كُلِّ مِنْهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى الَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ }[٥]

صعد هذه المسافات كلها .... والجنة والعرش والكرسي !!!! ، حتى كان قاب قوسين أو أدنى وعاد وفراشه ساخنٌ لم يبرد بعد.

هذه الحالة إسمها طيُّ الزمان، يطوي لهم الله ﷻ الزمان، فما يفعله الإنسان في ألف عام يفعله العارف بفضل الله في نَفَس، ولذلك ورد بالأثر:

---

٥ المطالب العالية لابن حجر والبيهقي عن أبي ذر رضي الله عنه.

{ إن لله عباداً التسبيحة من أحدهم مثل جبل أُحُد }[٦]

ليس كل التسبيح متساوٍ .... فهي أنفاس .... لذلك لا بد للإنسان أن يبدأ في هذا الباب، ويمضي في هذا الطريق !!! وهذا طريق التوفيق الذي لا ضلال فيه ولا زلل فيه !!! ومن سلكه فهو هادٍ مهديٍ إلى خالقه وباريه، لأنه كلام الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٨٧النساء).

البعض يقول: الذكر أسرع من القرآن ....

سيدي أحمد حجاب ﷺ وهو رجل من الأولياء المعاصرين، حصل على العالمية في الشريعة وأخذ حجرة في مسجد سيدي أحمد البدوي في الدور الثاني، وأخذ يتعبد فيها لله، ولا ينزل إلا وقت الفرائض ثم يعود إلى حجرته، واستمر على ذلك يتعبد لله ﷻ، وكان سيدي أحمد البدوي وهو في روضته يوجهه، وكان يراه ويسمع كلامه، وهي حالة روحانية نورانية .... قال: فاحترتُ يوماً، أأذكر بأنواع الذكر؟ أم أقرأ القرآن؟

قال: فقال لي سيدي أحمد البدوي: القرآن القرآن القرآن يا أحمد.

لأن سيدي أحمد البدوي كان نهجه هكذا: ... كان إذا انتصف الليل يقرأ القرآن حتى مطلع الفجر .... فهذه عبادة وجهاد الصالحين أجمعين.

٦ القرطاس لحسين شرف الدين .

نسأل الله ﷻ أن يدخلنا فيها، وأن يفتح علينا بالقرآن، وأن يجعل القرآن العظيم نور قلوبنا، وجلاء حزننا، وذهاب همنا وغمنا، وسبب وصولنا إلى حضرة ربنا ﷻ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

سرُّ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) ١

نلاحظ أن آيات القرآن، وسور القرآن، تبدأ كلها بالبسملة (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) .... إلا سورة واحدة هي سورة (براءة) :

- قيل لأنها مع سورة الأنفال سورة واحدة.
- وقيل لأنها نزلت لإعلان الحرب على الكافرين، وإعلان الحرب لا يتطلب أن يُبدأ بـ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ).

وعلى كلٍ، فالبسملة التي في أول سورة براءة عوَّضها الله ﷻ في سورة النمل، فأصبح عندنا مائة وأربعة عشر (بسم الله الرحمن الرحيم) بعدد سور القرآن.

قد يظن البعض أن (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول الفاتحة هي التي في أول البقرة، هي التي في أول آل عمران، وفي غيرهم لأن حروفها واحدة وكلماتها واحدة:

لكن الشيخ القشيري رحمة الله عليه كان من كُمَّل الصالحين، وله كتاب عظيم من أكبر مراجع التصوف اسمه (الرسالة) وله كتاب آخر جمع فيه إشارات الصالحين في الآيات القرآنية، ليست معاني ولا تفسير، ولكن إشارات، فجمع هذه الإشارات على حسب ترتيب المصحف في كتاب كبير وسماه (لطائف الإشارات)

---
١ بلهاسة-مغاغة-المنيا ٢٠ من جماد الآخر ١٤٣٧هـ ٢٠١٥/٤/٩م

هذا الكتاب طبعته الهيئة العامة للكتاب في القاهرة من ثلاث مجلدات كبيرة، على سبيل المثال يقول عند قوله الله تعالى:﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (٩٢آل عمران): إذا كان الذي يطلب البر لا بد أن ينفق مما يحب فما بالك بالذي يطلب البار ﷻ؟! إشارة للصالحين تلفت نظر الإنسان إلى أُمور تستدعي إعمال الفكر مع صفاء القلب في استكناه كلمات حضرة الرحمن ﷻ.

فالشيخ القشيري له رأي يقول:

إن (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) في أول كل سورة من سور القرآن لها معنى في هذه السورة غير السورة التي قبلها، والسورة التي بعدها، ويذكر لكل (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) في أول كل سورة معنى غير المائة والثلاثة عشر الآخرين، حتى تعلم سعة معاني كلمات الله ﷻ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ (١٠٩الكهف) مداد بمعنى حبر!

ويعود مرة أخرى ويقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ﴾ (٢٧ لقمان) .... بمعنى لو كان هذا الشجر كله أقلام ما نفدت معاني كلمات الله.

فـ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ):

في أول كل سورة من سور القرآن لها معاني تتعدد بحسب تعداد أهل النورانية والشفافية الربانية لتلاوة آياته، لأن القلب إذا صفا، والروح إذا ساحت وجالت في عالم الملكوت، تأتي للتالي لكتاب الله عند ترداد كل آية بطرائف من العلوم الإلهية، والحكم الربانية، لا تعيها الكتب المكتوبة في كل مكتبات الدنيا، فيتمعن الإنسان بمعاني كلمات الله، وهذا حال الصحابة الأجلاء، ومن على نهجهم من الصالحين، والمتقين إلى يوم الدين.

فـ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ):

جعلها الله ﷻ فاتحة لكل أمر من أُمور الدنيا يسعى إليه الإنسان، أو يطلبه أهل الإيمان، ولذلك تجد الصالحين من علامتهم وسمتهم وهديهم دائماً على لسانهم (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، هل يوجد ذكر أفضل من هذا؟! تذكر الله بآية من كتاب الله، فالمفسرون بعضهم قال أنها آية من الفاتحة، وبعضهم قال: بل هي افتتاحية، وهي كما قال الشيخ القشيري: هي آية من نفس السور وليست افتتاح، بل آية لها معاني خاصة بهذه السورة، وليست الفاتحة فقط، فمن أراد أن يكون من الصالحين فليجعل على لسانه دائماً (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) لقوله ﷺ:

{ كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْطَعُ }[٢]

وأقطع بمعنى مقطوع البركة.

r إذا كنت أريد الطعام فيه بركة:

❖ أشتريه بـ بسم الله، أو أشتري الأصناف التي فيه بـ بسم الله ...

❖ وأحمله بـ بسم الله ....

❖ وأدخله المنزل بـ بسم الله ....

❖ والتي تصنع الطعام تصنعه وتقلبه بالإكثار من بسم الله ...

❖ وإذا غرفته تسم الله ...

❖ وإذا أكلنا نسم الله ....

فـ بسم الله تجعل البركة في هذا الطعام.

r أريد أن ألبس:

❖ أُسمِّ الله عندما أتوجه للشراء حتى يهديني الله ﷻ بسرعة لما أبغي ولا أتحمل كثير العناء ...

❖ ولو كنت تبحث عن صنف معين فتجد الله في مرادك لأنك تُسمِّ الله ﷻ عندما تشتريها .... وتُسمِّ الله ﷻ عندما تحفظها، فتُحفظ من الآفات كالعتة وغيرها ...تُسمِّ الله عندما تلبسها تعيش ما شاء الله ولا تبلى وكل من يراها يظننها جديدة.

❖ حتى تخلعها وتعطيها لفقير يكمل فيها المسيرة ويكون لك الأجر والثواب عند الله مثل السلف الصالح.

❖

٢ الجامع لأخلاق الراوي وأدب السامع للخطيب والطبقات للشافعي عن أبي هريرة ﷺ

تُسمِّ الله ﷻ عند كل أمر ذي ... بال تحفظ من الضَّرر:

- فلو قلت: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء) لا يصيبك ضرر في الأرض، ولا ينزل عليك ضرر من السماء، إن كان من الهواء، وإن كان من الهوام، وإن كان من أهل الشر، أو غير ذلك لقوله ﷺ: { من قال في أوّل يومه أو في أوّل ليلته: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شيء في ذلك اليوم أو في تلك الليلة }[1]

فـ (بِسْمِ اللهِ) :

- ذكر لله وحماية وصيانة وبركة وخير في كل ما تلمسه الأيدي، وفتحٌ قريب من الله ﷻ في أى أمر تسعى إليه وتريد أن تبلغ فيه المنى.

- وبسم الله ﷻ تمنع الحسد، لأن الإنسان قد يصاب رغماً عنه بداء الحسد، وقد يَحسد وربما لا يدري ولا يشعر ويعاقب على ذلك، لأنه لم يفعل ما أمره به الله: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (٣٩الكهف)

---

١ مسند الإمام أحمد عن عثمان بن عفان ﷺ

- أنا رأيت شيخي الشيخ محمد علي سلامه رضوان الله عليه عندما يدخل أي بيت - حتى بيته - عندما يصعد السلم أو داخل البيت يقول: (بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله) ويُسمعنا لنتعلم، لا بد أن تقال بصوت عال وليس في نفسك، وتُسمع من حولك حتى يتعلموا بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

هل يجوز لك أن تمر عليَّ وتقول السلام عليكم في نفسك؟ لا بد أن تسمعني، هي نفس الأمر لا بد أن تسمعني، والسلام عليكم بمعنى عليك السلام مني، وأول السلام سلام القلب، قلبي ليس فيه شيء لك، يقول (بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله) إذا رأى شيء على إنسان يعجبه، رأيت إنساناً يلبس بدلة جديدة، أو جلباب جديد فقل (بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله) رأيت إنساناً أعطاه الله فتحاً في تلاوة، أو في إنشاد، أو في علم فقل (بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله) في هذه اللحظة أنت أمَّنت نفسك من الحسد، فلا يعاقبك الله ﷻ لأنك لم يصدر من قلبك حسد لهذا الإنسان، وقد قيل: ما خلا جسدٌ من حسد.

الحسد موجود في طبيعة الإنسان، وجائز أن الإنسان لا يأخذ باله، وربما يحسد الإنسان ما له، يحسد زوجتة، أو يحسد أولاده، أو يحسد نفسه، إذا عمل شيء وأُعجب به ولم يقل (بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله) يصاب بتعب، ما الذي أتى بهذا التعب ؟ أنت حسدت نفسك، لماذا لأنك لم تقل (بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله).

يجب أن تقولها دواماً، ولا تقولها في سرك، بل تجهر بها حتى يتعلم منك أولادك، بنات، بنين، نساء، يتعلمونها، وكل مجتمع المسلمين مطالب بذلك: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (٣٩الكهف) وجنتك أي شيء يعجبك: ﴿ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (٣٩الكهف) الرجل، والمرأة، والبنت، والولد، الكل يجب أن يتعلم: (بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله).

r (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) :

- عدد حروفها تسعة عشر حرف، قيل من قالها فقد وقي من التي عليها تسعة عشر: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ (٣٠المدثر) وهي النار، التسعة عشر يدفعوا التسعة عشر، ولم يقل عليها تسعة عشر ملك حتى لا يعتبرهم أحد أنهم ملائكة، تسعة عشر لا يعلمهم إلا الله؛ قوى غيبية إلهية لا يعلمها إلا الله جلا في علاه، فما الذي يحفظ الإنسان من هموم الدنيا، وغمومها، والحسد، والنار؟ بسم الله الرحمن الرحيم.

r خير ذكر تذكر به الله أدم على (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ):

- بعض الناس يقولون (بِسْمِ اللهِ) فقط، لا بأس !! ولكن أُريد أن أقرأ آية، والآية هي ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ منها ذكر، ومنها آية من كتاب الله.

يجب أن نسير على هذا العهد دوماً، ولا ننساه:

ومن مشى على هذا العهد فتح الله له كل كنوز خيره، وبره في الدنيا، وكل كنوز فضله، وعطاياه في ملكوت الله جل في علاه .....

لإنها مفتاح كل الكنوز، كنوز حضرة الله لها رموز، ومفتاح هذه الرموز (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) فإذا قلتها فتحت لك كل الكنوز.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾

(الفاتحة)

١: أسرار فاتحة الكتاب[١]

سورة الحمد هي الفاتحة، فاتحة لكل فضل، ولكل خير، ولكل بركة، ولكل سر، ولكل بر في السماوات أو في الأرض، فإذا كان القرآن كله كنوز للمعاني الإلهية، وكنوز للأنور الربانية، وكنوز للأسرار الجبروتية، فإن مفاتح هذه الكنوز هي هذه السبع آيات القرآنية؛ آيات فاتحة الكتاب، حتى قال بعض السادة الصالحين أن الله ﷻ أفردها بالذكر مع القرآن لبيان أنها تحوي مضمون ما في القرآن من معان عليّةٍ حسان:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ (٨٧الحجر).

جمعٌ كبير من السادة المئولين والمفسرين قال أن السبع المثاني هي آيات الفاتحة، وسميت مثاني لأنك كلما نطقت بعبارة ردَّ الله ﷻ بذاتة وجمالاتة وكمالاتة عليك، وهذا موجود في الحديث القدسي المتفق عليه الذي يقول فيه المولى ﷻ:

{ قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾،

[١] مسجد مركز شباب بلهاسة -مغاغة- المنيا ٢٠ من جماد الآخر ١٤٣٦هـ ٢٠١٥/٤/٩م

قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ: مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ }[٢]

وهذا الحديث القدسي يشتمل على رد إلهي للشبهة التي يسوقها غير الفاقهين في دين الله ﷻ؛ يقولون لماذا تقرءون الفاتحة لكل شيء؟ الفاتحة أن فلان يشفى، الفاتحة أن فلان ينجوا، الفاتحة أن فلان ينجح، ... نقول لهم: عندما يقرأ الإنسان الفاتحة ماذا يقول الله ﷻ؟ يقول (هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ) كل الذي يريده بسبب الفاتحة يستجاب، وهذا أبلغ رد.

سلفنا الصالح وأجدادنا الأوائل كانوا فقهاء، ليس الفقة في الدين بالماجستير، ولا بالدكتوراة، الفقه في الدين بالنور الذي يضعه الله في قلب العبد ليفقه به كلا م الله، ويستنير بقول حبيب الله ومصطفاه ﷺ وهذا الذي يقول فيه الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

الفقه في القلب نور من لدى الرب	وليس في صحف تتلى لذي الحجب
قلب يتلقى عن الحق معارفه	هو الإمام إمام الدين والقرب
فاستفتي قلبك يا ذا القلب عن حكم	في الكون ظاهرة للعين في القلب

فكانوا فقهاء بهذه الكيفيه النورانية، فالفاتحة يفتح الله ﷻ بها كل الكنوز العلوية، والجبروتية والقدسية والملكية والأرضية ...!! بمعنى:

---

٢ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

- من أراد شيئاً من الدنيا فعليه بفاتحة الكتاب.
- ومن أراد قبساً من العلم فعليه بفاتحة الكتاب.
- ومن أراد أن يرفع عنه الهم والغم والنصب والحزن فعليه بفاتحة الكتاب.
- ومن أراد أن ينصره الله ويعزه فعليه بفاتحة الكتاب.
- ومن أراد الفتح الإلهي والكشف الرباني والعلم المخصوص العلوي أيضاً عليه بفاتحة الكتاب.
- ومن أراد أن يُجمع على حضرة النبي، ومن أرد أن يكون قريباً من القريب، ومن أراد أن يتجمل بالولاية العظمى ويكون له فيها أكمل نصيب فعليه بفاتحة الكتاب.

وأضرب لهذا مثالاً: عندي شاشة أو تليفزيون في المنزل أريد أن أفتح وأشاهد القنوات التي تعرض عليها، كيف أصل لهذا الأمر؟ .. بالريموت: هو الذي يفتح، وهو الذي ينتقل بين القنوات، فكأن الفاتحة هي الريموت لكل كنوز القرآن، وفتح القرآن، وأسرار القرآن، التي بثَّها فيه الحنان المنان ﷻ، وفيها كل ما في القرآن.

شكر الله على نِعَمه

القرآن فيه ما يزيد عن ألف وثلاثمائة آية تتحدث عن آيات الله الكونية الموجودة في الأكوان؛ التي تتحدث عن الإنسان، والحيوان، والبحار، والأنهار، والشمس، والقمر، والنجوم، وظلمات بطن الأم، والجبال، ومن المفترض وأنا في الصلاة أقف بين يدي الله؛ أن أشكر الله ﷻ بما أنعم عليَّ من جملة هذه النعم، إذا كانت فيَّ، أو ليَّ، أو حولي، أشكره على النعم التي فيَّ كالسمع، والبصر، واللسان، واليد، والرجل، والبطن، والفرج، والقلب، والروح، والسر، والعقل، والطحال، والكبد، وغيرها، والتي يعجز الإنسان عن عدها وحصرها.

وأشكره على النعم التي لي في الخيرات، من الحاصلات الزراعية، والخضروات، والفواكة، والحيوانات، والدواجن، والحشرات، والنباتات الطبية، وغيرها من الأنواع، والنعم التي جهزها ليَّ في البحار، وحضرة النبي ﷺ قال في شأن هذه النعم:

{ خَلَقَ اللَّهُ ﷻ أَلْفَ أُمَّةٍ، مِنْهَا سِتُّمِائَةٍ فِي الْبَحْرِ، وَأَرْبَعُمِائَةٍ فِي الْبَرِّ }[3]

ليس ألف صنف، ولكن ألف أمة، مثل أمة السباع منها الأسد، ومنها الذئب، ومنها الثعلب، ومنها الكلب، أنواع كثيرة وكلها أمة واحدة، فهي أمم شتى لا عد لها ولا حد لها، والنعم التي حولي؛ النساء، والبنين، والذهب، والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث .. كل هذه النعم يجب أن أشكر الله عليها، فعَلِم الله عجزي عن عدها، وعجزي عن حصرها، وبالتالي عجزي عن شكر الله عليها، فحمد نفسهُ بنفسه وارتضى بذلك مني وأمرني أن أقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ :

شكر لله على جميع النعم التي أوجدها ليَّ وفيَّ وحولي الله ﷻ.

هذه الآية فيها كل الآيات التي في الإنسان، والتي للإنسان، ولكي يقولها ويرد عليه مولاه كما ذكرنا لا بد أن يكون داخلاً في قول الله ﷻ: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ (١٢١النحل)

يشعر بالشكر على هذه النعمة، راضٍ عن الله، مستسلم لقضاء الله إن ابتلاه، لكن إذا قالها وهو متبرم وغير راض عن الله، هل يكون من الشاكرين؟ لا، لا بد أن يقولها عن رضا.

وهذه الآيات فيها أوصاف الله ﷻ التي ينبغي أن يعرفها جميع خلقه في الدنيا، والتي ينبغي أن يعلمها جميع خلقه في الآخرة.

---

٣ شعب الإيمان للبيهقي وابن حجر عن جابر ﷺ

فهو ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ﴾ :

المنعم بجلائل النعم؛ صغيرها وكبيرها لجميع الأنام، الإنس، والجن، والطير، والوحش، والملائكة، وكل كائنات الله ﷻ.

﴿ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ :

الذي ينعم بنعمه الخاصة كالهداية، والولاية، والعناية، والرعاية، وهذا لعباده المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله وسلموا أنفسهم لله وارتضوا بهذا الدين.

وفيها ذكر القيامة: ﴿ مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ :

أو في القراءة الأُخرى: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ هذه واردة، وهذه واردة، فهو مالك لكل ما يحدث يوم الدين، وهو المَلِك المطاع الذي ليس لأمره رد في هذا اليوم، لأنه سيأخذ الخلائق أجمعين عند النفخة التي ستتم في الصور: ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (٨٧النمل)، قال ﷺ:

{ يَأْمُرُ اللَّهُ ﷻ إِسْرَافِيلَ بِنَفْخَةِ الصَّعْقِ، فَيُصْعَقُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إلا مَنْ شَاء اللَّهُ، فَإِذَا هُمْ قَدْ خَمَدُوا جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى الْجَبَّارِ ﷻ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ مَاتَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إلا مَنْ شِئْتَ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ بَقِيَ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَقِيتَ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَبَقِيَتْ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَبَقِيَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، وَبَقِيتُ أَنَا، فَيَقُولُ ﷻ: لِيَمُتْ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، فَيُنْطِقُ اللَّهُ الْعَرْشَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، يَمُوتُ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ: اسْكُتْ، فَإِنِّي كَتَبْتُ الْمَوْتَ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ تَحْتَ عَرْشِي، فَيَمُوتَانِ، فَيَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى الْجَبَّارِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، قَدْ مَاتَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ بَقِيَ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: بَقِيتَ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَبَقِيَتْ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَبَقِيتُ أَنَا، فَيَقُولُ: فَلْيَمُتْ حَمَلَةُ عَرْشِي، فَيَمُوتُونَ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ ﷻ الْعَرْشَ فَيَقْبَضُ الصُّورُ مِنْ إِسْرَافِيلَ، ثُمَّ يَأْتِي مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى الْجَبَّارِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ مَاتَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ بَقِيَ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَقِيتَ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لا يَمُوتُ،

وَبَقِيتُ أَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: أَنْتَ مِنْ خَلْقِي، خَلَقْتُكَ لِمَا رَأَيْتَ فَمُتْ، فَيَمُوتُ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ إِلا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، الأَحَدُ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، كَانَ آخِرًا كَمَا كَانَ أَوَّلا، طَوَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ طَيَّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ، ثُمَّ دَحَاهُمَا، ثُمَّ تَلَقَّفَهُمَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْجَبَّارُ، ثَلاثًا، ثُمَّ هَتَفَ بِصَوْتِهِ: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلا يُجِيبُهُ أَحَدٌ، ثُمَّ يَقُولُ لِنَفْسِهِ: ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ }[٤]

صلاح العبادة وقبولها

وفي الفاتحة ... العبادة ..... والأمر الذي به صلاح العبادة وقبولها من الله ﷻ.

ما الأعمال التي يتقبلها الله؟ وما سر قبولها؟ ..... إذا كانت العبادة فيها إخلاص لله، وإذا كان العبد لا يرى لنفسه عملاً ولا فعلاً إلا بمدد وتوفيق ومعونة من الله، لخص الله ﷻ كل هذه الأمور في كلمتين مختصرتين:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ :

بمعني لا نعبدك طمعاً في دنياك، ولا مصالح، ولا منافع، ولا مكاسب، وإنما نعبدك لذاتك، خطاب مباشر كأنك تراه.

٤ الأحاديث الطوال للطبراني عن أبي هريرة ﷺ

﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ :

لا نستطيع أن نوفيك حقك أو نقوم بعبادتك إلا بحول منك وقوة وتوفيق ومعونة، وهذا الذي ترجمه أصحاب حضرة النبي ﷺ في قولهم: (والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا) فإذا اختل ميزان الإخلاص حبط العمل ووقع صاحبه في الزلل.

إذا كان العمل لمصلحة أو لمنفعة أو لدنيا غير خالص لوجه الله؛ حبط عمله، إذا كان العامل يرى أنه يعمل بنفسه، ونسي معونة ربه، وتوفيق ربه، والقوة التي أمده بها ربه، فقد حبط عمله، وهذا في أي عمل، حتي إذا كان عمل دنيوي ...

العبد الصالح يرى أنه في أي عمل يحتاج أن يجعله خالصاً لله حتي يأخذ أجره:

إن كان سعياً لمعاش يأخذ أجره ... إن كان لهو مع أولاده يأخذ أجره ... إن كان مداعبة لزوجته يأخذ أجره ! ... أي عمل سيفعله يكن له فيه أجر، ويكون عبادة لله !! ..... فأي عمل يعمله حتى ولو كان عمل في الدنيا يعلم علم اليقين أنه لا يستطيع أن يعمله إلا إذا رزق التوفيق من الله، وإلا إذا صحبته معونة من الله، وصحبه حول وقوة وطول من الله ﷻ، وهذا حال المؤمن دائماً ... ولذلك يوجد عندنا ميزان صغير نعرف به الصادقين من أتباع الصالحين ممن في سلوكهم عيباً ودَخَلاً:

إذا لم يرَ لنفسه عملاً ولا حولاً ولا طولاً وينسب الفضل كله لله نعلم أن هذا الرجل نجح في التربية الصوفية، واجتاز العقبة التي يهبط منها كثير من أتباع الصالحين، لأنه ينسب العمل دائماً لله .....لكن إذا رأى لنفسه قدراً، ويريد ممن حوله أن يصنعوا له شأناً، يبجلوه، أو يعظموه، أو يكرموه، أو يثنوا عليه ويمدحوه، وإذا لم يفعلوا ذلك ربما يغضب عليهم، ربما ينظر لهم شذراً، ولا يريد أن يتحدث معهم، أو يرد عليهم أو يكلمهم، فهذا الذي تحركه نفسه، وإذا كانت نفسه حية فهي حية تلدغه، وتبعده عن فضل الله وإكرام الله ومعية الله وحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه كان يقول لنا في ذلك :

علمت نفسي أني كنت لا شيء فصرت لا شيء في نفسي وفي كلي
به تنزه صرت الأن موجوداً به وجودي وإمدادي به حولي
ومن أنا؟ عدم الله جملني فصرت صورته العليا بلا نيلٍ

هذا حال الصالحين دائماً .... لا يرى نفسه! يرى فضل الله دائماً .... يرى عطاء إلهه .... يرى بركة نبيه .... يرى توفيق الله ورعاية الله ... ولو تخلت عنه هذه الأشياء لحظة أو طرفة عين ..... يرى أنه على وشك الهلاك ..... كيف يمشي الإنسان ولا يحيطه فضل مولاه؟... فإن كانت الذي يحركه نفسه!! فالذي تحركه نفسة .... تحركه إلى حتفه !!! والعياذ بالله ﷻ.

ماذا نطلب من الله؟

علمتنا الفاتحة أن نطلب من الله ﷻ، وبيَّنت لنا أعظم شيء نطلبه من حضرة الله:

لا تطلب في الدنيا إلا الستر، لأن الذي أعطاه الله ﷻ ملك لا ينبغي لأحد من بعده قال: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (٤٠النمل) إذا كان الأمر فيه إمتحان، هل يوجد فينا من يقدر علي الإمتحان؟! إذا لم يكن في الإمتحان حماية الله ورعاية الله، من فينا يستطيع أن يجتاز هذا الإمتحان؟! لا يوجد، ما الذي نطلبه؟

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ : .... أين هو؟ ....

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾:

اجعلني مع هؤلاء لأنه قال لنا في القرآن: ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (١٥لقمان) انظر إلى من ساروا إليَّ وسر معهم تأخذ كل الذي تريده في الدنيا بفضل الله وبإكرام الله، وتأخذ كل ما تتمناه في الدار الآخرة، وكل ما تطلبه من عند الله، وكل ما تبغيه من حبيب الله ومصطفاه ﷺ،

والذي يطلب الله تكون الدنيا تابعة له وليس هو التابع لها، لكن الذي يطلب الدنيا يكون خادم عندها تستعبده، لكن طالب الله، الدنيا خلف ظهره تتمنى رضاه، وتذهب إليه وتعرض نفسها عليه كما عرضت نفسها على رسول الله ﷺ، وكما عرضت على الصالحين، والنبيين، والمرسلين، وهذا يحدث في كل مكان وزمان، وهذه سُنَّة الله، ولن تجد لسنة الله ﷻ تبديلاً.

أنت تطلب الصراط المستقيم، وهذا منهج الله ﷻ، صراط من؟

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ لا بد أن تعرف قصصهم، وحكاياتهم، وأحوالهم مع الله، أين تطلبها؟ في كتاب الله جلا وعلا.

ولا تذهب عند الآخرين:

﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ :

لا بد أن تعرف أيضاً هؤلاء، ولماذا غضب الله عليهم؟ ولماذا هؤلاء ضلوا وبعدوا عن المنهج القويم؟.وهناك كلام كثير في هذه الآية، مَن المغضوب عليهم؟ ومَن الضالين؟

المغضوب عليهم باختصار هم الذين تسلل النفاق إلى قلوبهم، وظنوا أنهم يخدعون المؤمنين، ويحسنون صنعاً

وقد قال الله في شأنهم: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ (٩البقرة) وقال: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (الكهف).

فهؤلاء يظنون أنهم يخدعون الناس بالتظاهر بالدين، لكن قلوبهم تشعَّب فيها النفاق، وتغلغل فيها سوء الأخلاق، فَضَلُّوا عن المنهج، فغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً، بل هم في الدرك الأسفل من جهنم، والدرك أي السلالم النازله.

الجنة فيها درجات، وجهنم فيها دركات، سُلَّم نازل، وآخر الدركات فيها المنافقين، وبعدها الهاوية، والهاوية للخالدين فيها أبداً، لا يخرجوا منها أبدا لأنهم ليس لهم دركة يذهبوا عندها حتى يخرجوا.

البعض يقول إن المنافقين تحت الكفار، لكن الذين في الأسفل في الهاوية هم الكفار، وليس لهم دركة يصعدون عليها، أما المنافقين لأنهم قالوا (لا إله إلا الله) ولو مرة واحدة يتعشمون أن يخرجوا.

أما (الضالين) فهم الذين ضلوا طريق رب العالمين؛ طريق التوحيد السليم الذي جاء به نبينا الصادق الوعد الأمين، فكل من خالف هديه ولم يمشي على دينه في حياته أو بعده إلى يوم الدين فهذا داخل في هذه الآية الكريمة.

فالفاتحة فيها كل ما في القرآن:

- القرآن عبارة عن آيات في النفس، وفي الآفاق، ولها الإشارة في: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

- وآيات تتكلم عن توحيد الإلوهية وهذه في:﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ .

- وآيات تتكلم عن القيامة وهذه في: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ .

- وآيات تتكلم عن التشريعات والعبادات وهذه جاءت بالأمر الجامع لقبول العبادات والأعمال والتشريعات: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾.

- وآيات تتكلم عن الدعاء، وأرشدنا الله بالفاتحة إلى خير دعاء: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ .

- وآيات تتحدث عن قصص الأنبياء والمرسلين السابقين وهذه تدخل في قول الله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

- وآيات تبين الذين غضب عليهم الله، والذين ضلوا الطريق الذي عليه رسول الله ﷺ: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾.

هذه مجمل آيات القرآن، جعلها الله ﷻ في فاتحة الكتاب كما بيَّن الرحمن ﷻ.وهذا من أمر هذه الآيات العجيبة ..!!!

ولذلك كان يقول الإمام عليّ ﷺ وكرَّم الله وجهه:

((لوشئت أوأوقر سبعين بعيرًا من تفسير أم القرآن لفعلت))[٥]

بمعنى يكتبون وراءه التفسير، والكتب التي تُكتب يحملها سبعون جمل .... هذا علم: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة)!!

وهل لعلوم الله انتهاء؟

لا ..... لا يوجد انتهاء لعلم الله أبداً.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده الأتقياء الأنقياء الأبرياء .... وأن يرزقنا حسن المتابعة لأمير الأنبياء .... وأن يجعلنا في الدنيا من عباده السعداء ... وفي الآخرة من عباده الوجهاء .... وفي الجنة من أهل النظر إلى حضرته بجميل العطاء

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٥ ابن أبي جمرة عن علي رضي الله عنه الإتقان في علوم القرآن ومرقاة المفاتيح



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ (البقرة)

٢: منازل المتقين[1]

أوصاف المتقين

أنزل الله ﷻ كتاباً ذا قدر، على نبي ذو قدر، لأُمة لها عند الله ﷻ قدر عظيم، ولذلك اختار الله إنزاله في ليلة القدر، فهذا الكتاب يجمع للمؤمن كل ما يحتاج إليه في أمور دنياه، وما يهفوا إليه قلبه، وتميل إليه روحه في الدار الآخرة وعند الله جل في علاه، ولما كنا كلنا مسافرون، ولا بد يوماً أن نكون من هذه الدنيا راحلون وإلى الله ذاهبون، فقد ركز القرآن الكريم على المقامات الكريمة، والمواصفات العظيمة التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن، ويتجمل في دنياه لينال مرتبة عظيمة يوم يلقى الله جل في علاه.

من الناس من يبحث عن الوجاهة في الدنيا ... ومنهم من يريد أن يكون وجيهاً في الآخرة، وهذه هي الوجاهة التي تدوم: ﴿ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ (٤٥آل عمران) ومنهم من يبحث عن الوجاهة عند الله، وهذه أعظم في الدرجة والمقام:

[1] عزبة العنبر - العدوة – المنيا ٢١من جماد الآخر ١٤٣٦هـ ٢٠١٥/٤/١٠م

﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (٦٩الأحزاب)، فكل مؤمن يحبه الله يوجهه في قلبه أن يبحث له عن مقام كريم ذكره الله في كتابه، ويجهز الملف الذي يحظى به بهذا المقام، والملف مستنداته ومواصفاتة ذكرها الله في كتاب الله ﷻ، وأول ملف في كتاب الله لمن أراد أن يكون من المتقين؛ نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين ..في أول آيات سورة البقرة.

وإعجاز من الله ﷻ لأهل الفكر، وأهل العلم، وأهل العقول من كل التوجهات، بدأ الله ﷻ الآيات بثلاثة حروف من الحروف الأبجدية:

﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾: .... احتار الناس في هذه الحروف، وماذا تعني؟

- منهم من قال: أن الكتاب مؤلف من هذه الحروف الأبجدية، وأنتم تحفظونها فإن شئتم فأتوا بسورة من مثله، أو بعشر آيات من مثله، أو بآية من مثله، فعجزوا جميعاً مع أنهم فصحاء البيان، كانوا يكتبون الشعر ويعلقونه مكتوباً بماء الذهب على جدران الكعبة، ولكنهم عجزوا عن الإتيان ببعض آية من آيات كتاب الله، وهو مكون من نفس الحروف التي يتكون منها الشعر، والتي ينطقون بها، ويتكلمون بها.
- ومنهم من قال: أن هذه الأحرف في أول السورة تحوي كل ما في هذه السورة من أسرار استودعها فيها الواحد القهار، ولا يكشفها إلا لعباده الأخيار الأطهار، إذا صفت القلوب من العيوب، وناولها الله ﷻ من فضله حقائق الغيوب، فهنا يتم لها المطلوب، وتُكاشف بمراد الله ﷻ في هذا الكلام، وهذا الكلام عالي.

- ومنهم من قال: أن الله ﷻ يقسم في هذه الآيات بذاته، وساق القول لنا على سبيل الرمز، فالألف تعني أنا، واللام تعني الله، والميم تعني الملك، بمعنى أنا الله الملك أنزلت هذا الكلام، ما دام الله الملك الذي أنزل هذا الكلام أفي الله شك؟! إذا لا يوجد في كلامه أيضاً شك، لأنه هو الذي أنزله ﷻ.
- ومنهم من قال: نحن نعلم جميعاً أن القرآن له موسيقى إلهية خفية تهز القلوب، ولا يستطيع أحد من العازفين بأي آلات موسيقية أن يهز أوتار القلوب مثل كلام علام الغيوب، فقالوا: إن مفتاح موسيقى السورة في الآيات التي في أول السورة.

أقوال كثيرة، لكن نقول في الختام: أن هذه البدايات التي تسبق السور البينات إنما هي أسرار، وضعها الله ﷻ في هذه الحروف، فهى رموز وتحتها كنوز، فمن أكرمه ربه، ورفع قدره، حلَّ له هذه الرموز، وكشف له عن محتوى هذه الكنوز من العلوم الإلهية، والأسرار الربانية، ولاينبغي للمؤمنين أن يتوقفوا عند هذا الأمر، ويتبارون فيه بالجدال، ويتطاولون في المقال، لأن هذا أمر خاص جعله الله ﷻ لأهل الإختصاص.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾:

والوقف يزيد المعنى طلاوة وجمال، ولذلك كان أئمة السلف رضوان الله عليهم، كان الذي يحفظ القرآن ويجوده، كانوا يطلبون منه أن يختم ختمة يعلموه فيها قواعد الوقف الصحيح، فقد كانوا متقنين، ولولا إتقانهم ما وصل إلينا كتاب الله بهذه الكيفية.

القرآن نزل حروف، وكانت الحروف في زمن نزول القرآن بغير نقط، الراء مثل الزين، والسين مثل الشين، والحاء مثل الجيم والخاء، لا توجد نقط، ومع ذلك حُفظ القرآن، لماذا؟ لأنهم كانوا متقنين، الذي يكتب القرآن كان يحرص حرصاً شديداً على ألا يسهوا عن حرف، والذي يقرأ القرآن كان يجوده سماعاً ممن قبله، والقرآن لا بد أن يُتلقى سماعاً، لا يجوز أن يتلقى تلاوة ويخطأ الإنسان في قراءته، لا بد أن يسمعه ممن سبقه، ومن سبقه ممن سبقه إلى رسول الله ﷺ، فلك أن تقول ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ ﴾ (٢البقرة) ولك أن تقول: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾ ولك أن تقول: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ وكل وقف يبين معنى من المعاني العظيمة.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ﴾::

إياك أن تشك أن هذا الكتاب لم ينزل من عند الوهاب ﷻ، ويّرِد إلى خاطرك ما يتقوّله البطالون من أن النبي ﷺ - وحاشا لله وتنزيهاً لرسول الله - ألَّفه من عنده

: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٢الشورى) إياك أن ترتاب، أو تشك في أن هذا القرآن نازل من عند الله ﷻ.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾:

إياك أن تشك في أي شيء يتحدث فيه القرآن، إن كان من قصص الأنبياء السابقين، أو من الأمور الكونية، أو من الأمور الشرعية، أو من الأمور الدنيوية، أو من الأمور الأخروية، لأنه تنزيل من حكيم حميد، قوله الحق، وخطابه الصدق: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٤٢فصلت) لا يوجد فيه باطل، لا من هنا، ولا من هنا ... فالوقف فرق بين أمرين، نفي الشك عن نزول الكتاب من عند الله وهذا أمر، والوقف الثاني نفي الشك عن أي أمر يتحدث عنه كتاب الله، انظروا ماذا فعل الوقف هنا!.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾:

وهذا الكتاب هداية للمتقين، وفيه هدى للمتقين، بمعنى يتخلله هداية للمتقين، الوقف الأول هو كله هدايه للمتقين، والوقف الثاني فيه هداية للمتقين، الذي نريد أن نصل إليه؛ هذا كلام علمي، وأنتم كلكم علماء والحمد لله، وأصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم، وأظن أنكم خلفهم إن شاء الله يقول فيهم رسول الله ﷺ:

{ أُدبَاءُ حُلَمَاءُ عُقَلاءُ فُقَهَاءُ كَادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ }[٢]

المتقين الذين ذكرهم الله ﷻ في هذه الآية ما ملفهم الذي جهزوه؟ أو نحن حتي نكون منهم إن شاء الله، يريد قواعد الإيمان، وأسس الأعمال التي يرضى بها على العبد حضرة الرحمن ﷻ، وهذا يتلخص في ثلاثة أمور:

الغيوب الإلهية

الأمر الأول: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾:

والغيب كل ما غاب عن حس الإنسان، عن العين، وعن الأذن، وعن كل الحواس، لا يراه الإنسان بالعين، ولا يسمعه بأذنه، ولا يلمسه ببشرته، وكل هذا يسمى غيب.

يوجد غيب كوني ويوجد غيب ملكوتي، ويوجد غيب إلهي،

٢ أحاديث منتقاه من مشيخة أبي بكر الأنصاري عن سويد بن الحارث ﷺ

ويوجد غيب ذاتي فيك، أين يوجد العقل؟ الموجود في الرأس المخ، والعلم يسير مع الدين، فالمخ سنترال، فيه عشرة بليون خط تليفوني لكل أجزاء المملكة، كل جزئية بسيطه لها خط تليفوني، إذا حدث أي شيء يتصل السنترال مباشرة، فالمخ هو الذي يشرف على الجهاز العصبي للإنسان.

لكن العقل الذي يوجد فيه العلوم التي حصَّلتها، والخبرات التي اكتسبتها، والتجارب التي مارستها، وما عرفته من الخلق، وسكان الأرض، وعندما أحتاج أى معلومة من هؤلاء تأتي في أقل من لمح البصر، أنا لم أعلم يا فلان أين رأيتك؟ في لحظه يرسل لي المعلومة وأتذكره، أنا كنت في المكان الفلاني ورأيتك، وقلت لك كذا، وقلت لي كذا، أين هذه الشرائط؟ في العقل، أين يوجد العقل؟ لا يعلم العقل إلا من خلق العقل، مع أنه في الإنسان، ولكنه غيب من غيوب الإنسان.

الروح في الإنسان، عندما يتحرك بيننا ويأتي ويذهب ويعمل ويأكل ويشرب تكون فيه الروح، فإذا توقفت أجهزة الإنسان نقول خرجت الروح، كيف خرجت ولم نرها؟! ومن أين خرجت؟! وأين ذهبت؟! هذا غيب لا يعلمه إلا عالم الغيب، هذه اسمها غيوب ذاتية في الإنسان.

وتوجد غيوب في الأكوان التي نحن فيها، فيها غيوب لا عدَّ لها، ولا حدَّ لها، حضرة النبي ﷺ كشف عن بعضها، وعن الغيوب المستقبلية وما سيحدث في الزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أليست هذه غيوب؟ اللحظة القادمة بالنسبة لي ولك غيب، لا أقول غداً، بل اللحظة القادمة غيب، هل أنا أعلم ما أفعل فيها؟ أو أعلم ما يحدث لي، فهذه بالنسبة لي غيب، لا يعلمه إلا عالم الغيب ﷻ، معي الكرام الكاتبين والحفظة: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (١١الرعد) الذي يحفظه من الأمام، والذي يحفظه من خلفه، والذي يحفظه وهو نائم، والذي يحفظه وهو مسافر، أين هم؟ من فينا يراهم أو يعلمهم؟ أحدهم يحرر شيكات الحسنات، والآخر يسجل محاضر المخالفات، وقبل أن يكتب المحضر يقول له الآخر انتظر قليلاً لعله يتوب، هل يوجد فينا من يسمع هذا الهمس؟ هذا غيب.

معنا عوالم خفية لا يعلمها إلا رب البرية، الجن منهم، إذا نظر أحد منا إلي أي بقعة من التي حولنا، أو حتى على جلدك بمنظار مكبر تجد ملايين الكائنات، من ينجح أن يدخل يسبب المرض، هل أنت تراه؟ من أين يدخل؟! غيوب لا يعلمها إلا علام الغيوب ﷻ.

وهناك غيوب ملكوتية، وهي الملائكة، والجنة، والنار، وما جهزه الله ﷻ في الملكوت للأخيار والأطهار والصالحين والأبرار، وهناك غيوب إلهية؛ الحضرات العلوية، حضرات العرش، والكرسي، واللوح، والقلم، وحضره الهوية، وحضرة الإلهية، وأشياء ليس لها مثل ولا شيء قريب نستطيع أن نقرب معانيها به، وإنما غاية ما يقال فيها: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (١١الشورى) فالمؤمن لا بد أن يؤمن بكل الغيوب التي أنبأنا بها علام الغيوب في كلامه المكتوب، أو تفوَّه بها وذكرها لنا الحبيب المحبوب ﷺ.

ورسول الله ﷺ أخذ أصحابه ذات مره يوضح لهم شيء من ذلك، أخذهم ذات مرة إلى المقابر، فمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ::

{ إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ }[3]

هل يوجد أحد فينا عندما يذهب إلى المقابر يرى هذه المناظر؟ لا، وإلا ستتكدر المعيشة علينا، فمن رحمة الله بنا أن حجب عنا هذه الغيوب، حتى نستطيع أن نحيا الحياة الطيبة في الدنيا، ونسعى لرضاء علام الغيوب ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾

وفصَّل الله ﷻ هذا الإجمال في آخر الملف.

---

[3] البخاري ومسلم عن ابن عباس ﵄

إقامة الصلاة

<u>الأمر الثاني:</u> ثم ركَّز الله على الأعمال التي ينبغي أن يركز عليها المرء لينال رضا الله، تريد أن تكون من المتقين انظر إلي ملف الصلاة:

﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾:

لم يقل يصلون، فهناك فرق بين الإقامة والصلاة، فلان صلَّى بمعنى أتى بحركات الصلاة على أي هيئة، وعلى أي طريقة يستطيع أداءها بها، لكن يقيم الصلاة أي أتى بالحركات الظاهرة والواجبات القلبية الباطنة، ليحظى برضا الله جل في علاه، حافظ في الظاهر على قول حبيب الله ومصطفاه ﷺ:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي } [٤]

فتعلَّم أو درَس هيئته في الصلاة، وقوفه، تلاوته، ركوعه، قيامه من الركوع، سجوده، تشهده، تعلَّمها من رسول الله ﷺ ليقتدي به في الصلاة لأنه ميزان القبول، فالعمل المقبول هو العمل القريب من عمل الحبيب الأعظم ﷺ، وحافظ أيضاً على التوجه لله بالإخلاص، والوقوف بين يدي الله بالخشوع، والخضوع، ومناجاة الله ﷻ بمحبة ومودة، فيناجي الله كأنه على بساط المناجاة يخاطب مولاه جل في علاه، هذه هي إقامة الصلاة.

---

٤ سنن الدارقطني وابن حبان عن مالك بن الحويرث ﵁

الذي يُكمل الوقوف والركوع والسجود كما ينبغي، والقلب لاهي سارح في أودية الدنيا، هل هذا أقام الصلاة؟! لا، مثل هذا قال له ﷺ:

{ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ }[٥]

ومهما كان الإنسان مشغولاً بأمور دنياه إلا أنه يرجوا أن يكون من الأتقياء، ويبلغ مقاماتهم، لذلك لا بد أن يكون أكبر همه إقامة الصلاة، يقول سيدنا عمر رضي الله عنه: ((إن المرء ليشيب عارضيه في الإسلام، ولم تكتب له صلاة واحدة كاملة، قالوا: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال لا يحسن وضوءها، ولا يتم ركوعها، وسجودها، وخشوعها لله عز وجل))

لا بد أن تعلم علم اليقين أن الله عز وجل لا يحتاج إلى صلاتك، ولا تسبيحاتك، وإنما أنت الذي تحتاج إلى كل ذلك، فتبحث عن تجويده، وإتقانه لله لتنال رضا الله جل في علاه.

لماذا تتقن الطعام إذا جلست عليه؟!

وإذا جلست بين يدي الله تكون في عجلة من أمرك؟!! يا فلان أقم الصلاة نحن متعجلون وعندنا مشاغل!! لا مانع، ولكن عندما تدخل في الصلاة لا يكون في قلبك إلا الله جل في علاه، كأصحاب رسول الله ﷺ، يقول سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه: ((ثلاث أنا فيهم رجل: ما وقفت بين يدي الله في الصلاة

---

٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

وحدثت نفسي بشيء غيرها حتى أخرج منها، ولا مشيت في جنازة وحدثت نفسي إلا بما يقول وبما يقال له عند سؤال الملكين حتى أفرغ منها، ولا قرأت كتاب الله ﷻ إلا انشغلت بتدبره عن سواه)) هؤلاء هم الرجال الذي نريد أن نكون على منوالهم، ومثالهم، حتى ننال رضا الله ﷻ، ونرتفع إلى مقامات الأتقياء عند الله جل في علاه.

الإنفاق

الأمر الثالث: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾:

سبحان من هذا كلامه، جعل القاعدة الشرعية لجمع الأمة المحمدية أن لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وطبَّقها في هذه الآية، لا بد لمن أرد أن يكون من الأتقياء أن يقدم ملفاً عن الإنفاق، ظن الناس أن الإنفاق يعني إنفاق المال، والله لم يقل ذلك، بل قال: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ من رَزقه الله علماً ينفق من هذا العلم ابتغاء وجه الله، فيُعلِّم المسلمين لوجه الله، ومن رَزقه الله مالاً فيخرج حق الله وهو الزكاة ويوزعه على فقراء وعيال الله، وحبذا لو زاد صدقاة من عنده تكون له ذخراً عند مولاه، ومن رَزقه الله زرعاً يخرج منه يوم حصاده: ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ (١٤١الأنعام) وأي صنف من أصناف الزرع لأن الله قال في القرآن

: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾

(٢٦٧البقرة) كل شيء خرج من الأرض وبلغ القدر الشرعي الذي حدده النبي علينا أن نخرج زكاته للفقراء، والمساكين.

مَن رَزقه الله ﷻ صوتاً طلياً يُشنِّف به آذان المسلمين بكلام رب العالمين، فإن كلام الله إذا تُلي من إنسان وُهب مثل مواهب داوود يشد القلوب إلى حضرة علام الغيوب ﷻ، ومَن رزقه الله ﷻ قوة يساعد بها وينفق من هذه القوة في مساعدة العجزة، والمرضى، وكبار السن، ابتغاء وجه الله ﷻ كما كان يفعل أصحاب حضرة النبي ﷺ، وله في ذلك عظيم الأجر فقد قال ﷺ في كبار السن: { مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إلا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ } [6]، ويقول ﷺ في أصحاب الحاجات: { مَنْ قَادَ أَعْمَى أَرْبَعِينَ خُطْوَةً، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ } [7]

وكان أصحاب حضرة النبي ﷺ يتسابقون في خدمة الفقراء والمساكين ومن لا عائل لهم، ولا واصل لهم، والذين يُسمون المنقطعين، فكانوا يبحثون عن المنقطعين ويزورونهم.

٦ جامع الترمذي والطبراني عن أنس ﷺ
٧ شعب الإيمان للبيهقي عن ابن عمر ﷺ

وأنا رأيت رجلاً من أولياء الله ﷻ وكان أُمياً لا يقرأ ولا يكتب في بداية عصر ثورة ١٩٥٢ بعد أن أنشئت المستشفيات في المراكز، وكانت ملجأ للضعفاء لإجراء العمليات الجراحية والعلاجات، وكان أحسن طاعاته التي يتقرب بها إلى الله يذهب وقت الزيارة إلى المستشفى، ويأخذ معه رجلين يحملون معه أكياس الفاكهة، ويقول لهم: كل رجل أقف بجوار سريره ضعوا كيساً على سريره، ويمشي بداخل المستشفى يتجول، كل سرير يجد حوله أناس يتركه، والسرير الذي لا يجد عنده أحد يقف لديه ويخاطبه ويكلمه ويجبر خاطره، ويترك له كيس الفاكهة، ويذهب ويتفقد هؤلاء الذين لا زائر لهم، أين ذلك الأن يا أمة الحبيب العدنان ﷺ؟! ... نحن مكلفون بذلك، يجب أن نبحث عن المنقطعين من الأمة، ونصلهم لله، صلة رَحِم رسول الله ﷺ هم هؤلاء، وهم إخوانك في الدين، أبر عند الله من صلة رحمك لأخوك لأبيك وأمك، لأن هذا رحم الإيمان، ينبغي علينا أجمعين أن نقوم بها طلبا لمرضاة الرحمن.

ومن رَزقه الله ﷻ جاهاً ينفق من هذا الجاه في قضاء حوائج المسلمين، يري الناس الذين يريدون المصالح، ولا يستطيعون إنجازها، ويأخذ بأيديهم ويقضي لهم هذه المصالح، وقد رأيت أيضاً في عصرنا رجلاً من الصالحين من الشرقية كان اسمه الشيخ محمود أبو هاشم، وكان عمله الذي يقوم به كل يوم يأتي إلى بيته طلاب الحاجات في الدواوين الحكومية فيذهب بهم إلى مدينة الزقازيق، ويتجول بهم في الميادين الحكومية حتى يقضي لهم حاجاتهم جميعاً، واليوم الثاني كذلك، والثالث كذلك، ابتغاء وجه الله ﷻ، لا يريد من وراء ذلك كلمة شكر، ولا أجر، ولا ثواب

لأنه لا يرجوا إلا رضا الله ﷻ، كأنه يعمل بقول الله ﷻ: ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩الإنسان) أين أمثال هؤلاء الآن؟ حوالي ٩٥% من الذين يقضون المصالح الآن يريد أن يتفق قبلها على المقابل المادي، ولا يقضيها حتى يأخذ المقدم!!!، هل يجوز ذلك في أمة النبي؟! هل يجوز أن يفعل ذلك مؤمن بالنبي حتى لرجل من أهل الذمة عاش مع أهل الإسلام؟!!

لا ينبغي ذلك أبداً!!

قال ﷺ:{ لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ }[8], ولكن المسلم يصنع ذلك طالباً لقول الحبيب ﷺ:{ مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنَ اعْتِكَافِ عَشْرِ سِنِينَ }[9]، وقوله ﷺ: { مَنْ قَضَى لأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ، فَإِنْ رَجَحَ وَإِلا شَفَعْتُ لَهُ }[10]، وأمرنا ﷺ بأن نقوم بهذا الأمر وقال لنا أجمعين: { اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا }[11]، فإن كان في إمكانك الشفاعة اشفع، المجال الذي تستطيع أن تخدم فيه اخدم المظلومين والمساكين، لوجه الله؛ تنحل كل مشكلات الأمة بإذن الله ﷻ, إذاً أهم الأعمال التي يصل بها الإنسان إلى رضا الله الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة والإنفاق مما أتاه الله ﷻ.

---

٨ مسند أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٩ معجم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
١٠ الدر المنثور للجلال السيوطي وحلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما
١١ صحيح البخاري وسنن أبي داود عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه

أركان الإيمان

ثم فسَّر الله ﷻ قواعد وأركان الإيمان:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾:

وهو القرآن، وإن شئت قلت دين الإسلام، هذا وارد، وهذا وارد، فالقرآن هو كتاب الإسلام، والإسلام كتابه القرآن.

﴿ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾:

وما أُنزل إليك من الكتب الإلهية السابقة الصحيحة التي لم تحرَّف ولم تُبدل، والحمد لله جعل الله كتاب الله القرآن مهيمناً على كل هذه الكتب، فلا حاجة لنا أن نقرأها، ولا أن نطلبها، لأن الله جمع كل ما فيها في كتاب الله ﷻ، ولذلك نهى النبي ﷺ عن مطالعة كتب أهل الكتاب، وعندما رأى بعض القوم يتصفحها غضب وقال: { أَمُتَهَوِّكُونَ أَنْتُمْ كَمَا يَتَهَوَّكُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَكِنِّي أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ }[١٢]

[١٢] شعب الإيمان للبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الإيمان بالآخرة

﴿ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾:

لأن الإيمان بالآخرة هو الأساس الذي إذا استحضره المرء صلحت كل أعماله في الدنيا، فمعظم المخازي والمعاصي والفتن سببها نسيان الموت والدار الآخرة، لو تذكر الإنسان أنه سيموت، وأن أجله ربما قد يكون قد حان ولا يدري فسيحسن العمل لله، ويراقب الله ويخشاه، ولو تذكر المرء أنه سيعرض يوم القيامة على الله، وسيحاسبه الله ﷻ على كل ما جنت يداه، سيراقب كل أعماله، وسيجعل الله ﷻ على باله، وسيقول لنفسه كما قال بعض الصالحين: (نزِّه الله أن يراك حيث نهاك، أو يفتقدك حيث أمرك)

لا تجعله يراك في أمر نهى عنه، أو لا يراك ولا يطلع عليك في أمر طالبك به:

طالبك بالصلاة، لا تجعله يطلع على المصلين في أول الوقت ولا يجدك بينهم بغير عذر شرعي، ليس لنا شأن بالأعذار النفسية، لا بد أن تزن أعذارك بالأعذار الشرعية الواردة عن خير البرية ﷺ، فالذين يسيرون على هذا المنهاج، وعلى هذا الإيمان القويم، وعلى هذا العمل البسيط:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾:

هؤلاء الذين اختار الله لهم الهداية، وسبق لهم من الله العناية، وأجرى الله ﷻ عليهم هذه الأعمال، ووفقهم لهذه الأحوال، لأن الله ﷻ يحبهم ....

ومن أحبه الله ﷻ وفَّقه في الدنيا للعمل الذي يحبه ويرضاه، ومن غضب الله عليه شغله بدنياه، أو أركسه في حظه وهواه، فيظن أنه يعبد الله ويوم القيامة يجد أنه لم يحسن صنعاً، لأنه شغله دنياه، وحظه، وهواه، عن إحسان العمل إلى حضرة الله.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾:

الفلاح بمعنى الفوز بالمقام العظيم، والأجر الكريم من الله ﷻ: ﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴾ (٤٤الأحزاب).

نسأل الله ﷻ بأن يجمِّلنا بهذه الأوصاف ...

وأن يكمِّلنا بهذا الإتحاف، .... وأن يجعلنا من أهل هذه الآية ....

وأن يكتبنا في ديوان أهل العناية .... وأن يوفقنا إلى النهاية .... وأن يقبضنا بيمناه، وأن يجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا .... وإذا أساوء استغفروا .....

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾ (البقرة)

٣: منازل الصابرين١

بشائر الصابرين

في هذه الآية روشتة قرآنية بها حلٌّ لكل مشاكلنا العصرية، إن كانت فردية أو عائلية أو اجتماعية، حلٌ لكل هذه المشكلات في هذه الروشتة النبوية القرآنية الإلهية، فما أصدق قول الله جلَّ وعلا: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٢الإسراء).

العصر الذي نحن فيه الآن امتلأ بالمشكلات التى لا عد لها ولا حصر لها، مشكلات نفسية، ومشكلات جسدية، ومشكلات في الأرزاق والدخول والأقوات، ومشكلات في تربية الأولاد، ومشكلات في كيفية الحياة السعيدة الرشيدة مع الزوجات ويكون بينهم مودة ورحمة، ومشاكل مع الجيران، ومشاكل مع الرفقاء في العمل، مشاكل كلها نعجز عن حصرها لا تُعد ولا تُحد.

كيف ينجو الإنسان من هذه المشكلات والمعضلات بدون تأثيرٍ سيء على نفسه، أو على جسمه، أو على حسِّه، ويعيش مطمئن البال هانئ النفس مع الله عز وجل؟ فهذه الروشتة القرآنية وخطابها للمؤمنين كأنها خاصة بنا جماعة الإيمان بالله ورسوله.

١ مسجد قاسم المصري - مغاغة – المنيا ٢٢ من جماد الآخر ١٤٣٦هـ ٢٠١٥/٤/١١م

إذا سمعت الله ﷻ يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فاعلم أن الله ﷻ يخاطبك، فارعى لها سمعك، واستحضر ذهنك، وصفِّ قلبك، واسمع لله وهو يخاطبك وقل: لبيك اللهم لبيك، ماذا تريد مني يا إلهي؟. ... ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾:

نحتاج إلى صنفين من الدواء لا ثالث لهما، لدقة كلام اللطيف الخبير ﷻ، لا يُسطِّر روشتة فيها عشرة أصناف، لكن صنفين إثنين فقط: الصبر والصلاة، وقد بيَّن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أهمية الصبر مع الإيمان، فيقول:

{ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ } [٢]

هل يستطيع الجسد أن يعيش بغير رأس؟! لا !!!كذلك لا يستطيع المؤمن أن يعيش في الدنيا في أهوالها ومشاكلها بدون صبر، وإذا كان الله ﷻ يخاطب أعزَّ أنبيائه وأكرم رُسله مراتٍ كثيرة في كتاب الله يأمره بالصبر،

---

٢ كتاب (الصبر والثواب عليه) قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: " أَلا إِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَإِذَا قُطِعَ الرَّأْسُ بَادَ الْجَسَدُ "، ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ، فَقَالَ : " أَلا إِنَّهُ لا إِيمَانَ لِمَنْ لا صَبْرَ لَهُ"

حتى قال له في إحداها: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (٣٥الأحقاف) ... أى انظر إلى أُولي العزم من الأنبياء الذين تعرضوا لمشاقٍ ومكابداتٍ في الدعوة إلى الله من أممهم وكيف كان صبرهم، وأنت بمفردك تصبر صبراً يساوي صبر جميعهم!! انظر إلى تكليف الله ﷻ لحبيبه ومصطفاه.

كيف أصبر؟ ... ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (١٢٧النحل) ....

اطلب المعونة من الله، واستمد العون من الله حتى تبلغ المقام في الصبر الذي كلفك به الله ﷻ، لأن أي إنسان مهما كانت قدراته وطاقته عاجزٌ عن فعل أي شيءٍ في الكون بنفسه بدون معونة الله ورعاية الله ومدد الله وتوفيق الله.

واللهِ يا أحبة لا يستطيع أحدٌ أن يرفع يداً أو يُحرِّك أصبعاً ولا يرمش له طرف ولا تنتقل قدماه إلا إذا أعانه ربه على ذلك وقوَّاه؟

فلا بد للإنسان أن يستمد العون ممن يقول للشيء كن فيكون.

ولذلك المؤمن دائماً وأبداً جسمه في الكون مع خلق الله، وقلبه مُعلقٌ بمولاه، دائماً وأبداً يستمد منه عطاياه، يتنزَّل له فيه بالسكينة، ويُنزل له فيه الطمأنينة، ويغشاه فيه بالرحمة، ويتنزَّل له فيه بالعلم والحلم وما لا يُعد من عطايا الله، ولكنها تحتاج أن يكون الإنسان قلبه دوماً مُعلقٌ بمولاه ﷻ، وانظر إلى تربية الله لأنبيائه ورُسله، يقول الله ﷻ لموسى كليم الله في بعض الآثار:

{ يا موسى اسألني كل شيء حتى ملح عجينك – وروى– **فى شسع نعلك وعلف دابتك }**، **{ فقال يا رب إنه ليعرض لي الحاجة من الدنيا** – يقصد قضاء حاجته- **فأستحي أن أسألك! قال سلني حتى ملح عجينك وعلف حمارك }** [٣]

إذا قُطع نعلك في الطريق قبل أن تبحث عن من يُصلحه فقل: يا رب!! حتى يدُلَّك بسرعة عليه، ولو احتجت إلى قليل من الملح أيضاً فقل: يا رب، وإذا أردت قضاء حاجتك ولم يأذن الله وأخذت كل المسهلات فلن تنزل هذه الحاجة إلا إذا قضى الله الذي أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .... فتعلَّم موسى من تلك القضية أن يسأل الله في كل شيء، ذهب إلى مَديْن وشعر بالجوع، فمن يسأل هناك؟! فنادى مولاه: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (القصص) وقال ﷺ:

---

٣ جامع العلوم والحكم.

{ قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْ الرَّحْمَنِ } [٤]

من الذي يحرك القلوب؟ .... مقلب القلوب ﷻ!! ، ... فإذا سألت الله ثم توجهت للسبب لعبد من عباد الله حرَّك الله قلبه بالموافقة والقبول، فحقق لك مُناك، لكن إذا اعتمدت على نفسك فربما يكون الله قد غلَّق قلبه من جهتك فيطردك عن الباب، أو لا يقضي لك حاجة، أو ربما يُسيء في الرد والإجابة، إذاً فالباب الذي نريد منه قضاء الحاجات هو: (اسأل الله): فكان يسأل الله حتى في رغيف العيش، ويسأل الله في أعلى شيء يطلبه عبدٌ مقربٌ من عباد الله: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ (١٤٣الأعراف) ......!!!

فيسأل الله من رغيف العيش إلى النظر إلى وجه الله ﷻ.

منزلة الصبر من الإيمان

وجَّهنا الله ﷻ إلى الصبر، وجعل الصبر هو الدليل على صدق الإيمان وصحّة التقوى، والبرهان على تعلق المرء بالله ﷻ؛ مع اليقين والعفاف والتُقى بين يدي من يقول للشيء كن فيكون ...

---

٤ مسند أحمد والنسائي عن عائشة رضي الله عنها

وسبحان الله، ضرب الله أمثلة للمؤمنين في عصر النبي الكريم لم يظهر تأويلها ولا حقيقتها إلا في هذا العصر عندما ألهَمَ الله ﷻ العلماء وإن كانوا كافرين بمعرفة حقيقتها لإقامة الحجة عليهم بصدق هذا الدين وأنه نازلٌ من عند رب العالمين ﷻ.

كانوا يجاهدون من يبادئونهم بالعداء من الكافرين والمشركين، فبيَّن الله ﷻ أهم سلاحٍ لجهاد الأعداء، أو جهاد النفس، أو الجهاد في السعي على الرزق، أو جهاد أخلاق الخلق وتعاملات الناس، هذا هو السلاح الذي أنزله ربنا لنا أجمعين، فقال الله ﷻ: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ﴾ (٦٥الأنفال) فيكون الواحد بعشرة.

القوى الربانية التي أودعها فيك رب البرية لا يعمل منها إلا جزء قليل مما تفضل به عليك الجليل ﷻ، فمثلاً القشرة المُخية التي في مخ الإنسان والتي فيها الذكاء وفيها المهارات وفيها القدرات وفيها الخيال وفيها التصور ... لايوجد أحدٌ في الخلق أجمعين حتى كبار المخترعين والمكتشفين يعمل بأكثر من جزء يسير من الطاقة التي أودعها له الله في هذه القشرة المخية، والباقي متروك .... وهكذا كل أعضاء الإنسان فيها طاقات وقدرات لا يطلقها كاملة إلا الإيمان والصبر الذي ذكره الرحمن، فمن يحارب بظروفه العادية فيكون مِثلُه مِثلَ أي شخص مثله، أو على الأكثر يكون بإثنين، لكن إذا صبر، والصبر كان عن يقين، وملأ تجاويف القلب اعتماداً واتكالاً على رب العالمين، فيكون الواحد بعشرة .... !!! ...

والعلماء في هذا الزمان، قالوا: كيف هذا الأمر؟ فقالوا بعد عدة أبحاث علمية: أن الإنسان عندما يتجمَّل بخُلق الصبر فإن الجسم يفرز مادة كيميائية اسمها الأندروفين وهي تقوّي القدرات الجسمانية للإنسان وتجعل طاقة الإنسان قدر طاقته الفعلية عشر مرات على الأقل، وهذا الكلام في عصر النبوة.

سيدنا رسول الله ﷺ ذهب لفتح خيبر ومعه المؤمنون ... ويحكى التاريخ ..

كان أهل خيبر متحصنين بأسوار، ولم يستطع المسلمون اقتحام الأسوار ولا يفتحون الباب، والليل قد حلَّ، فتوقفوا عن المعركة إلى الصباح، فقال ﷺ:{ **لأَدْفَعَنَّ الرَّايَةَ غَدًا إِلَى رَجُلٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، قَالَ عُمَرُ: فَمَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ قَطُّ إِلا يَوْمَئِذٍ** }[5] ...كبار الصحابة تلهفوا لهذا المقام العظيم، رجل يحب الله ورسوله والنبي شهد له بذلك، والأعظم من ذلك أنه يحبه الله ورسوله، وهي أمنية غالية يتمناها كل مؤمن كريم، سيدنا عمر ﷺ يريد أن يكون هو الرجل الذي فيه هذه الصفات ...{ وفي الصباح **أَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، فَقِيلَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّهُ أَرْمَدُ، فَجِئْ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، ثُمَّ أَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَكَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ** }[6].

٥السنة لابن أبي عاصم وسنن النسائي عن أبي هريرة ﷺ
٦ مستخرج أبي عوانة عن سلمة بن الأكوع ﷺ

ودخل الإمام على باب الحصن وأخذ يضرب بسيفه حتى تحطَّم سيفه، وكان مشهوراً أنه يضرب بسيفين، اليمين فيها سيفٌ واليسار فيها سيفٌ، وهذا لم يكن إلا لصناديد المقاتلين، وكانوا قِلَّة، حتى استطاع فتح الحصن، لكنه لم يستطع أن يلج - لم يدخله - فتكاثر عليه الأعداء وأرادوا قتله، كيف يحتمي منهم؟ فأمسك بباب الحصن وخلعه وتحصَّن به من ضربات هؤلاء اليهود ... وجعل المسلمين يدخلون من تحت الباب إلى الحصن، وفتح الله ﷻ على المؤمنين بسرِّ ذلك، وبعد انتهاء المعركة وضع الباب!! وتحكي كتب السير أنه أراد أربعون وقيل سبعون رجلاً أن يحركُّوا الباب من مكانه فلم يستطيعوا، فكيف كان يحمله ويتحصَّن به؟! لكي تعرف أنك معك قوة إلهية ربانية وتحتاج إلى صدق الإيمان والصبر كما أمر الرحمن ﷻ.

إذا وصلت إلى ذلك فتكون القوى التي معك ستعمل بالكفاءة العالية التي خلقها الله ﷻ، وتكون قوتك أضعاف أضعاف قوتك في الحالة العادية، وهذا سرٌ من أسرار الألوهية كشفه الله ﷻ في هذه الآية القرآنية العظيمة.

الشفاء بالصلاة

﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ :

وماذا تفعل الصلاة؟ كل الأمراض العصرية التي انتشرت بسبب التوتر والقلق والضجر والجزع والفزع، هذه الأعراض العصرية نشرت عند الناس مرض السكر وضغط الدم وأمراض القلب.

وما الذي يحمي الإنسان من هذه التوترات عندما يتعرض لهذه الهزات في دنياه؟ نسأل الله الذي خلق فسوى، أنا أريد يا الله أن تعطيني مناعة من التوتر والعصبية والنرفذة والقلق والضجر، ماذا أفعل؟ قال الله لنا: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (المعارج) المصلين هم وحدهم الذين عندهم الوقاية، وإذا كان عندنا كثير من المصلين وليس عندهم هذه المناعة، إذاً فهم لا يحسنون الصلاة، ولا يصلون بالكيفية التي وضحها لنا الله في كتاب الله، وإنما كل واحد منهم يريد تنفيذ الأمر سريعاً حتى يخرج إلى الأهواء وإلى المطالب، ويظن أنه قد أنهى ما عليه لله ﷻ، وهذه ليست الصلاة.

ولكن للصلاة مواصفاتٌ قرآنية إذا أدَاها المرء مقتدياً بالحبيب ﷺ تُحقق المناعة من التوترات والقلاقل والوساوس والأمراض العصرية التي انتشرت كالنار في الهشيم في مجتماعتنا الإسلامية، مع أن مجتمعاتنا الإسلامية المفروض أن تكون بعيده عن كل ذلك.

المؤمن الذي يسير كما ينبغي كيف يعيش في الدنيا؟ اسمع إلى الله وهو يصف ذلك فيقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (٩٧النحل)

حياة لا فيها همٌ ولا غمٌ ولا مفاتن ولا بلاء ولا ابتلاء، وإنما فيها سرورٌ وهناء بالصلة التي بينه وبين الله ﷻ، وطالما هناك صلة بينه وبين مولاه، فكل ذلك يهون لأنه لا ينشغل عن الله ﷻ بالدنيا ولا أهوائها ولا شهواتها.

وأيضاً الأوروبيون سخرهم الله ليأخذوا آيات القرآن ويطبقوها في المعامل ليكون إثباتاً لهم، ونحن لا نحتاج لإثبات ولكنه إثباتٌ لهم لإقامة الحجة عليهم على صدق القرآن على أنه كلام الرحمن ﷻ، فقالوا إن الإنسان إذا تعرَّض لمشكلة مفاجئة بسبب همٍ نزل في الأهل، أو لأمرٍ ألَمَّ به بدون استعداد، فعندما ينزل هذا الأمر على الإنسان ينزل على الأعضاء، والأعضاء تُبلِّغ مخ الإنسان، والمخ يتصل بكل أعضاء الجسم لتستعد، فإذا هاجم ميكروب الجسم يتصل فوراً ويقول لكرات الدم البيضاء اذهبوا فوراً للمكان الفلاني لمحاصرة هذا الميكروب أو الفيروس وهكذا.

والكابلات النازلة من المخ لكل أعضاء الجسم موجودة في رقبة الإنسان؛ كابلات إلهية توصل إلى كل أعضاء الإنسان التي نعلمها والتي لا نعلمها، فإذا كان الإنسان يُسبِّح الله، أو يقرأ كتاب الله، أو يستغفر الله، أو يعمل هذه الأعمال التي تصله بالله؛ تقوى الكابلات الإلهية في رقبة الإنسان، وعندما ينزل به أمر تستوعبه وتجعله ينزل إلى الأعضاء ببردٍ وسلام فلا يُؤذي الإنسان.

وإذا كان الإنسان بعيداً عن الرحمن كما قال الله في القرآن: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الزخرف) من كان بعيدا فتكون وساوس الشيطان موجودة في صدره، وهواجس النفس مسيطرة عليه وتحركه، فعندما تنزل الأوامر من المخ فالكابلات لا تستطيع تحمل صدماتها وتتركها تُفرّغ شحنتها، فإذا فرغَّت في الإثنى عشر يُصاب الإنسان بقرحة الإثنى عشر، وإذا فرغَّت في البنكرياس يُصاب بالسكر، وإذا فرغَّت في الكبد يُصاب الإنسان بمرضٍ في الكبد، وهكذا.

ما الذي يحمي الإنسان من هذه الأمراض؟ المدوامة على الصلاة وإحياؤها، والمداومة على الأذكار التي تتخللها مع الخشوع والحضور والمناجاة لله، أي تصلي وكأنك بين يدي الله؛ تخاطب الله جلَّ في عُلاه، هذه الصلاة التي أمرنا الله عز وجل بها.

﴿ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ ﴾ فبماذا يكون معهم؟ يكون معهم بلطفه، فلو نزلت الكارثة الكُبرى فيلطف الله ﷻ بالعبد قبل نزولها، ولو تخلى الله ﷻ عن المؤمنين بلطفه ما استطاع واحدٍ منا أن يتحمَّل بلية ولو كانت صغيرة، لكن الله بلطفه بالمؤمنين يُنزل جند اللطف قبل هجوم البلاء، فيكون الإنسان مستعداً، فيجد صدَّاً من أعضائه ودفاعاً من جوارحه، من النوازل التي تنزل به.

يمَدُّه الله ﷻ ويكون معه لتفريج الكرب وكشف الغم وحل المشاكل وتحقيق المطلوب، وكلما اشتاق إلى أمرٍ ربما حقَّقه الله له إذا صدق بدون طلب، فمن الناس من يحتاج ويطلب من الله، ومن الناس من يُعطيه الله بلا طلب ويقول فيهم: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ (٢٢الشورى) لكن حتى ننتبه فمن وصل إلى هذا المقام لا يطلب الدنيا، ولا العُلو فيها ولا الشهوات ولا الحظوظ، وإنما يطلب ما عند الله ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨ ﴾ (آل عمران) يطلب قربه ورضاه، يطلب معية حبيبه ومصطفاه، يطلب مقاماً عالياً في الجنة عند الله، يطلب شيئاً طيباً يليق بالطلب الذي يطلبه من حضرة الله ﷻ، لأن الله عظيم ولا ينبغي أن يطلب المرء منه إلا شيئاً عظيماً يليق بعظمته.

أنواع البلاء

ثم جمع الله ﷻ كل ما يتعرض له الإنسان في حياته، فجمع المشكلات كلها، فقال ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ مع أنه قال للآخرين: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ (٣٥الأنبياء) حتى الخير الذي يعطيه للأعداء فهو فتنة لهم، قد يكون قد عجَّل الله لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا بذلك، وقد يغيرهم الله ويتخلى عنهم فينشغلون بالمعاصي التي تباعد بينهم وبين الله، إذا يسَّر الله ﷻ الأسباب ورزقهم ما به يمشون في هذه الأرض مستورين بأمر الله.

لكننا كمؤمنين قال لنا الله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ ﴾ يعنى شيء خفيف، ﴿ مِّنَ ٱلْخَوْفِ ﴾ لكي ننتبه لهذه الآيات ونفرح فإن الخوف هنا ليس من الأعداء، ولكن الخوف من الله، لأن المؤمن لا يخاف إلا من الله!

فكلما همَّت النفس بمعصية وعُرض عليه أخذ مالٍ كثير بغير حق، جاءه خوفه من الله فمنعه بأخذ شيء بغير حق، ومن ينسَ الخوف من الله فسيقع في معاصيه، ويتحمَّل ما جنته يداه، وهذه الفتنة التي يقع فيها كثير من الناس في هذا الزمان.

فما الذي يمنعنا؟ .... الخوف من الله!

ولذلك قال الله ﷻ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ ﴾ (الرحمن) جنة في الدنيا وهي جنة الرضا عن الله والتسليم لأمر الله، وجنة في الآخرة أعدَّها الله ﷻ له ولأمثاله من عباد الله المتقين وللآية معانى عدلا حصر لها ....

﴿ وَٱلْجُوعِ ﴾ الجوع بالصيام، فقد كلَّفنا الله ﷻ بالصيام، لماذا؟ إمتحان، فالصيام فيه منافع لا تُعد ولاتُحد للأجسام وللبيوت وللمجتمعات وللأخلاق، ولكنه شاقٌّ على النفس، لأن الإنسان لا يريد أن يتحمَّل شهوة الجوع، فجعل الله ﷻ الجوع في الصيام إمتحانٌ للمؤمنين يُثيبهم عليه يوم الدين، لأنه قال في الإيمان: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ ﴾ (٢العنكبوت) لا بد من الفتنة: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ (٣العنكبوت).

﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ ﴾ لأن الله طلب منا أن نخرج حق الله في الزكاة، وبعض المؤمنين يظن أن ما يخرجه ينقص المال، مع أنه يزيد فيه ويحصنه، فقد قال ﷺ: { حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ }[٧]، وقال ﷺ: { مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ }[٨]

---

٧ معجم الطبراني عن عبد الله بن مسعود ﷺ
٨ معجم الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها

لكن ضعاف الإيمان عندما يحسب ذلك يقول: كيف أخرج هذا المال وما يحتاجه البيت يحرم على الجامع، يقول هذه المقولة الإبليسية حتى لا يخرج زكاة الفريضة التي أمره بها رب البرية. ومن ليس عنده شيء فيه زكاة، جعل الله على جميع المؤمنين أغنياء وفقراء زكاة الصيام أى زكاة الفطر إختباراً للإنسان، ولا يُقبل الصيام إلا بعد خروجها، قال ﷺ:

{ إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ مُعَلَّقٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا يُرْفَعُ إِلا بِزَكَاةِ الْفِطْرِ }[9]

﴿ وَٱلْأَنفُسِ ﴾: ..وهذا شيء لابد منه، فأبي لن يعيش إلى الأبد، وأمي لن تعيش إلى أبد الأبد، فعليَّ إذا حدث هذا الأمر أن أُسلِّم للواحد الأحد، لا أقول ما يُغضب الله، ولا أفعل ما نهى عنه رسول الله، وإن أخذ الله مني حتى وليداً صغيراً ولداً كان أو بنتاً، لأنه ربما يكون أمراً كما حدث مع الرجل الصالح الذي أرسل الله له نبيٌ كريم ووليٌ كريمٌ ليقتل هذا الغلام الذي ليس لهم سواه، وعندما سأله الكليم: لم قتلت هذا الغلام فقال: ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ ﴾ (الكهف)، إذاً فالله ﷻ يختار ليَّ الأفضل، وأنا لو اطَّلعت على الغيب لاخترتُ الواقع.

[9] التبصرة لابن الجوزي عن جرير بن عبد الله ﷺ

﴿ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ : ..وهي الخيرات والبركات التي يتعرض لها الإنسان في دنياه.

﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ : ...الذين صبروا على امتحانات الله، ورضوا بقضاء الله، ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ ﴾ : ...عندما نسمع كلمة مصيبة نظن أنها شيء كبيرٌ ! ..

لكن كما قال ﷺ لما طُفِئ سِرَاجُه فقال:

{ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. فقيل: مُصِيبَةٌ هِيَ؟ قال: " نَعَمْ, كُلّ شَيْءٍ يُؤْذِي المُؤْمِنَ فَهُوَ مُصِيْبَةٌ } [١٠] وقال ﷺ:

{ إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ أَحَدِكُمْ فَلْيَسْتَرْجِعْ، فإنّها مِنَ المَصَائِبِ } [١١]

أى شيء يحدث لك غير سَوي عليك أن تعتبرها مصيبة وترجع إلى الله ﷻ!

وكان السلف الصالح إذا حدث لهم شيء من ذلك يراجع نفسه، .... لماذا حدث لي ذلك؟ .... وأنا فيما قصَّرت؟ .... وفيما أهملت فيما أمرني به الله ﷻ؟ ...!

فهذا تنبيه لطيف من اللطيف ﷻ.

أصحاب رسول الله ﷺ حاصروا حصن بابليون في القاهرة واستمر الحصار أربعة أشهر، وكانوا قد تعودوا أن الحصار لا يزيد عن ثلاثة أيام، فجلسوا معاً وقالوا: ماذا نسينا حتى استبطأ علينا الفتح؟!!!

١٠ رواه عكرمة، وفى تفسير اللباب في علوم الكتاب وتفسير النسفى.
١١ عن أبي هريرة رواه البزاز،مجمع الزوائد.

فلما رجعوا إلى أنفسهم قالوا: لقد نسينا استخدام السواك!!، أنظر إلى المصيبة بالنسبة لهم ماذا كانت؟ نسوا استخدام السواك!!، فاستخدموا السواك، ونظر إليهم الأعداء من فوق الأسوار فقالوا: يبدوا أنه جاءهم مددٌ يأكلون الخشب، فإذا كنا لم نقدر على هؤلاء، فكيف بمن يأكلون الخشب؟! فسلَّموا الحصن بدون قتال، لماذا؟ عندما راجعوا أنفسهم وحافظوا على ما تعاهدوه على القيام بسنن رسول الله ﷺ.

﴿ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ نحن وأموالنا وأولادنا وبيوتنا وكل ما نملك لله:

﴿ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ ﴾ (١٢٨الأعراف) ﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (٤٩الشورى) ماذا معنا الآن؟

مُلْك، لا، إنه عندما يسافر من هنا أين يذهب هذا المُلْك؟ تحول إلى غيره، إذاً فالأمر من البداية إلى النهاية: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾.

من يسير على هدى هذه الروشتة النبوية القرآنية له: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ ﴾ سيصلي عليهم الله، وكيف يصلي عليهم؟ سيصلهم بوداده وبتقواه،

وسيصلهم بأنسه، وسيصلهم بلطفه، وسيصلهم بكرمه، وسيصلهم بكل الخيرات والبركات التي يرسلها الله من عنده إلى عباده، ويرحمهم الله ﷻ في كل أحوالهم: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾.

نسأل الله ﷻ أن يجملنا بجمال بهذه الآية ....وأن يجعلنا من أهل هذه العناية ....وأن يجعلنا دائما وأبداً من عباده الصابرين، الراضين عن حضرته في كل وقتٍ وحين، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ....وأن يجعلنا دائماً وأبداً في الدنيا نستحضر حضرته، فلا يغيب عنا بجلاله وقدرته طرفة عينٍ ولا أقل، ولا ننساه ولا نسهوا عنه ولا نغفل عنه نَفَساً ولا أدنى، وأن يكون منا دائماً على بال، وأن يختم لنا في الدنيا بالإيمان، وأن يجعلنا فيها مجملين بجمال أهل الإحسان، وأن يرفعنا في الآخرة إلى مراتب أهل الإيقان.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ (البقرة)

٤- منازل الصادقين[1]

هذه الآية القرآنية الربانية نزلت إجابة على تسائل الصادقين من أصحاب النبي الأمين، فإن النفس إذا أُطلقت من عقالها، وفارقت شهواتها وحظوظها وأهواءها؛ ابتغت أعمال الخير والبر وكان ذلك سعادتها ولذتها في أداءها، وكان على ذلك أصحاب رسول الله ﷺ ..... نحن الآن ندعو الناس في مواسم الزراعة، وأصحاب الأموال حتى يخرجوا الزكاة، .... كثير منهم يتحايل حتى لا يوفي حق الله، مع أنه يقع في مخالفة صريحة مذكورة في كتاب الله، فيأتي بعضهم عند جمع المحصول مثلاً فيجعل السليم والجيد في مكان، والذي به شيء في مكان آخر، ويأتي في النهاية ويُخرج الزكاة من السيء، وهذه مخالفة صريحة:﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ ﴾ (٢٦٧البقرة) كيف تنفق من هذا؟! هذا لا يليق بالإنسان أياً كان، إنه نصيب الحيوان، اجعله للمواشي أو للدواجن عندك، أما الإنسان فيحتاج إلي الشيء الجيد، وقد قال النبي ﷺ في حق الله:

[1] درس السهرة عزبة العنبر - العدوة - المنيا ٢١من جماد الآخر ١٤٣٦هـ ٢٠١٥/٤/١٠م

{ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا } [٢]

فهذا الشيء الذي فعلته مردود عليك، ويأتي بعضهم أثناء الحصاد فيوزع منه على بعض السائلين، وبعد ذلك تقول له زوجته: أخرج الزكاة، يقول: أخرجتها، كيف أخرجتها؟! أنت وزَّعت على من أتى إليك، هل أنت حسبتها؟! لا، هل رأيت ما عليك فأخرجته؟! لا، يريد أن يهضم حق الله، ويوجد حيل كثيرة وأنتم تعلمونها جميعاً.

والناس عند الإنفاق وإخراج الحقوق شحيحة، حتى في الدَّين يذهب إلى هذا، ويذهب إلى هذا، ويتحايل على هذا ليُقرضه، ويأتي بوسطاء لهذا حتى يأخذ منه قرضاً، ويأتي عند رده ويماطل، فحكموا على المجتمع الإسلامي حكماً جائراً أن السلف عند المسلمين أصبح تلف، هل هذا هو الإسلام؟! لا، النبي ﷺ يقول:

{ رَحِمَ اللَّهُ رَجُلا سَمْحًا، إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى } [٣]

وهم جعلوا المسلم الذي يحتار ويضار لا يجد أحد يفرج كربه، لماذا؟! كان رجل من المسلمين يحب أن يمزح، فطلب منه رجل قرضاً من المال، فقال له: بشرط أنك تُقبِّل يدي، فقال له: لماذا؟ فقال له: لإنني سأقبِّل يدك بعد ذلك حتى آخذه منك!!.وصل بنا الحال أن يقول المقترض: وماذا أخذت منك اضرب رأسك في الجدار، أو اذهب واشتكي، وهل هذا تعامل المسلمين؟!

---

٢ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه
٣ صحيح البخاري عن جابر رضي الله عنه

كل هذا من من الشح للمال، لأن الدنيا سيطرت على القلوب، وغلقت فتحات النفوس، وأصبحت الدنيا عند أغلب الناس أكبر هَمِّهم، ومعظم سعيهم وبغيهم لها. ....،. لكن أصحاب حضرة النبي ﷺ لم يكونوا كذلك، لما نزل قول الله ﷻ:﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ (١٥٢آل عمران) أخذ سيدنا عبد الله بن مسعود ونفر معه يبكون، فقالوا له لماذا تبكي؟ قال: كنت أعتقد أنه لا يوجد أحد من أصحاب رسول الله يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية، هذه الآيه أعلمتني أنه يوجد أناس مريضة بمرض حب الدنيا، وحب الدنيا رأس كل خطيئة.

أصحاب النبي ﷺ كان كل هَمهم في الإنفاق ..وكانوا يؤثرون على أنفسهم.. وكانوا يخرجون حق الله أولاً قبل أن يأخذوا حقوقهم، ومن أفضل ما جنت الأيدي من هذا المحصول، ولا يوجد تأخير وكانوا حرصين أن يخرجوه قبل أن يدخل البيت، الذي يدخل البيت حق صاحب البيت، لكن حق الله يخرج أولاً من الأرض للفقراء والمساكين الذين بيَّنهم رب العالمين.

حقيقة البر

ولما طمعوا في المناصب العالية والمراتب الراقية عند الله، ذهبوا إلى حضرة النبي وقالوا له: هل في المال حق سوى الزكاة؟ فقال ﷺ: { إِنَّ فِي الْمَالِ لَحَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ﴾ الآيَةَ }[٤]

ولذلك قدم الله في الآية إنفاق المال على إقامة الصلاة وعلى الزكاة، وذكر الزكاة حتي يعلم أن الحق الأول غير الثاني، حتى أن سيدنا عمر ﷺ وأرضاه لما حدثت المجاعة والقحط في زمانه، ماذا يفعل؟ قال: هممت أن أجعل مع كل بيت من الموسرين مثله من الفقراء والمساكين ليعولهم، لماذا؟ لأنه حقهم.

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ : ليس هذا البر، أنكم تتجهوا جهة بيت الله الحرام أو جهة بيت المقدس: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (١١٥البقرة) ليست هذه القضية، القضية أنك تنفذ التعليمات الإلهية، لكن ما البر؟

﴾

٤ جامع الترمذي والدار قطني عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها

وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ : مع أنه يحب المال وكلنا نحب المال وحضرة النبي ﷺ قال لنا:{ نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ }[5]

الصالح الذي يريد أن يكون من الصادقين عند رب العالمين، والذي يريد أن يدخل في قول الله ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾ (٢٣الأحزاب) لم يقل من المسلمين لأن المسلمين يتخللهم المنافقين، ولم يقل كل المؤمنين، لكن يوجد من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ما أوصافهم؟ الإيمان بالله واليوم الآخر.

والإيمان بالله بمعني معرفة الله المعرفة اليقينية التي تجعله يعتقد أنه في كل وقت يعلم أن الله يطلع عليه ويراه، والإيمان باليوم الآخر بمعنى أن يعيش مشغولاً بالإقبال على الله في الدار الآخرة وكل ما في الكون في كل خطواته وسكناته؛ ويجعله يتذكر هذا الوقت الذي يبادر فيه في هذا الكون إلي الدار الآخرة حيث وجه الله ﷻ،

---

٥ صحيح ابن حبان عن عمرو بن العاص ﷺ

قال ﷺ: { كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَاعْدُدْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى }[٦] ، وكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: { إِذَا أَصْبَحْتَ، فَلا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرُ الصَّبَّاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمَنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ }[٧]، فالذي يريد أن يفوز بفضل الله ويكون من الصادقين يعمل بقول رسول الله عندما وقف وظهره إلى الكعبة وقال: { هُمُ الأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، هُمُ الأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، فقال أبو ذر ﷺ: مَنْ هُمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الأَكْثَرُونَ أَمْوَالا، إِلا مَنْ قَالَ: هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا }[٨] الذي يوظف ماله في الخير، أبقى على الضرورات التي لا غنى له عنها، والباقي حوَّله إلى رصيده في الدار الآخرة حتى يلقى به الله ﷻ: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ :

٦ مسند أحمد عن ابن عمر ﷺ
٧ جامع الترمذي وابن حبان
٨ البخاري ومسلم عن أبي ذر ﷺ

يمشى أو يتحرك ... وأهم شيء عنده الإنفاق ... ولذلك باب الإنفاق هو الباب الأعظم الذي يدخل منه أولياء الله، وأحباب الله، وأصفياء الله، والصادقون مع الله، إلى مراتب القرب من الله جل وعلا، هل سمعتم عن أحد من الأولياء بخيل؟! كيف يكون ولي وبخيل،؟! الله ﷻ اسمه الكريم، ولا يُقرِّب من حضرته إلا كل كريم، والبخل حذر منه في كتاب الله: ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ (٣٨محمد) لم يقل على نفسه، لكن (عن نفسه) أي يدل على أن نفسه نفس خبيثة سيئة لا تريد الإنفاق، ولذلك يقول الله ﷻ في حديثه القدسي:{ يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ }[9]

الذي يريد أن ينال رتبة الصالحين: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ (٣٣الزمر) يسير علي هذا النهج، يكتفي بضرورياته، والباقي ينفقه في مراضي الله ﷻ، وإمام الصادقين في ذلك سيدنا أبو بكر ﵁، جاء بكل الذي عنده، يقول سيدنا عمر ﵁:{ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: وَاللَّهِ لا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا }[10]

٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﵁
١٠ جامع الترمذي وسنن أبي داود

نحن نفعل مثل سيدنا عمر، لكن سيدنا أبو بكر فهذا أمر عظيم لا نستطيع نحن عليه، ولم يرده النبي ولم ينهه عن ذلك، ولكن رضي بذلك.

ولذلك الإمام الشافعي ﷺ عندما كان يتحدث مع الإمام أحمد بن حنبل ﷺ عن الصالحين، وأنهم لهم منهج مختلف، وقال له: سأُعرِّفك على واحد منهم، وذهبا إلى راعي غنم اسمه شيبان الراعي، فسيدنا أحمد بن حنبل كان متمسك بظاهر السُنَّه والشريعة، والصالحون الصادقون لا يتركون الشريعة طرفة عين، فأحب الإمام أحمد أن يمتحنه في الشريعة فقال: يا شيبان هل تصلي؟ فقال: لا خير في عبد لا يصلي لله، قال: ما حكم سجود السهو؟ فقال عندنا أم عندكم، قال: له هل يوجد فيها قولان؟ قال: نعم، قال: أريدهما معاً، قال: عندكم إذا سها العبد في الصلاة يسجد سجدتين سهو، وأما عندنا فإذا سها قلب العبد عن مولاه تقطع رقبته!!، كيف يكون بين يد الله ويسهو عن الله ﷻ؟!

هل يجوز أن تكلم أحد بالتليفون وتتركه وتكلم أحداً غيره؟! كذلك نفس الأمر، قال ﷺ: { إِذَا قَامَ الرَّجُلُ فِي صَلاتِهِ أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، فَإِذَا الْتَفَتَ قَالَ: يَا ابْنَ آدَمَ! إِلَى مَنْ تَلْتَفِتُ؟ إِلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنِّي؟ أَقْبِلْ إِلَيَّ، فَإِذَا الْتَفَتَ الثَّانِيَةَ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَإِذَا الْتَفَتَ الثَّالِثَةَ صَرَفَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَجْهَهُ عَنْهُ }[11]

١١ كشف الأستار عن جابر ﷺ

ثم قال له: ما نصاب الزكاة؟ قال: عندنا أم عندكم؟ قال: أريدهما في المذهبين، فقال له: عندكم نصاب الجمال إذا كان عشرون جملاً يكون كذا، وخمسون يكون كذا، ومائة يكون كذا، والغنم إذا وصل أربعون يكون كذا، أما عندنا فالعبد وما ملكت يداه ملك لسيِّده ومولاه، قال: هل عندك دليل؟ قال: نعم؛ أبوبكر الصديق أتى بكل ما عنده ولم يمنعه حضرة النبي ﷺ بل أقرَّه على ذلك.

ولذلك عندما تنظر إلى الصالحين السابقين والمعاصرين، تجدهم السباقين إلى الله بالخيرات وتجد كلهم لله، حياته لله وماله لله وأولاده لله وزوجته تخدم لله، وكل ما له وما حوله مسخَّرٌ لله جل في علاه، يعملون بقول الله لحبيبه ومصطفاه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٢الأنعام).

مع أنه يوجد أمر خفي يخفى على كثير من الجُهَّال، عندما يرى كرم الصالحين وإنفاقهم كما أمر ربُّ العالمين يظن أن هؤلاء القوم مجانين، أو لا يفهمون، فيذهب ليكذب عليهم حتى يأخذ شيئاً من الدنيا، وأنتم لو نظرتم في المجتمع تجدوا هذا عين اليقين، لا يوجد أحد يأخذ من الصالحين شيئاً لغير حاجه إلا وينزل به عقاب الله ﷻ فوراً وفي الحال، لأنهم يرصدون هذه الأشياء لأهل الحاجة الشديدة والفاقة الشديدة الذين لا سند لهم ولا أنيس ولا باب لهم يُحصِّلون منه هذا.

والدليل أن أهل الصفة الذين كان حضرة النبي ﷺ يكفلهم في مسجده المبارك، وكانوا جالسين في مسجد رسول الله يكتبون القرآن، ويسمعون حديث النبي العدنان، ويخدمون حضرة النبي، ويشاركونه في الجهاد، ومتفرغين لهذا الأمر، والنبي بمعاونة المسلمين يؤكلهم ويشربهم ويكسيهم ويوفر لهم كل طلباتهم، إنسان يأكل ويشرب وكل طلباته موفره هل يحتاج أن يدخر مالاً؟ لا، مات أحدهم كما روى ابن مسعود ﷺ: { **أن رجلاً من أهل الصُّفَّة مات، فوجدوا في بردته دينارين،فقال رسول الله ﷺ: كيَّتَان** }[12]

أي كيَّتان من النار، لأنه فقير، السائل إذا سأل وجاءه قوت هذا اليوم هل يجوز له أن يسأل لغد؟! لا، سيدنا عمر رأى سائلاً فنادى على إبنه: يا عبد الله خذه فأطعمه فأخذه وأطعمه، وهو في الطريق وجد الرجل يسأل مرة ثانية، فضربه بالدره وقال له: إنك تاجر ولست بسائل.

---

١٢ مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

الجائع في حكم الإسلام يسأل حتى يأكل! فإذا وجد من يعطيه طعاماً فلا يسأل مرة ثانية إلا إذا جاع ثانية، وهذا حال الفقراء الصادقين الذين قال الله ﷻ فيهم فى كتابه الكريم : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (٢٧٣البقرة) .. فأحياناً نجد أناس يتصنعون أنهم مجاذيب ويسألون، ولا بد أنت أيضاً أن تكون كيّساً فطناً.. اختبره!، كان بعض الصالحين عندما يأتيه أحد هؤلاء يُحضر له جبنة ومش، ويقول له: هيا نأكل سوياً، إذا لم يرضَ أن يأكل يعلم أنه ليس من الفقراء الصادقين، لأن الصادق يأكل ما وجد، ويشكر الله على عطاياه، والإنسان إذا كان جوعاناً فعلاً فأي طعام يكون في فمه كطعام الجنة، أو يختبره بالعطاء، فيعطيه ما تيسر من المال، إذا كان من الصادقين فإنه يقول: ما دمت أكلت، ماذا أصنع بهذا المال؟! ومادام ثوبي صحيحاً، فلم آخذ هذا المال؟ أما إذا كان يطلب من هذا وذاك، فهذا ليس له شأن بالصدق، لإنها تجارة، والمؤمن لا بد أن يكون كيّساً فطناً ... ليعلم هذا من ذاك، قال ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ } [١٣]

الذي يريد أن يبلغ مراتب الصادقين، ويكون من الصادقين ومن كمَّل المتقين، لا بد أولاً أن يجود بما ملكت يداه في أبواب الخير، ليسد بها خلة المحتاج، وحاجة الفقير الذي هو في أمس احتياج، ويزيل بها ألم مريض لا يجد من يمسح عنه الألم ويأتي له بالشفاء، وهؤلاء عندما كانوا يمشون في الأرض كانوا يعالجون هذه المشاكل، وللأسف اختفوا الآن.

كنا نجد من هؤلاء القوم من يبحث عن أصحاب الحاجات ليقضيها، كان يوجد رجل عندنا في طنطا اسمه الشيخ محمد رمضان، وكان من الأثرياء من كفر الزيات، وجاءه الجذب، وهو الآن له مقام عظيم والحمد لله، كان يذهب إلى التجار ويشتري منهم الأشياء الضرورية، ويشير إلى رجل صاحب عربة حنطور ويركب معه ويطلب منه أن يسير هنا وهنا، حتي يصل إلي مكان ويطرق الباب، ويترك أمام الباب ما يلزم، ومرة طرق باب بيت فوجد صاحب البيت زوجتة تلد وليس معه شيء نهائياً، فأعانه على ذلك، هؤلاء هم الفقراء الصادقون الذين يقضون حوائج المسلمين، والأمَّة إذا كان فيها هؤلاء الرجال تكون دائماً وأبداً في أفضل حال في الدنيا، وينزل عليها الخير المتوالي من الواحد المتعال ﷻ،

---

١٣ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

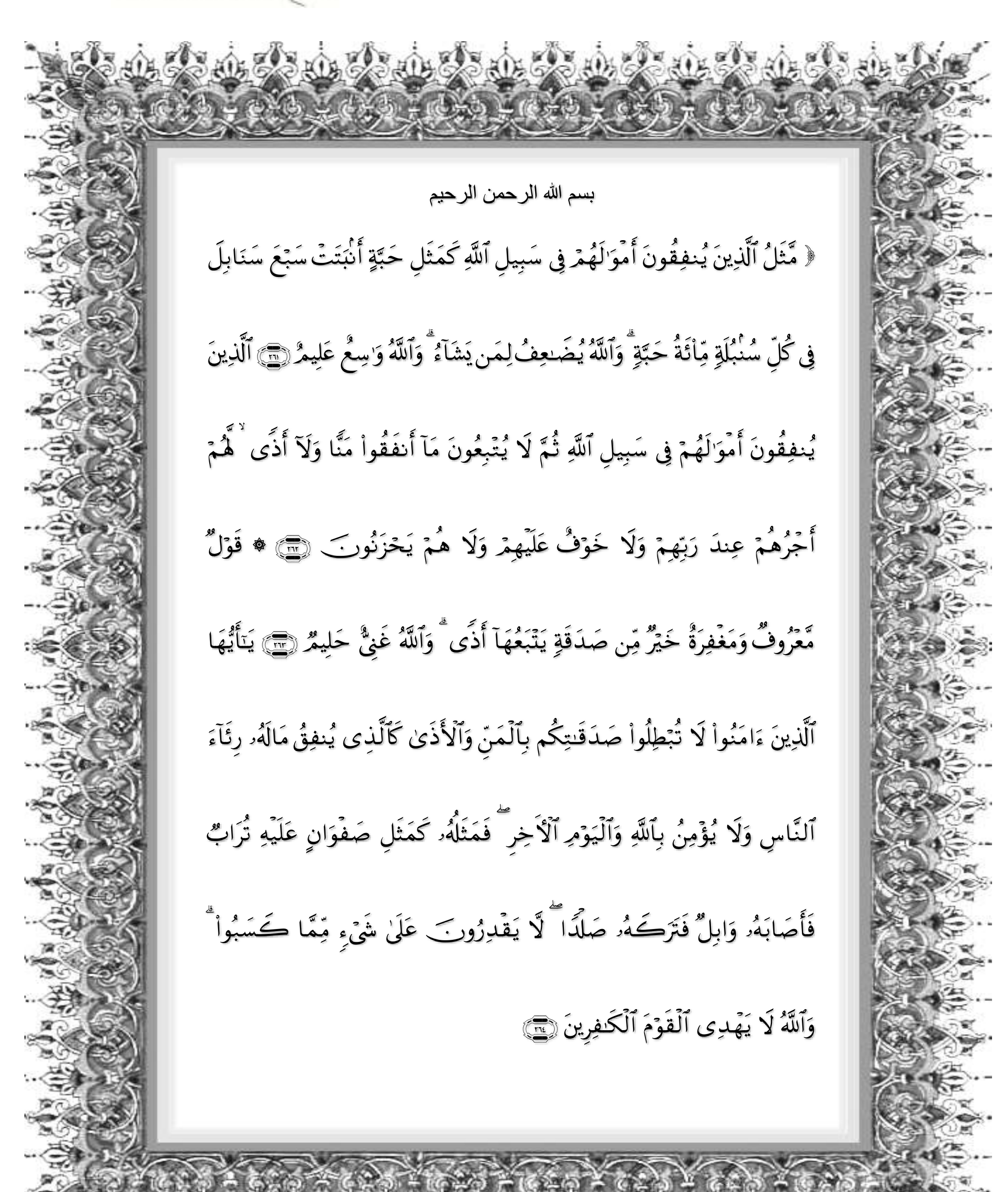
فما وجدت أمة تبحث عن الفقراء والمساكين وتقضي لهم حوائجهم إلا وبارك الله لها في كل شؤنها، قال ﷺ: { لا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ }[١٤]، كل إنسان يبحث عن نفسه فقط! ولا يبحث عن الفقير ولا المسكين، كيف ينظر لهم الله، قال ﷺ: { ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ }[١٥]

عرف هؤلاء الصادقون هذا الباب فسلكوه، وهذا أسرع باب للوصول إلى مقام الصدق والصديقية عند الكريم الوهاب ﷻ، قال ﷺ: { الْخَيْرُ أَسْرَعُ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي يُؤْكَلُ فِيهِ (وفى رواية أنس: الْبَيْتِ الَّذِي يُغْشَى) مِنَ الشَّفْرَةِ إِلى سَنَامِ الْبَعِيرِ }، وفى الحديث الآخر: { الرزْقُ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ السَّخَاءُ، أَسْرَعُ مِنَ الشَّفْرَةِ إِلَى سَنَامِ الْبَعِيرِ }[١٦]، وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: { يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ }[١٧]

فهذه الأيات علمتنا فضل الله ﷻ على هؤلاء الرجال، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين، وأن يطلق الله أيدينا بالعطاء، وأن يوفقنا للإنفاق في محابه ومراضيه، وأن يجعلنا ممن تقول الملائكة فيه اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأن يحفظنا ممن تقول الملائكة فيه اللهم أعط ممسكاً تلفاً، وأن يجعلنا من المنفقين آناء الليل وأطراف النهار، المشمولين بعناية الله في كل الأطوار والأدوار، الواقفين دوماً على عتبة الصدق عند العزيز الغفار، وصلى الله على سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

---

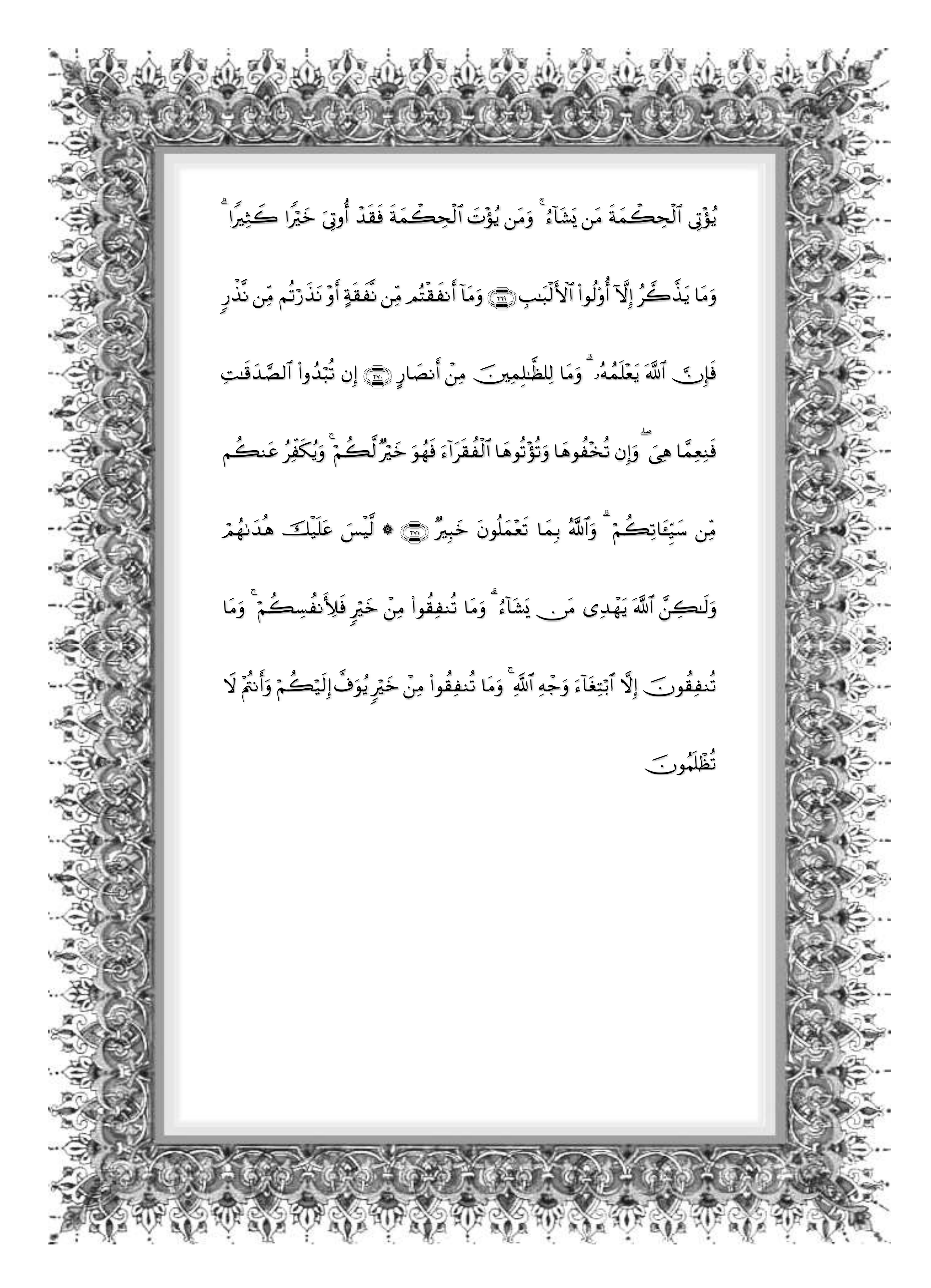
١٤ سنن ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
١٥ جامع الترمذي والبيهقي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه
١٦ جامع المسانيد والمراسيل عن ابن عباس رضي الله عنه ، وحديث (الرزق) لأبي الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر.
١٧ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه



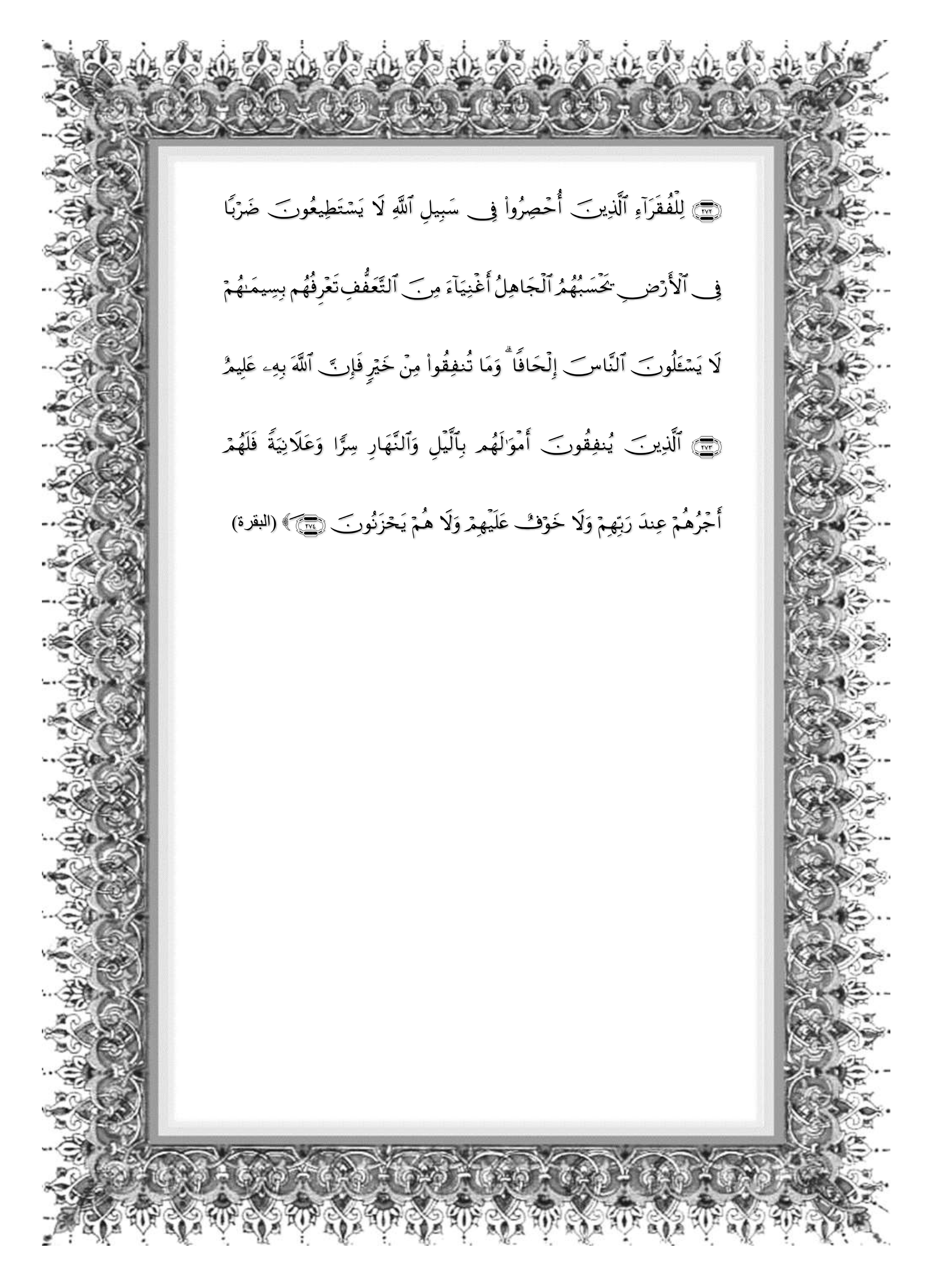
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا
وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ
جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ
فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ
ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟
فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم
بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾



يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ



﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ (البقرة)

٥- منازل المنفقين [١]

الإنفاق فى سبيل الله

القرآن الكريم بيَّن الله ﷻ فيه بياناً شافياً لكل ما يحتاجه الإنسان في دنياه، من أحكامٍ شرعية فرضها الله جلَّ في عُلاه، ومن توجيهات إلهية إذا فعلها الإنسان كانت حياته حياةً طيبة في هذه الدنيا، ونال السعادة الجمَّة يوم لقاء الله جل في علاه، وعرض القرآن الكريم لخواص المؤمنين، المقامات الكريمة التي أعدَّها الله ﷻ لعباده الصالحين في الجنة وعنده ﷻ، والدرجات الوهبية التي ينالونها عندما يتقربون إلى حضرته، والمنح والعطاءات الإلهية التي يحظون بها يوم رضوان الله ﷻ الأكبر.

ففرح المؤمنون بذلك وأخذوا يبحثون عن ذلك، منهم من يبحث عن المقام العظيم الذي يقول في أهله المولى الرب الرءوف الرحيم: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢يونس) وهذا اسمه مقام الأولياء والأتقياء والأنقياء والسعداء الذين فازوا برضوان الله وأنعم الله عليهم بهذا الكرم وهذا الجزاء.

---
١ مسجد سيدي إبراهيم الشلقامي - آبا البلد - مركز مغاغة ٢٢ من جماد الآخر ١٤٣٦ هـ ٢٠١٥/٤/١٢م

وما معنى (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)؟ الإنسان المؤمن يخاف على نفسه، فالعوام يخافون على أنفسهم من دخول النار، وأهل اليمين يخافون على أنفسهم من أهوال يوم القيامة العظيمة، والمقربون يخافون من الحجاب عن حضرة الله، ومن عدم الحُظوة يوم القيامة بالنظر إلى وجه الله، وإباحة المشاهدة لهم، لأن هذا أكبر مقامٍ في الإنعام والإكرام يتفضل الله به على الأنبياء والمرسلين ومن بعدهم من الشهداء والصالحين، اللهم اجعلنا منهم أجمعين: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة).

ومنهم من يخاف أن يدخـل الجنة ولا يحظى بصحبة الحبيب الأعظم ﷺ وصحابته المباركين في الجنة، وكان على ذلك خاصة أصحاب رسول الله ﷺ، منهم الرجل الذي أخذ الله روحه في الملكوت الأعلى ولقنته الملائكة أذان الصلاة الذي نستمع إليه كل يومٍ خمس مرات، لمَّا احتار المسلمين لتحديد وقت الصلاة، لأن الصلاة قال فيها الله: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (١٠٣النساء)

وهناك بحث علمي حديث يبحث عن سبب حرص المؤمنين على الصلاة في أول الوقت، والذي قام بهذا البحث مجموعة من المتخصصين في مجال التمنية البشرية، فوجدوا بالبحث أن الإنسان عندما يؤدِّي الصلاة تتدفق عليه قوى لا عدَّ لها وحدَّ لها، وكلما أخَّر وقت الصلاة قلَّت هذه الشحنات وقلَّت هذه القوى التي يستمدها في الصلاة، فإذا كانت الصلاة في آخر الوقت كانت الشحنات محدودة جداً جداً!!.ولذلك نبهنا رسول الله ﷺ عندما سأله سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

{ يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا }[٢]

ستأتيك قوى ولكن لا يعرفون من أين تأتي، لكننا نعرف والحمد لله، هذه القوى تأتي من الجنة، فتجدد حيوية المسلم، وتجدد نشاط المؤمن، حتى يجعله الله ﷻ وهو في حياته الدنيا كأهل الجنة، لا يبلى شبابهم، فيظلون شباباً خالدين فيها أبداً، فلا يأتي على أحدهم يوماً ينحني فيه ظهره، ولا يمسك بعكَّاز، وأيضاً من يحافظ على الصلاة في وقتها وخاصة صلاة الفجر يظل شباباً إلى أن يلقى الله ﷻ، لماذا؟ بسبب القوى الربانية التي تأتيه من الدار الجنانية بطريقة ربانية لا يحيط بها ولا يعلم كُنهها إلا من علَّمه رب البرية ﷻ.

---

٢ البخاري ومسلم

واسمه للحكاية عن ثوبان ﷺ :{ وكان شديدَ الحُبّ لرسول الله ﷺ قليلَ الصبر عنه؛ فأتاه ذات يوم وقد تغيّر لونُه ونَحَل جسمه، يُعرف في وجهه الحزن؛ فقال له: يا ثَوْبَان ما غيّر لونك» فقال: يا رسول الله ما بي ضرّ ولا وجع، غير أني أذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وَحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف ألاّ أراك هناك؛ لأني عرفت أنك تُرفع مع النبيّن وأني إن دخلت الجنة كنتُ في منزلة هي أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل فذلك حِينٌ لا أراك أبداً؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.﴿ وَمَنْ يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ الله وَكَفَى بِالله عَلِيمًا ﴾ (٦٩النساء)}[٣]، وحكى مثله عن عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري، وهو الذي أرى الأذان قال: { يا رسُولَ الله, إذا خَرَجْنَا من عِنْدِك إلى أهْلِينَا اشْتَقْنَا إليك, فما يَنْفَعُنَا شيء حتَّى نَرجع إلَيْك, ثم ذَكَرْتُ درجَتَكَ في الجَنَّة, فكيف لَنَا بِرُؤْيَتك إن دَخَلْنَا الجَنَّة, فنزَلتْ هذه الآيةُ ﴿ وَمَنْ يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ الله وَكَفَى بِالله عَلِيمًا ﴾ (٦٩النساء),

٣ ذكره الوَاحِدي عن الكَلْبي، تفسير الثعلبى والبغوى ونور الأذهان

فلما تُوُفِّي النَّبي ﷺ جاءه ولد له وهو وفى حديقة يعمل فأخبره بوفاته- ﷺ فقال: اللَّهُمَّ أعْمِنِي حَتَّى لا أرَى شَيْئاً بَعْدَهُ إلى أنْ ألقاه؛ فعَمِيَ مَكَانَهُ, فكان يُحِبُّ النبي حُبّاً شديداً, فجعله الله مَعَهُ في الجَنَّةِ } [٤]،كان خائفاً من أنه لا يكون مع رسول الله في الحي الذي يسكن فيه في الجنة، يريد أن يكون بجوار رسول الله ﷺ.

هذا خوف العوام، وخوف أهل اليمين، وخوف أهل القرب والصالحين، وهناك خوف العُبَّاد والزهاد؛ يخافون من سوء الخاتمة عند الموت، وهذا أمر يشغل البال، لأن الخاتمة بيد الله، وأنبياء الله ﷻ ورُسله كانوا يسألون الله حسن الختام، والله ﷻ حكى في القرآن عن نبي مؤيد من الله يقول: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (١٠١يوسف) لا يرى نفسه من الصالحين، كل ما يريده أن يتوفاه مسلماً، وليس حتى مؤمناً أو موقناً؟ ويريد أن يلحق بالصالحين ... فهؤلاء يخافون من سوء الخاتمة، بعضهم - وهم أهل الجذب - يخافون مما كُتب لهم في الأزل القديم، يخافون من السابقة، لأنه يعرف أن الأمر قد بُتَّ فيه من قبل،

---

٤ تفسير اللباب في علوم الكتاب وتفسير الرازي وغيرها بتصرف

قالﷺ: { إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ﷺ قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الأُخْرَى، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ: هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَلا أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الأُخْرَى: هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَلا أُبَالِي، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ فَهُمْ يَتَنَاسَلُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الآنَ }[5]

ولذلك قال لنا الله ﷻ: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ (١٠٨هود) من يستطيع أن يكشف هذه المعضلة؟ إذا كانت الجنة بعد فناء السموات وفناء الأرض وفناء الشمس والقمر والنجوم والكواكب وكل الدنيا، فكيف يكونون خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض؟! معضلة تحتاج إلى فتح القلوب حتى يعلِّمنا علام الغيوب من فضل فيضه ﷻ معاني كلامه المكتوب.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (١٠١الأنبياء) لأنه هناك كما يحكي الحبيب ﷺ ويقول: { إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَخَذَ مِنْ نُورِهِ فَأَلْقَاهُ عَلَى تِلْكَ الظُّلْمَةِ، فَمَنْ أَصَابَهُ النُّورُ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ }[6]

---

٥ مسند البزار عن أبي موسى ﷺ
٦ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكاني عبد الله بن عمرو ﷺ

فهذه أنواع الخوف بالنسبة للعباد، نسأل أن نكون في أعلى هذه المقامات عنده ﷻ وأن نكون ممن يُقال لهم: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (٤٦الرحمن).

﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢يونس) الإنسان يحزن على مَن؟ على غيره، فيخاف على نفسه ويحزن على غيره، ولذلك سيدنا أبو بكر ﵁ لمَّا أحاط الأعداء بالغار لم يكن خائفاً على نفسه ولكن كان خائفاً على رسول الله ﷺ، فقال له النبي ﷺ كما أخبر القرآن: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٤٠التوبة) .. لم يقل له (لا تخف) لأنه غير خائف على نفسه، ولكنه خائف على رسول الله ﷺ.

فأهل الولاية يريدون أن يطمئنون على زوجاتهم وعلى أولادهم وعلى أحبابهم أنهم سيكونون معهم في جنة النعيم في جوار الرءوف الرحيم ﷺ، فيُعطيهم الله ويبلغهم المُني في ذلك، ويجعلهم من أهل هذا المقام: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢يونس)

باب الصدقة

كيف ينالون هذا المقام؟ القرآن الكريم فرَّع ووضَّح الأعمال والأحوال التي إذا مشي الإنسان فيها كان من أهل هذا المقام العظيم.

الباب الذي فتحه لنا الرحمن ويُبلِّغ إلى هذا المقام باب الصدقة والإنفاق في سبيل الله ﷻ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٦١البقرة)

يُعرِّفنا رب العزة ﷻ التنمية الربانية للصدقات التي نعطيها للفقراء والمساكين، حتى نرى قدر مكسبنا، هل عندنا في الدنيا كلها بنك يُعطي الفائدة سبعمائة في المائة؟! لا، لكن هناك بنكٌ واحدٌ فقط يقول فيه الله: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ (٩٦النحل).

وحضرة النبي ﷺ لما عُرج به إلى السماوات أروه مركز التنمية الجنانية للصدقات الدنيوية التي يتصدق بها المسلمون ليعرِّفنا أن هذه السبعمائة هي الحد الأدنى،

ولذلك قال الله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (٢٦١البقرة) يضاعف أضعافاً مضاعفة،

فذهب حضرة النبي ليرى التنمية: { فَأَتَى عَلَى قَوْمٍ يَزْرَعُونَ فِي يَوْمٍ، وَيَحْصُدُونَ فِي يَوْمٍ، كُلَّمَا حَصَدُوا عَادَ كَمَا كَانَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا جِبْرِيلُ، مَن هَؤلاء؟ قَالَ: هَؤُلاءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ }[٧]، كلما حُصد عاد كما كان ولم يأخذ وقتاً للزراعة ولا للري ولا للتسميد ولا للرش ولكن على الدوام، وأين يذهب هذا الزرع؟ ...في صحيفة الإنسان الذي أنفق النفقة طلباً لمرضاة الرحمن ﷻ، وهل يستطيع أحدٌ أن يحسب هذه هذه الحسبة في العالم العلوي أو السفلي؟! لا، وهذا الأمر إلى يوم القيامة، ولذلك قال ﷺ: { اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ }[٨]، وهل يوجد من يتصدق بنصف تمرة؟! لا مانع، يعني أكلت نصف تمرة ووجدت فقيراً فأعطيته النصف الآخر، وقال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَيُرَبِّي لأَحَدِكُمْ التَّمْرَةَ وَاللُّقْمَةَ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ، حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ }[٩]

---

٧ تهذيب الآثار للطبري وكشف الأستار عن أبي هريرة ﷺ
٨ البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم ﷺ
٩ مسند أحمد وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها.

ولذلك هذا الباب تاجر فيه أصحاب رسول الله ﷺ، والصالحون والصادقون من بعدهم إلى يومنا هذا، وهو الباب العظيم الذي يفتح للإنسان الأبواب، ويرفع عن قلبه الحجاب ويُدخله فوراً إلى حضرة التواب ﷻ على الفور ... ولذلك هذا باب عظيم من أبواب نيل هذا المقام، وماذا يحتاج؟

يحتاج إلى آداب بيَّنها لنا في الآيات الكريم الوهاب ﷻ:

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ﴾ ـ ماذا لهم؟

﴿ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ ...والمقام:

﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾.

آداب إخراج الصدقات

أهم شيء عند إخراج الصدقة عدم المَن والأذى، والمنُّ يعني المعايرة، أعايره بما أعطيته له، أنت تُعطي لله وليس لأحد، فلو نويت أن تُعطي الفقير فسيكون أجرك بسيط، لكن إن أردت الأجر الكبير فتكون النية لله، قال ﷺ:

{ إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ الْمُصَدَّقِ عَلَيْهِ }[10]

وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها والسيدة فاطمة رضى الله عنها، لما سمعتا هذا الحديث كانتا تُعطران المال قبل التصدق به، وبعض الصحابة المباركين سمع حضرة النبي يقول: { الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى }[11]، فكان عندما يعطي الفقير يجعل يده تحت يد الفقير، ويد الفقير هي العُليا، فقالوا له: لماذا؟ فقال: لأني أعطيه شيئاً من الدنيا، ولكنه يعطيني في الآخرة ما لا حد له ولا عد له من الأجر والثواب، فمن الذي يعطي أكثر أنت أم الفقير؟ أنت تعطيه مبالغ قليلة أو كثيرة لا تُغني ولا تُثمن من جوع، لكنه يعطيك: ﴿ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾ (٤٦الكهف).

فالإنسان إذا أراد أن يفوز بهذا المقام يحرص على أنه لا يمن ولا يعاير فقيراً بما آتاه، إذا أعطاه ملبس أو مأكل أو أثاث أو علاج، أو أى شيء لا يفتح فاه أمامه أو أمام غيره ويعايره بما أعطاه له، فإن الرسول ﷺ حذَّر من ذلك

---

١٠ البر والصلة لابن الجوزي عن عائشة رضي الله عنها
١١ البخاري ومسلم عن ابن عمر ﷺ

فقال: { إِنَّ الإِبْقَاءَ عَلَى الْعَمَلِ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيُكْتَبُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ مَعْمُولٌ بِهِ فِي السِّرِّ يُضَعَّفُ أَجْرُهُ سَبْعِينَ ضِعْفًا، فَلا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ وَيُعْلِنَهُ فَتُكْتَبَ عَلانِيَتُهُ، وَيُمْحَى بِضَعِيفِ أَجْرِهِ كُلِّهِ، ثُمَّ لا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ الثَّانِيَةَ، وَيُحِبُّ أَنْ يُذْكَرَ وَيُحْمَدَ عَلَيْهِ فَيُمْحَى مِنَ الْعَلانِيَةِ }[١٢]

وهذا ما يحدث مع كثير من الجهال في هذا الزمان، فيعمل العمل من سنين ويجلس مع قوم يتسامرون، فيظل الشيطان معه حتى يقول: أنا فعلت مع فلان كذا وكذا ويكشف السر، الذي بينه وبين مولاه.

﴿ وَلَآ أَذًى ﴾ والأذى يعني أنني أكشفه وأفضحه وأعطيه أمام الناس، وأخرج المال وأقول له: خذ يا فلان، مع أن حضرة النبي ﷺ قال:

{ فَضْلُ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلانِيَةِ كَفَضْلِ صَلاةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلاةِ النَّهَارِ }[١٣]

فلِمَ لا تحافظ على صدقة السر كالصحابة المباركين الذين كانوا يمشون على هذا النهج؟! سيدنا أبو بكر ﷺ كان يتفقد الفقراء والمساكين في الليل، يترك قيام الليل

١٢ شعب الإيمان للبيهقي عن أبي الدرداء رضي الله عنه
١٣ السادس عشر من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي وشعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

ويبحث عن الفقراء والمساكين في الثُلث الأخير من الليل ويقضي لهم حاجاتهم، ويتخفَّى فلا يعرفونه! ... وسيدنا زين العابدين بن الإمام الحسين ﷺ بعدما مات وكان من الأغنياء، وكان عنده خدم وأولاد كثيرون، فلما غسَّلوه وجدوا في ظهره شيئاً كأنه كان يعمل عتَّالاً، فسألوا من أين هذا؟ فلم يعرفوا، وبعد فترة قصيرة وجدوا ثلاثين عائلة في المدينة المنورة إنكشفوا وأصبحوا لا يجدون قوتاً، فسألوهم: كيف كنتم تعيشون؟ فقالوا جميعاً:كان يأتينا رجلٌ في الليالي غير القمرية - حتى لا يعرفوه - ولم يكن هناك أنواراً في الطرقات ولا غيره، حتى السراج الذي كانوا يستضيئون به كانوا يُطفئونه عند نومهم، ويأتي حاملاً جوال دقيق، ومعه وعاء به سمن، ومعه صُرَّة بها مال، ويطرق الباب، فعندما يقولون: من بالباب؟ ويسمعنا يضع ما معه ويذهب.

كان يعول ثلاثين عائلة ولا يعلمون من الذي يمونهم، ولا من الذي يعولهم، ولا من الذي يأتي بهذا الخير لهم، لماذا؟ حتى يعمل بآيات الله ﷻ ليحظى بهذا الأجر العظيم والمقام الكريم ويكون من الذين: ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢٦٢البقرة).

ولذلك نبَّهنا الله ﷻ في الإنفاق، وأن تتحرى الطيب فقال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ (٢٦٧البقرة) تجمعها من الحرام

وتقول: أتصدق بها، وهل تنفع الصدقة أن تكون من الحرام؟ لا، لأن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً! أو أبني بها مسجداً، وهل ينفع للمسجد أن يُبنى من حرام؟ لا، لابد أن يكون من أحلِّ الحلال.

إذاً لا بد وأن أتحرى أولاً في الصدقة أن تكون من حلال، أو مما أخرجه لله لنا من الأرض: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ (٢٦٧البقرة) إذا كنت سأُخرج زكاة الزرع أو أُخرج صدقة من الزرع فيكون من الأشياء التي أحبها، ولا أختار الزرع الذي لا يصلح للآدميين وأقول لهم: وزعوه على الفقراء والمساكين، لكن لا بد وأن يكون من الزرع الطيب لأن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً.

﴿ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ﴾ (٢٦٧البقرة):

الذي لا ترضى به لنفسك فكيف تعطيه لغيرك؟! .... فنهانا الله ﷻ عن ذلك .. ووضع لنا الآداب .....:

أولاً: أن يكون الإنفاق من الحلال الطيب.

ثانياً: نترك المعايرة.

ثالثاً: نترك الرياء وحب الظهور والسمعة.

رابعاً: أن نعمل هذا العمل طلباً لمرضاة الله ﷻ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ (٢٦٤البقرة)

.... أيضاً لا هذا ولا ذاك.

إذا سار الإنسان على هذا العهد وكانت الصدقة بهذا المنهاج الإلهي القرآني فيكون له الأجر العظيم الذي أشرنا إلى بعضه وله هذا المقام الكريم: ﴿ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾، فإذا رقَّاه الله وحباه وأعطاه يرتقي إلى مقام أعظم وهو الذي دخل فيه الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وهذا في آخر سورة الليل: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ يعطيه الله ﷻ كل ما يريده حتى يرضى، وهذا مقام أكرم، ومقام أعظم، فيه وراثة لحضرة المصطفى ﷺ، الذي قال له الله: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى)

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده المنفقين الباذلين المعطين لوجه الله، الذين لا يريدون بأعمالهم غير رضاه، ولا يبغون بأى عملٍ إلا وجه الله، وأن يرزقنا الأدب الذي أورده في كتاب الله، والأدب الذي بيَّنه رسول الله، والأدب الذي كان عليه صحابة رسول الله، والأدب كان عليه الصالحون من بعدهم إلى يوم الدين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أهل الاستحقاق للصدقة وجزاء المنفقين[١٤]

بسم الله الرحمن الرحيم - نحن بفضل الله ﷻ نتتبَّع الآيات التي تخصُّ الأصفياء من عباد الله، والصالحين والأتقياء من خلق الله، والذين بيَّن الله ﷻ فيها أوصافهم، وزاد في البيان فبيَّن مالهم عند الله من كريم الأجر وعظيم الجزاء، وسنأخذها بترتيب المصحف إلى أن يعيننا المعين ﷻ على شرح هذه الأحوال ليتجمَّل بها المؤمنون في هذا الزمان، علَّنا نعيد الزمن الفاضل؛ زمن الحبيب ﷺ وصحابته الأجلاء العظماء، فكانت الآيات التي تحدثنا وطُفنا حولها وحول معانيها في الدرس السابق؛ آية الإنفاق، ووضحنا فيها بيان الله الذي أدَّب به أهل الإنفاق ليكونوا على تمام الأخلاق ويرتقوا فينالوا رضا الكريم الخلاق ﷻ.

---

١٤ مقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله - آبا البلد - مغاغة ٢٢ من جماد الآخر ١٤٣٦ هـ ٢٠١٥/٤/١٢م

وبيَّن الله ﷻ أجرهم بأن: ﴿ لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (٢٦٢البقرة) وشرحناها في البداية تحفيزاً لمن يريد أن يكون من أهل هذه الآية.

وهناك صِلاتٌ بين الآيات وبعضها يعني الربع كله يكاد يكون في هذا المعنى الإلهي الكريم العظيم، وبعدها مباشرةً زاد الله ﷻ المنفقين بياناً فوضَّح لمن يكون إنفاقهم؟ مع أن الله ﷻ بيَّن الصدقات والتي هي الزكاة: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٠التوبة) بيَّن هذه الأصناف الثمانية التي تجب لها الزكاة.

لكن الله ﷻ ركَّز في هذه الآيات التي بين أيدينا الآن على صنفٍ منهم وهو الصنف الأول؛ الفقراء، فمَن الفقير الأوْلَى بالصدقة أو بالزكاة؟ وللعلماء في ذلك أقوالٌ كثيرة، فبعضهم قال: الفقير هو الذي ليس عنده قوت يومه، ليس عنده شيئاً يأكله اليوم نهائياً، وبعضهم قال: الفقير الذي ليس عنده قوت يومٍ وليلة، فلا يزال فقيراً لأنه ليس عنده شيء آخر بعد ذلك، وليس له دخلٌ أو عائدٌ يكفيه ويغطيه بعد ذلك.

أعطانا الله ﷻ في هذه الآيات مفهوماً أرقى وأعلى وأتقى وأنقى، ليعلم المؤمن أنه ينبغي عليه أن يتحرَّى جيداً الموضع الذي يضع فيه صدقته، فكثيرٌ من الناس يجمع الصدقات وهو غير محتاجٌ إليها، وأصبح هناك فئات في المجتمع تستحوذ على أموال الصدقات من الأغنياء ولا يصل إلى الفقراء شيء مع أنها نصيب الفقراء، وإذا سألت الغني يقول: وما ذنبي؟! أنا أُعطي لمن يتعرَّض لي بالسؤال، إذا قلت له: أنه غير محتاج، يقول: وما الذي أدراني؟ فالذنب ذنبه، ويُريد أن لا يُلقي على نفسه التبعة ولا المسئولية، لكنَّ الله ﷻ بيَّن بياناً شافياً في هذه الآيات القرآنية مواصفات من ينبغي أن أخصُّه بصدقتي أو زكاة مالي: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الذين حصروا أنفسهم وجمَّدوا أنشطتهم وجعلوها كلها في سبيل الله، ومن أجل إعلاء دين الله، ومن أجل إبلاغ كلمة الله ﷻ لكل من يريد أن يخاطبه الله ﷻ.

أهل الصفَّة

وضرب الله ﷻ لنا مثلاً عملياً في عصر حضرة النبي ﷺ، مَن الذي حمل القرآن ليوصِّله إلى التابعين؟ ومن التابعين إلى تابع التابعين حتى وصل إلينا؟ ومن الذي حمل عن النبي ﷺ هديه وسنته وسيرته وأوصلها لمن بعده حتى وصلت إلينا؟ كان هناك حوالي أربعمائة رجلاً تفرغوا لهذه المهمة، ولم يجعل رجلٌ منهم لنفسه بيتاً ولا ربط نفسه بزوجة ولا بأولاد، لكن رابطوا في مسجد حضرة النبي ﷺ،

ومسجد النبي ﷺ عندما بناه بنى جدرانه ولم يجعلوا له سقفاً، فلما أقام هؤلاء في مسجد النبي ﷺ - وكان موضع منامهم وموضع أكلهم وموضع عباداتهم وموضع فقههم - بنى لهم عريشاً يُظلل عليهم في الصيف، ويمنع عنهم المطر في الشتاء، وكانوا ينامون تحته، وكان هذا العريش يُسمَّى الصُفَّة، ولذلك كانوا يُسمون أهل الصُفَّة.

وكانوا فقراء لأنهم تفرغوا تفرغاً كاملاً لحضرة النبي ﷺ، فمنهم من تفرَّغ لخدمته، والنبي ﷺ وظَّف عليهم الوظائف، جعل منهم من يُحضِّر له وضوءه ويُوضؤه، ومنهم من يقف على الباب ليأذن لمن يريد أن يدخل على النبي ﷺ فيكون بمثابة حاجبٍ على حضرته، ومنهم من يحمل عصاه التي يمشي ويتكئ عليها، ومنهم من يحمل نعله إذا دخل المسجد، فكان عبد الله بن مسعود ﷺ حامل العصا والنعل، وكان يجعل نعل الحبيب ﷺ في كُمِّه حرصاً عليه حتى لا يضيع منه ولا يذهب بعيداً فيشتَّطُ في البحث عنه.

وكانوا في المسجد لدراسة القرآن، وحفظ القرآن، وحفظ الأحاديث التي يتلقونها من النبي العدنان، فإذا جلسوا مع بعضهم في عدم وجود النبي ﷺ معهم كانت مجالسهم في ذلك، فمنهم من يجلس يذكر الله، ومنهم من يجلس مع رفاقه يتدارسون العلم، ومنهم من يجعلون لهم حلقة لقراءة القرآن فيما بينهم.

وكان النبي ﷺ يتولَّى بمعونة الصحابة الأجلاء إطعامهم، وهؤلاء هم الذين قال الله ﷻ للنبي ﷺ في شأنهم: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف).

فكان النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية إذا جلس معهم لا يقوم، يقول خباب بن الأرت ﷺ: { كُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ نَقْعُدُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا بَلَغْنَا السَّاعَةَ الَّتِي كَانَ يَقُومُ فِيهَا قُمْنَا وَتَرَكْنَاهُ، حَتَّى يَقُومَ، وَإِلا صَبَرَ أَبَدًا حَتَّى نَقُومَ }[١٥]، تنفيذاً للآية لأن الله أمر نبيه أن يُصبِّر نفسه معهم صلوات ربي وتسليماته عليه.

هؤلاء هم الذين حملوا القرآن، وأقرأوا غيرهم من المسلمين الجُدد القرآن، وكان عندما يأتي نفرٌ جُددٌ يدخلون الإسلام؛ كان يحولهم النبي ﷺ لهم ويقول لهم: أَقرِئوا أخاكم القرآن وفقهوه في الدين، فيقومون بتعليمه الوضوء والطهارة والصلاة، ويحفظونه ما تيسر من كتاب الله، فهم الذين حفظ الله بهم كتاب الله، وما ورد عن رسول الله ﷺ من سنته وهديه الرشيد صلوات الله وتسليماته عليه، هؤلا القوم الذين لا عمل لهم إلا هذا حصروا أنفسهم في هذا الجهاد: ﴿ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فلا يستطيع أحدهم الحصول على عمل، لأن العمل سيصرفه عن المهمة التي يؤديها، ففرَّغ نفسه إلى ذلك، فيحتاج إلى من يعينه ويساعده على أداء هذه المهمة الراقية، وهي إبلاغ دعوة الله ﷻ ورسوله ﷺ.

١٥ مسند البزار وسنن ابن ماجة

أهل العفة وأصحاب الإيثار

وكانوا كما وصفهم الله ﷻ، وعلمهم نبي الله ﷺ: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ عندهم عِفَّة زائدة، والنبي ﷺ درَّب أصحابه على صفتين قرآنيتين: من عنده من فضل الله كالأنصار درَّبه على الإيثار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (٩الحشر)

ومن لم يجد عنده شيء من متاع الدنيا الفاني درَّبه على العفة، حتى ولو عرض عليه أخيه بطيب نفسٍ ما عنده وقال: هذا بيتي وهذه داري وهاتان زوجتاي اختر ما تعجبك أطلقها فإذا انقضت عدتها تزوجتها، والآخر عنده العفة يقول: بارك الله لك في مالك، وبارك الله لك في زوجك، وبارك الله لك في بيتك، ولكن دُلَّني على السوق.

هكذا ينبغي أن يكون حال المسلمين أجمعين، إما أن يكونوا من أهل الإيثار، وإما من أهل العفة، فلا يوجد في المسلمين أهل الجشع والطمع، لأنها صفاتٌ ليست محببة إلى الله ﷻ، ولا نوَّه بها ولا دعا إليها رسول الله ﷺ، بل حذَّر منها الله ﷻ، وحذَّر منها رسول الله ﷺ، وهذه أوصاف المؤمنين الصادقين في عصر رسول الله ﷺ.

سيدنا أبو هريرة ﵁ كان نقيبهم، والنبي ﷺ عيَّنه وجعله عريف أهل الصُفَّة، أي قائدهم، فيحكي بعض المواقف ويقول:

{ أَللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إلا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إلا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إلا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا هِرٍّ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْحَقْ، وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ: قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلانٌ أَوْ فُلانَةُ، قَالَ: أَبَا هِرّ: قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَادْعُهُمْ لِي، قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلامِ لا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلا مَالٍ، وَلا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ: يَا أَبَا هِرٍّ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: خُذْ فَأَعْطِهِمْ، قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى،

ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: أَبَا هِرٍّ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ، قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: اقْعُدْ فَاشْرَبْ، فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: اشْرَبْ، فَشَرِبْتُ فَمَا زَالَ يَقُولُ اشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: فَأَرِنِي، فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ }[١٦]

حتى نعرف أن البركة التي كانت موجودة مع هؤلاء القوم، والتي لم تغادر الأرض إلى السماء ولكنها موجودة مع الرجال الأمناء الذين حفظوا عهد سيد الأنبياء، والذين يقول فيهم الله في كتاب السماء: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴾ (٢٣الأحزاب) هؤلاء القوم هم الذين ينبغي أن نبحث عنهم لنعينهم على إبلاغ رسالة الله وعلى العمل لرفع دين الله ﷻ.

١٦ صحيح البخاري والترمذي

الفقراء الصادقون

﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾:

الله ﷻ وضع لنا سمات نعلم بها هؤلاء، وهي سمة العفة، ولا يُلح في السؤال، وأنت إذا مشيت على منهج الله أعطاك الله إحساساً نورانياً وبصيرةً شفافة تعرفهم بسيماهم، وإذا وجدت من يدَّعي أنه من الصالحين أو مع الصالحين ولا يتورَّع عن السؤال، ويُلح في طلب العطاء والنوال، بل ربما يهددك إذا لم تعطه سيحدث لك كذا وكذا، فاعلم أنه من الكاذبين النصابين الذين هذا الدين منهم براء.

أما إذا كان من الصادقين، أو فيه أوصاف الصادقين: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ قد يقول البعض:

وهل يوجد في هذا الزمان أمثال هؤلاء؟ لكل زمان دولةٌ ورجالٌ، وهذا الزمان جعل منهج القائمين بدعوة الله والعاملين فيه بنصرة رسول الله أنَّ لا بد لكل رجلٍ منهم من عملٍ ليكفَّ نفسه وأولاده عن سؤال الناس.

وإذا نفَّذ مراد الله بارك الله له فيما جنت يداه ولو كان قليلاً، فيكون كأغنى الأغنياء لأن الله بارك له فيما مسَّته يداه، لأن هذا الزمان غير الزمن الفاضل الذي كانوا فيه، وغير الزمن الفاضل القريب الذي عاصرناه، ففي العصر القريب كان الناس يبحثون عن هؤلاء ويعينونهم، لكن لكل زمان دولة ورجال.

فرجال هذا الزمان ينبغي أن يكون لكل رجل منهم عملاً شريفاً يقتات منه، ونسمع عن كثيرٍ ممن ينتسب أو يتزىَّ بزيِّ الصالحين ويدَّعي أنه يعالج من الجن ومن السحر ومن الشياطين، فما لهذا وما لطريق الصالحين؟! ولكني أقول: عمل شريف عفيف على منهج الحبيب ﷺ، بماذا اشتغل رسول الله ﷺ؟ تارةً برعي الغنم،وتارةً بالتجارة، فهل سمعنا أن رسول الله ﷺ أو صحبه الكرام اشتغلوا في العلاج بالقرآن؟! أو كتبوا للناس أحجبة؟! أو فكُّوا السحر؟! هذا الكلام نسمعه الآن وليس موجوداً في سيرة النبي العدنان ﷺ، ولا أصحابه الحسان رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

إنما ينبغي لمن ينشر دعوة الله، ويعين على نصرة رسول الله أن يكون له عملاً شريفاً عفيفاً حلالاً، أحلَّه الله ﷻ له، لأن الله ﷻ أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، أمر المرسلين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ (٥١المؤمنون)

وأمر المؤمنين: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ (١٧٢البقرة) نفس السيرة ليرث هذه الأوصاف المنيرة التي عليها الأنبياء والصالحين، وإمامهم وخاتمهم سيدنا رسول الله ﷺ.

إعانة المصلحين

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ كيف نعينهم في هذا الزمان؟

- إذا وظَّفوا أنفسهم لقضاء حوائج الفقراء الذين يتوسمون فيهم الفقر نعينهم على ذلك، وظَّف نفسه للبحث عن الذي يحتاج إلى علاجٍ ولا يجد، فهذا خير بابٍ للإنفاق، وظَّف نفسه للإنفاق على من يريد التعليم وليس في يد أبيه ما يستطيع أن ينفقه عليه في التعليم، فأعينه أيضاً على ذلك، فيعينه على الأعمال التي يحتاج إليها المسلمين والمؤمنين.
- وظَّف نفسه لتزويج شباب المؤمنين وفتيات المؤمنات الذين لا يجدون مهراً ولا جهازاً فماذا نعمل في ذلك؟ أعينه على ذلك وأساعده على ذلك!!!
- وظَّف نفسه لعمل مكاتب لتحفيظ القرآن بالطريقة الإلهية الربانية، ليس للإكتساب وإنما للإحتساب، أي بدون أجر، فهذا أيضاً أُعينه على تحفيظ كتاب الله ﷻ، وهكذا.

فخير الإنفاق لمن يستعين بهذه الأموال على عمل خيرٍ يعود على المؤمنين والمؤمنات الفقراء، لأننا ربما لا نستطيع معرفة الفقراء، وهم بتوجيه من الله ﷻ يعرفونهم، فلا يخدعون لغَويٍّ، ولا يضحك عليهم شيطانٌ يريد أن يستلب الأموال، وإنما يضعون الشيء في موضعه، وهذا الأمر المناسب لهذا الزمان، لكن القائم نفسه لا بد أن يأكل من كسبه، ولا يأكل من كسب غيره اقتداءً بالنبي الأعظم صلوات ربي وتسليماته عليه.

إذا فعلنا ذلك، وقمنا بذلك يُصبح لنا كما قال الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾

لنا أجرنا عند الله، ولا خوفٌ علينا ولا حُزن لنا.

نسأل الله أن نكون من أهل ذلك، وأن يبلغنا ذلك، وأن يوصلنا إلى ذلك

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ (البقرة)

٦- كنوز العرش[1]

كنوز آخر البقرة

الآيات التي في آخر سورة البقرة فيها أسرار عالية وأنوار غالية وآداب راقية إذا عرفنا شيئًا من حقيقتها .... عن أبي هريرة ﵁ قال:

{ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلاةُ، وَالصِّيَامُ، وَالْجِهَادُ، وَالصَّدَقَةُ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَاب مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ،

---
[1] المنيا - مغاغة ٢٣ من جماد الآخر ١٤٣٦ هـ ٢٠١٥/٤/١٣م

فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ، نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾، قَالَ: نَعَمْ، ﴿ رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾، قَالَ: نَعَمْ، ﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾، قَالَ: نَعَمْ، ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾، قَالَ: نَعَمْ }[٢].

لما نزلت هذه الآية: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾

أحدثت قلقاً عند أصحاب رسول الله ﷺ، فذهبوا إلي الرسول ﷺ وقالوا يا رسول الله: أوَيحاسبنا الله على ما يدور في النفس وعلى ما يرد على البال وعلى الخواطر التي لا حيلة لنا في دفعها في صدورنا؟! فالإنسان لا يستطيع دفع الخواطر عند نزولها لكن يستطيع الامتناع عن تنفيذها أو القيام بفعلها فأرشدهم النبي ﷺ أن لا يقولوا كما يقول اليهود (سمعنا وعصينا) ولكن أرشدهم أن يقولوا (سمعنا وأطعنا)

٢ صحيح مسلم ومسند أحمد

وهذا الأدب النبوي الذي علَّمه لهم رسول الله والله ﷻ أعلم بمراده، وما دام أنزل قرآنًا إذًا هو ﷻ أرحم بخلقه من خلقه بأنفسهم، ولا بد أنه وضع لهم مخرجًا ويبين لهم في آياته الكريمة ملاذًا آمنًا لأن الله ﷻ بالمؤمنين رءوف رحيم، فامتثل الصحابة لرسول الله ﷺ ونفذوا ما أمرهم به وقالوا جميعًا (سمعنا وأطعنا) ولم يعترض منهم أحد أو اشمأز أو لم يرض عما أنزله الله ﷻ.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: { بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنْ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلا الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلا أُعْطِيتَهُ }[٣]، تصديقاً من الله، وقال ﷺ: { أُعْطِيتُ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ وَلَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي }[٤]

---

٣ صحيح مسلم وابن حبان
٤ مسند أحمد عن أبي ذر ﷺ

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾:

هذه الآيات يشهد الله جل في علاه أن نبيه والمؤمنون آمنوا (صدَّقوا) بالله، وصدَّقوا بالملائكة، وصدَّقوا بالأنبياء، وصدَّقوا بكل ما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله:

﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ (١٢٢النساء) .... وما دام الله شهد لهم بذلك هل يخشون العذاب؟!

هل يهتمون بالحساب؟! لا، لأن الله وحده الذي بيده الحساب، والذي يدخل من يشاء الجنة، ويذيق من يشاء العذاب.

ثم علَّمنا الله ﷻ كيف ندعوه بأدعية لا ترد وإنما تنال القبول عند الله ﷻ فورًا، بعد أن بين لهم ووضح لهم أنه ألغي التكليف السابق بسبب تصديقهم وطاعتهم لنبيهم لكن ما التكليف الجديد: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾

تُكلف الأمة ما في الوسع, لا يُكلَّف الإنسان بشيء شاق عليه، ولا يكلَّف بشيء لا طاقة له به، ولذلك تجد تعاليم الإسلام بعد ذلك كلها تدور على اليسر، أينما وجد اليسر.

سعة رحمة الله

فهذا هو الإسلام، حتى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها عن نبينا ﷺ:{ مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إلا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ، إِثْمٌ }[5]، وكان ﷺ يقول لإخوانه الدعاة الذين يرسلهم ليعلِّموا الخلق كتاب الله ويدعونهم إلي الله، ويشرحون لهم الطريق القويم إلي رضوان الله:{ يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا }[6]

لأن الإسلام بُني من ذلك الوقت والحين على اليسر: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي إلا طاقتها ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ أمر أكيد عند الرب المجيد ﷻ، ويضاعف الله ﷻ الأجر أضعافًا مضاعفة لمن يشاء, ﴿ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ إن لم تتب إلي الله، وترجع إلي الله، وتندم على ما فعلت نحو الله، أو نحو خلق الله، على أي ذنب فعلته في هذه الحياة، فحتى هذه الجزئية فتح الله لها باب التوبة في أكثر من موضع في كتاب الله: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ (٥٣الزمر).

٥ مسند أحمد
٦ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

لقد ضرب الله ﷻ لنا مثالاً عظيمًا في هذا الأمر لكي نعرف سعة رحمة الله ﷻ بعباده المؤمنين، رجل قتل عم النبي حمزة ﷺ في غزوة أُحُد والنبي ﷺ كان يحب حمزة حبًا شديدًا لأنه أعانه على ظهور الإسلام، فعندما أسلم حمزة، وبعده عمر بن الخطاب، قال عمر: { يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ إِنْ مُتْنَا وَإِنْ حَيِينَا؟ قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ إِنْ مُتُّمْ وَإِنْ حَيِيتُمْ، قَالَ: فَقُلْتُ: فَفِيمَ الاخْتِفَاءُ؟ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَتَخْرُجَنَّ، فَأَخْرَجْنَاهُ فِي صَفَّيْنِ، حَمْزَةُ فِي أَحَدِهِمَا، وَأَنَا فِي الآخَرِ، لَهُ كَدِيدٌ كَكَدِيدِ الطَّحِينِ، حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَنَظَرَتْ إِلَيَّ قُرَيْشٌ وَإِلَى حَمْزَةَ، فَأَصَابَتْهُمْ كَآبَةٌ لَمْ يُصِبْهُمْ مِثْلَهَا }[٧]

فكان لسيدنا حمزة ﷺ مكانة خاصة عند رسول الله ﷺ، أظهر الله ﷻ به الدين، وكان أيضا أخوه في الرضاعة، يعنى هو عمه وأخوه في الرضاعة، فحزن رسول الله ﷺ حزنًا شديدًا لمقتله, وكان الذي قتله عبد لهند زوجة أبي سفيان إسمه وحشي، وكان حمزة قد قتل في غزوة بدر أباها وعمها وأخاها فأرادت أن تنتقم منه فقالت لعبدها: عليك بحمزة، وإذا قتلته فأنت حر، فلم تكن له مهمة في الحرب غير هذه، وكان يجيد الضرب بالحراب، فأمسك حربته ووقف متواريًا،

٧ حلية الأولياء لأبي نعيم

وحمزة كان أَسَد من أُسْدِ الله ﷻ يجول بين الصفوف ويضرب يمينًا وشمالاً ولا يستطيع أحد أن يوقفه من حميّته في الله ولله ﷻ، وتحيَّن الفرصة ورماه بحربته فقتله، وجاءت هند فشقَّت بطنه وأخرجت كبده وأخذت تمضغه تريد أكله لولا أن الله ﷻ جعله يستعصي على أسنانها، فمر به ﷺ فحزن وظهرت به علامات الحزن، وقال من شدة غضبه:{ وَاللَّهِ لأَقْتُلَنَّ بِكَ سَبْعِينَ مِنْهُمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ }[8]

هذا الرجل لَمَّا قَتَلَ حَمْزَةَ: { مَكَثَ زَمَانًا، ثُمَّ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ الْإِسْلَامُ، فَأَرْسَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ الْإِسْلَامُ، وَقَدْ سَمِعْتُكَ تَقُولُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾، فَإِنِّي قَدْ فَعَلْتُهُنَّ جَمِيعًا، فَهَلْ لِي رُخْصَةٌ؟ قَالَ: فَنَزَلَ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ لَهُ:{ ﴿ إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَذِهِ الآيَةِ، فَلَمَّا قُرِئَتْ عَلَيْهِ،

٨ أسباب النزول للواحدي والوسيط في تفسير القرآن عن أبي هريرة ﷺ

قَالَ وَحْشِيٌّ: إِنَّ فِي هَذِهِ الآيَةِ شُرُوطًا، وَأَخْشَى أَنْ لا آتِيَ بِهَا، وَلا أُحَقِّقُ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا أَمْ لا، فَهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ؟ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ بِهَذِهِ الآيَةِ: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾، قَالَ: فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى وَحْشِيٍّ، فَلَمَّا قُرِئَتْ عَلَيْهِ، قَالَ: أَمَّا هَذِهِ الآيَةُ فَنَعَمْ.ثُمَّ أَسْلَمَ } [9].

مذنب ويتدلل على غافر الذنب وقابل التوب ﷻ؛ لنرى رحمة الله ﷻ، فتاب وأناب ودخل في الإسلام، لكي نعرف عناية رب العزة ﷻ بعباده المؤمنين، يفتح باب التوبة ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها، إلي أن يغرغر الإنسان، والله ﷻ يفتح له باب التوبة من ذنوبه التي جناها وارتكبها، وإذا تاب وأناب وأصلح فيما بينه وبين الله وأقبل على عمل الصالحات يغير الله ﷻ الصحيفة ويضع مكان الذنب حسنة: ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَـٰتٍ ﴾ (٧٠الفرقان) مكان كل ذنب حسنة من فضل الله وإكرام الله ﷻ لعباده المؤمنين.

٩ مسند أبي حنيفة عن ابن عباس ﷺ

فالله ﷻ يفتح أبواب التوبة للخلق أجمعين إلي يوم الدين، ولذلك ينبغي على كل مؤمن أن لا يضيق باب التوبة على عباد الله المؤمنين الذين يريدون أن يتوبوا إلي الله، والنبي ﷺ حذرنا من ذلك وحكي أن رجل ذهب إلي عالم من بني إسرائيل وقال أنا فعلت كذا وكذا فهل لي من توبة فقال لا أبتعد عني فقال الله تعالي لنبي هذا الزمان وأوحى إليه من الذي يتأله على إني لا أغفر لعبادي فما له هو لماذا يدخل بين الله وعباده.

وحُكي عنه ﷺ أيضا قال: { كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَتَلت تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَي مِنْ تَوْبَةٍ؟، فَقَالَ: لا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنِّي قَتَلت مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَي مِنْ تَوْبَةٍ؟، فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَك وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ،

فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ }[١٠]، في رواية أخرى: { فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ }[١١]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢٢٢البقرة) لم يقل (إن الله يحب التائبين)

فتكون مرة واحدة وليس له غيرها، مثل بعض الناس المتشددين الذين يغلقون الباب على المؤمنين، لكن التوابين بصيغة المبالغة، يعني كلما أذنب علم أن له رباً يتوب عليه، وكلما وقع في ذنب ندم على ما فعل وأحس بالخزي والندامة ورجع إلي الله فيتوب عليه مولاه.

بعض الناس يقول إن التوبة ثلاث مرات! وهل بعد الثالثة ليست له توبة؟! نريد نصوصاً صريحة، والنص واضح: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾

١٠ صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ
١١ صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ

وعندما يتوب العبد يقول الله تعالي كما قال النبي المحبوب ﷺ: { عَبْدِي عَمِلَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي }[١٢]، ويقول ﷻ في الحديث القدسي: { يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً }[١٣]، فالتوبة مفتوحة لهذه الأمة التي يقول فيها نبيها وصفيها ﷺ: { أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، مُتَابٌ عَلَيْهَا، تَدْخُلُ قُبُورَهَا بِذُنُوبِهَا، وَتَخْرُجُ مِنْ قُبُورِهَا لا ذُنُوبَ عَلَيْهَا، تُمَحَّصُ عَنْهَا ذُنُوبُهَا بِاسْتِغْفَارِ الْمُؤْمِنِينَ لَهَا }[١٤]

أمرنا ﷺ أن نستغفر للمؤمنين، ومن شروط صحة الخطبة عند العلماء الأجلاء أنه في الخطبة الثانية يقول الخطيب: (اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات) أو يقول: (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) كما علَّمنا الله، لماذا؟ قال ﷺ: { مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً }[١٥]

---

١٢ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٣ جامع الترمذي وسنن الدارمي عن أنس رضي الله عنه
١٤ معجم الطبراني عن أنس رضي الله عنه
١٥ مسند الشاميين للطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه

من الذي يستطيع أن يعد المؤمنين الذين يستغفر لهم سواء الأحياء منهم أو الأموات؟! فأمرنا الله ﷻ أن نستغفر لكل المؤمنين الأموات والأحياء، لأن هذه أمة مرحومة، يوجد تراحم بينها، يعين بعضها بعضاً على بلوغ المراد، وعلى دخول الجنة إن شاء الله أفواجاً كما قال الله ﷻ في كتاب الله.

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ هذا في العمل، يعمل ما في وسعه لكن المهم أن يتحقق من إخلاص النية وصدق الطوية، فحضرة النبي ﷺ كان يوصى الصحابة بهذا، أوصى سيدنا معاذ بن جبل ﷺ عندما كان متوجهاً إلى اليمن فقال له ﷺ: { أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ }، فالله ﷻ لا يعد علينا لكنه يريد العمل الخالص: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٥البينة) ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (١٤غافر) الإخلاص هو السر الأعظم في قبول العمل لأن الله ﷻ يقول في الحديث القدسي:{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ }[١٦]

[١٦] الأول رواه الحاكم في المستدرك عم معاذ ﷺ، والحديث القدسى رواه مسلم عن أبى هريرة.

وهذا في وسعك، تحرر النية وتجعل أعمالك لله، حتى عاداتك؛ حتى لعبك مع أولادك، حتى لهوك مع زوجتك تجعله عبادة لله، إذا نويت في هذا العمل رضا الله وتنفيذ شريعة رسول الله والإقتداء بحضرته ﷺ في هذا العمل، فكل فرد يمكنه أن يستزيد بهذا المنهج الرشيد الذي وضعه لنا الحبيب ﷺ.

الدعاء الميمون

وعلَّمنا الله ﷻ بماذا ندعوه: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا ﴾ وقال النبي ﷺ: { إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ }[١٧]

ما دام أنا سهيت فإن الله ﷻ لا يؤاخذني على ذلك، ما عدا الفرائض المفترضة، فلا يجوز أن أسهو عن الصلاة: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ (١٠٣النساء)

ولا أسهو عن إخراج الزكاة، فالمؤمن صادق الإيمان لا يرضى أن يؤخر الزكاة حتى لا تتغير النوايا أو يذهب الإنسان للقاء الله ولم يخرج زكاته، وينسى الأولاد أن يخرجوها، ويكون هذا دَين معلق في رقبته، فيبرأ نفسه في الحال من هذه الخصال، لكن السهو في الأمور العادية يُرفع عن المؤمن.

---
١٧ سنن ابن ماجة وابن حبان عن أبي ذر ﷺ

ثم يُعلِمنا الله ﷻ أن نطلب منه سبحانه ألا يكلفنا بأمر فيه مشقة وعنت لنا، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾.

وكذلك يوجهنا ﷻ أن نطلب منه ألا يحملنا فوق طاقتنا فنقول: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ فلم يحملنا الله ﷻ أبداً بأمر شرعي فوق طاقتنا وقدرتنا، ورضي منا العمل على أي هيئة، صلِّ قائماً، فإن لم تستطع صلِّ قاعداً، فإن لم تستطع صلِّ نائماً, وتوضأ فإن لم تستطع تيمم, وأمرنا بصيام شهر رمضان فإن لم نستطع فعدة من أيام أخر، فإن لم نستطع نهائيا نُخرج فدية، ولم يكلفنا أجمعين بالحج ولكن قال: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ (٩٧آل عمران) فلا يوجد مشقة أبداً في أي تكليف كلَّفنا به الله ﷻ، وإنما يسَّر علينا الأمر كله.

المؤمن وذكر الله

بقي أمر بسيط سيدنا عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما يقول: ((جعل الله ﷻ العبادات لها استثناءات ولها حالات إلا ذكر الله)) فلا عذر للمؤمن في ترك ذكر الله أبداً قياماً، وقعوداً، وعلى جنوبهم، ماشياً، قاعداً، نائماً، راكباً، على طهارة، على غير وضوء، حتى ولو على الجنابة أباح الله لنا ﷻ أن نذكره حتى لا ننساه، فما عذر المؤمن عند الله عندما يحاسبه على أنفاسه التي أنفقها في هذه الحياة وغفل فيها عن ذكر مولاه ﷻ؟!! ولذلك قال ﷺ ونسأل الله ﷻ أن لا يجعلنا من هذا المقام:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا }[18]

أما من ذكر وزاد فيقول: لِمَ لم أزيد واستزيد من هذا الفضل الكبير؟! وأما من قصَّر فيعاتب نفسه ويحاسب نفسه ويقول كما قال الله تعالى فى كتابه الكريم: ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (٥٦الزمر).

هذا الأمر ليس لمؤمن عذر فيه ولا لمؤمنة، حتى المؤمنة ولو كانت عليها الدورة الشهرية أو في النفاس ممنوعة من الصلاة وممنوعة من الصيام وممنوعة من تلاوة القرآن وممنوعة من الطواف من البيت لكن ليست ممنوعة من ذكر الله، أتظل أربعة أيام أو أسبوع أو أكثر ولا تذكر الله؟ لا.

١٨ معجم الطبراني عن معاذ بن جبل ﷺ

فينبغي على المؤمن أن لا يغيب نَفَساً عن ذكر الله، وخاصة أن الله قال لنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ (٤١الأحزاب) هذا الذكر الكثير ما حدوده؟ ليس له نهاية، (لا إله إلا الله) ذكر، والاستغفار ذكر، والتسبيح (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) ذكر، و (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) ذكر، والصلاة على حضرة النبي ﷺ ذكر، ومنادة الله ﷻ بأي إسم من أسماءه أو صفة من صفاته ذكر، يا حي يا قيوم يا تواب يا غفار يا رزاق كل هذا ذكر، أتاح الله ﷻ للمؤمن أن يذكره على أي حالة من حالاته، حتى لا يكون غافلاً مع الغافلين، وإنما يكون دائما ذاكراً، لماذا؟ .... قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ (١٥٢البقرة) طالما أنت تذكر الله فالله يذكرك.

كيف يذكرك؟ إذا ذكرته في شدة، فذِكْره لك أن يفرّج هذه الشدة, إذا ذكرته في ضيق، فذكره لك أن يوسع هذا الضيق, إذا ذكرته في مرض، فذكره لك أن يخفف الآلام أو أن يشفيك من هذا المرض، إذا ذكرته في أي أمر عسير فيكون ذكره لك ﷻ بالتيسير.

فالمؤمن ليس له عذر في ترك ذكر الله طرفة عين ولا أقل، وكان نبيكم ﷺ كما قيل عنه لا يجلس إلا على ذكر لله، ولا يقوم إلا على ذكر لله، ولا يمشي إلا ذاكراً لمولاه، يذكر الله على كل أحواله، لماذا؟ لأن هذا هو الهدي الرباني القرآني الذي علَّمه له الله، وعلَّمه لنا حضرة النبي ﷺ.

ثم علَّمنا الله ﷻ مهما أحسنَّا، ومهما عملنا من أعمال صالحة، ومهما قدَّمنا من أعمال فيها خير وبر، ولأننا لم نتأكد من القبول، فنسأل الله دائما ونقول له: ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ﴾ اعف عنا بسبب التقصير، كان أصحاب النبي ﷺ يُصلون الليل بين يدي الله وفي ختام الليل قبل الفجر يختمون الصلاة بالاستغفار لله: ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الذاريات) لكنهم مم يستغفرون؟ من رؤية التقصير، يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، فدائماً المؤمن يرى في نفسه التقصير في حق مولاه، هل هناك أحد عمل ما يرضي الله جل في علاه كما ينبغي؟ لا يوجد أحد أبداً، حضرة النبي ﷺ بنفسه كان يقول: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّة }[١٩]

ونحن الآن في زماننا لا نقدر على ذلك!! مع أن حضرة النبي ﷺ كان لا يغفل عن مولاه، حتى إذا كان نائماً؛ تنام عينه وقلبه لا ينام، ولكن كان دائماً يستغفر الله.

١٩ مسند أحمد والنسائي

وعلَّمنا الله ﷻ أن نسأله العفو والمغفرة والرحمة ﴿ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦ ﴾ أمرنا أن نستعين به ﷻ وندعوه ونلح في الدعاء بعد أخذ الأسباب، وإعداد القوة ليعيننا على النصر لأنه قال: ﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (١٢٦آل عمران)، قال ﷺ في هاتين الآيتين الأخيرتين الكريمتين:

{ الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ }[٢٠]

قيل كفتاه عبادة هذه الليلة، والله ﷻ يعطيه من الأجر والثواب كما لو قام الليلة كلها في طاعة الله ﷻ، وقيل كفتاه كل هم وكل غم وكل أمر يخشاه في هذه الليلة، وقيل كفتاه ما يخشاه من الله في الدار الآخرة إن توفاه مولاه، يحسن خاتمته ويتوفاه إلي جنته ودار رحمته، وفيها أقوال كثيرة .... ولذلك نجد السادة الصالحين رضوان الله تبارك وتعالي عليهم أجمعين كانوا يطلبون من السالكين والمريدين أن يقرءوا هذه الآيات في كل ليله ولو مرة، يجعلها الإنسان ورد له في الركعتين قبل العشاء، أو بعد العشاء، يقرأ نصفها في الركعة الأولى والنصف الثاني في الركعة الثانية لكي يديم على هذا الورد، وخير قراءه لكتاب الله ما كانت في الصلاة، في حالة المناجاة.

---

٢٠ البخاري ومسلم عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ

نحن نتأسى برسول الله ﷺ في صلاة الشفع والوتر، فنقرأ في الركعة الأولى سورة الأعلى، وفي الثانية سورة الكافرون، وفي ركعة الوتر نقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين، ومتى نقرأ الآيتين من سورة البقرة؟ في ركعتين السنة التي قبل العشاء أو بعد العشاء، وبذلك نكون قد نفذنا حديث رسول الله ﷺ ونفوز بهذا الأجر.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ (آل عمران)

٧- منازل الرضوان[1]

خلق الله ﷻ الدنيا وأوجدنا فيها بعد أن أخذ علينا العهد ونحن أرواحٌ نورانية قبل نزول آدم في ثوب البشرية إلى الأرض، أننا إذا جئنا إلى هذه الحياة الدنيا ورأينا ما فيها من مظاهر تشغل البال، ومن زيناتٍ تُذهب الحال، ومن أحوال تُوحل كُمَّل الرجال، نقرأ آيات الله ﷻ فيكون الله ﷻ دوماً منا على بال.

خلق الله ﷻ الدنيا من الدُنو، وجعل فيها نعيمٌ في العبادات والذكر والتسبيح وقراءة القرآن للمؤمنين الصادقين، وجعل فيها استدراجٌ ومكرٌ للهاربين عن الله، والمنصرفين عن الله، والمشغولين بالكلية بالشهوات وما شابهها في هذه الحياة، وبيَّن الله ﷻ لنا حقيقة الدنيا حتى لا نحتار.

---

١ مقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله- ميانة –المنيا ٢٤ من جماد الآخر ١٤٣٦ هـ ١٤/٤/٢٠١٥م

الدين والشهوات

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ هذه الشهوات التي ذكرها الله في هذه الآيات، وزُينت للنفس، وزُينت للعين التي لم يرعوي قلبها بمراقبة الله وكتاب الله ﷻ، لذا قال ﷺ: { حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ }[٢]

هذه الشهوات ذكرها الله في هذه الآيات: ﴿ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾: فهذه بضاعة الدنيا، وشواغل الدنيا، ومشاغل الدنيا التي قد تشغل العبد عن الله ﷻ، ولأننا جميعاً لا غنىً لنا عن هذه الأشياء، فالله ﷻ لم يُحرِّمها علينا، وغاية ما في الأمر أن هذه الأشياء نستخدمها كما بيَّنها لنا رسول الله ﷺ بالطريقة المرضية التي نزلت في كتاب الله، ولا ننشغل بها عن الإقبال على الله، وحُسن المتابعة لرسول الله ﷺ، بل أن هذه الشهوات لو أقبل الإنسان بصدقٍ على مولاه، وانشغل بالكلية بحضرة الله، فإن الله ﷻ يُسخِّر له هذه الأشياء، ويجعلها خير عونٍ له على بلوغ المراد عند مولاه ﷻ.

---

٢ صحيح مسلم والترمذي عن أنس ﷺ

الزوجة الصالحة

الزوجة الصالحة تُعين زوجها على طاعة الله، لكن الزوجة التي تشغل الإنسان وتفتن الإنسان، إن كان بجمالها أو كان بكثرة طلباتها التي لا يوفيها لها من حلال، فيضطر إلى ركوب الطريق الصعب ليرضيها ويوفر لها ما تحتاج إليه من حرام، وهذا ما نهى عنه الله ﷻ، وبين أنه ينبغي علينا أن نتجنبه في هذه الآيات.

الولد الصالح

وكذلك الأولاد، فالولد الصالح يقول فيه ﷺ: { الْوَلَدُ مِنْ كَسْبِ الْوَالِدِ }[٣]

فيُعين أباه على طاعة الله، سيدنا إسماعيل إبن سيدنا إبراهيم عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام خير مثالٌ لذلك، لما قال له أبوه: ﴿ يَـٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ (١٠٢الصافات) من الذي أعان سيدنا إبراهيم على تطبيق الرؤيا؟ إبنه الذي رباه على طاعة الله: ﴿ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (١٠٢الصافات)،

---

٣ معجم الطبراني عن ابن عمر ﷺ

ولما ذهبا لتنفيذ هذه الرؤيا أوصى أباه فقال: يا أبتاه لا تخبر أمي، وجهزَّا مدية - سكين – وحبل، وخرجا على أنهما ذهبا ليحتطبا من الجبال المحيطة بمكة بمنطقة منىً، ولم يُعلن أمه حتى لا تحزن على تنفيذ أمر الله، وهناك أراد إبراهيم أن يُنفِّذ رؤياه، فقال إسماعيل: يا أبتي إشحذ السكين - يعني حمِّها جيداً - وكُبَّني على وجهي حتى لا تنظر إلى وجهي فتأخذك الشفقة فتمنعك من تنفيذ أمر الله، وقيدني بالحبال، ثم قال له: فُكني من الحبال، حتى لا تقول الملائكة أن إسماعيل خاف من تنفيذ أمر الله، فقال إبراهيم: نعم الولد أنت عوناً لأبيك يا إسماعيل.

فالولد هنا يعاون أباه، وهكذا أبناء الصالحين، سيدنا عمر بن عبد العزيز ﷺ نحن نعلم جميعاً قدر ورعه وعدله في الرعية، حتى لُقِّب بخامس الخلفاء الراشدين، كان مرفهَّاً وثرياً فكان قبل الخلافة يشتري الثوب بألف درهم ويقول ما أخشنه، وبعد الخلافة كان يشتري الثوب بدرهم ويقول: ما أنعمه، مالذي حوَّله؟ مقلب القلوب ﷻ، فكان إبنه عبد الملك دائم لمتابعته ووصيته ويقول له دوماً ويُذكِّره: يا أبت ينبغي أن تفعل كذا وكذا، فقال له كما قال إبراهيم: نعم الولد أنت عوناً لأبيك يا عبد الملك.

فالولد الذي نربيه ونُحسن تربيته على كتاب الله، وعلى هدي رسول الله يكون عوناً للأب في الدنيا، وفي ميزان حسناته يوم يلقى الله، ويواصله في الدعوة الصالحة والصدقات الجارية بعد أن يتوفاه مولاه ﷻ، فيجعله ممتدّاً إلى يوم الدين.

المال الصالح

وكذلك القناطير المقنطرة، يعني الذهب والفضة الكثيرة التي تبلغ قنطاراً، والقنطار قدره كبير، إذا استخدمها المرء فيما يُحب الله كانت في ميزان حسناته، ودخلت في قول رسول الله ﷺ: { نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ } [٤]

من الذي يستطيع أن يبلغ من صحابة النبي الكبار الوزراء كمكانة عثمان بن عفَّان؟! بِم بلغ هذه المكانة؟ بإنفاق ماله على الله ورسوله وعلى فقراء المسلمين، جهَّز جيش العُسرة كله من ماله، وكان إسمها العُسرة لأنها كانت في فترة لم يطب الثمر فيها بعد، وهو الذي يعتمد عليه في المدينة، والناس في شدِّةٍ شديدة، والسفر طويل، فجهَّز عثمان الجيش، فقال ﷺ: { مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا } [٥] ليس عليه شيء نهائياً، وقال ﷺ يوماً وهو جالسٌ بين أصحابه وكان الماء شحيحاً في المدينة في بداية الهجرة، وكان اليهود يملكون الآبار ويبيعون الماء للمسلمين: { مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلَ دَلْوَهُ مَعَ دِلاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟ } [٦]

---

٤ معجم الصحابة لابن قانع وابن حبان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه
٥ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه
٦ جامع الترمذي والنسائي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه

فى رواية للسمهودي في كتاب "وفاء الوفا" كان هناك يهوديُ في المدينة المنورة يدعى "رومة" يمتلك بئراً و يبيع للمسلمين الماء, فكان يتحكم في البئر كما يشاء, و كانت آبار المدينة كلها تجف إلا هذا البئر فذهب إليه سيدنا عثمان ﷺ وقال له: أشتري منك البئر، قال اليهودي: لا أبيع الماء للمسلمين، ثم عرض عليه سيدنا عثمان أن يشتري نصف البئر، أي يوم ويوم، فقال اليهودي: أبيعك نصف البئر، فقال عثمان: اشتريت، فقال اليهودي: بكم تشتري؟ فقال سيدنا عثمان: بمائة ألف، فقال اليهودي: بعتك، فقال عثمان: اشتريت، فقال رومة: أستنصحك ألبئر خير أم المائة ألف؟ فقال عثمان: البئر خير، فظل رومة يزيد السعر حتى اشترى هذا البئر بألف ألف ـ قالوا كان كل مال عثمان ـ فنادى عثمان في المسلمين: نصف البئر لي, فمن أراد من المسلمين أن يأخذ منه فهو بلا شيء، فكان المسلمون يذهبون يأخذون ما يكفيهم من ماء ليومهم ولليوم التالي، وهكذا لم يجد (رومة) من يبيعه ماءاً، فذهب رومة إلى سيدنا عثمان وقال: يا عثمان أتشتري مني النصف الثاني؟ قال عثمان: بكم تبيع؟ فقال: اشتريت مني النصف بألف ألف، قال: نعم، و لكن هذا أشتريه بعشر، فقال: اجعلها مائة، قال: لا، عشر، قال: بعتك، فأخرج عثمان عشر دنانير، قال رومة: ما هذا؟ قال عثمان: قلت أشتريه بعشر دنانير، قال رومة: ظننتك تقول بعشرة آلاف، قال عثمان: كان هذا زماناً، أتريدها أم أدسها؟ قال رومة: بل أبيع.

هكذا أكابر المؤمنين في كل زمانٍ ومكان، طالما سيُوزِّع هذا المال على المحتاج وعلى المسكين وعلى الفقير ويمد به المريض ويعين به الطالب على بلوغ مراده وينتفع به المسلمين، فيكون هذا المال سبيله إلى الجنة إن شاء الله رب العالمين.

الخيرات الحسان

﴿ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِ ﴾ الله ﷻ قال في آية الركائب، وهذا من إعجاز الله ﷻ: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ ثم قال بعدها: ﴿ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨ ﴾ (النحل) وهي في زماننا الطيارة والسيارة والقطار ... كلها أشار لها المولى ﷻ، وكذلك سُفن الفضاء ولا نعلم ماذا يأتي بعد ذلك، لأنها لن تقف عند هذا الحد، لأن هناك أمورٌ يبديها ولا يبتديها، ولا يعلمها قبل حينها إلا خالقها وباريها ﷻ.

إذا كانت ركوبتي للزهو والفخر بين الناس فليست في ميزان حسناتي بل هي فتنة لي، لكن إذا كنت أوصِّل بها مريض إلى المستشفى، أو أوصِّل بها امرأة في حالة الوضع إلى المستشفى، أو أعين بها طالباً على بلوغ ميعاد قطاره، إذا كنت أعمل منها شيء لنفع المسلمين فهي في ميزان حسنات الإنسان يوم يلقى الله ﷻ.

هذه الأنواع الثمانية جعلها الله ﷻ فتنة لمن كان قلبه غير صافٍ لربه ﷻ، وكانت الدنيا أكبر همِّه ومبلغ علمه، وهذا يحتاج إلى علم ليخرج من هذه الدائرة قبل أن يحيق به عذاب الله ومكر الله ﷻ.

لكن المؤمن القويم لا تشغله الدنيا كلها طرفة عينٍ ولا أقَّل عن الإقبال على الله، وأين الدنيا؟ كما كان يقول أصحاب النبي: (اللهم اجعلها في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا) ومادامت هي في أيدينا فلن نفرح إذا جاءت ولن نحزن إذا ضاعت! إذا ضاعت فنعلم علم اليقين أننا ليس لنا نصيبٌ في الشىء الذى ضاع، وإذا جاءت فنخشى أن تكون ابتلاءاً واختباراً وفتنة، ويظل الإنسان في خوفٍ ووجلٍ من الله حتى ينفقها في محاب الله ومراضيه.

فالأموال كثُرت وكثير من المسلمين في هذا الزمان يصرفون الأموال في المخدرات والمسكرات وحبوب الهلوَسة والمنشطات الجنسية وما شابه ذلك، لماذا هذا؟! فأعزُّ ما أعطاك الله وميَّزك به عن جميع خلق الله هو العقل، فلِمَ تغيبه وقد أمرك رب العزّة أن تحافظ عليه؟! فقد سُئل سيدنا أبو بكر - وكان قد حرَّم على نفسه الخمر[7] في الجاهلية قبل الإسلام - قيل له: لِمَ حرَّمت على نفسك الخمر؟ قال: أى عاقلٍ لا يُحب أن يذهب عقله فيسخر به المارَّة، وربما يُسيئ إلى إبنته ولا يشعر.

---

[7] وعباس بم مرداس ممن حرم على نفسه الخمر في الجاهلية وحرمها أيضا على نفسه قبل الإسلام أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف، وقيس بن عاصم، وقبل هؤلاء حرمها على نفسه عبد المطلب بن هاشم وورقة بن نوفل وعبد الله بن جدعان وشيبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة، الروض الأنف

ألا يحدث هذا الآن؟

فمعظم الحوادث التي تحدث في زماننا الآن سببها الرئيسي المسكرات!!!

فيمشي سكراناً ولا يدري ما يفعل، أو يدخل بيته سكراناً ولا يدري ما يصيبه، فهذا يشتري بماله جهنَّم والعياذ بالله ﷻ، فماله جعله الله ﷻ له نعمة فيستبدله بنقمة ويشتري بها جهنم، ويُنزل رتبته التي أعلاها الله: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ (٧٠الإسراء) فيُنزل هذه الرتبة ويدخل في قول الله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ (١٧٩الأعراف) لأن الأنعام لا تصنع هذا الفعل مع جنسها، لكن الإنسان يصنع مع جنسه ما لا يستطيع الإنسان أن يسرُده بلسانه، والسبب في ذلك غيَّب عقله بدلاً من أن يشتري بهذا المال رضاء الله وجنة الله، والأعمال الصالحة التي طالبه بها مولاه ﷻ، وكذلك الأنعام والحرث يعني الزرع، فهذه زينة الحياة الدنيا.

المقامات الكريمة

شوَّق الله ﷻ المؤمنين إلى مقامات عظيمة عنده، وكلنا يود أن يحظى بها، إذا ساروا على هذا المنهاج الكريم، واتصفوا بالأوصاف التي ذكرها الله ﷻ في هذه الآيات: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ : الذين خافوا الله ووقعت في قلوبهم خشية الله، واستخدموا كل هذه الحقائق كما يحب الله ويرضاه، ماذا لهم؟ ثلاث أشياء: ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾.

نعيم الجنة

أولاً: ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ :

يضمن الله لهم مكانةً عظيمة في الجنة وليس فى الدخول فقط ولكن مكانة عظيمة في الجنة التي تجري الأنهار من تحت قصورهم، وما هذه الأنهار؟ ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾

(١٥محمد)

وكلها تجري في مجرى واحد ولا يختلط هذا بذاك، وليس لكل واحدٌ منهم مجرى خاص، والجنة وما في الجنة أعطاهم الله بصيرةً نورانية وشفافية إلهية، حتى أنهم لا يحتاجون إلى طلبٍ من داخل الجنة، بل يُلبون لأي إنسان أي طلبٍ يطلبه من الجنة بمجرد خطوره على البال، فبمجرد ما يخطر على باله أى مُتع أو نعيم من نعيم الجنة يجده في متناول يده فوراً، والنعيم الذي يتمتَّع به هذه المرة يجد غيره في المرة القادمة:

﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ﴾ (٢٥البقرة)

يعني لو أنه اشتهى في نفسه أكل التفاح يجد الشجرة تمشي إليه وتُنزل له فرعها ليقتطف بنفسه التفاح، فلو أكل التفاحة تخرج أخرى مكانها في الشجرة، فإن أحب الزيادة يجد طعم الأولى غير طعم الثانية غير طعم الثالثة، لأن هذا نعيمٌ لا ينفذ!، والذي بيَّنه القرآن والنبي العدنان في جنة الرحمن قليل لأن العقول في الدنيا لا تتحمل هذه الأوصاف العلية، ولذا قال ﷺ في نعيم الجنة:

{ فِي الْجَنَّةِ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[٨]

فلا يخطر على بال أحدٍ من البشر أبداً نعيم الجنة، فعندما نذهب إلى هناك نجد شيئاً يُذهب العقل، ويُدهش اللُب، ويخلع الفؤاد فيما جهَّزه الله ﷻ لعباده المؤمنين.

---

٨ معجم الطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

وكان الله ﷻ يكشف لحظات خفيفة للمجاهدين، فإذا رأوا هذه اللحظات فلا يريدون أن يبقوا في هذه الدنيا طرفة عينٍ ولا أقل، يريدون السفر إلى الله ليتركوا عالم الهمِّ والحُزن والمرض والكرب الذي نحن فيه إلى جنة الله التي جهزَّها الله ﷻ للمؤمنين، وأكرمهم بنعيمها الذي لا يُحد ولا يُعد ولا ينفد، والقصور فوق هذه الأنهار، والقصور فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين، كل شيء تتلذذ به أعينهم، أو تشتهيه أنفسهم من النعيم جهَّزه لهم الرب الكريم ﷻ.

أزواج مطهرة

ثانياً: ﴿ وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ :

الله ﷻ يعلم أن الإنسان بطبيعته يميل إلى الجنس الآخر، وحضرة النبي ﷺ قال في ذلك: { مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ } [٩]

٩ البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد ﷺ

غريزة في الإنسان، فجعل الله لنا في الجنة: ﴿ وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ زوجتك في الدنيا قد تكون مريضة، أو عليها الطمث، أو غير ذلك، ولكن في الجنة لا يوجد مثل هذا الكلام، فلا يبولون فيها، ولا يتغوطون فيها، ولا يتنخمون فيها، ولا يمرضون فيها، ولا يهرمون فيها، فليس فيها مرض ولا فيها همٌّ، فعندما يدخل المؤمن على باب الجنة فهناك عينان:

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (٦٦الرحمن) عندما يأتيها المؤمن تُخرج له شراباً له وحده، وكل مؤمن يخرج له شرابه، فيشرب من العين الأولى فيذهب عنه كل الهم وكل الحُزن وكل الألم الذي مر به في الدنيا فيقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (٣٤فاطر) ويشرب من العين الأخرى فتظهر عليه نضرة النعيم؛ كل أصناف وألوان هذا النعيم، ولمَّا سألوا النبي ﷺ عن الطعام هناك أين تذهب فضلاته؟ فقال ﷺ:

{ جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ } [10]

ولتتنبهوا قليلاً: النبي ﷺ وهو في الدنيا كانت له أوصاف هذه الجنة، فكان يخرج منه عرق رائحته كرائحة المسك، وكان إذا صافح إنسان تظلُّ رائحته الشريفة في يد هذا الإنسان مدة ثلاثة أيام مهما يغسلها فلا تذهب هذه الرائحة أبداً، ولمَّا عرف الأنصار ذلك كانوا يتنافسون على الحصول عليه، يقول أنس بن مالك ﷺ: { دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فَنَامَ عِنْدَنَا، فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلِتُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ } [11]، فكان ﷺ كهيئة أهل الجنة، وكان عندما يقضي حاجته يبعد ويذهب إلى مكان بعيدٍ في الصحراء، وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال:{ تَصَحَّرْنَا فِي جَبَّانَةٍ يَنْقَطِعُ الطَّرِيقُ دُونَهَا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْوُضُوء، وَرَأَيْنَا نَخْلَتَيْنِ مُتَفَرِّقَتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا جَابِرُ، اذْهَبْ إِلَيْهِمَا، فَقُلْ لَهُمَا: اجْتَمِعَا لِي سِتْرًا، فَاجْتَمَعَا حَتَّى كَأَنَّهُمَا أَصْلا وَاحِدًا، فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ فَبَادَرْتُهُ بِالْمَاءِ،

١٠ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
١١ صحيح مسلم ومسند أحمد

وَقُلْتُ: لَعَلَّ اللَّهُ يُطْلِعُنِي عَلَى مَا خَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، فَآكُلَهُ فَرَأَيْتُ الأَرْضَ بَيْضَاءَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا كُنْتَ تَوَضَّأْتَ، قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّا مَعْشَرُ النَّبِيِّينَ أُمِرَتِ الأَرْضُ أَنْ تُوَارِيَ مَا خَرَجَ مِنَّا مِنَ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ، قَالَ: ثُمَّ افْتَرَقَتِ النَّخْلَتَانِ }[١٢] فكان بعضهم يذهبون بعد عودته ويبحثوا في الأرض ليروا أثر إخراجه ﷺ مراراً وتكراراً فلا يجدون شيئاً، لماذا؟ لأنه كان في الحال الذي سنكون عليه يوم نلقى الله ﷻ في نضرة النعيم.

زوجتك في الدنيا إذا كانت صالحة ستكون هي سيدة القصور في الجنة، والحور العين يكونون وصائف لها وخدمٌ لها، وإذا كان جمالها لا يروقك الآن فإن الله سيجعلها في صورة لا تُوصف من الجمال، وتتغير هذه الصورة على الدوام حتى تحوز على رضاك، وتكون الحور العين من جملة خدَّامها، وفي الجنة لا حيض ولا نفاس، وإنما يَعدْنَ أبكاراً:﴿ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الواقعة) يعني مليحة في الوجه والشكل، ومثل بعضهن في سنٍ واحدة، فلا تهرم إحداهن، وكما قال ﷺ:....

{ فَإِذَا قَامَ عَنْهَا، رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكْرًا }[١٣]

١٢ تاريخ جرجان للسهمي
١٣ صحيح ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

مقام الرضوان

ثالثاً: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾:

فالزوجات المطهرات والحور في الجنة وكل ذلك النعيم لا يساوي النعيم الأعظم لأكابر أهل الجنة: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٧٢التوبة) والجنة ليست الرضوان، ولكن الجنة شيء فيه النعيم، كجنة عدن وجنة الخُلد وجنة المأوى ودار السلام، فكل هذه الجنان للمتعة والنعيم، لكنه نعيم كنعيم الدنيا، وهو نعيم حِسِّي جناني ملكوتي.

لكن هناك نعيمٌ آخر، وهو نعيمٌ إلهي لا يحظى به إلا من فاز بالرضوان، والرضوان درجة أخرى غير الجنة، وهؤلاء الذين يريدون أن يتمتعوا ويتهنوا بالقرب من حضرة الرحمن ﷻ يقول الله تعالى لهم كما ورد بالأثار المختلفة::

يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة) فيجهز لهم الله ﷻ المكان الذي يجلسون فيه ليتأهلوا للرؤيا، فمنهم من يجلس على الكثيب - والكثيب يعني الكوم المائل - ومنهم من يجلس على كُرسي من النور، ومنهم من يجلس على منبرٍ من النور، وكل واحدٍ منهم ليذهب إلى هذه الأماكن وهو في مكانه في الجنة يأتيه خطاب من الله ﷻ: { من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت، عبدي اشتقت لرؤياك فتعالى لتزورني }[14] ... منهم من تأتيه هذه الدعوة كل أسبوعٍ مرة، ومنهم من تذهب إليه الدعوة قدر كل شهرٍ مرة، ومنهم تأتيه الدعوة قدر كل سنة مرة، ومنهم من يريد أن لا يفارق هذا المكان أبداً، كل واحد على حسب مكانته ومنزلته من القُرب عند الله ﷻ.

فمقام الرضوان الذي يجهله كثيرٌ من المؤمنين يقول فيه النبي ﷺ مخبراً عن ربه ﷻ:

---

١٤ فى فتاوى بن تيمية وفى تفسير القرطبى لطيفة فى تفسير قوله تعالى ﴿وملكا كبيرا﴾: والمُلْك الكبير: هو أن يكون لأحدهم سبعون حاجباً، حاجباً دون حاجب، فبينما وليّ الله فيما هو فيه من اللذة والسرور إذ يستأذن عليه مَلَك من عند الله، قد أرسله الله بكتاب وهدية وتحفةٍ من ربّ العالمين لم يرها ذلك الوليّ في الجنة قطّ، فيقول للحاجب الخارج: استأذن علي وليّ الله فإن معي كتاباً وهدية من ربّ العالمين. فيقول هذا الحاجب للحاجب الذي يليه: هذا رسول من ربِّ العالمين، معه كتاب وهديّة يستأذن على وليّ الله؛ فيستأذن كذلك حتى يبلغ إلى الحاجب الذي يلي وليّ الله فيقول له:يا وليّ الله هذا رسول من ربّ العالمين يستأذن عليك، معه كتاب وتُحْفة من ربّ العالمين أفيؤذون له؟ فيقول: نعم فأذنوا له. فيقول ذلك الحاجب الذي يليه: نَعَم فأذنوا له. فيقول الذي يليه للآخر كذلك حتى يبلغ الحاجب الآخر، فيقول له: نَعَم أيها المَلَك؛ قد أذن لك، فيدخل فيسلّم عليه ويقول: السَّلامُ يُقرئك السَّلام، وهذه تحفة، وهذا كتاب من رب العالمين إليك. فإذا هو مكتوب عليه: من الحيّ الذي لا يموت، إلى الحيّ الذي يموت. فيفتحه فإذا فيه: سلام على عبدي ووليي ورحمتي وبركاتي. يا وليي أما آن لك أن تشتاق إلى رؤية ربّك؟ فيستخفه الشوق فيركب البُرَاق فيطير به البُرَاق شوقاً إلى زيارة علام الغيوب، فيعطيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ، فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا }[١٥]

وهي ما أشار إليه الله ﷻ في قوله: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (٣٥ق) لهم كل ما يريدون من المتع الجنانية، وعندنا المزيد، مزيدٌ من التجليات ومزيد من العطاءات الخاصة من عند حضرة الله، ومزيد من المؤانسات، ومزيدٌ من المكاشفات، ومزيد من المواجهات وهي أشياء لا يستطيع أحدٌ أن يبينها وإنما حسبنا فيها أن وقتها سيهيئ الله أهلها ليتذوَّقوا ذلك، ولا يستطيع واحدٌ منهم أن يُفصح عن ذلك، لأن هذا سرٌ بين الله وبين عباده أهل الرضوان، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

ملف أهل التكريم

الذين سيدخلون في هذه المقامات العالية، ما الملف الذي سيجهّزوه ليستحقوا به هذا التكريم الإلهي العظيم؟

---

١٥ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

طلب المغفرة

أولاً: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ أول ورقة في الملف طلب المغفرة من الله، ولذلك المؤمن دوماً آناء الليل وأطراف النهار لا يكُفُّ عن الإستغفار، وهو الدواء الذي أمر به ربنا الأطهار والأبرار، ويعالج كل مشكلات الدنيا، ويضمنون به كل مايريدونه يوم القرار.

كل مشاكل الدنيا عبارة عن أننا نريد المياه لنشرب ونسقي الزرع والضرع، ونريد المال لنعيش في عزِّة، ونريد الأولاد ليكونوا قرَّة أعين لنا، ونريد أن يكون لنا سكن طيب نستريح فيه، وهذا كله يأتي من الإستغفار: ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (١٠نوح) ومادام سيغفر الذنوب فتضمن الآخرة، والدنيا.

﴿ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا ﴾ (١١نوح) سينزل لكم مطراً، ونحن نخاف من أثيوبيا أن يقطعوا عنا الماء، لكن إذا اتقينا الله ورجعنا إلى الله وداومنا على الإستغفار لله، فسيعود الأمر إلى بداية الحياة؛ إلى الحلقة الجيولوجية الأولى،

فكان المطر لا ينزل على الحبشة ولكن كان ينزل على جبال البحر الأحمر، والأخاديد كلها موجودة إلى الآن، فينزل المطر عندها، ومن الذي يُنزل الماء من السماء؟ الله ﷻ، وماذا يصنعون مع هذه المياه التي تنزل؟ هل يستطيع أحدٌ منعها؟ لا أمريكا ولا غيرها تستطيع أن تخدعنا ولا تلعب علينا لأنه نازلٌ من عند الله ﷻ:

﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ (١٢نوح) عندما أستغفر الله وأداوم على الإستغفار فالمال

الذي يأتيني يكون فيه مددٌ من الله فلن يُنفق إلا في طاعة الله، والولد الذي يأتيني يكون معه مدد من الله فيكون بارٌّ بي ومطيع لله.

﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ (١٢نوح) فنحن نحتاج الإستغفار.

ترك المعاصي

ومع الإستغفار لا بد من ترك المعاصي التي تستوجب لمن فعلها دخول النار:

﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾

لأننا حفظنا جوارحنا وأبداننا عن المعاصي والفتن، لكن الذي يدَّعي أو من يريد أن يُعفى من دخول النار وهو لا يستطيع حماية أعضائه من المعاصي في هذه الدار فهذا يطمع في مُحال، ولذلك قال القائل: (عجبت للنار كيف أَمِنَ هاربها؟! وعجبتُ للجنة كيف نام طالبها؟!) من يُرد الهروب من النار فلِمَ يعيش في آمال هنا ويصنع ما يريد؟! ومن يُرد الجنة يجب أن يكون مع الله ولو قليلاً، وهذا وذاك قال فيهما النبي ﷺ:

{ لَيْسَ الإيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَلا بِالتَّحَلِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ }[١٦]

الصبر

ثانياً: الصبر ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ :

إذا حفظ الإنسان نفسه من المعاصي وداوم على الإستغفار فلا بد أن يُدرِّب نفسه على الصبر الجميل في هذه الدار، فيصبر على قضاء الله، ولا يتبرَّم من قضاء قضاه مولاه، ويصبر على طاعة الله، لأن العبادات كلها تحتاج إلى صبرٍ عظيم لتنال بها رضاء الله، ويصبر عن معاصي الله فيُصبِّر نفسه ويُبعد نفسه عن المعاصي، فإذا كان كذلك كان من الصابرين، والله ﷻ أمر حضرة النبي أن يُبشِّر هؤلاء الصابرين: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١٥٥البقرة)

١٦ ذيل تاريخ بغداد لابن النجار عن أنس ﷺ

ويكفي أن الصابرين يوم القيامة يدخلون الجنة بغير حساب: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠الزمر).

الصدق

ثالثاً: ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ الورقة الثالثة:

الصدق؛ لا بد وأن يكون صادقاً لأن هذه الأمة إسمها أمة الصادقين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة)، وقد سألوا رسول الله ﷺ: { هَلْ يَزْنِي الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: قَدْ يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ يَسْرِقُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: قَدْ يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَلْ يَكْذِبُ الْمُؤْمِنُ ؟ قَالَ: لا، ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ }[١٧]

١٧ مساويء الأخلاق للخرائطي وتهذب الآثار للطبري

ما أعلى مقام في الصحابة الكرام بعد درجة النبوة؟ مقام الصديق: ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ (٦٩النساء) فهذا المقام الثاني على الفور!

ومن منا يريد أن يكون في هذا المقام؟ كلنا، وكيف نصل إليه؟ نسأل الخبير ﷺ، قال: { لا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا }[١٨]، وفي رواية أخرى:{ عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا }[١٩]

الصدق حتى في المزاح؟ قال ﷺ:

{ إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا }[٢٠]، كان يمزح ولا يقول إلا حقا، قال ﷺ مرة: { لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ، فَبَكَتْ عَجُوزٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَيْسَتْ يَوْمَئِذٍ عَجُوزٌ، إِنَّهَا يَوْمَئِذٍ شَابَّةٌ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴾ }[٢١]،

١٨ مسند أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ
١٩ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ
٢٠ معجم الطبراني عن ابن عمر ﷺ
٢١ البعث والنشور للبيهقي عن سلمة بن يزيد ﷺ

وكان ﷺ على هذه الشاكلة لا يقول إلا الصدق حتى في المزاح صلوات ربي وتسليماته عليه، فلا بد أن يكون الإنسان صادقاً في القول، صادقاً في الوعد، إذا وعد لا يُخلف، صادقاً في الكلمة، فلو أعطاني أحدٌ وعداً بالكلمة فلا بد من تنفيذها.

سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يطوف بالبيت في الحجة الأخيرة له، وجاءه عُروة بن الزبير ﵁ وهو في الطواف، وقال له: أنا أريد أتزوج إبنتك فلانة، ولأنه كان مشغولاً بالطواف فلم يردُّ عليه وسكت، وكان عندهم السكوت علامة الرضا، فلما عاد إلى المدينة جاءه مرض الموت، فجمع أولاده وقال لهم: أنا كنت قد وعدت عُروة بن الزبير أن أزوِّجه إبنتي فلانة، فاعتذروا له وقولوا له: إنا كنا نتراءى ربنا في الطواف، وكنت مشغولاً فزوجوه حتى لا أخرج من الدنيا بثُلث النفاق.

فأين نذهب نحن من هذا في زماننا الآن؟! فالرجل لم يرد عليه بشيء ولكنه اعتبر أن هذا وعدٌ ولابد من تنفيذه، ويخاف أن يخرج من الدنيا ويقع في الحديث: { آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ }، وفي رواية أخرى { أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا، اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ } ....

فلابد للإنسان في الدنيا أن يتحرَّى الصدق، واعلم علم اليقين أنه إذا كان الكذب يُنجِّي فالصدق أنجى، واحفظ مع الحفظة الكرام البررة حفظاً يجعلهم يشهدون لك يوم لقاء الله، لأن شهادتهم مقبولة عند الله، فيقولون عندما يسألهم الله ﷻ: كان صالحاً، وكنا لا نسمع منه إلا الخير، ولا يُدخلنا معه إلا الأماكن الطيبة، هؤلاء الملائكة الذين معك يقول فيهم حضرة النبي ﷺ: { **إِنَّ الْعَبْدَ لَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ، فَيَتَبَاعَدُ مِنْهُ الْمَلَكُ مَسِيرَةَ مِيلٍ مِنْ نَتْنِ مَا جَاءَ بِهِ** }[٢٢]، عندما يكذب تخرج رائحة منتنة من فمه، وهم لا يحبون هذه الروائح، فيبعدون ميلاً! لم؟

لأنهم لا يستطيعون شم الرائحة التي تخرج من فمه لأنه كذب، والله ﷻ لا يحب الكاذبين: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ (١٠٥النحل) فالمؤمن لا بد وأن يكون صادقاً.

٢٢ الأول الشيخان عن أبي هريرة والثانى عن عبد الله بن عمرو ولثالث والترمذي عن ابن عمر ﷺ .

لزوم الطاعة

رابعاً: ﴿ وَٱلۡقَـٰنِتِينَ ﴾ :

فإذا كان المؤمن صادقاً فبعد ذلك يشغل نفسه بدوام الطاعة لله فيكون من القانتين، والقنوت المداومة على طاعة الله ﷻ، وخير المداومة على طاعة الله يكون بتحريك اللسان ومعه القلب والجنان بذكر الله ﷻ، فأظل أذكر وأنا نائم وأنا ماشي وأنا أركب المواصلة وأنا ذاهبٌ للعمل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ (١٩١آل عمران)

فأجمل صفة للقانتين دوام ذكر الله ﷻ، ولذلك الحبيب ﷺ عندما قال له رجلٌ:

{ يا رسول الله إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَمُرْنِي بِأَمْرٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، فَقَالَ ﷺ: لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ }[٢٣]

الإنفاق

خامساً: ﴿ وَٱلۡمُنفِقِينَ ﴾ :

٢٣ سنن البيهقي والترمذي عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه

الذين يجعلون في كل عطاء، وفي كل رزق ساقه إليهم الله ﷻ نصيباً للمستحقين لهذا العطاء والفقراء إلى هذا الرزق.

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٣البقرة) فصاحب المال ينفق من ماله على الفقراء، وذو العلم ينفق من علمه على الجُهَّال، وذو الجاه يخدم بجاهه ذوي الحوائج من المساكين، وهكذا، وهؤلاء يقول الله ﷻ لهم في حديثه القدسي: { يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ } [٢٤]

الاستغفار في السحر

سادساً: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ۝١٧ ﴾:

إذا أردت مقام الرضوان الأعظم فلا بد وأن تكون لك قومة في الأسحار قبل صلاة الفجر لتدخل في الذين قال فيهم الله: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ ﴾ (الذاريات)،

٢٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

خصّص وقت للإستغفار ووقتاً للسحر قبل الفجر، ولذلك سيدنا يعقوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام عندما طلب منه بنوه وقالوا: ﴿ يَـٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ ﴾ لم يستغفر لهم في الحال، ولكن قال: ﴿ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ ﴾ (٩٨يوسف) وسوف للمستقبل، قيل: أجَّلهم إلى وقت السحر، لأنه الوقت الذي يتنزل فيه الله ﷻ إلى سماء الدنيا.

وكيف يتنزَّل؟ يتنزل بلطفه وعطفه ومغفرته وكرمه وإجابته ومعونته وليس يتنزل بمعنى نزوله هو؟ حاشا لله ﷻ، ولكن يتنزل بهذه المعاني، قال ﷺ: { إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ، نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ }[٢٥]

وإني أعجب من حال مجتمعنا، وأصبحت مشكلاته شبه معضلات، وباب الله مفتوحٌ لنا لحل هذه المشكلات، لكن أين الذي يقف على الباب وينادي حضرة الكريم الوهاب؟! فنحن نستغرق في النوم في هذه الساعة، ومعظم شبابنا يسهر حتى الواحدة أو الثانية وينام ويصلي الفجر بعد العاشرة صباحاً أو الحادية عشر، ونسي أن ساعة الإجابة هي التي حددها الله ﷻ: ﴿ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ وقال فيها ﷺ:

---

٢٥ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

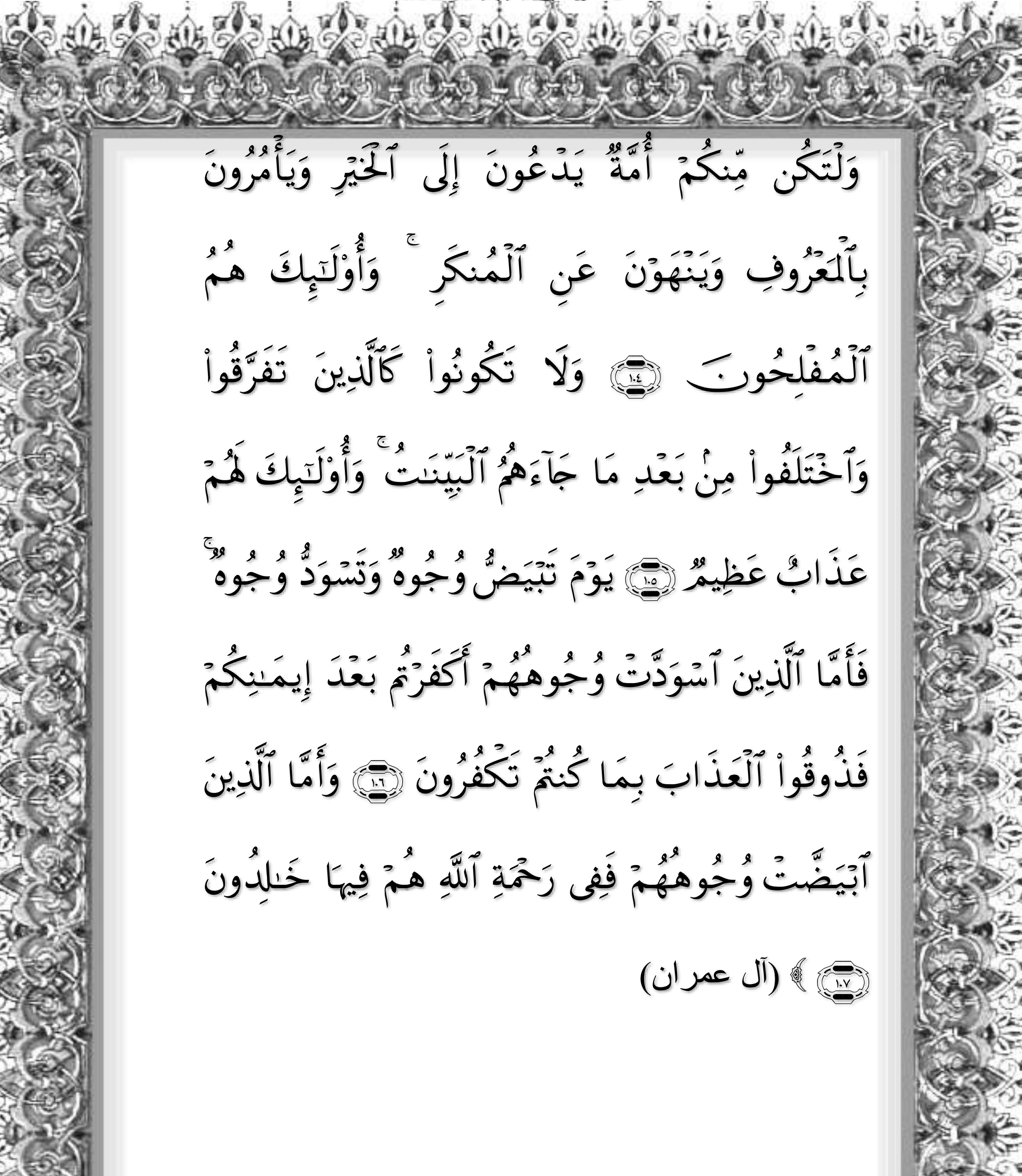
{ عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ }[٢٦]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٢٦ جامع الترمذي والبيهقي عن بلال ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾



وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (آل عمران)

٨- منازل حق التقوى[1]

القرآن الكريم من إعجازه مع أنه نزل منذ أكثر من ألفٍ وأربعمائة عام إلا أن خطابه متجدد للمسلمين وللمؤمنين على الدوام.

هذه الآيات التي نحن بصددها من سورة آل عمران ننظر إلى سببها وننظر إلى ما نحن فيه، حتى نعلم علم اليقين أن هذا الخطاب كما كان لأنصار النبي الأمين فهو لنا أجمعين.

المدينة المنورة سكنها قبل الإسلام قبيلتان أولاد عمومة جاءوا من اليمن هما الأوس والخزرج، نسأل الله ﷻ كما جمع شملهما وألَّف بينهما أن يجمع شمل المسلمين ويؤلِّف بينهم، ويُطفئ نار الحروب المشتعلة في ربوعهم !! ...وكانت الحروب دائمة ومستمرةً بينهم لمدة تقارب ١٤٠ سنة لا تنتهي، من هنا ومن هناك، ما الذي أطفأ نار هذه الحروب وألَّف بين هذه القلوب؟ أُلِّفت على يد الحبيب المحبوب ﷺ: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ (٦٣الأنفال) أصبحوا متآلفين متحابين متكاتفين.

---

[1] المنيا – العنبر ٣٠ من ذي الحجة ١٤٣٦هـ ١٣/١٠/٢٠١٥م

واليهود يموتون غيظاً إذا وجدوا المؤمنين مجتمعين، ولا يهدأ لهم بال حتى يُفرقوا بين المسلمين كما يحدث الآن، من الذي يحارب المسلمين؟ المسلمون، ومن الذي يقتل المسلمين؟ المسلمون، من الذي يثير الخلافات والحروب بين المسلمين؟ اليهود، وأمريكا وزعمائها خاضعين لسياسة اليهود لكي يبيعوا سلاحهم، ولكي يقضوا على الأمة الإسلامية، ويجعلوا الفُرقة هي السبيل بينهم، فهو نفس الأمر.

أحد اليهود مرَّ على الأنصار والمهاجرين، والأنصار أصبحوا لم يعد هناك فرقٌ بين الأوس والخزرج، فكانوا يتكلمون مع بعضهم ويضحكون وبينهم مسامرة، وبينهم حديث يُنبئ عن المودَّة والمحبة بينهم، وهذا الرجل كان من زعماء اليهود في المدينة وكان اسمه "شاس بن قيس" فعندما رأى الأوس والخزرج مؤتلفين وبينهم مودة ورضا وسرور اشتعلت نار البغضاء في قلبه، وهذه النار وصفها الله وقال فيها: ﴿ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ﴾ (١١٩آل عمران) وهذا الغيظ عند هؤلاء القوم، لكنه لا يكون عند المؤمنين أبداً، لأن المؤمنين قال فيهم الله:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا ﴾ (٤٧الحجر).

فأتي هذا الرجل بشاب من اليهود وقال له: اذهب واجلس مع هؤلاء القوم وذكِّرهم بالحروب التي كانت بينهم، وأن هؤلاء فعلوا بهؤلاء كذا يوم كذا ويوم كذا، وهؤلاء عملوا مع هؤلاء كذا في يوم كذا، وقل لهم بعض الشعر الذي قالوه يهجون بعضهم بعضاً، ذهب الشاب وجلس معهم ثم أمسك بخيط الحديث وبدأ يُحيي المعارك القبلية القديمة بينهم إلى أن تحركَّت النفوس، فسكنت القلوب وظهرت النفوس، وإذا ظهرت النفوس ظهرت كل معاني الحقد والحسد والشر والذنوب والآثام لأن الله قال فيها: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ (٥٣يوسف).

وبعد ذلك تحمس بعض الشباب، وبدأوا يتكلمون مع بعضهم بغير الأسلوب الذي تعوَّدوا عليه، وبعد ذلك عنَّفوا بعضهم، وبعد ذلك أسرع بعضهم لجلب السلاح، ويقول بعضهم: نعيد الكرَّة مرةً ثانية ....

فهؤلاء جلبوا السلاح والآخرون جلبوا السلاح وستقوم بينهم المعركة، والفتنة أشد من القتل، فأسرع بعض المهاجرين وذهبوا لحضرة النبي فأخبروه بما جرى، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ﷺ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى جَاءَهُمْ، فَقَالَ:

{ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ اللَّهَ، اللَّهَ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ إِذْ هَدَاكُمُ اللَّهُ لِلإِسْلامِ، وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَكُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفَّارًا "، فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا نَزْغَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ لَهُمْ، فَأَلْقَوُا السِّلاحَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وبَكَوْا، وَعَانَقَ الرِّجَالُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الأَوْسِ، وَالْخَزْرَجِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، قَدْ أَطْفَأَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّ اللَّهِ شَاسٍ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي شَأْنِ شَاسِ بْنِ قَيْسٍ، وَمَا صَنَعَ: ﴿ قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾ إِلَى قوله: ﴿ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ }[٢]

تنبيه المسلمين لمؤامرات الأعداء المتربصين

وكما نزلت هذه الآيات لهم، أيضاً نحن نحتاجها حالياً في هذا الزمن الذي نحن فيه:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ مع أنه قال في آية أخرى: ﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ ﴾

(٧٣آل عمران)

٢ تفسير القرآن لابن المنذر وأسباب النزول للواحدي

لا تستمع لأخبار، ولا تنساق لأقوال اليهود ولا من يعاونهم ولا من يناصرهم، مع أنهم يُشنِّعون علينا لأن وسائل إعلامنا لا تصلح لأنها صادقة وتتحرَّى الصدق، لكن وسائل إعلامهم عبارة عن خداع وضلال، وفسق وفجور، فما الذي نشر الفسق والفجور في بلاد الإسلام الآن؟ النت الذي انتشر وأصبح في التليفون الذي في أيدي أولادنا وبناتنا الصغار .... كان المسلم يحافظ ويصون أولاده ويقول لإبنته: لا تخرجي من البيت ولا تتكلمي مع أحد، لكنه الآن كيف يمنعها؟!! فالبنت في حجرة النوم ستتكلم، وهي في الخارج ستتكلم، ولا تتكلم فقط بل وتتشاهد من تكلمه ويروا بعضهم، ولا مانع أن تُعرِّي جزءاً من جسمها ليراها، وهذا ما يحدث الآن.

من الذي نشر هذا الفسق وهذا الفجور؟ هم هؤلاء القوم!

فقال لنا الله: ﴿ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ وليسوا كلهم، فمنهم أُناس على نسقٍ طيب وعلى نهجٍ صواب، لكن الأغلبية: ﴿ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ ﴾

وكيف يكونوا كافرين؟ أي مؤمن يُعلن الحرب على مؤمن فقد دخل في قوله ﷺ: { إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ }[٣]

٣ البخاري ومسلم عن نقيع بن مسروح رضي الله عنه

فالفرق المتطاحنة حالياً إن كان في سوريا أو في ليبيا، من الذي يحارب؟ مسلمين مع بعضهم، فهؤلاء يدخلون في هذا الحديث، لكن لا نسمع لمروِّجي الإشاعات والذين يُدْخلون جيشنا وشرطتنا في هذا الحديث، فهؤلاء لهم حديث آخر يقول فيه ﷺ:

{ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ }[٤]

من الذي يدافع عن أموالنا وعن أعراضنا وعن بلادنا؟ الجيش والشرطة، فهذا وضعٌ آخر غير هؤلاء، فهم يدافعون عن أعراضنا وعن أموالنا وعن بلادنا، فمن مات منهم فهو شهيد.

لكن الآخرين الذين يعلنون الحرب على بعضهم بدون سبب إلا حباً في الرئاسة، وطلباً للشُهرة وغيرها من الأمور الدنيوية، فالحرب الموجودة بين المسلمين الآن إن كان في الصومال أو في فلسطين وغيرهم، هل من أجل دين الله؟! أو هل من أجل الوطن؟! من أجل الرئاسة، وهل الإسلام يدعو إلى حرب من أجل الرئاسة؟! لا.

---

٤ جامع الترمذي والنسائي عن سعيد بن زيد رضي الله عنه

وعد الآخرة

مثل هذه الحروب التي تفشَّت بين المسلمين الآن، يعاتبهم الله فيقول: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ﴾ :

كيف نرجع كفاراً وفينا القرآن فيه شفاءٌ ورحمة للمؤمنين على الدوام؟! وفينا سُنة رسول الله ﷺ التي أخبر فيها عن كل شيء سيحدث لنا في الدنيا إلى أن تقوم الساعة، وبيَّن كل شيء يحدث في هذه الأيام وما بعدها إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، ونحن نعرف من ضمن بشرياته ﷺ والتي - والحمد لله - قرُب أوانها: { لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ حَتَّى، يَقُولَ: الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ }[5] .... لماذا قرُب وقتها؟ ومتى تكون؟

نسأل القرآن: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴾ (٥الإسراء)

---

٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

أين هي الآن؟ مصر، فقد أصبح الجيش ذو البأس الشديد، لكن قبل ذلك لم يكن الجيش ذو البأس الشديد الذي سيحارب اليهودموجوداً، والآن والحمد لله أصبح الجيش ذو بأسٍ شديد، صيته يرعب العالم كله، وذلك لنعرف أنه قد آن الأوان لتحقيق قول النبي العدنان ﷺ الذى ذكرناه قبل سطور.. { لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ ...}.

وكيف يتأتَّي ذلك؟

يأتي أناسٌ معهم بأس شديد، وماذا معهم مع البأس الشديد؟ معهم صواريخ، ومعهم حاملات طائرات، ومعهم كل الأسلحة العصرية الحديثة التي يستطيعون أن يجابهوا بها هؤلاء الذين جهزَّهم الكفار ليدخلوا على المسلمين، ويحتلُّون بلدهم، ويجلسون في عُقر دارهم، ويعلنون الحرب على المسلمين، حربٌ لا تنفع بمظاهرات، ولكن تحتاج إلى:

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (٦٠الأنفال) فبدأ الأمر يتضح الآن.

حق التقوى

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾:

أي مَن يستمسك بما بينه وبين الله من صلة قلبية، ومن رابطة إيمانية تجعل الله ﷻ دائماً منه على بال، ولا يعزب ﷻ عن قلبه نَفَساً ولا أقلُّ، إذا جلس يتذكَّر أن الله يراه، وإذا تحرَّك لا يتحرَّك لأمرٍ إلا إذا علم أن فيه رضا لله، وإذا قال لا يقول قولاً إلا إذا علم أن الله يحب هذا القول ويرضاه. ... وهؤلاء هم الذين وصفهم الله فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ قيل: { يا رسول الله وما حق تقاته؟ فقال ﷺ: أَنْ يُذْكَرَ فَلا يُنْسَى، وَيُطَاعَ فَلا يُعْصَى }[٦].

حق التقوى، ودوام المراقبة لمعية الله لخصها الله في جملة واحدة في كتاب الله جل في علاه: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (٤الحديد)

٦ الزهد الكبير للبيهقي عن ابن عباس ﷺ

إذا وصل الإنسان إلى هذا الحال، فقد وصل لحق التقوى، والتقوى الأقوى التي بيَّنها الله ﷻ وهي لأهل الخصوصية، أما العوام فقالوا: وَمَنْ يَقْوَى عَلَى هَذَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ (١٦التغابن)

فهنا مقامان: مقام العوام، وهذا يتقي الله على قدر استطاعته: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ (٢٨٦البقرة) ومقام الخواص هو - كما قلت - يراقب الله ﷻ على الدوام، ودائماً يرّن في أُفق قلبه: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ ﴾ (٧المجادلة) يشعر باستمرار أن الله يطلع عليه ويراه.

وأظن أنكم تعلمون جميعاً أن خيرة أصحاب رسول الله هم الذين وصلوا إلى هذا المقام، وتحكي السيرة العطرة مواقف مشهودة لهم في هذا الميدان.

وخيرة أهل الإسلام في كل زمانٍ ومكان الذين نسميهم الأولياء والصالحين والعارفين الذين وصلوا إلى هذا المقام، والذي يراقب الله ﷻ على الدوام، ويجعل الخلق خلف ظهره ولا ينظر إلى قوله أو فعله إلا إلى ربه ﷻ.

ومع أنه قد وصل إلى هذا المقام إلا أنه يعلم علم اليقين أن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه حيث يشاء، خائف، ومن خاف سَلِمَ، خائف من سوء الخاتمة، خائف من المكر الإلهي، خائف من قول الله ﷻ: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ (٣٩الرعد) الذي بشَّره حضرة النبي ﷺ وهو سيدنا أبو بكر ﷺ:

{ عندما دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ وَإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَالأُخْرَى عَلَى عُمَرَ، فَقَالَ: " هَكَذَا نُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "}[٧]

ومع ذلك كان يقول: ((لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي في الجنة)).

صاحب العصمة نبي الله يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتمُّ السلام، كان كل ما يتمناه: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١٠١يوسف).

سيدنا إبراهيم الخليل وأبناؤه الطيبون المباركون، ماذا كان دعاؤه لأولاده؟

وماذا كانت وصيّته لأولاده وأحفاده حتى نتعلم؟

---

٧ الحاكم في المستدرك والترمذي عن ابن عمر ﷺ

دعاؤه لأولاده وأحفاده:

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ (٤٠إبراهيم) يدعو لهم بإقامة الصلاة هم والذرية، وكرر الدعاء بنفس المعني: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (٣٧إبراهيم) .

أهم شيء يبحث عنه هو إقامة الصلاة: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١٣٢البقرة).

حسن الخاتمة

﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾:

حاول أنك تؤمِّن نفسك بحُسن الخاتمة، وحُسن الخاتمة يحتاج البعد عن الكبائر والصغائر والمعاصي كلها ما ظهر منها وما بطن، لقوله عليه أفضل الصلاة وأتم السلام: { يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ }[8] .

٨ صحيح مسلم ومسند أحمد عن جابر رضي الله عنه

من الجائز وأنا في طاعة الله، وسوَّلت لي نفسي في لحظة معصية، واسترسلتُ معها، وجاء الموت!!، فسأبعث على هذه المعصية، وحضرة النبي ﷺ حذَّر من ذلك فقال:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ }[٩]

ونحن لا نخاف لأنها ليست لنا، ولكن للمنافقين الذين يعبدون الله طلباً لرضاء خلق الله، وليس لله، لكن من يعبد الله لله فهو خارج هذه الآية:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ }[١٠]

علينا الإستعداد لحُسن الخاتمة:

- بترك المعاصي بالكلية .
- وبالمواظبة على الأوامر التي أمرنا بها رب البرية، والمتابعة في أدائها للحضرة المحمدية.، وأن نُحسن الظن بالله على الدوام، فالمؤمن دائماً علامته حُسن ظنه بربه، قال الله تعالى في حديثه القدسي: { أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي }[١١]

---

٩ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
١٠ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
١١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

فمن يظن خيراً يجد خيراً!

ولذلك:

{ دَخَلَ النبي ﷺ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُكَ، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ "}[12]

ولذلك المؤمن يُحسن الظن بالله، ولا يظهر ذلك إلا في أوقات الشدائد، فكثير من المؤمنين في أوقات الشدائد والصعاب تتغير أحواله وتنقلب أطواره، ويبدأ أحياناً تهتَّز ثقته بالله ﷻ في نفسه، وأحياناً يعاتب الله ويقول: لماذا تفعل بي كذا وكذا؟ وأحياناً - وهذا أقسى - يشكو الله إلى خلق الله، وماذا يصنع لك الخلق؟!! يقول: لا أعلم لماذا يفعل ربي بي هكذا؟ وأنا أصنع كذا وكذا؟ ويُثني على نفسه!!، لكن اجعل نفسك دائماً حسن الظن بالله ﷻ، قال ﷺ:

{ عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ }[13].

---

١٢ جامع الترمذي وابن ماجة عن أنس رضي الله عنه
١٣ صحيح مسلم عن صهيب الرومي رضي الله عنه

وقال ﷺ: { نبيكم ﷺ خيَّره ربه وبُعِثَ إِلَيه مَلَكٌ لَمْ يَعْرِفْهُ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ تَعَالَى يُخَيِّرُكَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا أَوْ نَبِيًّا مَلَكًا، فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ تَوَاضَعَ، قَالَ: " نَبِيًّا عَبْدًا "}[14]، وفي حديث آخر: { عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي، ﷻ أَنْ يَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا، فَقُلْتُ: لا يَا رَبِّ، وَلَكِنْ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا، فَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ، وَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَدَعَوْتُكَ }[15]

هل يجوز لمسلم؟ بعد ذلك إلى يوم الدين .... أن يستقيم له الأمر على حالة واحدة من هذه الأحوال؟ ... لا بد أن يتقلب بين هذا وذاك، ليظهر إيمانه، وتظهر تقواه، ويظهر له حسن المتابعة لحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

الخلاص من نكبات العصر

ما الخلاص من نكبات المؤمنين في هذا الزمان وفي هذا العصر والأوان؟ وفي كل البلدان؟ وفي كل مكان؟

هذه الروشتة الإلهية: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ :

١٤ السنن الكبرى للبيهقي
١٥ شعب الإيمان للبيهقي عن أبي إمامة رضي الله عنه

نستمسك بحبل الله، وحبل الله هو دين الله الذي أنزله على حبيبه ومصطفاه، وهو كتاب الله الذي أنزله الله ﷻ كتاباً جامعاً للأولين والآخرين، وهو رسول الله ﷺ لأنه هو الوصلة بين الله وبين خلقه، فكل هذا من معاني حبل الله ﷻ.

فحبل الله هو .... كتاب الله، .... وهو رسول الله، ...وهو دين الله:

نستمسك بهذا الدين القويم، ونقتدي بالنبي الرءوف الكريم، ونعمل بالكتاب الذي أنزله الكريم على النبي الكريم، إذا مشينا على هذا المنهاج فقد ذهبت الفتن والمحن والإحن وجاء الخير وجاء الفضل والمنن.

داء الفرقة

وأهم وصية بعد الإعتصام بحبل الله: ﴿ وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾:

سر المشاكل بين المسلمين كلها الفرقة،والفُرقة أكبر كبيرة يقع فيها المسلم، ولا يدري ولا يحس ولا يشعر أنها أكبر الكبائر عند الله ﷻ.

سيدنا هارون أعطاه سيدنا موسى النيابة عنه وقال له: أنت تنوب عني في بني إسرائيل لحين أن أناجي الله في جبل الطور وأرجع، وبمجرد أن غادر قام قوم منهم لم تكن بشاشة الإيمان قد خالطت قلوبهم، ورأوا جماعة بعد أن عبروا إلى سيناء هناك في الجهة الأخرى يعبدون أصناماً صنعوها بأيديهم،

فقالوا: نريد أن نكون مثل هؤلاء، فاجعل لنا آلهة إما من الخشب أو من الحجر، فأخذهم سيدنا هارون بالرفق وباللين، لم يعتقلهم ولم يقتِّلهم ولم يحاكمهم، ولكن أخذهم بالرفق واللين حتى رجع أخوه موسى، فعندما رجع سيدنا موسى وجد قوماً يعبدون العجل، فأمسك بأخيه من لحيته ومن رأسه - وكان سيدنا موسى شديداً -وقال: تركتهم لك مؤمنين وتتركهم أنت حتى صاروا كافرين:﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (٩٤طه). أنا تركتهم حتى لا يتفرقوا، لأنهم لو تفرقوا فلن يجتمعوا عليك ولن يسمعوا لك مرةً ثانية، لكنهم الآن يمكن أن تردَّهم وتعيدهم وتخلصهم من الأفكار التي سيطرت عليهم وتردُّهم إلى حظيرة التوحيد، وعبادة الحميد المجيد، ماداموا موجودين في وسط الجماعة، لكن أعلن الحرب عليهم فينعزلوا، وإذا انعزلوا يستحيل ضمُّهم مرةً ثانية.

فكان هذا سر حكمة هارون في ذلك، ولذلك يسمَّى هارون حكيم الأنبياء، ولماذا كان حكيماً؟ لأنه تركهم مع المعاصي حتى يأتي من هو أقدر منه لعلَّ الله ﷻ يعينه ويخلصهم من هذا الشرك، لكن لو أنه بدأ معهم بالشدة كان من الممكن أن يعتزلوا فلا يسمعوا لموسى بعد ذلك، ولا يستمعوا لأحد من قِبَل موسى لأنهم افترقوا وأصبحوا فريقاً يظن أنه على حق وأنه على خير.

فالفُرقة هي آفة الأمة في كل زمانٍ ومكان، ولذلك حذَّرنا منها الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾.

تذكر النعم الإلهية

وتذكروا دائماً: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ دائماً الإنسان يتذكَّر نعم الله عليه، والتي خصَّنا الله بها دون الخلق، فالناس الذين يعيشون في الدنيا ومشغولين بها بالكلية نظرتهم دائماً من ناحية الأسباب الدنيوية والخيرات المعيشية، تجدهم دائماً يشتكون، فيقول: لماذا ونحن مسلمين ونصلي ونصوم وأهل أوروبا وأهل أمريكا كفاراً وعندهم الخيرات وعندهم الأموال وعندهم المتع الدنيوية؟ هؤلاء قال فيهم ﷺ:

{ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }[16]

ومع ذلك لو ملك إنسانٌ الدنيا كلها بما فيها ومن فيها، وأحياه الله ﷻ عمر الدنيا، ولم يهب له الإيمان، فماذا أعطاه؟!! لأنه في يومٍ من الأيام سيخرج منها إن آجلاً أو عاجلاً، ما الذي ينفعه غير الإيمان بالله ﷻ؟!!.

١٦ صحيح البخاري والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما

فالله ﷻ أمرنا أن نذكر دائماً هذه النعم، نعمة الإيمان، ونعمة الإسلام، ونعمة الهداية، ونعمة النبوة، ونعمة القرآن، ونعمة الصلاح، ونعمة الإستقامة، .. هذه النعم العظيمة التي أقامنا فيها، ونعمة واحدة منها خيرٌ من عمر الدنيا كلها من أولها إلى آخرها، لأنها نعمٌ من الله وليست من الأرض ولا من السماء، خيرات هؤلاء القوم من الأرض، أو من السماء، لكن الخير الذي آتاك: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (٨الحجرات) هذه النعمة من أين أتت؟ ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (الشورى).

إذا نسي المؤمن ذكر هذه النعم الإيمانية فيأتيه الإكتئاب النفسي، وتدخله النفس في ظلماتها النفسية، وأهوائها الدنيوية، وتحاول أن تجعله يتراخى عن الطاعات، ويتكاسل عن العبادات، ولا يتسابق في الخيرات، وينعي حظه، وينظر إلى من هو أعلى منه في هذه الحياة الدنيا، مع أن الحبيب ﷺ قال: { **انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ وَلا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرِي نِعْمَةَ اللَّهِ عِنْدَكَ** }[١٧]

---

١٧ معجم الطبراني عن أبي ذر ﷺ

دائماً قارن هذه بتلك، نعمة الإيمان هي النعمة العُظمى التي أمرنا الله ﷻ أن نذكرها، ونذكرها على الدوام.

﴿ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ ﴾ وهذا من الله، وهل الحب منا أم من الله؟ أحياناً

بعض الناس يقولون: لماذا يحب هؤلاء هذا الرجل؟ وهذا الشيء الوحيد الذي لا يستطيع أحدٌ أن يفعل فيه شيء، هل يستطيع أحدٌ أن يُعطي قرص برشام من الصيدلية ليزيد بها المحبة عند أُناس معينين؟! حبة المحبة تأتي من عند الله ﷻ، أو من سيد الأحبة ﷺ.

وكوني أُحب الله، وأحب رسول الله، وأحب المؤمنين بالله، وأحب أعمال الخير، والتسابق في الصالحات، فهذا فضل عظيم لا يستطيع أن يقدره أحدٌ من عباد الله ﷻ أبداً، أصحاب حضرة النبي عرفوا هذا الكلام، فكانوا حتى وهم يعملون يغنون ويقولون:

اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلاً سكينة علينا وثبِّت الأقدام إن لاقينا

متى يكون المؤمن على حالٍ طيبٍ على الدوام؟ كما قلت: إذا تذكر فضل الله عليه بالإسلام والإيمان والهداية والقرآن والنبي العدنان وإخوانه من المؤمنين في كل زمانٍ ومكان، فهذه دائماً تكون على البال، قال ﷺ: { **إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا لِمَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لا يُحِبُّ، وَلا يُعْطِي الدِّينَ إلا مَنْ يُحِبُّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ** }[١٨]

١٨ شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

ضع نفسك في هذا الحديث، وإياك أن تظن أن الدنيا عطاء، ولكن الدنيا بلاء، قال الذي أعطاه الله ﷻ مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده: ﴿ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (٤٠النمل).

سيعطيني المال، فإذا صحبه التوفيق وأخرجت منه حق الله، وتحريت تحصيله من حلال، وأنفقته فيما يحبه الله ويرضاه، أدخل في قول حبيب الله ومصطفاه:

{ نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ }[19]

أمامي المال وتخلى عني ﷻ بعنايته، فجعلت أنفقه في الشهوات وفي الأهواء الفانيات، وقد تأخذني العزة بالإثم فأتدخل في قوانين الله فأُعطي الأولاد وأحرم البنات، فأدخل في قول الحبيب عليه أفضل الصلاة وأتم السلام: { من قطع ميراثا فرضه الله ورسوله قطع الله به ميراثه في الجنة }[20]

لكن ما دليل فضل الله؟

---

١٩ صحيح ابن حبان عن عمرو بن العاص ﷺ

٢٠ رواه البيهقي عن أبي هريرة، كشف الخفاء وروى ابن ماجه عن أنس ﷺ بلفظ { من قطع ميراث وارثه قطع الله ميراثه من الجنة،

الإيمان والإسلام والإستقامة والطاعة والمحبة والمودة لإخوانك المؤمنين.

﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ من الذي أنقذنا من النار؟

عناية الله، ورعاية الله، فلا يوجد أحدٌ منا عرض على قلبه الإسلام، ولكن يُعرض على سمعك، لكن من الذي كتب في القلب؟ الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ (٢٢المجادلة) من الذي كتب في قلبي وقلبك؟ الله، ولذلك قال للحبيب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (٥٦القصص)، ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ (٧٣آل عمران).

النصح للمؤمنين

الأمر الهام الذي يُركِّز الله ﷻ عليه أيضاً في صلاح المؤمنين، أننا نعمل كلنا كما وصَّى حضرة النبي الصحابة والتابعين بقول الله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ كان أصحاب حضرة النبي يقولون ذلك، كسيدنا جرير بن عبد الله ﷺ قال: { بَايَعْتُ النَّبِيَّ عَلَى النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ }[٢١]، وكان الصحابة المباركين كسيدنا أنس وسيدنا أبو هريرة وغيرهم، كانوا يقولون مثل ذلك أو معناه.

ما الذي ضيَّع المسلمين في هذا الزمان؟ لا أحد يريد أن ينصح أحداً، ويقول: ليس لي شأنٌ بذلك، فليصنع مايشاء فهو حُرٌّ، وهذا يقول: ليس لي شأنٌ، والآخر يقول: ليس لي شأنٌ، ولذلك الأمور أصبحت كما نرى الآن، والبعض يرى أن هذه المهمة على الجماعة الذين يقفون على المنابر وانتهى الأمر، وهذا غير صحيح، وإلا لم يقل الله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ لم يقل: من العلماء، ولكن (منكم) كلكم، لماذا؟

---

٢١ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ صحيح مسلم

لأن حضرة النبي ﷺ قال: { مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ }[٢٢]

إذا كان عالماً يُغيّر بلسانه، وإذا كان في بيته فيُغيِّر بلسانه ويده، وإذا كان بعيداً عني أيضاً يحاول أن يغير، ولو بأضعف الإيمان أي أُغيِّر بقلبي، يعني لا أرضى عن هذا الفعل، وكوني غير راضٍ عن هذا الفعل يعني معناها أنني لا أتعامل مع هذا الشخص الذي وقع في المنكر، فلو أن المسلمين اجتمعوا على عدم التعامل مع رجلٍ لسوء سلوكه فسوف يندم، ويحسُّ بالندم، ويريد أن يرجع مرة ثانية لجماعة المؤمنين، وفى الأثر: { أن ملكاً أمر أن يخسف بقرية، فقال: يا رب إن فيها فلاناً العابد، فأوحى الله تعالى إليه أن به فابدأ فإنه لم يتغير وجهه في ساعة قط}[٢٣] قال أهل العلم رأوا المنكر ولم يغيّروه وخالطوهم وشاربوهم وآكلوهم، وقال ﷺ فى ذلك فى الحديث الشريف :{ إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها، وقال مرة: فأنكرها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها }[٢٤]

لأنهم يعلمون أنهم يأتون المنكر، وماذا نفعل كمؤمنين؟ لا بد أن نتواصى كلنا بالحق، والحق يحتاج للصبر، فنصبر عليه، فننصح بعضنا بالحق والصبر.

---

٢٢ صحيح مسلم والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه
٢٣ ورد فى (التذكرة في أحوال الموتى) سفيان بن عيينة عن مسعد
٢٤ أبو داود عن العرسبن عميرة الكندي

وتحتاج منا الحكمة والموعظة الحسنة، فأنا على سبيل المثال جئت لأُصلي، وأولادنا الشباب في الشارع، ويسمعون الآذان فأقول لهم: السلام عليكم يا أولاد، هيا معي لنصلي، بطريقة لطيفة وليس فيها شيء، وحتى ولو لم يستجيبوا لي فإنهم عندما يروني سيستخفون ويستحيون مني.

أو أقول لآخر: لماذا تجلس يا فلان، ألم تسمع آذان الجمعة؟ والمفروض أن ندخل المسجد قبل صعود الخطيب على المنبر، فهيا بنا لننال هذا الثواب اليوم.

كان أهلينا السابقين رحمة الله عليهم - مع أنهم كانوا أميين - يقومون بهذه الأشياء، نحن الآن أمسكنا في السلبية، ويقول أحدنا: أنا ليس لي شأنٌ، ولماذا أنا من يتكلم؟ حتى دخلت السلبية في داخل الأسرة، الأم تقول: هذا الولد أو هذه البنت تفعل كذا وكذا، يقول الأب: وما شأني تصرفي أنت معها.

لا يريد حتى التعرض للمسئولية نحو أبناؤه، الإسلام ليس كذلك، المؤمنين كلهم لا بد أن يتكاتفوا ويسعوا إلى جمع شمل المسلمين على طاعة الله، وعلى العمل بكتاب الله، وعلى تنفيذ سنة رسول الله ﷺ.

من يفعل ذلك قال فيه الله: ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ الذين ينالون الفلاح، والفلاح يعني الفوز العظيم في الآخرة إن شاء الله: ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩النساء).

ولكي آمر بالمعروف ويُسمع لي لا بد وأن أبدأ بنفسي، وهذه هي الخُطة، قال ﷺ: { ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيءٌ فَلأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا }،.وفى رواية أخرى : { إِذَا أَنْعَمَ الله عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ }.[٢٥]

أبدأ بنفسي أولاً، وبعد ذلك من معي زوجتي وعيالي، ثم أهلي؛ الأقرب فالأقرب، وما دمت بدأت بنفسي وبأهلي فلن يعترضني أحد، وستكسوني هيبة، وراثة لرسول الله من الله، وسأدخل في قول القائل في حق رسول الله: { مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ }[٢٦].

٢٥ الأول رواه النَّسائي من حديث جابر بن عبد الله والأثانى في الطبراني من حديث جابر بن سُمرة.
٢٦ جامع الترمذيعن علي بن أبي طالب ﷺ

من يرى رسول الله ﷺ يهابه، وهذه الهيبة إلى أي مدى؟ كان مداها لسفر شهراً، قال ﷺ: { نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْر }[٢٧].

بينه وبين الأعداء شهر، وعندما يُعلن أنه ذاهب يتفرقوا، الروم في أهل الشام جهَّزوا جيشاً من خمسين ألف جندي وعزموا على أن يذهبوا إلى المدينة ويقضون على هذا النبي العربي بعد أن أرسل لهم الرسائل، فجهَّز حضرة النبي جيشاً، وبمجرَّد أن خرج من المدينة لا يعلم أحدٌ ماذا حدث لهؤلاء الأعداء، ذهب ووصل إلى تبوك، مسافة حوالي سبعمائة كيلومتراً، فلم يجد أحداً هناك، تفرقوا كلهم رًعباً إلهياً من حضرة النبي ﷺ.

قذف في قلوبهم الرعب، والرعب سلاحٌ موجود يسلِّح به الله كل مؤمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجعله مسموع القول، ولا أحد يقدر على اعتراضه، ولا ينتقده، لأن هيبة الله ﷻ تكسوه، ولسان الحق ﷻ يعلوه، وكلامه مسموعٌ على الدوام.

فلابد للمؤمن أن يبدأ بنفسه، وبعد ذلك أهله، وبعدها من حوله، ويكون على صلة بالله، بحيث أنه عندما يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فيكون معه دعوة مستجابه يدعو بها الله لمن يدعوه فيتحقق الأمر .... لا بد أن يكون معه الدعوة المستجابة، ونسميه الحال الذي يصلح به العبيد بأمر من الحميد المجيد ﷻ.

---

٢٧ صحيح البخاري عن جابر ﷺ

الشيخ معروف الكرخي رحمة الله عليه، وكان من كبار الأولياء في العراق، كان ماشياً مع تلاميذه، ورأوا جماعة من الشباب يركبون قارباً ومعهم آلات موسيقية وخمراً ويرقصون ويغنون، فالذين معه قالوا له: أُدع عليهم، قال: ولم أدعُ عليهم؟! ثم قال: ((اللهم كما فرحتهم في الدنيا، ففرحهم في الآخرة)) دعا لهم، ودعاؤه كان مستجاباً - حتى وقتنا هذا الدعاء في قبره هناك مستجاب - وبعد برهة وجدوا هؤلاء الشباب كسَّروا آلاتهم، وحصل لهم حالة ندم وحالة وجل ورأوا الشيخ معروف فأسرعوا إليه وقالوا له: نريد أن نتوب إلى الله على يديك، ونرجع إلى الله ﷻ، فقال لتلاميذه: هذا ما يحتاجه هؤلاء .... فلو صنعوا كالمتشددين وذهبوا إليهم وأوجعوهم ضرباً، فهل يتوبون إلى الله ويرجعون إلى الله؟ لا، بل ستأخذهم العزة بالإثم.

فليكن عندك هذا الحال، تأمر نفسك أولاً، ثم من حولك ثانياً، فيكون لك حالٌ مع الله تدعوا الله فيستجيب لك الله، فيغير بك ولك ما تريد من خلق الله إلى المنهج القويم الذي يحبه الله، والذي كان عليه حبيب الله ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه.

وهذا كان حال الصالحين على الدوام؛ كانوا على هذه الكيفية، كانوا يذهبون إلى قطاع الطرق ويرجعوهم إلى الله تائبين، ويذهبون لكبار المجرمين ويُتَوِّبوهم توبةً نصوحاً إلى رب العالمين بهذه الوسيلة ... فلو قابل أحدهم واحداً من هؤلاء وقال له: لم لا تصلي إنك كافر وأنت كذا وأنت كذا، فالنتيجة أن يشتمني أو يمشي ويتركني ولا يسمعني.

لكن لو أخذته بالطريقة الحكيمة التي مشى عليها حضرة النبي وصحبه الكرام، سيهتدي، وسيدخل الناس في دين الله ﷻ على يَديَ أفواجا، قال ﷺ عندما قرأ هذه الآية: ﴿ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ : {الخير اتباع القرآن وسنتي }[28]

ثم عاد الله ﷻ وأكَّد على سبب المشاكل كلها:

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ :

كما هو حاصلٌ في عصرنا الآن، كان إلى عصرٍ قريب بلادنا كلها على قلب رجلٍ واحدٍ، فعلوم الأزهر الوسطية هي المسيطرة على كل البقاع في بلادنا وفي مصرنا، لا فيه نزاعات، ولا فيه مشاكل، ولا فيه خلافات، وإذا حدث يذهبون لرجلٍ من علماء الأزهر، وكلهم في كل البقاع رجلٌ واحد لأن الرأي وسطي واحد.

---

٢٨ قال أبو جعفر الباقر: قرأ رســـول الله ﷺ {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ} ثم قال {الخير اتباع القرآن وسنتي } رواه ابن مردويه .

أصبحت الآن كم طائفة تدعو إلى الإسلام؟! وكل طائفة لها رأي مخالف للثانية، وكل طائفة تشكك في الأخرى، بل والعياذ بالله تكّفِّر الأخرى، وجاعلين أنفسهم أن معهم الصكِّ الإلهي، من يقولون عنه مسلم فهو مسلم، ومن لا يوافقوا عليه فهو غير مسلم، فهذا الصك كيف يكون معكم؟! إذا كان الحكم لرب العالمين ﷻ.

وهذه الخلافات تبينها هذه الآيات: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ ﴾ :

اختلفوا في مسائل الدين التي لا تستوجب خلافاً، فعندما ننظر إلى العلماء الأجلاء الذين تعلمنا منهم، كلهم يبينون من سُنة رسول الله ومن كتاب الله، ولكن كل واحد أخذ وجهة نظر، ولذلك هم يكمِّلون بعضهم ولا يحاربون بعضهم ... فتجد المذاهب الأربعة كلها جاءت من عند رسول الله، ومن كتاب الله، ولم يكن هناك خلافات بينهم.

لكن كما نرى الآن، كل واحد له رأي، ويريد أن يكون رأيه الصواب وآراء غيره هي الباطل والعياذ بالله ﷻ، لكن لم يكن هكذا أصحاب حضرة النبي ولا التابعين ولا تابع التابعين، ولا حتى إلى العصر القريب المعاصرين من المسلمين.

لأننا لو نظرنا إلى الأمور الخلافية نجدها كلها أمورٌ هامشية في دين الله ﷻ، هل يوجد خلاف جذري بين الطوائف الإسلامية؟ لا، فالفرائض التي فرضها علينا الله في الصلاة خمس فرائض، ولا خلاف في ذلك،

وهل يوجد خلاف في عدد الركعات؟ لا، وهل يوجد خلاف في هيئة الركوع والسجود؟ لا، وهل يوجد خلاف في صيام شهر رمضان؟ لا، وهل يوجد خلاف في مناسك الحج؟ لا، وهل يوجد خلاف في فروض الزكاة؟ لا، فهذه هي الأمور الأصلية التي جاءنا بها حضرة النبي ﷺ.

جئنا نحن بالأشياء السطحية وجعلناها على السطح، وجعلناها أساسية، وقسَّمنا الأمة وفرقنَّاها بسبب هذه الأمور، وجعلناها خلافات، مع أنها أمورٌ شكلية وليست أصلية في الشريعة المحمدية ... وكلها واردة عن رسول الله ﷺ، والأمثلة في هذا المجال كثيرة ولا أريد أن أُطيل عليكم، ولكن أمر الله ﷻ الواضح أننا دعاة جمعٍ لا دعاة تفرقة، نجمع إخواننا المؤمنين على الأصول الواردة في كتاب الله، وعلى يد سيد الأولين والآخرين، وكل من فرَّق شمل المسلمين بسبب شيء هامشي في الدين فليس منهم، لأنه لو كان من المؤمنين: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ (٩٢الأنبياء) أمة واحدة

أحرص على التوحيد، واختلاف وجهات النظر فهذا سعةً في الدين، لأن هذا مريض فله حكمٌ معين في أداء الطاعة، والمرأة لها حكمٌ في أداء الطاعات غير الرجل، والشاب غير الرجل العجوز، ومن يسكن في بلاد حارَّة غير من يسكن في بلاد باردة، ولأن الدين واسع فقد أتى بكل الأحكام، ولن يقدر أحدٌ أن يقوم بكل هذه الأحكام ولكن آخذ جزءاً واحداً منها:

وكلهم من رسول الله ملتمس رشفاً من البحر أو غرفاً من الديم

الجماعة الذين هم قادة التفرقة في هذا العصر وفي كل عصر، حذَّرنا منهم الله ﷻ تحذيراً شديداً فقال: ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ لأنهم هم من فرقوا أمة الحبيب، وشوهوا صورة الإسلام في العالم كله بين الأنام، وسيأتي يوم يظهر مكنون ما في الصدور على الوجوه، فالشيء المكنون لا يطلع عليه إلا الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، لكن هناك في الآخرة تأخذ الوجوه صبغة القلوب، فالقلب التقي النقي الخالي من الأحقاد والأحساد والعيوب يكون صاحبه وجهه كله نور، ولو كان أسود اللون حتى قال ﷺ في بعضهم مبشراً وحاثاً لأهل الإيمان المتحابين فى الله:

{ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ فِي رَأْسِ الْعَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ يُضِيءُ حُسْنُهُمْ أَهْلَ الْجَنَّةَ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ أَهْلَ الدُّنْيَا }[٢٩]

فيكون وجهه منيراً لأهل الموقف كلهم.

٢٩ اتحاف الخيرة المهرة للبوصيري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ ﴾:

من الذي يسود وجهه؟

﴿ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ ﴾ (٦٠الزمر) كيف كذب على الله؟

يدَّعي أن هذا في دين الله وهو ليس في دين الله! وجاء به لهواه أو لحظه أو جماعته أو فئته! يكذب على الله ويدعي أنه من كتاب الله، أو المنهج الصحيح على لسان حبيب الله.

﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ ﴾ :

فتظهر حقيقة القلوب على الوجه أمام علام الغيوب، وأمام الخلق أجمعين يوم الدين إن شاء الله، نسأل الله أن يبيض وجوهنا أجمعين.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾:

يعاتبهم الله، والعتاب هنا ليس للكفار الأصليين، ولكن للمسلمين الذين حرفُّوا في الدين، لأنهم كفروا بعد الإيمان:﴿ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦ ﴾.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ ﴾:

حافظوا على الأصول، وعلى المنهج الموصول الذي جاء به الله ﷻ، وبيَّنه ووضحه حضرة الرسول، هؤلاء:

﴿ فَفِى رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ :

رحمة الله معهم في الدنيا بالإستقامة والتوبة والإنابة والحب والقرب والوداد والخشوع والحضور والورع والزهد، ورحمة الله معهم في الآخرة بالنظر إلى وجه الله، وما أعد الله ﷻ لهم من تكريم، وما جهَّزه لهم من ألوانٍ عظيمةٍ في جنة النعيم.

نسأل الله أن نكون من هذا الصنف أجمعين.

ونسأل الله ﷻ أن يحسن أعمالنا، وأن ينقِّي قلوبنا، وأن يطهر نفوسنا، وأن يُقوِّم إعوجاجنا، وأن يجعل فيه ﷻ دائماً وأبداً أملنا، وأن يجعلنا لا نعتمد إلا عليه، ولا يكون لنا وجهة إلا إليه، وأن يجعلنا من الذين إذا أذنبوا استغفروا، وإذا أحسنوا استبشروا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (آل عمران)

٩- منازل المغفرة والجنة[1]

ينبغي على كل مؤمن ليزداد يقيناً، ويزيد اعتقاده في رب العالمين، ولا تهتز ثقته في الله ﷻ في أي وقت وحين أن يتذكر ويَذْكُر نِعَم الله ﷻ التي لا تعد على المؤمنين، وهذه النعم لا يستطيع أحد من الخلق - بل لو اجتمع الخلق جميعاً - على أن يعدوها عداً لن يستطيعوا: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (٣٤إبراهيم) ومن جملة هذه النعم الآيات التي بين أيدينا من كلام رب القدرة، وفالق النسمة ﷻ.

قال بعض الصحابة لرسول الله ﷺ:

{ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بَنُو إِسْرَائِيلَ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنَّا؟ ! كَانُوا إِذَا أَذْنَبَ أَحَدُهُمْ أَصْبَحَتْ كَفَّارَةُ ذَنْبِهِ، مَكْتُوبَةً فِي عَتَبَةِ بَابِهِ: اجْدَعْ أُذُنَكَ، اجْدَعْ أَنْفَكَ، افْعَلْ ! فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ فَنَزَلَتْ: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقَرَأَ هَؤُلاءِ الآيَاتِ }[2]

---

[1] المنيا – سمالوط – ساقية داقوف ١من محرم ١٤٣٧هـ ١٤/١٠/٢٠١٥م
[2] جامع البيان للطبري، وتفسير القرآن لابن المنذر

كان اليهود إذا ارتكب الرجل منهم ذنباً يصبح فيجد - ويجد الجميع - الذنب مكتوباً على باب بيته، فلان قتل، فلان سرق، فلان زنا، فإذا أحس بالندم والوجل وذهب إلى النبي الذي يوجد في زمانه – وكان أنبياء بني إسرائيل كثر – ورأي الله ﷻ منه صدق التوبة يصبح فيجد مكتوباً على بابه الطريق الذي يتوب به الله ﷻ عليه.

أصحاب حضرة النبي ﷺ سمعوا المقطع الأخير هذا، فقالوا: يا رسول الله لماذا نحن إذا وقعنا في الذنب لا نجد مكتوباً على بيوتنا إرشاداً يوجهنا إلى طريق التوبة من هذا الذنب، ولم يلتفتوا إلى الفضيحة الأولى، فأنزل الله ﷻ هذه الأيات.

المسارعة إلى المغفرة

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾:

فقط سارعوا للمغفرة، لأن الله ﷻ جعل للمؤمنين أعمالاً لا تعد، كل عمل منها جزاءه المغفرة، عندما يسمع المسلم الأذان ويلبي نداء الرحمن، ويأتي لكي يصلي لله ﷻ ويقوم بأركان الصلاة، فما تكون النتيجة؟ نستمع سوياً قانون الله في الصلاة: ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم ﴾ (١٠إبراهيم) من الداعي هنا لبيته؟ الله، ولماذا ؟ ليغفر لنا، لذلك حضرة النبي ﷺ طمأن الرفاق وقال لهم:

{ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا }[٣]

فيأتي في نهاية اليوم وليس عليه شيء أبداً من الذنوب.

فإذا جلسنا سوياً في بيت الله، ولا نتكلم في الدنيا بل نتحدث في آيات من كتاب الله نوضحها ونشرحها لعباد الله، فماذا قال رسول الله ﷺ في شأننا هذا؟ قال:

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا،

[٣] البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ: مَلَكٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ: فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ }[٤]

كل من يجلس معهم سيكون له نصيب من مغفرة الله ﷻ التي يشمل بها هؤلاء العبيد ... فمن يصوم رمضان سيغفر له، والذي سيذهب للحج يعود من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فعندما ترى أبواب المغفرة التي فتحها لنا الله ووسع الدائرة أزيد مما نتصور، غاية في الوسعة، لذلك لا عذر لمؤمن في ترك التوبة والإستغفار لله ﷻ، فهناك أبواب لا تعد فإن لم يكن هذا الباب فعليك بباب آخر.

أبواب لا حد لها ولا عد لها، ولكن هذه الأبواب تحتاج إلى همة، أهمها ألا أؤجل التوبة، فلا أفعل الذنب وأقول سأتوب في يوم آخر، أو يأتي البعض ويقولون اعمل ما تشاء ثم اذهب إلى الحج، من الذي أدراك أنك ستدرك الحج؟! ومن ضمن لك الحج، لو قُبضت قبل أن تحج فماذا ستفعل؟! فيجب على الإنسان أن يسارع فوراً عقب الذنب بإعلان الندم والرجوع إلى الله والتوبة إلى الله ﷻ.

٤ صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه

فأنت مثلاً لو مسافر وأحسست بالجوع من الممكن أن تصبر على الجوع حتى تصل لبيتك، لكن لو ارتكبت ذنباً لا تؤجل التوبة منه، فرب الوجود معي في كل زمان ومكان، فوراً عليَّ أن أقول يا رب أنا أخطأت، يا رب أنا ندمت، يا رب أنا أذنبت، حتى يفتح لي أبواب التوبة فوراً، فإذا جاء الأجل فأكون جاهزاً للقاء الله ﷻ.

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ لها قرائتان سبعيتان قراءة بالواو، وقراءة من غير الواو (سارعوا و وسارعوا) فعندما نرى المنهج الذي أعدَّه الله لنا والذي به نسير في الدنيا وكيف نسير للآخرة، فأخبرنا أنه عندما يكون سيرنا في الدنيا للعمل أو نحوه عليَّ ألا أتعجل وأن أسير متمهلاً غير متعجل فلن آخد إلا رزقي: ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (١٥الملك) فأنا أريد أن أسعى قبل الناس وأجهد نفسي حتى أُحصِّل أكثر من غيري رزقاً، واعلم أنك لن تأخذ رزق أحد، قال الله تعالى كما ورد في الأثر: { يا اِبنَ آدمَ خَلَقتُكَ لِلعِبَادةَ فَلا تَلعَب, وَقسَمتُ لَكَ رِزقُكَ فَلا تَتعَب, فَإِن رَضِيتَ بِمَا قَسَمتُهُ لَكَ أَرَحتَ قَلبَكَ وَبَدنَكَ، وكُنتَ عِندِي مَحمُوداً, وإِن لَم تَرضَ بِمَا قَسَمتُهُ لَكَ فَوَعِزَّتِي وَجَلالِي لأُسَلِّطَنَّ عَلَيكَ الدُنيَا تَركُضُ فِيهَا رَكضَ الوُحوش فِي البَريَّةَ، ثُمَّ لاَ يَكُونُ لَكَ فِيهَا إِلا مَا قَسَمتُهُ لَكَ، وَكُنتَ عِندِي مَذمُومَا }[٥]

٥ ورد فى الأثر بروايات عديدية مث حاشية الصاوى والشرح الصغير على أقرب المسالك.

فالرزق ليس بالخفية، لكنه بالألطاف الإلهية التي وضعها رب البرية حتى يرزق بها العبيد، فأنا ذاهب للرزق فيكون على مهل، أما للتوبة فسارع للتوبة، وسارع لمستقبلك عند الله، فمعظم الناس يقعون في خطأ في هذا الزمان وهو أنه نسى أنه ساكن في هذه الدنيا سكن مؤقت، وأنه في أي لحظة قد يستدعى للسفر، ولسان حاله يقول انتظروا حتى أجهز نفسى وأودع من خلفي وأكتب الوصية، فيأبوا ذلك لأن الله يقول: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣٤الأعراف) فلا بد أن أكون جاهزاً.

ذهبت إلى هناك في الدار الأخرة أين سأسكن؟

وكل المساكن هناك تمليك لا يوجد بها إيجار: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٧٢الزخرف) فيجب أن أجهز نفسي، وأجهز لنفسي ما أريده من ربي ﷻ في الدار الأخرة .... والإنسان وهو خارج من الدنيا في اللحظات الأخيرة يكشفون له نور البصيرة ويكشفون الغطاء: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (٢٢ق)

فما الذي سيراه في هذه اللحظة؟ قال ﷺ: { إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ : هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ }[6]

يرى أين يذهب والسكن والشارع والعنوان والجيران حتى عندما يأتي يوم القيامة لا يحتاج من يدله على المكان: ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ (٦محمد) فيخرج من الدنيا يعلم مكانه أين سيكون، فمن يرى أنه ليس له مكان في الجنة ماذا سيفعل؟

سيقول: ﴿ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (٥٦الزمر)!!!

لماذا أضعت نفسي وضحكت عليَّ الدنيا هكذا، وضحكت نفسي عليَّ وليس لي مكان هناك؟!.وليس هناك بلطجة ليذهب أحد ويأخذ مكاني بالقوة، ولا يوجد إيجار، لا بد أن تكون الدار وراثة من الواحد القهار ﷻ .... فينادي العبد يا رب أعدني للدنيا ثانية:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ (المؤمنون)

---

٦ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

حتى أعوض ما فات، فيقول الله له ﴿ كَلَّآ ﴾ فعندما كان الله يبتليك بمرض ما في الدنيا أو غيره تقول عندما يشفيني الله وأقوم سأتوب، وعندما تُشفى تنسى وعدك لله فلا تتوب، فيقول له الله: ﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١٠٠المؤمنون)!!!

فلا بد أن نجهز لأنفسنا مكان في الجنة كما في قول سيدنا علي بن أبى طالب:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها	إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه	وإن بناها بشر خاب بانيها

سيدنا أبو ذر رضي الله عنه ذهب إليه أناس يزورونه فوجدوا لديه بُردة ينام عليها، ويجلس عليها، ويصلي عليها، وقصعة يتوضأ فيها، ويغسل فيها، ويعجن فيها، وكوب ماء، وحبل ممدود من الحائط للحائط يضع عليه ثيابه، فقالوا له أين أثاث بيتك؟ قال لهم: أنا لن أمكث هنا إلا فترة بسيطة، وأنا أبني بيت جديد سأستقر فيه على الدوام، فكل ما يعجبني من أثاث طيب أحوله إلى هناك، قالوا وأين هذا البيت يا أبا ذر؟ قال لهم: في الآخرة،

فنحن كلنا هنا مسافرون ونحتاج الحياة الدائمة التي يقول الله فيها: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ (٥٧النساء) حيث لا موت ولا مرض ولا سقم ولا ألم، حياة طيبة جعلها الله ﷻ لمن أكرمهم بدخول الجنة، نسأل الله ﷻ أن نكون من أهلها أجمعين.

هذه الجنة كم تبلغ مساحتها؟

أتى الله لنا بالمثل على قدر عقولنا وقال: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ والعرض دائماً يكون أصغر، فما يكون طولها؟!

{جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ جَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، فَأَيْنَ النَّارُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " أَرَأَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ قَدْ كَانَ، ثُمَّ لَيْسَ شَيْءٌ، أَيْنَ جُعِلَ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ "}[٧]

أمور يبديها ولا يبتديها إلا الخالق البارئ ﷻ، وهل يستطيع عقلنا أن يعي مثل هذه الأشياء وأبسط منها، فهل يستطيع أحد أن يجد النهار عندما ذهب وأتى الليل؟! هل له مخازن؟! لكنها أسرار عليّه لا يعلمها إلا رب البرية ﷻ، وعقولنا لا تستطيع فقه هذه الأسرار العلية لأنها أعلى من مدارك العقول والفهوم.

٧ الحاكم في المستدرك وصحيح ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

لمن هذه الجنة؟ ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ أي جهزت منذ الأزل للمتقين، وقد ذهب النبي ﷺ ورآها واطمئن على ما لنا فيها، ورأى لكل منا القصر الخاص به ونصيبه وغيرها، حتى عندما عاد لأصحابه أخبرهم بهذا الأمر.

أوصاف المتقين

من هم المتقون الذين جهز الله لهم هذه الجنة؟ .. بيَّن الله ﷻ الأوصاف التي ينبغي أن يكون عليها المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات في كل الجهات، ولو أن المسلمين والمؤمنين تحلوا بهذه الأوصاف ستكون كل الأمم الإسلامية في أرغد عيش وأسعد حال وأهنئ بال: .... ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٩٦الأعراف) ليس خيرات ولكن بركات، فلو نزلت البركات فسيكفينا ما عندنا ويفيض، ونُصدر منه لكل العبيد، لكن إذا لم يكن هناك بركة وسنأتي بكل ما في الدنيا لن يكفينا، لكن الله سينزل علينا البركات إذا ما اتقينا الله ﷻ.

الإنفاق

فما أول صفة تدخل الجنة؟ ذكرها الله في: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾:

يعني لا يوجد عذر لأحد في عدم الإنفاق، فلو قال الذين ينفقون في السراء كنا نقول بأن الفقراء معذورين وليس عليهم إنفاق، لكن لا عذر لأحد فأين يذهب قوله تعالى في الأية الكريمة: ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ (٩الحشر) قال النبي ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ }[٨]

﴿ غُرَفٌ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٌ مَّبۡنِيَّةٌ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ (٢٠الزمر) فأول شيء لمُطعِم الطعام، والمؤمن هذه هي خلقه، ونحن نتذكر ما كان من الأنصار مع المهاجرين، فكان الواحد من أصحاب رسول الله من المهاجرين يأتي إلى المدينة فيخرج أكثر من خمسين من الأنصار يقول كل واحد منهم يا رسول الله أريده ضيفاً عندي ويقول آخر: بل أنا أريده عندي، وهذا يريده وهذا يريده، فعندما يجد النبي إصرار كل منهم وتسابقهم في استضافة أخيه المهاجر يُجري بينهم قرعة

---

٨ صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه

، ومن يأخذ منهم ضيف يشعر بأنه فاز بفضل الله وبإكرام الله جل في علاه. ... والذي يذهب من الأنصار إلى أخذ هذا الضيف ما حاله وما عنده في بيته؟ يخبرنا النبي ﷺ عن حال واحد منهم لما أخبره الله ﷻ بأحواله وأفعاله في الحديث عن أحدهم، أخذ ضيف النبي وذهب لزوجته وقال لها:

{ أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ "}[9]

وكما قلنا ليس هناك عذر في الإنفاق، فماذا نفعل يا رب؟ قال: ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ (٧الطلاق)

٩ صحيح البخاري والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

هل يكلفك الله فوق طاقتك؟ لا، ولكن المهم أن تعود نفسك على الإنفاق، وإذا ما حسبتها بشكل صحيح ستجد أنك تدفع البلاء والعناء عن نفسك، هناك أناس في هذا الزمان من المستقيمين وجدوا كشوف الأطباء زادت عن الحد، والعمليات الجراحية أسعارها زادت، فماذا نفعل؟ قالوا سنعمل تأمين صحي إلهي مع رب العزة ﷻ كما قال النبي ﷺ: { دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ }[10]

فعليَّ أن أجعل من دخلي الشهري نصيباً مقدار كشف لطبيب أعطيه للفقراء الذين قال الله فيهم: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم ﴾ (٢٧٣البقرة) ولقد جربناه والحمد لله فوجدنا الله يرفع به البلاء، ويرفع العناء، ويحفظ من الأمراض، ويحفظ من الأغراض، ويبارك الله في المال، ويبارك في الأولاد، ويبارك في كل شيء، لماذا ؟ ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (٣٩سبأ) ليس هناك من سيتعامل مع الله ويندم، مع الخلق ربما تندم، لكن مع الله مستحيل.

---

[10] سنن البيهقي والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

والذي يبخل ماذا يحدث له؟ يأتي الله له بشيء من المرض فيذهب لطبيب هنا وهناك، ولا يوجد فائدة، فكم ستصرف في ذلك؟! وكم كنت ستدفع منه صدقة للفقراء حتى يحفظك الله من هذا المرض؟ لكننا كمسلمين متأخرين في الحساب، ولم نستطع التعامل مع الله ﷻ، فنحن نحسب حسابات مادية، والرحمن ﷻ يحاسبنا بحساب إلهي، فأول صنف يريد أن يدخل الجنة فعليه أن يعود نفسه على الإنفاق.

الشيخ ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه كان يقول: ((إذا سمعت عن أي باب من أبواب الخير فاعمل به ولو مرة تكتب من أهله)) تصدق كل يوم ولو بقليل، ولو بنصف تمرة تكتب في ديوان المتصدقين، صلِّي في الليل ولو ركعة تكتب في ديوان القائمين، صلِّي على حضرة النبي صلي الله عليه وسلم ولو مرة تكتب في ديوان المصلين على سيد الأولين والأخرين،كما قال ﷺ في الحديث الصحيح:

{ أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ }[١١]

فبالله عليكم لو أن أحدنا لديه طفل صغير كم يصرف في يومه على محلات البقالة؟ جنيه مثلاً، فلو كان كذلك فلتجعل معه جنيها لله، أو إذا صرف أربعة أجعل جنيه لله، لكن الإنسان يأتي عند ما يخص الله ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ (١٢٨النساء) لماذا؟

١١ صحيح مسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها

لأنه غافل أنه سيرجع إلى الله، ولن يجد إلا ما قدمت يداه، والذي لم يفعل من سيعطيه هناك؟ ليس هناك من يساعد أحد، أو يسلف أحد، فكل شخص هناك يفر بنفسه.

كظم الغيظ

الخلق العظيم الثاني الذي يدخل الجنة وليس بعمل ونحتاجه في مجتمعنا كلنا:

﴿ وَٱلۡكَـٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾: { جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: عَلِّمْنِي شَيْئًا وَلا تُكْثِرْ عَلَيَّ لَعَلِّي أَعِيهِ، قَالَ: " لا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ ذَلِكَ مِرَارًا، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: لا تَغْضَبْ " }[١٢] ..... لأن الإنسان ساعة الغضب ينتشر الدم في العروق، والنفس تتأهب، والشيطان يحضر، ويفقد الإنسان السيطرة على الجوارح التي ملَّكه الله عليها، فيجد أن اللسان قد فلت منه الكلام دون أن يعرف السبب، ولا يستطيع أن يلجمه، وربما يفلت الزمام من اليد وتعتدي، أو يفلت الزمام من الفم ويبصق أو يسب، وربما يفلت الزمام من القدم فترفس .... فما الذي يجعل المؤمن دائماً مالكاً لزمامه؟ يتقي شر الغضب، وكيف ذلك؟ أعطانا الحبيب الوصفات

١٢ البخاري والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

فقال: { إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلا فَلْيَضْطَجِعْ }[١٣] ... إذا غضب الإنسان يغير من هيئته، فإذا كان واقف يجلس، أو يسير فإذا لم يجد نتيجة عليه أن يتوضأ، فالماء يطفئ نار الغضب، وإن لم يجد هدوءاً يصلي ركعتين لله، عندها سيسكن ولا يفعل ما يغضب الله، وإذا ما كظم هذا الغيظ يكون له كما قال النبي ﷺ: { مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ }[١٤]

فهذا هو السبيل الذي يدخله الجنة، فكلما تكظم الغيظ مرة تفتح لنفسك طريقا في الجنة، أيعنى هذا أن المؤمن لا يغضب أبداً؟ لا، المؤمن كما أخبر النبي الذي هو قدوتنا وأسوتنا كما قال الله عنه في كتابه العزيز: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب) فقد سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن غضب رسول الله فقالت رضي الله عنها: { مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ، حَتَّى يُنْتَهَكَ مِنْ حُرُمَاتِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ }[١٥]

---

١٣ سنن أبي داود عن أبي ذر رضي الله عنه
١٤ جامع الترمذي وابن ماجة عن معاذ بن أنس الأنصاري رضي الله عنه
١٥ البخاري ومسلم

ما كان يغضب لنفسه قط، فإذا أهانه أحد أو سبه أحد لا يغضب، ولا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله، هنا يكون الغضب لله ولدين الله ﷻ.

أما نحن الأن صرنا العكس، يدخل الرجل مثلاً البيت وباقي على صلاة العصر ربع ساعة، فيقول لزوجته أحضري الطعام، فتقول له انتظر حتى أصلى الظهر أولاً، فيقول لها: أحضري الطعام أولاً، وإذا تأخرت يسب ويشتم ويلعن لأجل نفسه، ظننت أنك ستسألها أصليت أم لا؟ لأنها مسؤليتك الأولى: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (١٣٢طه) صلِّ أولاً وسأنتظرك، صحيح أنها لو حكيمة تضبط مواعيدها معك وتصلي قبل أن تصل، لكن سنفترض أن يومها كان مشغول بأكثر من عمل بالغسيل والطبخ وانشغلت، فعليك ألا تغضب لنفسك ولكن اغضب لله جل في علاه.

فعندما يأتي إبنك في الإمتحانات وتجد عنده ملحق في مادة ما تصنع معه مشكلة وتريد أن تضربه، وربما يكون إبنك لا يصلي حتى الجمعة، وأنت منصرف عن هذا بالكلية، تغضب عليه لأنه لم ينجح في أمر من أمور الدنيا بالرغم من أنه راسب بالثلث في أمور الأخرة التي ستسأل عنها يوم القيامة!! فهذه تحتاج منا عناية.

العفو عند المقدرة

الذي سيكظم الغيظ سهل، لكن الأفضل من كظم الغيظ من قال الله فيهم:﴿ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ صفة المؤمن دائماً العفو، والعفو عند المقدرة، ولذلك أهل العفو سيأتي منادي ينادي الله كما قال رسول الله ﷺ: { يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ كَانَ لَهُ أَجْرٌ عَلَى اللَّهِ ﷻ فَلْيَقُمْ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَمَنِ الَّذِي أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﷻ؟ قَالَ: الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ }[16] ... فتفتح لهم أبواب الجنة ويدخلون الجنة بغير حساب، لأن الله أولى بالعفو، فعندما تعفوا عن خلق الله يعفوا عنك الله، وشيمة المؤمنين دائماً العفو عند المقدرة، فإذا أساء إليك شخص وندم فعليك أن تعفوا عنه، واحد أخطأ في حقي وأتي يقدم اعتذاراً أعف عنه، لكننا الأن يأتي الرجل بفلان وفلان ويعتذر لك ويقدم ندمه ويطلب منك السماح فترفض، لماذا يا أخي برغم أنه ﷺ قال: { مَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ مُتَنَصِّلا، فَلْيَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ، مُحِقًّا كَانَ أَوْ مُبْطِلا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ }[17]

---

١٦ أخرجه الطبراني عن أنس ﷺ
١٧ الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ

فمن لا يقبل عذر واعتذار أخيه لا يرد على حوض النبي، لان المؤمنين أهل قبول الاعتذار .... وهذه الحادثة حدثت مع أكثر من صالح من الصالحين، مع سيدنا على زين العابدين، وسيدنا الحسن، وسيدنا جعفر الصادق:

فقد كان لأحدهم جارية تُوضئه، فبدون أن تشعر نزل الماء على بعض ثوبه - وكانت الجواري متعلمات، فقالت له: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾ فيقول لها: كظمت غيظي، فتقول له: ﴿ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ فيقول لها: عفوت عنك، فتقول له: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ فيقول لها: أنت حرة لوجه الله ﷻ، يعملون بالآية مباشرة.

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ :

لذين يحسنون كل عمل، وصف المسلم إحسان الأعمال كلها، حتى أن النبي قال: { إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ }[١٨].

١٨ رواه مسلم والترمذي عن شداد بن أوس رضي الله عنه

حتى لو قتلت أحسن القتل، والقتل هنا بالنسبة للثعابين والحيات التي أمرنا الله بقتلها، فلا تعذبها إذا قتلتها، ستذبح شاة أضحية كانت أو دجاجة لا تذبحها أمام أخواتها، ولا تشحذ السكين أمامها، وتأخذها بعيداً عن أخواتها، وتوردها على الماء، وتنيمها على جنبها اليمين، وتسمي باسم الله ﷻ وتقطع، لأنك عندما تسمي الله عند ذبحها تكون بمثابة حقنة بنج لا تجعلها تشعر بألم الذبح، وهذه هي حكمة ذكر اسم الله عند الذبح.

{ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ وَاضِعٍ رِجْلَهُ عَلَى صَفْحَةِ شَاةٍ، وَهُوَ يُحِدُّ شَفْرَتَهُ، وَهِيَ تَلْحَظُ إِلَيْهِ بِبَصَرِهَا، فَقَالَ: أَفَلا قَبْلَ هَذَا؟ تُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَتَيْنِ "}[١٩]

إذا كان هذا الأمر في الحيوانات فما بالنا بالإنسان، فما يفعله أعداء الإنسانية في المسلمين ويدَّعون أنهم مسلمين هل هذا من دين الله ﷻ؟!! فعندما يقتلون مسلمين ويحرقونهم ويصلبونهم، هل هناك من يحرق بالنار في دين الإسلام؟! هل هناك صلب في الإسلام؟! ويمثلون بهم، هل هناك تمثيل في الإسلام؟! ما شأن هؤلاء والإسلام؟!

هؤلاء هم الذين أضروا بالإسلام، وشوهوا صورة الإسلام، لأن الإسلام بريء من كل هذه الشنائع وكل هذه الأفعال الفاحشة التي نهى عنها الله ورسوله.

١٩ معجم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

إذاً فالمؤمن يحسن العمل الدنيوي، ويحسن طاعة المولى العلي، ومن العجيب أن نرى أحدهم وقد ذهب إلى بيته فيأكل بهدوء، ويشرب الشاي، وكل ذلك بهدوء تام، وعندما يأتي إلى بيت الله للصلاة، ويقول له أحد أنا أريدك في أمر ما، فيقول له: دعني أخطف ركعتين وآتيك!! إن الذي يخطف هي القطط، ألم تسمع قول النبي ﷺ: { الصَّلاَةُ مِكْيَالٌ، مَنْ أَوْفى أَوْفى بِهِ، وَمَنْ طَفَّفَ فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لِلْمُطَفِفِينَ }[٢٠]

فلماذا تأتي عند الأمر المهم الذي ينفعك في الآخرة وتريد أن تنتهي منه بسرعة، لدرجة أن كثير منا لا يعلم هل جلس وقرأ التشهد أم الفاتحة؟! هل صلَّى ثلاثة أم أربعة؟! سجد مرة أو اثنتين؟! لماذا؟ لأنه يتعجل في العمل النافع الرافع له الذي سيرفع به يوم لقاء الله ﷻ، لكن المؤمن لا بد أن يحسن العمل إن كان لله، أو لخلق الله.

شكوانا كلنا في مجتمع المسلمين الذي نتأذى منها أجمعين هي كيف يكون تاجر مسلم ويغش المسلمين؟! كيف يكون صانع مسلم ويغش في الصنعة إخوانه المسلمين؟! وهذا لا يجوز أبداً في دين الله ﷻ، لو نفذنا كلام ربنا وأحسنا: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٩٣المائدة) فسوف ننال حب الله، ويدخلنا الجنة إن شاء الله رب العالمين.

٢٠ عَنْ سلمان الْفَارِسِي ﷺ جامع المسانيد والمراسيل

الندم والتوبة

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ عندما نزل سيدنا جبريل بهذه الآية على رسول الله أخذ الشيطان يبكي، لماذا؟ لأن التعب الذي يتعبه مع الإنسان في سنتين أو أكثر ينتهي في لحظة استغفار، يظل الإنسان يعمل الذنوب والمعاصي هنا وهناك، ويأتي في لحظة ينبهه رب العزة ويشعر بالندم فيقول العبد تبت، ويقول الله له وأنا قبلت، ويقول الله لملائكته: انظروا إلى الذنوب التي فعلها وضعوا لهم مكان كل ذنب حسنة: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍ﴾ (٧٠الفرقان) فيضع الشيطان التراب على رأسه ويقول يا ويلتى فقد ذهب تعبي في لحظة، وهذا هو الباب الذي فتحه الله لنا.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾ أي كبيرة من الكبائر، والتي لو أصر عليها الإنسان حتى خروج روحه فله سوء الخاتمة والعياذ بالله، فمن يقع في كبيرة ويصر عليها حتى يموت ولم يتب منها مثل القتل، والزنا، وعمل قوم لوط، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وشرب الخمر وكل مسكر، وهذه مصيبة حلت ببلدان المسلمين الأن مثل حبوب الهلوسة والبانجو والحشيش الذي عم البلاد والعباد،

ومنه أكثر الحوادث في كل واد، فالذي سيظل مصراً عليها حتى يموت فهذه كبيرة من الكبائر لا يستطيع معها أن يتفوه بكلمة التوحيد عند خروج روحه إلى الله ﷻ.

لكن الله فتح لنا الباب، فمن عمل فاحشة حتى ولو كبيرة لها توبة نصوح، لكن لا بد عند التوبة أن يعزم ألا يعود إلى هذا الذنب أبداً، ويندم على ما عمله، وإذا كانت حقوق مالية يردها إلى أهلها، فلو كان لشخص عندي مبلغ ولم أرده له، أو عندي ميراث لأخوتي ولم أعطه لهم، فلا بد من رد هذه الأموال حتى تقبل التوبة، فهذه مظالم العباد وحتى تصح التوبة لا بد من ردها لأهلها.

﴿ أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾: ببعض الصغائر والهفوات التي لا يستطيع الإنسان أن يحفظ منها نفسه.

﴿ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ فعليهم أن يذكروا الله، ويعلموا أن الله مطلع علينا ويرى أحوالنا ويعلم حقيقة أفعالنا، وهو الذي سيحاسبنا على ذلك.

﴿ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ فيستغفر الله من الذنوب.

﴿ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ هل هناك أحد يملك المغفرة غير الله جل في علاه.

ولكن الشرط ﴿ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ أي عزم عزماً أكيداً ألا يعود لمثل هذا الذنب مرة أخرى.

عندئذ يكون جزاء هؤلاء كما قال الله في الآية التالية: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣

رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (آل عمران)

١٠- منازل أولى الألباب[1]

كلام الله ﷻ هو الشفاء من كل داء, وهو الأريج الذي يروح القلوب بعطر السماء, وهو النسيم الذي يبلل الأفئدة بمحبة الخالق البارئ ﷻ، وبمحبة ختام الرسل والأنبياء, نحن جميعًا نحتاج إلى تلاوة القرآن مع التدبر والتذكر والتفكر في معاني القرآن التي ساقها إلينا في عباراته حضرة الرحمن ﷻ.

الآيات التي بين أيدينا هي من جملة آخر عشر آيات من سورة آل عمران, ذهب سيدنا عبد الله بن عمر وأخوه عبيد الله بن عمر ومعهما بعض الأصحاب الأجلاء؛ لزيارة السيدة عائشة رضي الله عنها، فسلموا عليها وعرّفوها بأنفسهم فقالت لعبيد الله بن عمر: لم لا تزورنا؟ وقال لها عبد الله وهو أخوه الأكبر، وكان أشد حرصًا على متابعة حبيب الله مصطفاه، وضُرب به المثل في ذلك:

{ حَدِّثِينِي بِأَعْجَبِ مَا رَأَيْتِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! قَالَ: فَبَكَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: كُلُّ أَمرِهِ كَانَ عَجَبًا! أَتَانِي فِي لَيْلَتِي، حَتَّى إِذَا دَخَلَ مِعِي فِي لِحَافِي، وَأَلْزَقَ جِلْدَهُ بِجِلْدِي، قَالَ: يَا عَائِشَةُ ائْذَنِي لِي، أَتَعَبَّدُ لِرَبِّي، فَقُلْتُ: إِنِّي لأُحِبُّ قُرْبَكَ وَهَوَاكَ قَالَتْ: فَقَامَ إِلَى قِرْبَةٍ فِي الْبَيْتِ، فَمَا أَكْثَرَ صَبَّ الْمَاءِ، ثُمَّ قَامَ فَقَرَأَ الْقُرْآنَ قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى، حَتَّى رَأَيْتُ أَنَّ دُمُوعَهُ بَلَغَتْ حِجْرَهُ، ثُمَّ اتَّكَأَ عَلَى جَنْبِهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ،

---

[1] المنيا –البسقلون ٢ من محرم ١٤٣٧هـ ١٥/١٠/٢٠١٥م

ثُمَّ بَكَى، حَتَّى رَأَيْتُ أَنَّ دُمُوعَهُ قَدْ بَلَغَتِ الأَرْضَ قَالَتْ: فَجَاءَ بِلالٌ فَآذَنَهُ بِصَلاةِ الْفَجْرِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟ وَقَالَ: أَلا أَبْكِي وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ "}[2]

الآداب الراقية للزوجين

انظروا إلى الأدب العالي الراقي من الحبيب ﷺ ....

يعلّم الزوجين الآداب الراقية العالية, الزوجة تريد أن تؤدي سنة؛ إن كانت سُنَّة صلاة، أو سنة صيام، أو سنة حج، أي تحج مرة أخرى، أو عمرة؛ لا ينبغي لها أن تفعل ذلك إلا بإذن صريح من زوجها, نحن جميعًا نظن أن ذلك الأمر خاصًا بالزوجة فقط، وأن الزوج له أن يفعل ما يشاء، لكن الحبيب الأعظم قال لنا غير ذلك، فكما أن لك حق عند زوجك فزوجك لها حق عندك.

فالفريضة لا يوجد خلاف عليها بالنسبة للطرفين:

---

٢ أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني عن عائشة رضي الله عنها

لا الزوج يستأذن الزوجة في الفريضة، ولا الزوجة تستأذن الزوج في الفريضة، ولا يحق له منعها من أداء الفريضة، فلا يجوز لها أن تستأذنه بصيام شهر رمضان مثلاً؛ لأنه فريضة من الله، لكن تستأذنه في السنن والنوافل.

فأعطانا رسول الله ﷺ مفهومًا جديد عرفته لنا السيدة عائشة رضي الله عنها، أنه من باب الذوق السديد والأدب الرشيد لزيادة الحب بين الزوجين؛ أن يستأذنها إذا أراد أن يؤدي نافلة لله ﷻ، يستأذنها ويضع لها الاختيار، فلم يقل لها بعد إذنك أنا سوف أفعل كذا ويتركها ويفعل ما يريد، بل يقول: { يَا عَائِشَةُ ائْذَنِي لِي، أَتَعَبَّدُ لِرَبِّي }، ...

ونحن نريد أن يكون الحب بين المؤمنين والأزواج بهذه الكيفية.

وفي رواية أخرى للحديث:

{ ثُمَّ جَاءَهُ بِلالٌ بَعْدَ مَا أَذَّنَ، فَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ: وَمَا لِي لا أَبْكِي، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ الآية، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا، ثُمَّ لَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا }[٣]

٣ مشكل الآثار للطحاوي عن عائشة رضي الله عنها

من وقت نزول هذه الآيات جعل النبي ﷺ من دأبه الدائم وعاداته المتتابعة قراءتها كل ليلة، وكان قيام الليل عليه فرض؛ لأن الله أمره بقيام الليل، لكن في بداية الأمر كان نافلة: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (٧٩الإسراء) ثم فرضه الله عليه فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ ﴾ (المزمل) فأصبح القيام فرض.

كم عدد الفرائض التي علينا في الصلاة؟ خمسة فرائض, وعلى رسول الله ﷺ ستة فرائض؛ لأن قيام الليل عليه فرض, والذي يريد أن يكون معه فيجب عليه أن يلزم نفسه ويوجب على نفسه قيام الليل؛ لكي يكون معه: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ (٢٠المزمل) ليس كلهم، لكن الطائفة التي تريد أن تكون معك فلا بد أن يكون لهم نصيب من قيام الليل,.

فكان ﷺ إذا تجهز لقيام الليل، والذي يروي هذه الرواية سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذي دعا له النبي ﷺ { اللهمَّ فَقِّهْهُ في الدِّيْنِ وعَلِّمْهُ التَّأويلَ }[٤]، وكان صغيرًا، ولكن يريد أن يتعلم كل ما في وسعه من دين الله ﷻ،

٤ مجمع الزوائد عن ابن عباس

وكان يريد أن يعلم ماذا كان يفعل النبي ﷺ في الليل, وحضرة النبي كان متزوجًا خالته السيدة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، فانتظر إلى أن أتت ليلتها فاستأذنها وقال لها: استأذني لي من رسول الله ﷺ أن أبيت عندكما في تلك الليلة, وبيوت زوجات النبي ﷺ عبارة عن حجرة واحدة واسعة وفي أخرها ستارة تدخل الزوجة لتغير ملابسها أو لتدخر شيئًا لها أو لضيوفها، والضيف الذي يأتي يجلس في الغرفة، ولم يكن هناك غرفة جلوس أو غرفة نوم لكنها غرفة واحدة، فالذي يريد أن ينام عنده، ينام في نفس المكان الذي فيه حضرة النبي ﷺ وزوجته، فهو ابن أختها وليس غريبًا، وهو لم يكن ذاهبًا للنوم فهو يقظ بالليل؛ لكن ليعرف ماذا يفعل النبي؛ لكي يتعلم ويعمل بقول الله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب).

فيقول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: فاضطجع ﷺ، أي نام، وليس نومًا عميقًا، لأن الله وصف نومه ونوم أصحابه: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (١٧الذاريات) إما قائمين بين يدي الله، أو نائمين يذكرون الله جل في علاه، حتى المكان الذي ينامون عليه فهو كالسرير الذي به شوك، يتقلب عليه لا يريد أن ينام ولا يريد أن يرتاح، يريد أن يقوم الليل لمناجاة الحي القيوم ﷻ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ (١٦السجدة)

لا ترتاح للنوم على هذا الفراش حتى ولو كان إستبرق أو غيرها، .... لأن البال مشغول بالواحد المتعال ... ولا يهنأ للرجل منهم حال، ولا يروق له بال إلا إذا أقامه الله ﷻ في مقام عباده الذاكرين الشاكرين القائمين الراكعين الساجدين لله رب العالمين ﷻ؛ لأنه بذلك يعرف أن الله يحبه، لأن الله ﷻ لا يوقف بين يديه في جنح الظلام إلا من اصطفاه وأحبه من الأقوام، لكن الباقون يلقي عليهم النعاس، ويكون عليهم الوخم والكسل، فيسمع الأذان ويقول أنتظر قليلا من الوقت!!!, لكن هؤلاء رجال يبيتون عند ربهم سجدًا وقيامًا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:

{ فَاسْتَيْقَظَ، فَتَسَوَّكَ، وَتَوَضَّأَ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ فَقَرَأَ هَؤُلاءِ الآيَاتِ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَأَطَالَ فِيهِمَا، الْقِيَامَ، وَالرُّكُوعَ، وَالسُّجُودَ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، سِتَّ رَكَعَاتٍ كُلَّ ذَلِكَ، يَسْتَاكُ، وَيَتَوَضَّأُ، وَيَقْرَأُ هَؤُلاءِ الآيَاتِ، ثُمَّ أَوْتَرَ بِثَلاثٍ، فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ إِلَى الصَّلاةِ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا }[٥]

٥ صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

ولم يترك النبي ﷺ هذه الكيفية أبدًا، فدائمًا عندما كان يريد قيام الليل يتوضأ، ثم ينظر إلى السماء ويقرأ هذه الآيات إلى آخرها، وبعد ذلك يدعو بدعاء القيام الوارد عن حضرته ﷺ، ثم يبدأ في صلاة القيام.

فسيدنا رسول الله ﷺ كان مديمًا لتلاوة هذه الآيات في كل ليلة مع التدبر والتفكر والنظر والاعتبار، وهذا يعطينا مؤشرًا للطريق الصحيح للمؤمنين في الإقبال على الله ﷻ.

العبادات القلبية

الذي يريد أن يقبل على الله وينال رضاه ويفتح الله ﷻ له أبواب قربه ويمنحه عطاياه؛ فلا بد أن يسير على هذا المنهج الذي وضعه الله في آيات كتابه، فهناك عديد من العبادات، عبادات قلبية، وعبادات مالية مثل الزكاة، وعبادات جسمانية ومالية مثل الحج.

العبادات القلبية أولها النية.

والثواب والأجر يحدد على النية ... وليس على العمل قال ﷺ:

{ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ }[٦]

ما الاختلاف؟ الاختلاف في النية الموجهة لرب البرية, دعا النبي ﷺ إلى التصدق؛ فجاء رجل بألف درهم، وجاء رجل بدرهم، فقال ﷺ:

{ سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ:كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ فَتَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَكَانَ لِرَجُلٍ مَالٌ فَتَصَدَّقَ مِنْ عُرْضِ مَالِهِ بِمِائَةِ أَلْفٍ}[٧]

لماذا؟! بالنيّة، فالعمل الذي لا يقبل الله ﷻ الأعمال بدونه مهما حرص الإنسان على الخشوع بظاهره في ركوعه وسجوده ووقوفه هو الإخلاص: ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ ﴾ (١٤غافر) وما مكان الإخلاص؟ مكانه القلب.

الصلاة التي مدحها الله وأثنى عليها في كتابه، وأثنى على فاعليها، أهم الذين يقرأون في الركعة جزءًا من القرآن ويجعلون السجود ربع ساعة والركوع ربع ساعة؟

لا، لكنه قال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝ ﴾ (المؤمنون)

---

٦ : المسند الجامع عن عمر بن الخطاب، وحديث النيات متفق عليه من حديث عمر ﷺ.
٧ سنن النسائي ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

فما محل الخشوع؟ هل القلب أم الجسم؟ بل القلب، وحضرة النبي ﷺ أوضحها في الحديث:

{ عندما أَبْصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلا يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ فِي الصَّلاةِ، فَقَالَ: " أَمَّا هَذَا فَلَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ "}[٨]

فالعبادات القلبية هي الأساس الأول لتصحيح العبادات الظاهرية والحركات الجسمانية، وهي التي بها فتْح الله وعطاياه جل في علاه: ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ (٧٠الأنفال)

عبادة التفكر

أول هذه العبادات القلبية، والذي يفتح أرجاء القلب للمواهب الربانية والألطاف الخفية العلية، عبادة التفكر, ولذلك كانت بداية رسول الله ﷺ مثل بدايات الأنبياء، كان يخرج إلى غار حراء ويقف أمامه وينظر إلى السماء ويتفكر.

٨ مسند زيد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

سيدنا إبراهيم ماذا كانت عبادته؟

كان ينظر إلى السماء، مرة إلى النجوم، ومرة إلى القمر، ومرة إلى الشمس، وعندما وجدهم كلهم آفلين عرّفه الله ﷻ بِلُبِّ الإيمان وحقيقة مقام رب العالمين ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام).

وهذه العبادات أمرنا الله ﷻ بها في كتاب الله وقال: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ (٤٦سبأ) فلا بد أن يكون لك نصيب من التفكر.

فيم تتفكر؟

تفكر في نفسك وفي الآفاق: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلۡأٓفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾ (٥٣فصلت) ستأكل: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ (٢٤عبس) ستمشي أو تركب: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ۝٢٠ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ ﴾ (الغاشية) .

فالمؤمن دائم التفكير في المصنوعات التي حوله، وفي التكوينات الخلقية الإلهية التي أفردها الله ﷻ فيه وليس لها مثيل ولا شبيه: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢١الذاريات).

الإنسان الذي لا يتفكر في الأكوان، ولا يتفكر في نفسه يدخل في قول الله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (١٠٥يوسف) فهم يمشون تائهين وغافلين ونائمين!! فكيف يجب أن نسير؟

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (١٠١يونس) لا بد أن تنظر بعين مُلئت بالإيمان .... وقلب تشعشع بمحبة الرحمن ..... وجسم اقتدي بحضرة النبي العدنان ...؛ لكي يجعل أنوار القرآن تتلألأ في قلبك، ويبعد الشواغل النفسية والهواجس الشيطانية والشهوات الدنية كلها عن قلبك، ويجعل القلب مخلصًا، ويخشع ويحضر في كل الأحوال بين يدي رب البرية ﷻ.

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ﴾ :

ولمَ ذكر الله السموات والأرض، مع أن الإنسان فيه عجائب الحنان المنان ﷻ؟ لأنه سبحانه قال في القرآن: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٧غافر) خلق السموات والأرض وما فيهما من عبر للبشر أكبر من خلق الإنسان؛ لأن فيها إبداع صنع الله ﷻ.

وعلينا أن نشرح الطريقة السديدة التي بيَّنها لنا الله ﷻ في كتابه المبارك الكريم، الذي ينظر في هذه الآيات يصبح من أولي الألباب، أصحاب العقول السديدة والأفكار الرشيدة الذين هداهم الله ﷻ به إليه.

والرجل الجِلْفَ في البادية، لو أكرمه الله بالتفكر يهتدي إلى الله، فقد ورد في الأثر أن رجل كان مستلق على ظهره في الصحراء، ونظر إلى السماء فقال: ((البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدل على العليم الخبير، أشهد أن لك ربًا خالقًا)) فالمؤمن مطالب بعبادة التفكر والذي يقول فيه ﷺ:

{ تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ }[٩]

لماذا ؟

---

٩ الفوائد المجموعة للشوكاني

لأنه يؤدي إلى اليقين، وهو المطلوب، لأنه إذا وصل الإنسان إلى اليقين؛ لا يتحول إيمانه، ولا يتزلزل كيانه، ولا تؤثر فيه الأقدار إذا مالت عليه في هذه الدار؛ لأنه يعلم علم اليقين أن الذي يسيّره ويحرّكه هو الواحد القهار ﷻ، وهو أولي بالعبد من نفسه، ويختار له الأفضل في دنياه، والأكرم له يوم لقاء الله ﷻ .. كل هذا يأتي عن طريق التفكر باليقين.

ذكر الله وآثاره

بعد هذا التفكر يبدأ يذكر الله:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ :

على كل أحوالهم، ماشيًا يذكر الله, جالسًا يذكر الله, نائمًا يذكر الله, لأن كل العبادات لها أوقات، ولها توقيتات، ولها أوضاع معينات، إلّا ذكر الله ﷻ، لا يحتاج اتجاهًا للقبلة أو أوضاعًا معينة، فليس هناك عذر لمن ترك الذكر.

هل الشحنات والكهرباء التي تأتي للّسان انتهت عند الذكر؟! أبدًا؛ لأنه عندما يتحدث مع الناس؛ يتكلم ساعات وساعات، ولا يمل ولا يكل, فيجب أن يكون أولى بذلك ذكر الله ﷻ .... إذا ذكر الله على جميع أحيانه؛ صفا القلب، وطهرت النفس، فإذا تفكر بعد ذلك؛ فيكون عن معاينة، أو عن مشاهدة، وهذا تفكر آخر..

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾:

ولذلك يخاطب الله خطاب عيان: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلاً سُبْحَـٰنَكَ ﴾ :

فهم يرون أشياء أخرى غير التي نراها، فهم يرون الأكوان قائمة بمكون الأكوان ﷻ، أو يرون نور الله الذي ذكره في القرآن، والساري في كل ذرات الأكوان: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٣٥النور).

سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه، كان في حالة ذكر دائم مع الله، وكان يمشي في البرية، فقال: أخذني الحال فرأيت كل ذرات الرمل نورًا، وأراد الله أن يرده إلى مقام العبودية، قال: فأخذني حصر البول، فاحترت كيف أتبول على الرمل وهو نور، فقلت:يا رب احجب عني هذا المشهد؛ لكي أعيش مثل الناس، الحياة الطبيعية، قال: فنوديتُ لو سألتنا بكل أنبيائنا وأصفيائنا؛ ما حجبناك، ولكن سلنا أن نقويك، فسألت الله أن يقويني؛ فقواني فنظرت بالعينين، ورأيت المشهدين, عين الرأس ترى الرمل والتراب, وعين القلب تري ما فيه من باطن النور الذي جعله فيه رب الأرباب ﷻ.

وهذا المقام العالي؛ مقام خطاب ومشاهدة: ﴿ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ ربنا ما خلقت هذا الذي نراه باطلًا، أطلعه الله على حكمة خلق الكائنات؛ فعرف أنه لا يوجد شيء في الوجود خلق إلا لحكمة عالية، قبل أن يدركها عامة البشر، لكن يدركها من علَّمه خالق القوى والقدر ﷻ: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف) وسبح الله تسبيحًا وتقديسًا؛ لأنه رأى أن الفعَّال لما يريد في كل الكون عاليه ودانيه هو الحميد المجيد ﷻ، اسمع إليه ﷻ وهو يقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ (٢٢يونس).

عندما ينظر الإنسان في نفسه، من الذي يسيرنا ويحركنا؟ من الذي يحرك الأصابع؟ ومن الذي يحرك العين؟ ومن الذي يسمع الأذن؟ ومن الذي يحرك اللسان بكلمات مفهومة للسامعين؟ ومن الذي يوصل اللسان بالقلب؛ ليحضر فيه الكلام الذي يهبطه وينزله رب العالمين؟ كل حركات الإنسان وغير الإنسان إنما هي بيد الحنان المنان ﷻ.

دعاء أولي الألباب

﴿ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾ :

وهي نار الحجاب، سألوا الله أن لا يوقعهم فيها؛ فيحجبوا عن هذه المشاهد, أو نار الصدود فيجد في نفسه صدودًا عن طاعة الله وعن ذكر الله, أو نار البعد فيجد نفسه تميل دائمًا إلى البعد عن طريق الله وعن شرع الله ومنهج الله.

هذه النار التي يحرص المقربون والصالحون أن يسألوا الله ﷻ دومًا أن لا يعرضهم لها, أما نار الآخرة، فإن الله ﷻ ضمن لأحبابه أجمعين أن لا يدخلهم هذه النار، وأن يجعلهم من أهل الجنة مع الأبرار، إن شاء الله رب العالمين.

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢ ﴾ :

الظالمون الذين يظلمون الخلق، أو يظلمون أنفسهم، لم يجدوا مناصرًا يدافع عنهم يوم لقاء الحق ﷻ، ثم أقرّوا بفضل الله عليهم بهذا النبي الكريم ﷺ.

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ ﴾ من هو؟

النبي ﷺ: ﴿ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾ وبعد أن أقروا بالإيمان دعوا الله ﷻ بالغفران:

﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا ﴾ ما الذنوب؟ وما السيئات؟ ولماذا كررها؟

الذنوب تعني الكبائر، والسيئات تعني الصغائر، نريد أن تغفر الكبائر، وتستر الصغائر، حتى تتوب علينا توبة نصوحًا، وسألوه حسن الختام: ﴿ وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ الذين برّوا بما عاهدوا الله عليه ودخلوا في قول الله تبارك وتعالي: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (٢٣الأحزاب).

﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾:

طلبوا أن يعطيهم الله ﷻ في الآخرة ما وعدهم به على لسان رسله, والله لا يخلف الميعاد، يخلف الوعيد، لكنه لا يخلف الوعد.

فالوعد الذي وعدنا به من كرمه ﷻ لا بد أن يفي به لنا ولا يخلفه، لكن الوعيد الذي يفعل كذا يدخل جهنم، أو الذي يفعل كذا يدخل سقر، يخلفه الحميد المجيد الكريم المبدئ المعيد؛ لأنه يحب عباده المؤمنين ويمحو عنهم السوء بفضله وكرمه وجوده، ويدخلهم في رحمته على الدوام سبحانه وتعالي، وهذه من الصفات العظمى لله ﷻ.

اسم الله الأعظم

هؤلاء القوم لو نظرنا إلى هذه الآية نجد أنهم نادوا الله بكلمة ﴿ رَبَّنَا ﴾ خمس مرات، لماذا كلمة (ربنا) بالتحديد؟ قد يقول قائل: زيادة في الضراعة والتبتل والاجتهاد إلى الله، وهذا صحيح لأن الدعاء إلى الله يحتاج إلى زيادة في التضرع وزيادة التبتل وزيادة الابتهال إلى الله؛ ليقبل الله على الداعي ويستجيب له.

غير أن الإمام جعفر الصادق ﵁، ألهمه الله في هذا المقام قولًا كريمًا فقال: من دعا الله ﷻ وقال (ربنا) خمس مرات؛ استجاب الله له دعاءه وحقق له رجاءه، وإني أرى أن هذا إسم الله الأعظم لأن الله قال لهم عقبها: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ ﴾.

فالذي يريد أن يستجيب له الله في أي أمر، فينادي الله بكلمة (ربنا) ويكررها خمس مرات، كما ذكر في الآيات، بقلب مخلص صادق، فإن الله ﷻ لا يتأخر عنه بالإجابة ويسدد له الإصابة، ويعجل له قضاء الحاجة؛ لأن الله قال فيهم:

﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ ﴾.

استجاب لهم الله ﷻ! .... ولا يوجد عمل سيضيع، ولذلك قال لنا الله: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (٣٠الكهف) ولم يقل إنّا لا نضيع أجر من عمل؛ لأنه من جائز أن يكون قد عمل عملًا ليس مقبولًا. ولكن الأجر لمن أحسن العمل.

وما كيفية إحسان العمل؟

أن يؤديه بإخلاص قلب، وصفاء نية، ويتشبه فيه عند أدائه بالحبيب خير البرية، فبذلك يكون قد أدى العمل كما ينبغي ما دام بإخلاص، فلا يبغي به الناس ولا الرياء ولا الشهرة ولا السمعة، وإنما يبغي به وجه الله, وشرط قبول العمل أن لا يجتهد الإنسان فيه برأيه، ولكن يلتزم بالشرع الذي ورد عن حبيبه ﷺ، لأنه ﷺ ميزان قبول الأعمال صلوات ربي وتسليماته عليه.

المهاجرون الأولون وثوابهم

﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ ﴾:

كانت هجرة النبي ﷺ فتحًا ونصرًا ونشرًا لدين الله في كل الآفاق, ولقد تنافس في الهجرة الرجال النساء طلبًا لما عند الله ﷻ.

أول من هاجر من النساء والرجال إلى الحبشة سيدنا عثمان بن عفان وزوجه رضي الله عنها، وكانت في الهجرة الأولى, وبعد فترة عندما تم توقيع المعاهدات بين حضرة النبي ﷺ والأنصار في بيعة العقبة، أذن لهم ﷺ في الهجرة إلى المدينة.

سبب نزول الآية

وكان أكثر الناس ألماً وإيذاء في هجرتهم إلى المدينة هي السيدة أم سلمة وزوجها أبو سلمة التي صارت من بعد زوجاً للحبيب ﷺ.

زوجها هاجر إلى المدينة وأرسل يطلبها، وكان له إبن منها، فخرجت هي وابنها مع أخيه مهاجرين، فجاء قومه وقالوا لها: هذا الغلام هو لنا, وجاء أهلها وقالوا: كيف تفرقون بين الإبن وأمه؛ وتجاذبا يد الغلام حتى خلعوا كتفه، وأخذه أهله، وأخذها أهلها، وكان زوجها في المدينة، وهي في مكة عند أهلها، وإبنها عند أهل زوجها، لكي ترون القسوة.

إلي أن تعطّف عليها نفر من أهل قريش، فذهبوا إلى الطرفين، فأرضوا أهل زوجها فقالوا لهم: أعطوا لها إبنها ودعوها تلحق بزوجها, فلما هاجرت إلى المدينة المنورة رأت آيات القرآن تنزل في المهاجرين وفي الأنصار, فقالت:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لا أَسْمَعُ اللَّهَ ذَكَرَ النِّسَاءَ فِي الْهِجْرَةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ [١] ﴾}

﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥ ﴾

الجزاء الأول:

﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾: ... فيغفر لهم الله ذنوبهم.

الجزاء الثاني:

﴿ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ : ... ليس جنة واحدة .,..,..، لكن جنات فيها نعيم بلا عناء .....، أجر لهم ... وثواب لهم من عند الله معجلا.

---

١٠ الترمذي والطبراني

الجزاء الثالث:

هناك ثواب آخر لهم في معية الله, وفي ذات الله عندما يواجهون حضرة الله جل في علاه في الدار الآخرة في مقام العندية ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ حسن, وعندما يذهبون يكون لهم ثواب آخر منه:

﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ﴾ (٧٢التوبة).

قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا }[١]

- فالرضوان أعلي من الجنان ...
- والذي أعلي وأبهي من الرضوان:

رؤية وجه الحنان المنان:

١١ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة) ...

وهذا هو الأكمل والأكرم والأعلى عند الله ﷻ.

إذًا هؤلاء الأحباب .....:

أحباب رسول الله ﷺ ينبغي أن ندرس ونذاكر ما حدث لهم من أحداث جسام، ومع ذلك لم تحول عقيدتهم, ولا ثقلت نفوسهم عن طاعة الله, ولا تثاقلوا عن الجهاد في سبيل الله، وإنما كان كل همهم العمل لإرضاء الله ﷻ .

رجال العصر

عندما يدرس الإنسان هذه الأشياء - ونحن نري الحياة كلها متاعب كثيرة - تهون عليك الصعاب، وتيسّر لك الوصول إلى مقام اليقين في الإيمان برب العالمين, وتجعلك عند الشدائد جبل لا يتزعزع ولا يتحول, انظر للرجل الصالح ماذا يقول؟

وإذا الجبال تزحزحت عن أرضها عن حبنا في الله لا نتحول
وحي السماء منزل ببيوتنا وحقائق الآيات عنا تنقل
وإذا تجلى بالجمال حبيبنا في الأولياء فلنا الطراز الأول

الوحي المقصود به الإلهام، فهؤلاء رجال وموجودون وما زالوا, والرجال الذين في هذا الزمان يقول فيهم الحبيب ﷺ:

{ مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ }[٢]

يعني يدفع نفسه وماله وكله لنظرة من رسول الله ﷺ، ثم بيّن منزلتهم ومكانهم في حديث آخر فقال ﷺ:

{ وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي }[٣]

وفي حديث آخر:

{ إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ وَزَادَنِي غَيْرُهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ قَالَ: أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ }[٤]

عمل الواحد يساوي أجر خمسين منهم!

لكن الواحد منهم لا يضارعه الثقلان، يكفيه أنه جالسَ الحبيب وكان له من قربه نصيب، من هؤلاء؟ هؤلاء الطائفة التي يقول فيها الحبيب ﷺ:

---

١٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
١٣ مسند أحمد عن أنس رضي الله عنه
١٤ الترمذي وأبي داود عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه

{ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ }[15]

جند مصر

وهذه الطائفة آن أوان ظهورها وتصدُّرها المشهد .....

فقد كنا عندما نُسأل عن حديث رسول الله ﷺ:

{ تُقَاتِلُونَ الْيَهُودَ حَتَّى يَخْتَبِيَ أَحَدُهُمْ وَرَاءَ الْحَجَرِ ، فَيَقُولُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ }[16]

يقولون متى هذا؟

فنقول: قال الله في القرآن: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٍ شَدِيدٍ ﴾ (٥الإسراء)

١٥ صحيح مسلم وابن ماجة عن ثوبان رضي الله عنه
١٦ البخاري والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

إذا تحققت الآية، إذا وُجِدَ عباد لله بحق، ومعهم البأس الشديد الذي يغالب هؤلاء القوم؛ فيكون قد اقترب الوعد الحق, إلى أن تأكّدنا في هذه الأيام أن جند مصر أصبحوا أولي بأس شديد، بما أيَّدهم وحباهم به الله ﷻ: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (٦٠الأنفال)

أصبحت قوتهم تفوق كل القوى المجاورة بما فيها إسرائيل وغيرها، ومعهم الإيمان العتيد من الحميد المجيد ﷻ، فهم عباد لله ﷻ.

لو رأيتهم وهم في الميدان يصلون لله ممسكين بأسلحتهم لعرفت أن هذا القول القرآني تحقق فيهم، ولو رأيتهم في حرب (١٩٧٣) وقد أمروا أن يفطروا - لأنها كانت في رمضان - لكن تسعون في المائة منهم كانوا صائمين لم يفطروا, لكي تعرف أن هؤلاء جند الله، وتعرف حقيقة حديث رسول الله:

{ إِذَا فَتَحَ اللهُ عَلَيكُم مِصرَ فَاتَّخِذُوا فِيهَا جُنْدَاً كَثِيفَاً، فَذلِكَ الجُندُ خَيرُ أَجْنَادِ الأَرْضِ } [١٧]

هذا الحديث له عديد من الروايات، المشككون هداهم الله يأتون برواية ضعيفة يتمسكون بها؛ ويقولون أن هذا الحديث ضعيف والرواية كذا، أهذا من أخلاق أهل العلم؟! من المفروض أن تجمع باقي الروايات، لكن كل هذا لتزل مقام جند مصر!! وهل يضرك في شيء أن يكون جند مصر هم جند النصر في آخر الزمان؟!.

---

١٧ رواه الدار قطني في المؤتلف والمختلف، وابن عساكر في تاريخ دمشق عن عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب

كما أنهم جند النصر منذ رسول الله إلى الآن, من الجند الذي يدافع عن الإسلام من عصر رسول الله إلى وقتنا هذا، من الذي حارب المغول والصليبين وغيرهم؟ هي مصر، جندها هم جند الإسلام الذي حليفه النصر على الدوام إن شاء الله رب العالمين.

هؤلاء لكي تعرفوا مكانتهم ووطنيّتهم، ذهبوا إلى حرب الخليج فأعطوا لهم سبعة مليارات من الدولارات مكافأة؛ فجعلوها وديعة ولم يقربوا ناحيتها، وحاول الرئيس السابق ومن معه أن يفكوا الوديعة فرفض الجيش، كلما يذهبون إلى أفريقيا أو أي مكان في قوات السلام؛ تأتي وديعة أخري يجهزوها لهذا اليوم، وفي هذه السنة اشتروا بواحد وسبعين مليارًا من الدولارات أسلحة، لم تكلف الدولة ولا غيرها شيئًا, ولم يوزعوها غنائم على أنفسهم إلى أن أصبحت قوة جيشنا من القوى العظمى في العالم.

من الذي شجع روسيا على الضرب في سوريا؟ من الذي خوّف كل الإرهابيين الذين حولك؟ جيش مصر، فالحمد لله أصبحنا الآن متحققين بقول رب العالمين:

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ (٥الإسراء).

فانظروا جميعًا من الذي يستطيع من العرب الحرب، أو يدخل حتى يساعد؟

فليس معهم شيء، وأهل القضية هداهم الله هم المستمرون في محاربتنا، لكن الحمد لله قيض الله النصر على الدوام مع مصر، فقد ورد فى كتب الآثار والأخبار:

{ مِصْرُ خَزَائِنُ الأَرْضِ كُلَّهَا، فَمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ قَصَمَهُ الله، وعن كعب الأَحبار: مِصْرُ بَلَدٌ مُعَافَاةٌ مِنَ الفِتَنِ، مَنْ أَرَادَهَا بِسوءٍ كَبَّهُ الله عَلَى وَجْهِهِ، وعن أَبـي موسى الأَشْعري: أَهْلُ مِصْرَ الجُنْدُ الضِّعَافُ مَا كَادَهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ كَفَاهُمْ الله مَؤُونَتَهُ، قال تبيع بن عامر الكلاعي: فأَخبرتُ بذلك مُعاذ بن جبل، فأَخبرني أَنَّ بذلك أَخبرهُ رسول الله }[18]

فمصر هى هي الكنانة التي عليها حفظ ونشر الإسلام في ربوع العالم على الدوام إن شاء الله رب العالمين، والحمد لله أهلها لا يتأخرون بأنفسهم عن أي نداء، ومستعدون أن يفدوا أي مسلم في أي زمان ومكان؛ لأنه مسلم، واثقين بفضل الله وإكرام الله لهم، نصرة لدين الله عَزَّ وَجَلَّ ....

١٨ الدرر المنتثرة لجلال الدين السيوطى وغيرها كثير.

فأصبحت الواقعة قاب قوسين أو أدنى, كان السلاح الجوي الإسرائيلي مثلنا مرتين أو ثلاثة، فأصبح سلاحنا الجوي الآن قوة لا يستهان بها ... وربما أقوى، ومعنا طائرات منوعة قد لا يستطيعون الحصول عليها؛ طائرات روسية وفرنسية التي تستطيع أن تصل إلى الصومال وترجع مرة أخرى من غير أن تتزود بالوقود, من الذين أعطى لنا هذا المال؟ إنها معونة الله الذى ييسر السبل لما يشاء ... لا يوجد أحد بعد الله.

نسأل الله ﷻ أن يؤيّدنا .....

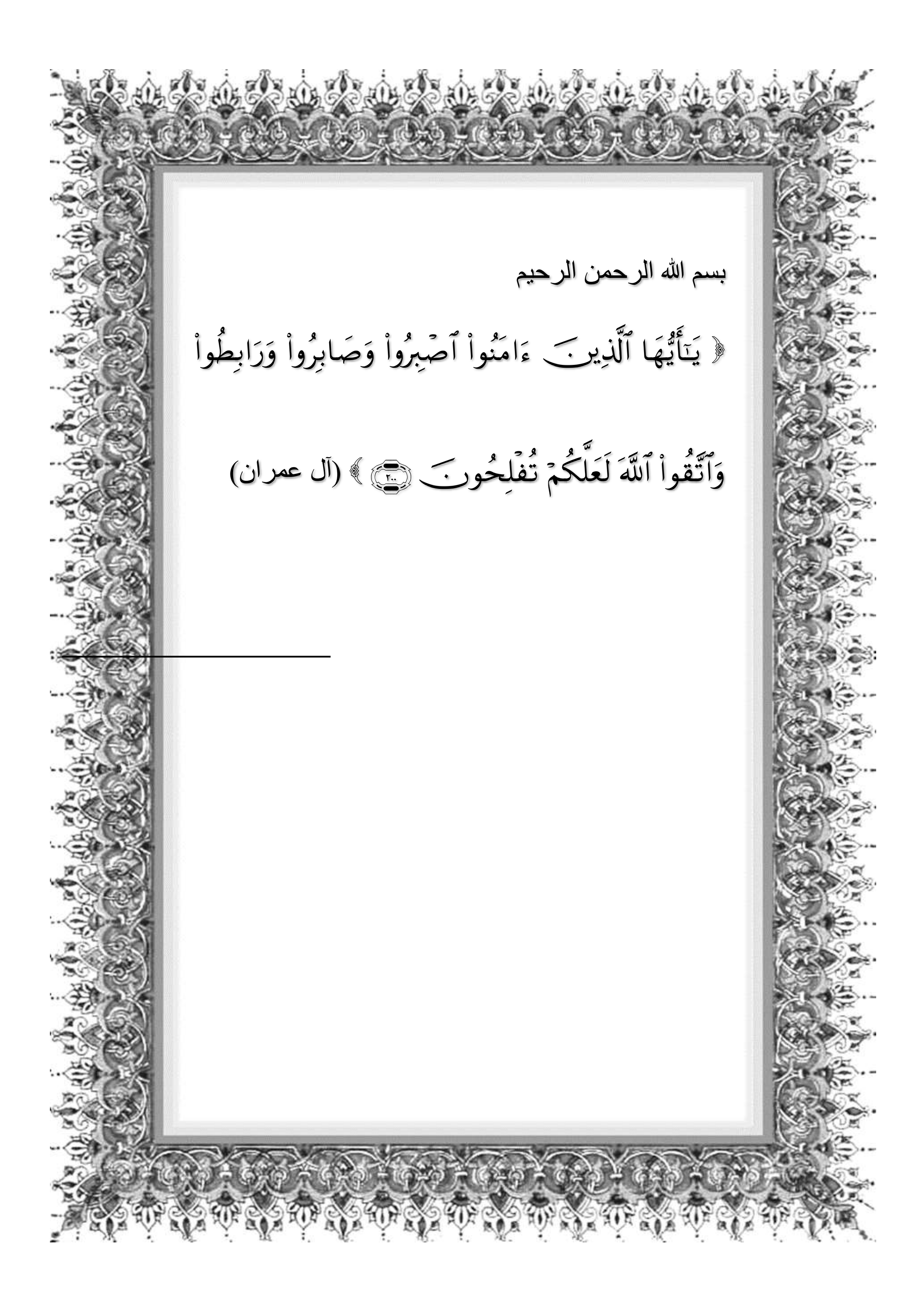
ويؤيّد جندنا بمدد من عنده ...، وقوة من عنده .... ، وبأس من عنده ...

وأن يقضى نهائيًا على كل الإرهابيين، والقتلة والمروعين ...ز؛ حتى تكون بلادنا بلاد الأمن والأمان إلى يوم الدين .....

وأن يطهر بيت المقدس وفلسطين من اليهود الغاصبين، ويجعلها مقبرة لهم ...

ويرزقنا أجمعين صلاة في بيت الله المقدّس قبل الممات إن شاء الله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصبحه وسلم.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ (آل عمران)

١١- منازل المفلحين[1]

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي جعلنا أهلاً لفضله، فأثلج صدورنا بسماع كلام الله، وجعلنا أهلاً لنوره العليّ، فاستودع قلوبنا نور الإيمان وهو أعز شيءٍ في الدنيا والآخرة، لأنه نور الإيمان بالله جل في علاه، والصلاة والسلام علي النبي الكريم، السيد السند العظيم، الرءوف الرحيم؛ سيدنا محمد وآله الذين تابعوه علي هداه، وأصحابه الذين أعانوه علي إبلاغ رسالة الله، وكل من تبعهم علي هذا الهدي الكريم إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين، آمين آمين يا رب العالمين.

نداء الله للمؤمنين في القرآن

أيها الأخ الحبيب إذا سمعت نداء الله ﷻ علي عباده المؤمنين بعد كلمة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ في كتاب الله، فاعلم علم اليقين بأن هناك رسالة موجهة من الله ﷻ خاصة بعباده المؤمنين، فعليك أن تقرأها وتتدبرها حرفاً حرفاً، وتفهم مراد الله ﷻ فيها، ثم تقوم بعد ذلك بتنفيذها طلباً لمرضاة الله ﷻ.

[1] مسجد الشيخ ناصر بترعة ناصر- إسنا - الأقصر ٨ من ربيع الآخر ١٤٣٦هـ ٢٠١٥/١/٢٨م

فالقرآن الكريم يخاطب البشر ويقول لهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ أي كل الناس، ويخاطب

ذرية آدم ويقول لهم: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ لكن خطاب المؤمنين خطاب تكريم وتعظيم، وفيه

قرب من القريب ﷻ من عباده المؤمنين، فعندما أنادي علي شخص ما وأقول له: يا فلان، فيعني أن هذا الشخص قريب مني، وعندما أريد أن أعظمه وأبجله وأكرمه أقول له: يا أيها، فكلمة (يا أيها) هي عبارة تحتوي علي التعظيم والتكريم مثل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ

﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾.

فقد بعث الله ﷻ للمؤمنين في كتابه الكريم إثنان وثمانون رسالة، فما الذي يجب علينا نحو هذه الرسائل؟ خاصة وأن هذه الرسائل مبعوثه لنا جميعاً، وليست خصوصية لمؤمن دون مؤمن، وكل مؤمن لا بد له أن يقرأهم ويتدبرهم ويري ماذا يريد الله منه فيها حتي يعمل بما يرضي الله ﷻ.

لذلك فإن سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ كان يقول: ((كنا إذا سمعنا قول الله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أصغينا أذاننا،

لأنه إما أن يكون أمر يأمرنا به الله فننفذه، أو نهي ينهانا عنه فننتهي عنه، وكنا نقول عقبها: لبيك اللهم ربنا وسعديك)) أي نعم يا رب.

وكان أحد الصالحين يُقال له: إن هذه الأيات بها أوامر تحتاج إلي مشقة بالغة، فكان يقول لهم: إن لذة النداء تذهب التعب والعناء، فمن نحن حتي ينادي الله علينا؟! فماذا نساوي نحن في ملك الله؟! لكنه تعظيم الله وإكرامه ﷻ.

فعندما نتدبر نجد أن الله ينادي علينا، فمن نحن حتي ينادي الله علينا؟! لكن أعزَّنا الله بعز الدين، وأكرمنا الله بسيد الأولين والآخرين، واختار لنا خير دين وخير كتاب أنزله للناس أجمعين، فأعزنا ونادانا ﷻ في كتابه الكريم.

في بعض الأحيان تكون الرسالة عبارة عن سطر ونصف لكن المعاني التي يريد الله منا أن نفهمها ونتنبه لها ونعمل بها تملأ كتباً، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (٢٠٠آل عمران).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وكلمة آمنوا بمعنى صدَّقوا، أي صدَّقوا بالله، وصدَّقوا برسول الله، وصدَّقوا باليوم الآخر، وصدَّقوا بكتاب الله، وصدَّقوا بكل شيء جاءهم من الله جل في علاه، لا معترضين ولا مكذبين، ولا مشمئزين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ لبيك اللهم ربنا وسعديك، ماذا تريد منا يا ربنا؟

﴿ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾:

يريد منا في هذه الأية أربعة أشياء وهي: ﴿ ٱصْبِرُواْ ﴾ و ﴿ صَابِرُوا ﴾ هل الصبر هو المصابرة؟ هذه غير هذه، و ﴿ رَابِطُوا ﴾ و ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾:

إن كنتم تريدون النجاح والفلاح، أي الفوز يوم القيامة والنجاة من الأهوال الحشرية، ونيل الأمان من دخول النار، ودخول الجنة مع الصالحين والمتقين والأبرار.

الصبر

ما معناه؟ وما أنواعه؟ وعلى ماذا نصبر؟

﴿ ٱصۡبِرُواْ ﴾ الصبر معناه حبس النفس عن اليأس أو القنوط من رحمة الله ﷻ، أو

الغضب أو الإنكار أو الإستهزاء؛ حبس النفس عن كافة الخصال الذميمة حتي يرضى الإنسان عما أوجبه عليه مولاه ﷻ، فالدنيا كلها دار عناء وشقاء ودار هم وغم لذلك قال النبي ﷺ: { لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ، وَلا مَنْشَرِهِمْ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَهُمْ يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُءُوسِهِمْ، وَيَقُولُونَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ }[٢]

أي الحمد لله الذى خلصني من دار العناء، والشقاء، والبلاء، والمصائب، والمشاكل، والمشاغل إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان.

٢معجم الطبراني عن ابن عمر ﵄

الصبر على عناء الدنيا وهمومها

فالدنيا كلها نكد ومشاكل ومتاعب لا يهوِّنها إلا إذا صبر الإنسان على أمر الله، واستعان عليها بطاعة مولاه ﷻ: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (٤٥البقرة) فالذي يعينك علي مشاكل الدنيا الصبر الجميل والصلاة.

والصبر الجميل - كما ذكرنا - أن الإنسان لا يشتكي الله لخلق الله، كما يقول بعضهم لماذا يا رب فعلت معي كذا وكذا؟! .... يريد أن يحاسب الحسيب الذي لا يُسأل عما يفعل!!

ولماذا أعطيت فلان كذا وكذا ولم تعطني؟! لماذا أمرضتني وأنا أصلي لك ولم تمرض فلان الذي لا يصلي؟! ما لك ومال فلان وعلان؟! ليس لك شأن في ذلك، فأنت تستعين علي طاعة الله، بالصبر، لذلك قال ﷺ:

{ الصَّبْرُ نِصْفُ الإيمَانِ}[٣]

فالإيمان لا يتم ولا يكون صحيحاً ولن ينجح الإنسان في امتحان الإيمان إلا إذا رزقه الله ﷻ الرضا والصبر علي أقدار الله جل في علاه.

---

٣ أخرجه أبو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه

وسبحان الله فالعلماء في العصر الحديث أرادوا أن يعرفوا لماذا فرض الله علينا الصيام من الناحية العلمية؟ لأنهم لا يؤمنوا إلا بالعلم والأشياء المحسوسة فلماذا فرض علي المسلمين الصيام وجوَّعهم؟ هل فرغت خزائنه فيريد أن يقتصد؟ دعواهم هكذا، فبالتجربة وجدوا شيء عجيب يوضح ويبين عجائب كتاب الله جل في علاه، فقالوا عندما يكون الإنسان في حالة الصبر الذي وصفه القران وهو الذي لا يتبرم ولا يتضايق ولا يسب ولا يلعن، الصبر الجميل الذي فيه رضا عن الله، ففي هذه الحالة من الصبر تخرج مادة كيميائية تسري في الجسم تسمي (الأندروفين) هذه المادة عندما تسير في جسم الإنسان تجعل الإنسان قوته المادية الحسية تساوي عشرة أي أن قوة الواحد تساوي عشرة من الرجال.

فجاءوا بالقرآن وجدوا نفس النتيجة ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ﴾ (٦٥الأنفال) الواحد بعشرة، فما الذي يجعل الواحد بعشرة؟ جينات الصبر التي تفرز المادة الكيماوية التي تعين الإنسان علي طاعة الله.

لذلك تذكر لنا السيرة النبوية المطهرة أن النبي ﷺ عندما جمع أصحابه وذهب لفتح خيبر، وكانت خيبر ملكاً لليهود، وكانوا قد بنوا سوراً حولها لا يستطيع أحد أن يقفز عليه وجعلوا للسور باباً واحداً كبيراً، فحاول الصحابة أن يدخلوا من الباب فلم يستطيعوا، ومن يحاول أن يقترب من السور كانوا يرمونه بالسهام، وظلوا يوما كاملاً لم يفتح الحصن، فجاء النبي ﷺ وقت المغرب وكان القتال ينتهي عند المساء، وفي المساء قال:

{ لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أَوْ قَالَ: لَيَأْخُذَنَّ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ }[٤]

وبات الصحابة ليلتهم يفكر كل واحد منهم ويتمنى أن يكون هو صاحب هذا الفضل العظيم ويكون من الذين يحبون الله ورسوله ويحبهم الله ورسوله حتي أن سيدنا عمر يقول: ما تمنيت الإمارة إلا في هذه الليلة، وكان كلما عرضت عليه الإمارة يقول اعفني يا رسول الله، يريد أن يكون فرداً عادياً.

---

٤ الصحيحين البخاري ومسلم عن سلمة بن الأكوع ﷺ

وعندما حلَّ الصباح انتظروا الرجل الذي سيكون صاحب هذا الفضل العظيم:

{ أَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، فَقِيلَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّهُ أَرْمَدُ، فَجِئ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فبصق رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، ثُمَّ أَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَكَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ }[٥].

فدخل سيدنا علي علي الحصن وأخذ يضرب بسيفه حتي تكسر السيف، وهجم عليه الأعداء وليس معه شيء فخلع باب الحصن وتترَّس به، أي احتمى به حتى دخل الحصن، وانتصروا، وبعد المعركة حاول أكثر من ثلاثين من الصحابة أن يرفعوا الباب من مكانه فلم يستطيعوا، وهذا سر قول الله تعالى ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ فالصبر هو الذي يعين الإنسان على أعباء الحياة بهذه الكيفية.

فالشيء الذي لا تستطيع تحمله لو صبرت الصبر الجميل فلو نزل عليك عشر أضعافها ستتحملها بإذن الله وبفضل الله وبإكرام الله ﷻ، لذا قال الله لنا: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (٤٥البقرة).

٥ تذكرة الحفاظ

آفة العجلة

ما الذي أتعب المسلمين في هذا الزمان؟ عدم الصبر والعجلة وكل فرد يريد أن يُسَيِّر الكون علي هواه، يريد أن يزرع المحصول ويقول سيأتي بعشرة أرادب فلا بد أن يكون المحصول عشرة أرادب، ولو كان المحصول خمسة أرادب يغضب ويزمجر ويقول كلام لا يُرضي الله ﷻ، ولا يُرضي خلق الله، وتصدر منه أفعالاً تجعل الجسم كله يتوتر، وعندما يتوتر الجسم تأتي له الأمراض والأوجاع.

فمعظم أمراض العصر ناتجة عن عدم تناولنا جرعة الصبر، فكلما تأتي مشكلة ولو بسيطة تكبر فيتوتر ويعلوا صوته ويحمر وجهه، وكل ذلك على حسابك وعلي حساب صحتك، فالتوتر ينتهي بمرض السكر أو الضغط أو جلطة أو أي مرض والعياذ بالله، فماذا كسبت أنت؟!.

جمال صفات المؤمن

لكن المسلم كما قال الله فيه: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ (١٩المعارج):

يريد كل شيء بسرعة:

﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝ ﴾ (المعارج) فليس لنا نحن المسلمون الصابرون شأن بهذا الأمر، فنحن مجملون بالهدوء والسكينة والروية والحلم والأناة .. وهذه هي صفات المسلم.

فليس هناك مسلم متعنت ولا سريع الغضب، المسلم دائماً كما ذكره الله في كتابه:

﴿ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤آل عمران)

كاظمين للغيظ وعافين عن الناس، ومن أساء إليهم يحسنوا إليه، لذا يظل في الدنيا في صحة وعافية على الدوام، وفي الآخرة في روح وريحان في جنة النعيم عند الحق ﷻ بجوار النبي العدنان ﷺ.

وقد ورد عن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ قال عن موضع الصبر من الإيمان:

{ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ }[6]

---

٦ كتاب الصبر والثواب عليه، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: " أَلا إِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَإِذَا قُطِعَ الرَّأْسُ بَادَ الْجَسَدُ "، ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ، فَقَالَ : " أَلا إِنَّهُ لا إِيمَانَ لِمَنْ لا صَبْرَ لَهُ"

فهل يوجد جسد به حياة وليست الروح بداخله؟! لا، كذلك الإيمان يحتاج دئماً أن يكون معه الصبر، لماذا؟ لأننا يجب أن نصبر علي أشياء كثيرة، منها علي سبيل المثال أن نصبر علي أقدار الله، ولا بد أن نصبر عندما تتهيئ لنا المعاصي فنبتعد ونمتنع عنها طلباً لمرضاة الله، ولا بد أن نصبر على عمل الطاعات وتأديتها كما ينبغي، لأن النجاح والفوز في الطاعات يحتاج الصبر الجميل حتي يعمل الإنسان العمل بالإتقان الذي يحبه الله ﷻ وحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

الأقدار لا يستطيع واحد منا أن يدفعها، فلا راد لقضاء الله، فالموت لا نستطيع رده، فلو أن قريب مني مات هل أستطيع أن أدفع عنه الموت وأرده مرة أخرى للحياة؟ بالطبع لا، فإذا لم أصبر وفعلت كما يفعل غير المؤمنين بالله فما الذي سيعود علىَّ بعد ذلك؟ لن يعود علىَّ إلا أنني سأحرم من أجر الصبر الذي ذكره الله في كتابه إلا إذا قلت: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (١٥٦البقرة) فنحن محزونون على موتك يا فلان لكننا لا نقول ولا نفعل إلا ما يرضي ربنا ﷻ.

فتكون النتيجة المهمة للصبر سلامة البدن من الأمراض وراحة القلب، ثم يأتي الأجر العظيم للصبر وهو: ﴿.إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ (١٠الزمر)

أدخل في هذه الآية يوم القيامة لأنني صبرت علي موت أبي أو موت أمي أو موت ابني أو ابنتي، فلو صبرنا لأمر الله ولم نفعل ما يغضب الله سنقوم من القبور إلى القصور بإذن الله، لا شأن لنا بالحساب ولا بالميزان ولا بالصراط، فماذا لو لم أصبر؟ سيكون حالي كما قال الله ﷻ في الحديث القدسي:

{ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي وَيَصْبِرْ عَلَى بَلائِي فَلْيَلْتَمِسْ رَبًّا سِوَايَ } [٧]

إذا لم تكن موافقاً ولا راض على قضاء الله ماذا ستفعل؟! فالكيِّس والحكيم هو الذي يرضي بقضاء الله ﷻ، وقضاء الله ﷻ فيه خير، فلو كبرت في السن وأصابني مرض فيجب أن أذهب للطبيب كما قال رسول الله ﷺ:

{ يَا عِبَادَ اللَّهِ، تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً } [٨]

كل الأمراض لها دواء، وقال في الرواية الأخرى:

{ مَا خَلَقَ اللَّهُ دَاءً إِلا وَقَدْ خَلَقَ لَهُ دَوَاءً، عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، إِلا السَّامُ، وَهُوَ الْمَوْتُ } [٩]

---

٧ معجم الطبراني عن برير بن عبد الله ﷺ
٨ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن أسامة بن شريك ﷺ
٩ معجم الطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

سأتداوى، ربما تكون هناك أدواء لم يكتشف لها الدواء بعد، فعليَّ أن أرضى عن الله، وأصبر على المرض، ولا أستسلم له وأسعي سعياً حسيساً على التداوي.

طالما لن أشكوا الله إلى العوَّاد الذين سيزوروني، ولا إلى خلق الله فكل يوم أمرضه كما قال رسول الله ﷺ:

{ مَرَضُ يَوْمٍ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ ثَلاثِينَ سَنَةً }[10]

وإذا أتى الشفاء قال الله ﷻ:

{ إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ، وَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عُوَّادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ أَسَارِي، ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، ثُمَّ يُسْتَأْنَفُ الْعَمَلَ "[11]

سامحتك فيما مضى فابدأ صفحة جديدة، لذا ورد في الأثر: " إذا أحب الله عبدا أمرضه الله قبل موته " حتي يخرج من الدنيا وليس عليه شيء ولا سيئة واحدة يطالبه الله ﷻ بها، فالصبر علي مر القضاء هذه هي الدرجة العظمي في الإيمان بحضرة الرحمن ﷻ.

الصبر عن المعاصي

والمعاصي كما نري محببه إلي النفس:

---

١٠ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والمجروحين لابن حبان عن عائشة رضي الله عنها
١١ الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

فالنفس دائما تميل للمعاصي وتريد أن تقع فيها وتجملها في عين ومذاق الإنسان، فالواحد منا يكون لديه المرأة الجميلة الكاملة لكن النفس تضحك عليه وتجعله ينظر لامرأة أخرى في الطريق، ولذا قال النبي ﷺ:

{ أَيُّمَا رَجُلٍ رَأَى امْرَأَةً تُعْجِبُهُ، فَلْيَقُمْ إِلَى أَهْلِهِ، فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا }[12]

لكنها النفس: ﴿.إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (٥٣يوسف):

فإذا كان معه امرأة في العمل تكلِّمه وتحدِّثه يكون منتشي وفرح ولا يريد أن ينتهي الحديث معها، وعندما يذهب الي البيت وتحاول أن تكلِّمه زوجته يقول لها أنا متعب من العمل ولا يريد الكلام مع زوجته، لأنها الحلال، أما الكلام الآخر وهو حرام يكون لذيذاً! سبحان الله!!.

كبعض الناس الذين يتلذذون بأكل الحرام، وعندما تأتي له زوجته بطعام حلال يقول لا أجد طعماً لهذا الطعام، فإذا وجدت أن النفس تهش وتبش عند الحرام بأي أنواعه وأصنافه فاعلم أن ذلك خطر عليك، وأن هذا شرك نصبته لك النفس والشيطان؛ يريدان به أن يبعداك عن حضرة الرحمن ﷻ، فعليك أن تجاهد نفسك وتصبر.

فإذا كنت في العمل ومعك نساء فاتَّبع قول الله تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾ (٣٠النور)

١٢ سنن الدارمي وشعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

نغض البصر، فكيف أكلِّمها؟ عَوِّدها إما أن تنظر عن يمينها أو يسارها أو في الأرض، لكن لا تأتي العين في العين، وهذا هو الحياء الايماني الذي مدحه الله ﷻ وقال فيه النبي ﷺ:

{ الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ }[13]

وقال ﷺ:

{ الْحَيَاءُ لا يَأْتِي إِلا بِخَيْرٍ }[14]

فإذا أرادت أن تتكلم معي فكما قال الله: ﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ (٣٢الأحزاب) الحديث يكون في الأشياء الضرورية، وأكون واضحاً وصريحاً، ولكن ليس في أحاديث خاصة، فهذا ما نهي عنه دين الله ﷻ، ونهى عنه رسول الله ﷺ.

فكيف لشبابنا الذين يذهبون إلى المواقع الإباحية علي النت؟! فهؤلاء يرون جهنم، من قال هذا؟ الله: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ﴾ (التكاثر) إذا أكرم الله الإنسان ومشى في طريق الله - حتي يستنير قلبه وينظر بعين فؤاده - يرى المعاصي كلها جهنم، كي يجاهد نفسه ويصبر عن معاصي الله ﷻ، فتضحك عليه نفسه وتقول له: لك الأولي وعليك الثانية، كما قال النبي ﷺ ...

---

١٣ الصحيحين البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
١٤ الصحيحين البخاري ومسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنه

فالأولي عبارة عن لمحة ولحظة، والمقصود بها أنه عندما أكون في الطريق وغير منتبه فنظرت فوجدت امرأة أمامي علي أن أدير نظري علي الفور لحظة أو أقل لكن أنظر دقيقة أو دقيقتين أو أقل أو أكثر!! لا يجوز.

إذاً علي الانسان أن يصبر عن المعاصي كلها، والفتن ما ظهر منها وما بطن، والصبر عن المعاصي في هذا الزمن له أجر مضاعف لأن فيه الكثير من المغويين، فيه قرناء السوء يقول لك تعالى يا فلان نسهر هذه السهرة، فيغروا هؤلاء، وهؤلاء ورائهم غيرهم وغيرهم، وهكذا، فالأمر يحتاج إلى أن نصبر الصبر الجميل، ونسهر مع أهل طاعة الله؛ أهل العمل الصالح المقرب إلى الله، ولا أذهب إلى أهل الغفلة ولا أهل البطالة ولا أهل المعاصي أبداً.

الصبر على الطاعات

وكذلك الطاعات تحتاج إلى الصبر علىَّ القيام بها، فعندما يأتي الإنسان ويذهب إلى الصلاة تكثر المشاكل، فمثلا عندما يهم بالذهاب للصلاة في المسجد ويكون طول اليوم في البيت فيجد زوجته تقول له لا تتأخر، أو يقابله أحد ويقول له لا تتأخر، فأنا أريدك في أمر مهم فيأتي المسجد وهو مستعجل بالرغم من أنه متأنِّي في كل شيء، لكن عندما يأتي للصلاة يكون متعجل في أداء الصلاة وهي الفريضة الكريمة التي تنجيه في الدنيا وتنجيه يوم لقاء الله ﷻ.

وعندما يجلس للطعام يأكل بتأنّي ولا يستجيب لأي نداء، ولكنه عندما يأتي إلى المسجد يكون في عجلة من أمره، فإذا أطال الإمام - ولو قليلاً - يضجر ويغضب ويقول لماذا يطيل الإمام هكذا؟! فهو يريد أن يتعجل الإمام، لكننا نحتاج أن نصبر على أداء هذه الطاعات، فقد ورد عن سلمان الفارسي ﷺ قال: { **الصَّلاَةُ مِكْيَالٌ، مَنْ أَوْفى أَوْفى بِهِ، وَمَنْ طَفَّفَ فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لِلْمُطَفِفِينَ** }[١٥].

فنحن محتاجون إلى الصبر على أقدار الله، والصبر عن المعاصي، والصبر على أداء الطاعات والقربات، كلها تحتاج إلى الصبر، فالصيام يحتاج الي الصبر، واسمه شهر الصبر، والحج كله يحتاج الصبر من أوله لآخره، عندما يسافر، وهو في السعي، وهو بعرفات، وهو بمنى، وهو في الطواف .. كله يحتاج إلى الصبر، لو تخلي عن الصبر تضيع حجته، فالطاعات تحتاج الصبر، ولو أراد أن يعمل عملاً صالحاً لله فيحتاج الي الصبر حتي يديم عليه:

{ **أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ** }[١٦]

فعندما يأتي رمضان نريد أن نقرأ القرآن وعندما ينتهي رمضان نعطي لأنفسنا أجازة من كتاب الله وترك القرآن حتي رمضان القادم، لماذا؟ لأنه ليس لدينا صبر علي طاعة الله، وعلى قراءة كتاب الله، وعلي عبادة الله ﷻ.

---

١٥ قاله سلمان الْفَارِسِي ﷺ جامع المسانيد والمراسيل.
١٦ الصحيحين البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

المصابرة

﴿ وَصَابِرُواْ ﴾ :

أي المصابرة في المعاملات مع المؤمنين والمؤمنات، فلو أن جاري يؤذيني علي أن أصبر عليه، وجاري في الحقل يميل عليَّ في الحد فعليَّ أن أصلحه بشيء من التروي والحكمة، وهذه تحتاج إلى الصبر، سأشتري من أي مكان أو زمان أو سأتعامل بأي معاملات تجارية تحتاج إلي الصبر، لماذا؟ لأن الإنسان لا تتغير أخلاقه الإسلامية التي جمَّل نفسه بها في أي زمان ومكان، فالله ﷻ يريدنا أن نكون على أخلاق القرآن، فقال لنا رسول الله ﷺ:

{ مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ }[17]

فمن أراد أن يكون مع الصنف الذين يقول فيهم الله ﷻ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ (٦٣الفرقان)

وهؤلاء في الدرجات الأولى من نعيم الله، فماذا يفعلون؟ ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴾ (٦٣الفرقان)

١٧ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن أبي الدرداء ﷺ

لا يتنزل من مكانته العلية التي وضعه الله فيها إلى مكانة الجهال ويرد عليهم السفاهة بسفاهة، فالله ﷻ وضعك في منزلة عزيزة عفيفة، والآخر نزل إلى منزلة دنية، فهل تريد أن تنزل إلى هذه المنزلة الدنية السفيهة؟ لا، ولكن عليك أن تظل في المنزلة الكريمة وتتشبه بحبيب الله ومصطفاه ﷺ في قول الله ﷻ له: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (الأعراف).

والحقيقة أن المصابرة تعني الصبر الشديد، وأوجب ما تكون مع الخلق في المعاملات وخاصة في هذا الزمان، فنري من يغش، ومن يريد الرشوة، ومن يريد أن يأكل أموال الناس جميعها ويستحله، فهل نتعامل معهم مثلهم؟! ونكون قد نزلنا من نظر الله؟!

لا ..!!

ولكن علينا أن نتحلى بالأخلاق الكريمة .....

وهذه تحتاج إلى صبر عظيم حتي نكون مع حضرة النبي ﷺ يوم القيامة، من الذين سيكون قريب منك يا رسول الله يوم القيامة قال:

{ إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ }[١٨]

١٨ رواه الطبراني عن جابر بن عبد الله ﷺ

المرابطة

﴿ وَرَابِطُواْ ﴾ :

أما المرابطة فمعناها اللغوي تعني المجاهدة في سبيل الله.

وهم الواقفون علي الحدود لرد العدو إذا أراد أن يعتدي عليها.

وحضرة النبي ﷺ من جميل عفوه وكرمه يسَّر علينا الأمر، فمن الممكن أن تنال أجر المرابطين وأنت هنا، كيف؟ قال ﷺ:

{ أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ }[١٩]

فأنا طيلة النهار ساعي في الدنيا علي الأرزاق وغيره:

- فعليَّ أن أجعل صلاة المغرب في بيت الله.
- وأجعل ما بين المغرب والعشاء مع الله في بيت الله؛ أقضيه في عمل صالح أعمله لله، ولو قلت سأفعل ذلك في البيت؛ ستجد ما يشغلك عن الله!!

---

١٩ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

- فعليَّ أن أظل في بيت الله تلك الفترة أصلي ما تيسر، أو أقرأ ما تيسر من كتاب الله ﷻ، وأستغفر الله ﷻ، لعلي أمحو الذنوب التي ارتكبتها في هذا اليوم.
- أو أصلي علي الحبيب المحبوب حتي يكون اسمي في الكشوف التي ستنال شفاعة النبي يوم القيامة، وحتي أكتب مرابط في سبيل الله.
- أما لو جلسنا جماعة في المسجد و قضيت هذا الوقت في الكلام فأكون قد ضيعت الأجر والثواب، ونكون قد اكتسبنا ـ والعياذ بالله ـ عقوبة بالذنوب التي ارتكبناها.

قال ﷺ

{ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَحَلَّقُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ، وَلَيْسَ هِمَّتُهُمْ إلا الدُّنْيَا، لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ، فَلا تُجَالِسُوهُمْ }[٢٠]

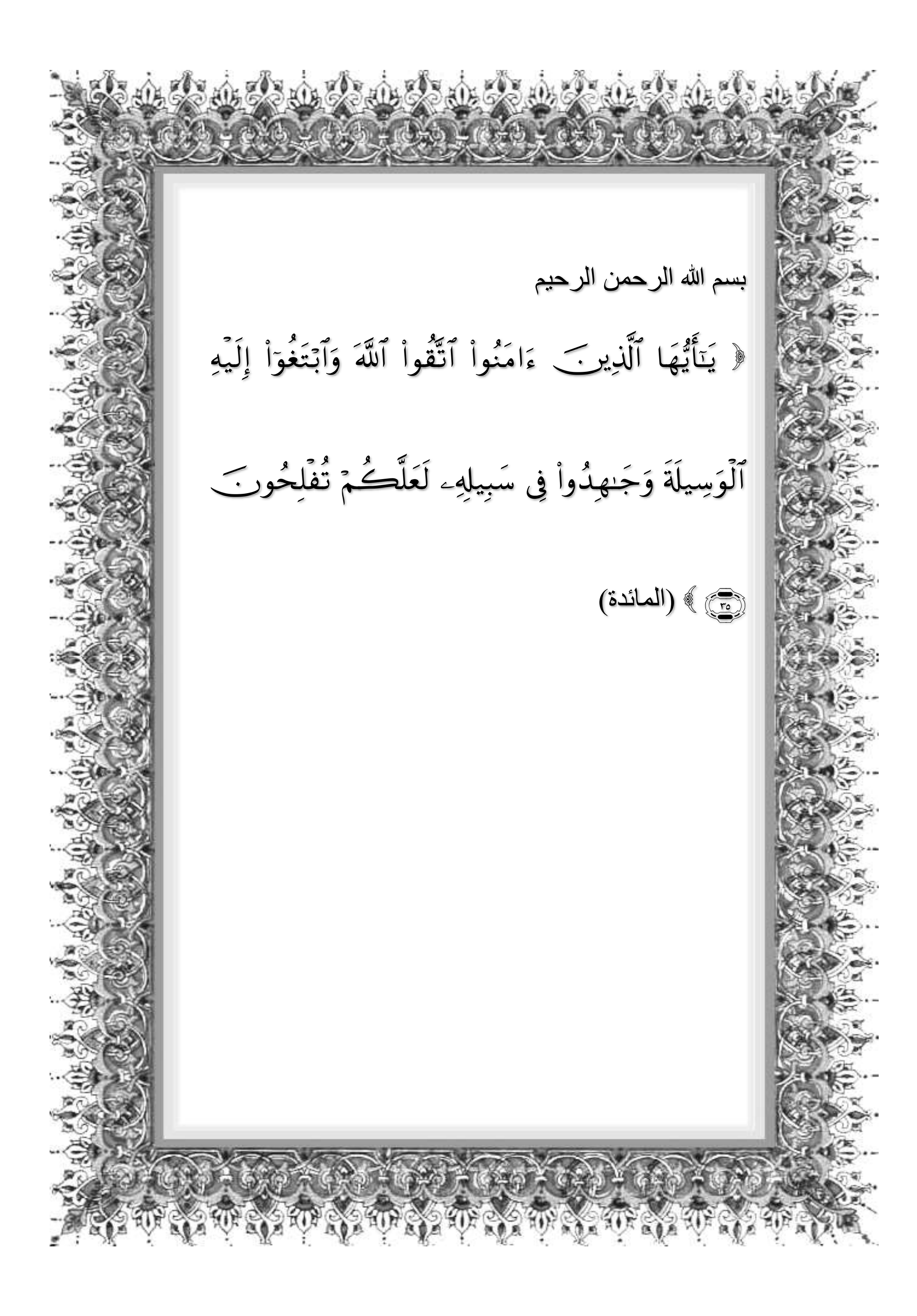
فالدنيا بالخارج لماذا أُدخلها معي في المسجد، فالمسجد جُعل لطاعة الله ﷻ .

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ :

٢٠ الحاكم في المستدرك عن أنس ﷺ

ثم يطالبنا بعد ذلك بتقوى الله تعالى أي مراقبته في السر والعلن، والظاهر والباطن، وفي القول والعمل، وفي كل أمر يُقبل عليه الإنسان؛ لأن ذلك سبب للفلاح، وهو الفوز العظيم بالمقام الكريم والتكريم يوم لقاء الكريم ﷻ، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل هذا المقام أجمعين.

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٣٥ ﴾ (المائدة)

١٢- منزلة الوسيلة[1]

خطابٌ من الله لنا جماعة المؤمنين وللمؤمنين الأولين والآخرين والمعاصرين:

وكلمة لعلَّ في القرآن كله ليست بمعنى الترجِّي ولكن بمعنى اللام، فتكون الآية: وجاهدوا في سبيله لتفلحون، أو لتكونوا من المفلحين، والفلاح هو الفوز الأعظم بالنعيم الأكرم الذي جهَّزه الله ﷻ لعباده الصالحين إن عاجلاً في الدنيا، أو آجلاً في الآخرة يوم الدين، والذي يقول فيه ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَعَدَّ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[2]

كل روحٍ تقية نقية تصبوا إلى نعيم الله، وإلى إكرامات الله، وإلى عطاءات الله التي أعدَّها للصالحين في الدنيا ويوم الدين، ونحن جميعاً نريد أن نكون من أهل هذا المقام ومن المفلحين.

---

[1] الأقصر – الكرنك - نجع الطويل ٢٤ من محرم ١٤٣٧ هـ ٦/١١/٢٠١٥م
[2] صفة الجنة لأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

طريق المفلحين

ومن يريد أن يكون من المفلحين يلزمه أربع أمور وضحتهم الآية: الإيمان، وتقوى الله ﷻ، وابتغاء الوسيلة، والجهاد، ولكي يكون الإنسان قد فاز وجاز ويُصبح من المفلحين بيقين لا بد وأن نعمل بهذه الأربع:

الإيمان الصادق

أولاً: الإيمان الصادق الذي يشير إليه الحبيب ﷺ فيقول:

{ لَيْسَ الإيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَلا بِالتَّحَلِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ }[٣]

ولذلك تجد دائماً في كتاب الله الإيمان مقرونٌ بالعمل الصالح:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (٢٢٧الشعراء) لأن الإيمان دعوة، والدعوة تحتاج إلى حُجَّة أو برهانٌ على صدق هذه الدعوة، والبرهان هو العمل بما طالب الله ﷻ في قرآنه والنبي في سنته أهل الإيمان.

---

٣ الدارقطني وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه

أما من يدَّعي الإيمان ولا يطبق ذلك عملاً ويُسوِّف ويقول: إن شاء الله في المستقبل سأفعل كذا، أو يؤخِّر، فهذا تخدعه النفسُ، أو يستهزئ به الشيطان، ولذلك ورد عن الحسن البصري قال: ((وإن قوماً خدعتهم الأماني وغرَّهم بالله الغرور وقالوا: نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل)).

فعلامة صدق الإيمان العمل الصالح.

وقد بين النبي ﷺ لأهل الصدق في الإيمان في إحدى المواقف علامات صدق الإيمان، فقال لقومٍ من الصادقين:

{ أَمُؤْمِنُونَ أَنْتُمْ؟ فَسَكَتُوا، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ عُمَرُ فِي آخِرِهِمْ: نَعَمْ، نُؤْمِنُ عَلَى مَا أَتَيْتَنَا بِهِ، وَنَحْمَدُ اللَّهَ فِي الرَّخَاءِ، وَنَصْبِرُ عَلَى الْبَلاءِ، وَنُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مُؤْمِنُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ }[٤]

لماذا؟ لأنهم أثبتوا حقيقة الإيمان، هذه منزلة، وبيَّن صاحب المنزلة الأعلى فقال لحارثة الأنصاري رضي الله عنه ذات صباح:

---

٤ معجم الطبراني عن أنس رضي الله عنه

{ كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، قَالَ: أَصْبَحْتُ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنْ الدُّنْيَا وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي قَدْ أُبْرِزَ لِلْحِسَابِ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عُوَاءَ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ لَهُ: عَبْدٌ نَوَّرَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، إِذْ عَرَفْتَ فَالْزَمْ }[٥]

منهاج الصالحين

وهذا منهج الصالحين، والذي وضعه سيد الأولين والآخرين ﷺ، وإذا طبقَّت هذه الأوصاف على رجلٍ ولم تجدها فيه فاعلم أنه لم يتم له المراد ويحتاج إلى إعادة الكرَّة وبدء الطريق من البداية.

من الذي رسم هذا المنهج لهذا الرجل؟ هو، لذلك لا بد لكل واحد أن يرسم لنفسه منهجاً: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (٤٨المائدة) فالشريعة هي الأحكام التي بينك وبين الخلق، وبينك بين نفسك، وبينك وبين ربك، وهي تنظم الحياة وفيها رضا الله، والمنهاج فيه الصفاء والنقاء لتلقي المنح الإلهية والعطاءات الربانية الخاصة بأهل الخصوصية.

أول المنهاج: (عزفت نفسي عن الدنيا) وهو ما نسميه الزهد في الدنيا:

٥ مصنف ابن أبي شيبة

{ رجلٌ يسأل حضرة النبي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فقال ﷺ: " ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا، يُحِبُّكَ اللَّهُ ﷻ وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، يُحِبُّكَ النَّاسُ" }[٦]

وهذه أول درجة في منهج الزُهد .... والزهد ليس في اليدين ولكن الزهد في القلوب، ومن ليس عنده شيء ويقول: أنا زاهد، ففي أى شيء تزهد، وليس عندك شيء تزهد فيه؟!.

الزاهد هو الذي يملك الأشياء، ولا تملك الأشياء قلبه، وإنما يضعها في يده ويُصرفِّها كما أراد ربه، لكن لو دخلت القلب وسكنت وتمكنت وأصبحت تُحركِّه وتسيِّره وتأمره وتنهاه، فيكون عبداً لها وليس عبداً لله.

ثم بعد ذلك: (أسهرتُ ليلي وأظماتُ نهاري) قيام الليل وصيام النهار، والذكر الحقيقي هو ذكر العارفين، الذكر الذي نفعله مع بعضنا في صفوف ونحرِّك اللسان ذكر المبتدئين أو ذكر السالكين، أو ذكر المريدين، لكن ذكر الصالحين أن لا يغيب عن خاطره نفسٌ نظر الله إليه، يرى في كل آناته وكل أحواله أن الله يطلع عليه ظاهراً وباطناً ولا يخفى عليه خافية.

٦ سنن ابن ماجة والحاكم في المستدرك عن سهل بن سعد رضي الله عنه

إذا وصل العبد إلى هذا المقام فهذا اسمه: الذكر الأكبر لله ﷻ، لكن الذي نفعله فهذا تمرين على الذكر، وتدريب لنذكر الله، لكن لم ندخل المباراة بعد، فهي تحتاج إلى لياقة أخرى.

فحقيقة الذاكر لله أن لا يغيب الله عن بال العبد طرفة عينٍ ولا أقل، وأن يلحظ على الدوام أن الله مطلعٌ عليه ويراه، وأنه سبحانه وتعالى يعلم سره ونجواه، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي تنكشف له جميع أحواله الظاهرة والباطنة وإن اجتهد في إخفائها عن خلق الله جميعاً .... كل هذا في مقام الإيمان، فالإيمان لا بد له من العمل الممنهج على منهج شريعة الله، وعلى وفق سنة حبيب الله ومصطفاه، وعلى التأسي بالصحابة الأفاضل الكرام ومن بعدهم من الصالحين على الدوام.

مقام التقوى

وبعد هذا الإيمان يطالبنا الحق فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ مقام التقوى، وتقوى الله في حقيقتها هي شدةُ الخوف والوجل الذي ينتاب القلب فيجعل صاحبه يخشي أن يقع في الذنوب والآثام، ويرجع إن عُرض عليه شيء من الحرام، ويتوقَّف إذا زلف لسانه وخاض في حق رجلٍ من الأنام .. يجعل الإنسان يمشي على المنهاج القويم والطريق المستقيم.

التقوى الكلام فيها كثير، وهي درجات ليس لها عدٌّ ولا حصر، منها ما قال فيها الإمام علي ﷺ: ((التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والإستعداد ليوم الرحيل)).

ومنها ما قال فيها الحبيب الأعظم ﷺ عندما سُئل عن قوله ﷻ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ (١٠٢آل عمران):

{ أَنْ يُطَاعَ فَلا يُعْصَى، وَأَنْ يُذْكَرَ فَلا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلا يُكْفَرَ }[٧]

لا ينسي الله طرفة عين، كالرجل الصالح الشيخ الجنيد عندما جاءه أمر الله، وآن أوان قرب خروج روحه، فقال له من حوله: أُذكر الله، فقال لهم: وهل نسيته حتى أذكره؟! فلم أنساه طرفة عين ولا أقل من ذلك، ثم ناجى الحضرة الإلهية فقال:

إن بيتاً أنت ساكنه غير محتاجٍ إلى السُرجِ
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحُججِ

والرجل الآخر الذي يذكر الله ويقول له:

ذكرتك لا أني نسيتك لمحةً وأهون ما في الذكر ذكر لساني

ذكر اللسان سهل، وأنا لم أذكرك لأني نسيتك، وأنا أتلذذ بهذا الإسم، بالترنم به والتغني به لأنه إسم المحبوب الأعظم وهو الله ﷻ.

٧ حلية الأولياء لأبي نعيم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

والتقوى:

هي الحبل الأقوى الذي يجب على كل مؤمن أن يسعى لبلوغه، لأن به الدرجات في الجنات، وبها العروج إلى أعلى مقامات الكمالات، وبها الحصول على كل المُنى من العطاءات والهبات، فإن الله ﷻ وضع الميزان في كل وقتٍ وآن وقال لعباد الرحمن:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١٣الحجرات) .

ولم يقل: (التَقِيّ) وإلا كانت التقوى شيء ثابت، ...... ولكنه قال: (أتقاكم) بصيغة المبالغة، يعني هناك تفاوتٌ في التُقى، ..... فكلما زاد في التُقى ...... كلما زاد في التكريم من الكريم ﷻ.

وكما أنه :

لا نهاية لعظمة الله ﷻ، ولا لسعة عطاء الله .....

فلا نهاية للتقوى التي يرجو أن ينالها عباد الله .....، ناهيك بقول الله لأتقى الأتقياء وأنقى الأنقياء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ (١الأحزاب) :

ولكنها تقوى غير تقوانا نحن، والكلام فيها لا يُباح إلا إذا مُلكت الأرواح.

الوسيلة

ومع الإيمان والتقوى لكي ينال الإنسان الفلاح لا بد أن يطلب الوسيلة للقرب من الله ﷻ: ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾:

والوسيلة:

قال فيها المفسرون والمُؤولون كلام كثير، لكن الوسيلة عند المريدين والسالكين في رأي جملة الصالحين هي العارفين المتمكنين الذين أقامهم رب العالمين لدلالة الخلق عليه.

والوسيلة لكُمَّل العارفين وأئمة المتقين هو الحبيب الأعظم سيدنا رسول الله ﷺ.

أما بالنسبة للأقوال الأخرى أن الوسيلة هي العمل الصالح، فالإيمان معه العمل الصالح، والتقوى معها العمل الصالح، لكن الله يقول:

﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾: أي وابتغوا إليه ﷻ، ولكي تحظوا بالقبول، وتنالوا الوصول، وتتأهلوا للدرجات العالية، لا بد أن تدخلوا عليه بالصادقين الذين آواهم إلى حضرته وكنفهم بعنايته وجعلهم في الدنيا أبواباً لأهل قربه ومودته، وفيهم يقول الله:

﴿ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَا ﴾ (١٨٩البقرة) وقال ﷺ:

{ إِنَّ لِلَّهِ فِي الأَرْضِ آنِيَةٌ، وَأَحَبُّ آنِيَةِ اللَّهِ إِلَيْهِ مَا رَقَّ مِنْهَا وَصَفَا، وَآنِيَةُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ قُلُوبُ الْعِبَادِ الصَّالِحِينَ }[٨]

وعندما سأله كليم الله موسى عليه السلام: يا رب أين أجدك؟ قال:

{ أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي }[٩]

فإن الله ﷻ استودع أعزَّ ودائعه وأغلى أماناته في قلوب عباده الصالحين، فما وجد ﷻ مكاناً أمنع من الأهواء ومن النفوس ووساوس الشيطان إلا قلوب الصالحين التي حفظها بحفظه رب العالمين وقال في شأنها: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (٤٢الحجر) ولذلك كان سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وغيره من الصالحين، يقول لأصحابه: ((توسلوا إلى الله ﷻ بي)).

وبعضهم قال:

الوسيلة هي إسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وقال سيدي الحسن البكري ﷺ وكان قطب وقته وزمانه عندما سُئل عن إسم الله الأعظم: ((أنا إسم الله الأعظم، فمن توسَّل إلى الله بي نال مراده وحقق الله ﷻ له آماله)).

---

٨ حلية الأولياء لأبي نعيم والزهد لأحمد بن حنبل عن أبي إمامة رضي الله عنه
٩ ذكره الغزالي في البداية

والتوسل إلى الله بالصالحين يكون باقتفاء أثرهم، والمشي على هديهم، وحُسن متابعتهم، والتحلِّي بشمائلهم وجميل أخلاقهم، لأنهم اقتدوا واهتدوا بسيد الأولين والآخرين، فأصبحوا هم الصورة القريبة التي أستطيع التشبه بها لأنال القرب من رب العالين، وأكون الصورة المجملة على قدري من سيد الأولين والآخرين ﷺ.

إذاً الروشتة التي وضعها لنا ملك الملوك لنكون من المفلحين، الإيمان المقرون بالعمل، والتقوى التي فيها أن نذكره فلا ننساه، ونطيعه فلا نعصاه، ونشكره على جميع نعماه، ثم نبتغي الصالحين من عباد الله، ونقفوا على آثارهم، ونمشي على دربهم، وننهل من معارفهم، ونفتح قلوبنا لحقائقهم حتى يكرمنا الفتاح بالفتح كما أكرمهم.

الجهاد وأنواعه

وهذا يلزم له: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾:

لا بد من الجهاد، والجهاد نوعين: جهاد الكفار وهذا لمن أعلن الحرب على المسلمين، وكفر بالنبي وبالله رب العالمين، لكن لا يوجد في شرع الله أي مخرجٍ ولو بسيط لإعلان الحرب على من نطق بـ (لا إله إلا الله محمد رسول الله) حتى ولو كان متمرغاً في أوحال الذنوب والمعاصي، قال ﷺ:

{ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ إلا بِحَقِّهِ }[10]

كل من استباح دم من قال (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) اعلم أنه من الخوارج الخارجين عن دين الله ﷻ، لأن هؤلاء هم الطائفة الوحيدة التي استباحت دم المسلمين.

فمن قالها بلسانه فلنا الظاهر والله ﷻ يتولَّى السرائر، ولم يأمرنا الله أن نشق على القلوب، فما دام قد قالها بلسانه فقد عصم مني ماله ودمه إلا بحقه.

حتى الأعداء الذين كفروا بالله ورسوله أباح الله ﷻ للمسلم ترك قتالهم عند أمرين:

الأمر الأول: إذا كنت أريد تأليفهم، وأرغب في دخولهم في الإسلام، فإذا أعلنت عليهم الحرب فسيزيدوا كفراً وعناداً ولن يُقبلوا عليَّ.

الأمر الثاني: إذا كنت في حالة ضعفٍ شديد وهم أقوى مني، ولو حاربتهم سيحدث لي ما لا يُحمد عُقباه، وهنا قال الله: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً ﴾ (٢٨آل عمران)

١٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

فلا أهاجمهم حتى أستعد وأتجهّز وأتمكن، وأعلم علم اليقين أنني أستطيع أن أرد كيدهم في نحورهم ما داموا قد أعلنوا الحرب على الله ورسوله: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ (٦١الأنفال) يريدون السلام للخديعة، فقال الله ﷻ لرسوله: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ﴾ (٦٢الأنفال).

جهاد النفس

فهذا الجهاد للعدو الخارجي، لكن هناك عدو آخر أشد وأنكد من العدو الخارجي، فقد ورد أن حضرة النبي ﷺ عاد من غزوة تبوك، فالتفت إلى أصحابه وقال:

{ قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ، قَالُوا: وَمَا الْجِهَادُ الأَكْبَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ }[1]

هناك فارق كبير، فهذا جهاد أصغر والآخر جهاد أكبر.

[1] تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والزهد الكبير للبيهقي عن جابر رضي الله عنه

فمعضلة السالكين، وآفة الواصلين، وسبب حرمان العطاء للمقربين، جهاد النفس والهوى، ولما سُئل ﷺ عن أعدى الأعداء قال:

{ أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ }[12]

وليس جيرانك، ولا رفقاءك في عملك، ولا غيرهم، ولكنها النفس، لماذا؟

﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (٥٣يوسف) دائماً تأمره بالسوء، وليس مرةً واحدة، ولكنها

أمَّارة، ولذلك عندما سُئل بعض العارفين: كيف أُفرِّق بين خاطر النفس وخاطر الشيطان؟ قال: خاطر الشيطان ليس فيه إلحاح، يريد من الإنسان أن يعصى الله، فيوسوس لذنب، فإن اقترف هذا الذنب يبحث له عن ذنبٍ آخر، لكن النفس لحوحة، فتظل توسوس للمرء حتى يقع في الذنب:

وجاهد النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

وكيف نجاهد الهوى؟ وضع الحبيب خطة سهلة فقال ﷺ:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ }[13]

وهذا هو الميزان، فكلما حرَّكك الهوى إلى شيء زنه بميزان الشرع، والشرع يوافق عليه أو لا يسمح به، فإذا علمت أن الشرع لم يوافق عليه فلماذا تفعله؟!

---

١٢ الزهد الكبير للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما
١٣ معجم السفروشرح السنة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه

وهي آفة الآفات في زماننا هذا بجهل جهاد النفس، وبعض الناس يتحدون الله ﷻ، فيعرف ويسمع من العلماء ومع ذلك يخُصُّ الأولاد بتركته ويترك البنات، ويُصر على هذا الأمر!!

هذه أحكام الله، وأنت تُصر على مخالفة أحكام الله جل في علاه، واعلموا علم اليقين أن المخالفة يقول فيها الله:

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦٣النور) ...

إذاً أعرض كل شيء تحدثني به نفسي على شرع الله، فإن كنت لا أعلم: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل).

والذي يتخلَّص من الهوى فعلى الفور يدخل في معية الصديقين، ولكن إذا كان لا يزال عنده هوى؛ فيميل إلى هذا عن هذا، ويؤثر هذا على ذاك بهواه، أو لمصلحة أو لمنفعة، حتى ولو كان كبيراً في نظر خلق الله إلا أنه يكون صغيراً عند الله ﷻ.

الإمام على ؓ وكرَّم الله وجهه تولى الخلافة، وجاءه أخوه عقيل بن أبي طالب، وكان قد كُفَّ بصره، وأتي معه إبنه يسحبه، وجاء طامعاً أن يحبوه أخوه بشيء من المال، فأشار الإمام على لإبن أخيه أن تنحى واتركني وأخي، ونادي عليه وقال: يا عُقيل خُذ، يقول عُقيل: فمددتُ يدي وأظن أنه سيعطيني صُرة كبيرة مليئة بالدنانير، فإذا بي أجد قطعة حديد محمَّاة بالنار، فصرختُ وخُرتُ كما يخور الثور،

وقلت ما هذا؟ فقال الإمام على: إذا كنت لم تتحمَّل هذه الحديدة المحماة بنار الدنيا، فكيف تتحمل نار الآخرة؟! ليس لك عندي إلا ما رأيت ولا أراك بعد ذلك.

نحن لا نجد رجالاً في هذا الزمان مثل هؤلاء، فلا يوجد هوى لأخيه، ولا لإبنته ولا لأي إنسان نهائياً، لماذا؟ لأنهم رجال يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الله لومة لائم، والأمثلة في ذلك كثيرة ويضيق الحصر عن ذكرها.

أما جهاد النفس: فالنفس - باختصار شديد - هي عبارة عن الشهوة والحرص، شهوة البطن، وشهوة الفروج.

شهوة البطن

شهوة البطن هي سبب معظم المعاصي الآدمية، فمن يسكر، ومن يتعاطي مخدرات، ومن يُنقص الكيل في الميزان، ومن يأكل حق اليتيم، ومن يأخذ حق إخوته في الميراث، ومن يغش، ومن يكذب ... كل هذه الأشياء سببها شهوة البطن، حتى يحصل على مال يشبع البطن، مع أن طريق الولاية لله ﷻ هي مجاهدة شهوة البطن، قال ﷺ لسعد:

{ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ } [١٤]

هذا الجهاد الأول في إطابة الطعام على منهج الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وهذا ليس فيه هوى، لقوله ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا } [١٥]

باللقمة الواحدة، فكيف به إذا ملأها؟!! قال ﷺ:

{ أَيُّمَا لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ، فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ } [١٦]

فلا ينفع معه الذكر، ولا الجلوس مع الصالحين، ولا تلاوة كتاب الله، ولا حتى الحج، ولا أى عملٍ من الأعمال التي كلفنا بها الله جل في علاه، لأن الأساس المطعم الحلال، وقد قال ﷺ:

{ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿ يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾، وَقَالَ: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ } [١٧]

---

١٤ معجم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
١٥ معجم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
١٦ شعب الإيمان للبيهقي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه
١٧ صحيح مسلم وجامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

من يرد ميراث الأنبياء والمرسلين فعليه بالمطعم الحلال، والمطعم الحلال إذا حفظه الإنسان فهو بذاته سيحفظ كل دروب الإنسان.

شهوة الفرج

وهناك الفروج، وهي كل الفتحات التي في الإنسان، لينظر منها حقيقته النورانية في عالم الأكوان، والتي إليها الإشارة في قول الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَـٰفِظُونَ ﴾ (٥المؤمنون) فروج وليست فرجاً واحداً، كالأذن والأنف والفم والذكر .. كل هذه الفروج الأساس فيها المطعم الحلال، قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ((اللقمة الحلال لها نورٌ في القلب تجعل صاحبها يميل إلى الطاعات، وينحبس عند ورود الشهوات، واللقمة الحرام لها ظلمة في القلب تجعل صاحبها يتباطأ ويتثاقل عند الطاعات، ويسارع عند المعاصي والحرمات)).

فأساس كل شيء اللقمة الحلال:

وهذا جهاد الصالحين، ..... والذين يريدون الدخول في قول رب العالمين:..... ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (٢٧المائدة).

جهاد الطمع

وهناك جهاد آخر :

وهو جهاد الطمع ......

فدائماً ما يُحرِّك الإنسان في أي أمرٍ من أمور دنياه أو أُخراه أطماع، وأبينا آدم نفسه مع أن الله نهاه عن الأكل من الشجرة إلا أنه أكل منها طمعاً في الخلد، ولِمَ كان يطمع في الخلد؟ ليكون قريباً من الله وليس لشيء آخر.

والطمع هنا مذموم، لأن فيه مخالفة لأمر الحي القيوم، وهذا الطمع إن لم يكن فيه نهيٌ صريح فلا مانع، ولكنه نهيٌ صريح: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾

(٣٥البقرة).

دسائس النفس

ومن يمشي في طريق الله، ويكون من الأتقياء، ومن الأنقياء يتبقَّى عنده بعض الدسائس النفسية، ولا يستطيع أن يتخلَّص منها بالكلية إلا إذا سلَّم بالكلية للعارف الرباني الذي آتاه الله ﷻ وراثة النور والعلم كما قال ﷺ فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد والأربعة قال: { العلماء ورثة الأنبياء }.وعن أبى الدرداء مرفوعا بزيادة : { إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم } وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما ... وليس العلم فقط ولكن العلم ومعه النور، ومثال لذلك:

إنسان يريد أن يرتقي إلى الله، فيزيد في العبادات، ويجتهد في قيام الليل وصيام النهار معتقداً أنه إذا فعل ذلك يرتقي إلى الدرجات العالية، والحُظوة الربانية الدائمة الباقية،.... فهل هذا يكفي؟

..... لا .....، لأنه قد أخطأ المراد!!

وهذه دسيسة نفسية لأنني إذا عبدتُ الله أعبده لذاته، لا لغاية ولا لعلة، حتى ولو كانت الغاية الجنة، فلو عبدتُ الله للجنة أدخل في الصالحين الذين عاتبهم رب العالمين وقال لأحدهم كما ورد في بعض الأثر: ((لو لم أخلق جنة أو ناراً أفلم أكن أستحق العبادة لذاتي)) وقال للآخر: ((عجباً لمن رآني دون مكوناتي، قال: يا رب سبحانك تنزهَّت ومن الذي يراك دون مكوناتك؟ قال: من اتخذني وسيلة إلى جناتي فقد رآني دون مكوناتي)).

يعني أنت تعبدني لكي أُدخلك الجنة، فتكون الجنة غاية، لكن أنا أريد الجنة، لأن فيها القرب من الله، ولا أعبد الله لكي يدخلني الجنة.

فهذه العلل الخفية والدسائس النفسية لا يفطن لها العبد إلا إذا سلَّم بالكلية لرجلٍ من العارفين الكُمَّل ليتابعه في هذه المجالات، حتى يخلصه من هذه الأوحال والتي نسميها أوحال التوحيد.

قد يفتح الله ﷻ عليه أو يلوح له برقٌ أو بريقٌ من عالم الحقائق، وكل مرحلة من مراحل الطريق لها اختبارات يجريها الله ﷻ على العبد ليختبر صدقه في طلبه لله ﷻ.

وحكمة الله هكذا: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (٧هود) يختبر من يعملون، يُقبل العبد على الله فيُيسِّر له الدنيا، فيقول: الحمد لله لقد رضي عني الله، فيقف عند هذه الحاله، ومثل هذه العبادة كانت من أجل الدنيا.

أو يعبد الله ﷻ ويُخلص في العبادة، ويجتهد في الطريق، فيفاجأ بعناية الله، فيضعوه في منصب عظيم، فيقول أنا قد وصلت واتصلتُ ورضي الله عني، وهذا كله في الفاني والداني.

وقد يكرمه الله ﷻ فيحبب فيه بعض الخلق، ولا يريدون مفارقته، ويريدون مجالسته، فينظر إليه الله، هل سيميل لهم أو يميل بالكلية مع رب البرية ويُفرغ يديه من هؤلاء القوم؟ إذا مال لهم فقد مال عن الحق ﷻ.

وهذه من أكبر الآفات التي يتعرض لها أهل الطريق عموماً في زماننا:

فكل إنسان يريد أن يتقرَّب له الناس، ويتمسحون به ويطلبون منه البركات، وأن يقضي لهم الحاجات، ويأتون له بالزيارات والنفحات، ويكون شيخاً رسمياً، وعندما يصل إلى هذه الأشياء يقول بعضهم: ابنوا له ساحة، وابنوا له ضريحاً، لتزوروه وتعملون له مولداً، وهذا يقول فيه سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه: ((آخر داء يخرج من قلوب الصديقين حب الرئاسة)).

يريد أن يكون رئيساً، والرئاسة هنا معناها أن يكون دكتاتوراً، وكلمته تكون مسموعة، ومن يخالف يعلن الحرب عليه، لأنه يأتيه الإلهام، فكيف يخالفه أحد المريدين؟! ونسي قول الله لأصحاب رسول الله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (٣٨الشورى) وقوله للحبيب ﷺ ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ (١٥٩آل عمران) ولو كان أمرهم غير صائب، وأمره صائب ومع ذلك طلب منه أن يشاورهم، لأن هذا أمر الله ﷻ.

وهل الله يحتاج أن يشاور أحداً؟

ولكنه شاور الملائكة فقال لهم: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٣٠البقرة):

ليُقرَّ المبدأ، ولذلك قال أحد الصالحين: ((لو شاور آدم الملائكة ما خرج من الجنة)).

وهذه حقيقة لأنه لو شاورهم لنصحوه ولم يخرج من الجنة، لكن لما ترشَّد برأيه، ولم يشاور أهل المعرفة الكرام وهم الملائكة، فكانت النتيجة أنه خرج من الجنة.

فآفة الآفات هو حب المشيخة، وحب الظهور، أو الرغبة في الظهور بين يدي الخلق، لأن من يُظهروه لا يظهر إلا بعد أن يجردوه من الأغيار، ويعملوا له وقاية تامة من الشهرة والرياء والسمعة والعجب والإعجاب بالنفس.

فإذا كان فيه واحدة منها فيظل في طور التربية، حتى لا يخرج عن نهج الصادقين، ولا طريق المخلصين الذين اختارهم الله ﷻ وأشرف على رعايتهم وتربيتهم سيد الأولين والآخرين ﷺ، هذه الأمراض الباطنية يقول فيها النبي ﷺ:

{ الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ }[18]

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (١٠٦يوسف) ...

هم مؤمنون، ولكنه شركٌ خفي!!!!

والشرك الخفي هو نزوع النفس، أو شهوة للنفس في العمل، فيكون العمل لغيره، ولا يقبل الله العمل إلا إذا كان خالصاً بالكلية لوجهه.

واسمع إلى الله وهو يقول في اللبن: ﴿ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾

(٦٦النحل) لو أن اللبن اختلط به فرث من الحيوان لفسد اللبن، ولو أن اللبن اختلط به شيء من دم الحيوان فلا يخلص، وكذلك العمل :

---

١٨ الحاكم في المستدرك عن عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها

يجب أن يكون خالصاً من شهوات النفس وشهوات الحس ونزغات الشيطان حتى يكون خالصاً لله ﷻ.

وهذه مزالق الرجال، ومتاهات السالكين الذين تركوا الإهتداء بالسادة العارفين في هذا الوقت وفي هذا المجال، فظن أنه قد اهتدى ولم يعد يحتاج .... لكنك تحتاج في هذه المتاهات إلى من يأخذ بيدك ويقويك على الدوام، لأن هذه المتاهات يجب أن تتخطاها حتى تصل إلى النور التام ...

والنور التام هو نور الله ﷻ ونور المصطفى الذي ليس بعده ظلام، ولا وساوس نفس، ولا هواجس في الصدر، ولا هوى، ولا ميول، ولا شهوات .....

وإنما يسير المرء كما قال الله في شأن حبيبه ومصطفاه:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (المائدة)

١٣- منازل الفضل الإلهية[١]

في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن وكأنها تتنزل كقطر السماء, وكثر فيه على الإسلام الأعداء من كل فج, وخرجوا من كل جحر: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (٨الصف) وسيلتهم الأساسية هي الإعلام الجبار، الذي تنوعت وسائله لإضعاف نفوس المسلمين، ونشر الفرقة بين المؤمنين، وزعزعة العقيدة في نفوس الشباب الذي لا زال في مقتبل العمر، ولم يتشرب من حقيقة روح الإيمان، ولم يستشعر حلاوة كلام الرحمن.

علينا في هذا الزمن تجنب كل ذلك، ولا نصغى إلى وسائل الإعلام الأجنبية، ولا نصغى إلى وسائل الإعلام المحلية التي تسيّرها الأهواء والمطامع الدنيوية.

وعندنا بفضل الله الأنباء اليقينية في كتاب الله، وفي قول الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، وهذا كان حال السلف الصالح ﭬم، وحال الأتباع الصالحين في كل وقت وحين، حتى قال الإمام علي ﭬ وكرّم الله وجهه: ((لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله عز جل)) وعقال البعير هو الحبل الذي يجرّ به البعير، لو ضاع

---

١ الأقصر – الطود – المسجد العتيق ٢٦ من محرم ١٤٣٧ هـ ٢٠١٥/١١/٨م

وأريد أن أسأل عنه، أين أسأل؟ يقرأ كتاب الله، فيلهمه الله جل في علاه بالموضع الذي وضع فيه هذا العقال وتناساه أو أنساه الله؛ لشيء يعلمه الله.

وكان بعض السلف الصالح إذا سُئل عن الأخبار يقول: انتظر حتى أقرأ الصحف المطهرة، وليست الصحف المزورة الموجودة الآن!! فيقرأ القرآن، ويلهمه الرحمن بنبأ إخوانه المؤمنين في كل مكان، إنباءاً من حضرة الرحمن ﷻ، من الذي قال هذا الكلام؟

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة) اتق الله؛ يأتِ لك العلم فورًا طازجًا من الله ﷻ .... لذلك سيدنا رسول الله ﷺ لم يترك أمته في حيرة، كل شيء سيحدث في أمته إلى يوم القيامة أنبأ عنه، وأخبر عنه، وحدّث عنه ببيان نبوي واضح وجلي، لكن نحن، وكثير من أهل الأمة لا يلتفت إلى حديث النبي، ولا ما ورد في شأن هذه الفتن في هذه الأيام عن حضرة النبي، ويصغون السمع بالكلية لوسائل الإعلام الكاذبة.

وليس عندنا ثقة حتى في وكالات الأنباء الإسلامية!! بل نريد الأمريكية والإنجليزية والألمانية، كأنهم الذين ملكوا ناصية الصدق وكلامهم هو الكلام الصحيح، مع أنهم أكذب خلق الله، وكفي أن الله عرّفنا نيتهم، ماذا يريد هؤلاء؟ ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ ﴾ (٨الصف)

مهما تجملوا فإنهم يُسِرّون ما يريدون، ويُظهرون خلاف ما يكيدون، لكن لا بد أن نأخذ حِذرنا منهم، ولذلك قال الله ﷻ لنا:..... ﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ ﴾ (٧٣آل عمران) إياكم أن تأمنوهم أبدًا، فإذا سكتوا؛ فلأنهم يكيدون شرًا محققًا لهذه الأمة.

الأمة أتباعها وأهلها رحماء، عندهم شفقة وعطف وحنان، حتى أنه قال شخص من أهل الغرب كتب عن الفتوحات الإسلامية: ما وجدت فاتحين أرحم ولا أعدل ولا أشفق من العرب المسلمين؛ لا يقتلون امرأة ولا ولدًا صغيرًا، ولا يروعون شيخًا كبيرًا، ولا يقطعون زرعًا، ولا يدمرون بيتًا، يقاتلون من يقاتلهم؛ إذا أعلن القتال.

حتى في القتل رحمة، فإذا قتلوه لا يمثلون به، ولا يحرقونه بالنار، ولا يفعلون به شيئًا من الذي نراه من هؤلاء الكافرين، لكن أنتم رأيتموهم في عصرنا هذا، يريدون أن ينتقموا من المسلمين في كل مكان.

كل الحروب التي حدثت في عصرنا هذا ضد المسلمين، من أول البوسنة والهرسك، وانظروا إلى ما فعلوه بالمسلمين الضعفاء، لا رحمة ولا شفقة، الحيوان لا يفعل أفعالهم، فالحيوان أرحم منهم، لكنهم عندهم فظاظة وغلظة وقسوة زادت عن الحد.

وآذوا كما ترون المسلمين في أوربا، وفي بلاد الشرق الأوسط؛ ليبيا والعراق وسوريا والصومال واليمن، وقبلهم أفغانستان وكلها بلاد مسلمين، ويصنعون المشكلة ولا يضعون لها حلًا، وإذا أراد أحد أن يتدخل يمنعونه، لأنهم يريدون أن تزيد الأمور إلى الأسوأ .... لماذا أقول هذا الكلام؟

لكي تعرفوا أننا في حرب لا هوادة فيها من الكافرين أجمعين, وإن شاء الله سينصر الله الإسلام، هم لو يحاربوننا نحن؛ لا نستطيع لأننا ضعفاء، لكنهم لا يستطيعون أن يحاربوا الله ﷻ، والحرب على الإسلام حرب على رب العزة سبحانه وتعالي.

فتنة الإلحاد

ومن ضمن هذه الحروب التي نشروها بيننا في الأيام الماضية، يريدون أن ينشروا الإلحاد والرجوع عن الدين في بلاد المسلمين، وخصصوا محطات فضائية، ومواقع على النت، ويحاولون أن يستقطبوا بعض شبابنا؛ منهم من يستقطبونه بالمال، ومنهم من يستقطبونه بالوظائف، ومنهم من يستقطبونه بالجنس؛ لكي يدخلونهم في دائرة الإلحاد، ويكفرون بالله جل في علاه، ويكفرون بالحبيب المصطفي ﷺ، وبكتاب الله ويروون لنا روايات، والناس يسمعونها فيفزعون.

يقولون لنا: في الآونة الأخيرة أن عدد المرتدّين في مصر زاد عن المليون، يريدون منا أن نهتزّ، وكلها شائعات، لكن الحمد لله نحن نعلم جيدًا علم اليقين أن الإيمان بضاعة من رب العالمين، ولم يتركها لأحد من الملائكة, بل هو بذاته الذي كتبه في قلوب المؤمنين: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ (٢٢المجادلة)

والذي كتب في قلبه الإيمان؛ حبب إليه الأعمال التي تزيد في الإيمان: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ (٧الحجرات) يعني ليست بضاعتنا، ولكنها بضاعة الله جل في علاه: ﴿ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (٧الحجرات).

بماذا زيّنه؟ زينه بالإخلاص والخشوع والحضور بين يدي الله، والخوف من جلال الله، والحب الدائم لجميع خلق الله؛ لإرضاء الله، والرغبة في معرفة شريعة الله؛ ليقوم بها الإنسان منفّذًا في هذه الحياة, كل هذه الأشياء لا تظن أنها منك أنت، لكنها من الله ﷻ.

فالذي كتب الله في قلبه الإيمان، وزين له الأعمال التي تزيد الإيمان، هل يستطيع أحد من الأولين أو الآخرين أن يغير هذا الإيمان؟ لا, حتى الشيطان.

جعل الله الإيمان في القلوب: ﴿ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ (٢٢المجادلة) وجعل القلوب في أمان بحفظ حضرة الحفيظ ﷻ، ما المكان الذي يوسوس الشيطان فيه؟ لا يستطيع أن يقترب من القلب: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ (٥الناس) يوسوس في الصدر، لكن لو ذهب إلى قلب فيه الإيمان يحترق فوراً من النور الذي فيه؛ لأنه نور حضرة الرحمن الذي انبلج في قلب هذا المؤمن، وظهر فيه نور الإيمان.

والشيطان لأنه يعرف ذلك فهو لا يذهب إلى ناحية القلب أبدًا, لكنه يوسوس في الصدر، وجعل الله كيده ضعيفًا: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٧٦النساء) فبمجرد أن يقول الإنسان (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) يفر هاربًا، وإذا سمع الأذان يفر هاربًا، وحضرة النبي ﷺيقول:

{ إِذَا أُذِّنَ بِالصَّلاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ أَقْبَلَ فَإِذَا ثُوِّبَ أَدْبَرَ }[٢]

يفرّ عندما يسمع الأذان؛ لأنه سمع اسم الله.

فأهل الإيمان الحقيقي في حفظ الله وكنفه، والذين يرجعون عن الإيمان فهذا ليس بجديد، فقد كان موجودًا في عصر حضرة النبي، وزاد في عصر الصديق، ونقص في عصر الفاروق، لكنه كان موجودًا.

---

٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

لماذا؟! يوجد أناس دائمًا يريدون أن يأخذوا الدين للوصول إلى مآرب ومنافع دنيوية عاجلة؛ إما للحصول على المال، أو الرئاسة، أو الشهرة والرياء والسمعة، لكن الإيمان لا يستقر في قلبهم، هؤلاء الذين يترددون ويذهبون هنا أو هناك، وهؤلاء بين بين.

لكن المؤمنين الصادقين في اطمئنان أن الله ﷻ يحفظهم بحفظه في الدنيا، ويؤمنهم من الفزع الأكبر يوم الدين، واسمعوا الله وهو يقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَـٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٦٤يوسف).

فاطمئنوا يا أهل الإسلام لأن المؤمنين بخير إن شاء الله، وقد حدث هذا في عصر حضرة النبي، ولا تخافوا عندما تسمعوا أن أحدًا ارتد، أو رجع عن الإسلام، فهو لم يدخل لكي يحتسب على الإسلام؛ لأنه من دخل الإسلام وذاق حلاوة الإيمان، لو وضع في النار؛ يفضّل أن يموت مشويًّا على أن يرجع عن دين الله ﷻ؛ لأنه ذاق، لكن الذي رجع من هؤلاء، فهو لم يستشعر حلاوة الإيمان، فيكون إما طامعاً في دنيا فانية، أو رغبات دنية دنيوية، ونسي أنه بعد الدنيا هناك حياة أبدية، ..... إما نار لا ينفض عذابها، .....

وإما جنة يدوم نعيمها.

في عصر حضرة النبي ظهر ثلاثة؛ واحد في اليمن، وواحد في اليمامة، وواحد في قبيلة تسمي بني أسد، وكلهم ادّعوا النبوة، وظنوا أن الرسول ﷺ فعل ذلك ليكون زعيمًا سيّدًا، واستنصروا بعائلاتهم الكبيرة وأطمعوهم، وقالوا لعائلاتهم، بأنه عندما يكون لنا شأن فإنكم سيكون لكم شأن، وتكون الدولة لكم، والمملكة ملككم، أحدهم تجرأ فأرسل لرسول الله ﷺ رسولين ومعهما رسالة منه، وقال له:

{ مِنْ مُسَيْلِمَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أُشْرِكْتُ فِي الأَرْضِ، فَلِي نِصْفُ الأَرْضِ وَلِقُرَيْشٍ نِصْفُهَا، غَيْرَ أَنَّ قُرَيْشًا قَوْمٌ يَعْتَدُونَ، قَالَ: فَقَدِمَ بِكِتَابِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ، فَلَمَّا قُرِئَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكِتَابُ قَالَ لِلرَّسُولَيْنِ: لَوْلا أَنَّكُمَا رَسُولانِ لَقَتَلْتُكُمَا، ثُمَّ دَعَا بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، فَقَالَ: اكْتُبْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، السَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، ((إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ))} [٣].

ولو تتبعنا التاريخ فالإسلام لم يظهر على كل الأديان إلى وقتنا هذا، لكن الله يبشرنا أنه عن قريب إن شاء الله سيعز الله الإسلام وأهله، ويمحو الكفر وأهله، ولا يبقى في الأرض إلا الإسلام وأهل الإسلام، قال ﷺ متحدثاً عن آخر الزمان:

---

٣ مسند أبي حنيفة وتاريخ دمشق لابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ وَتُمْلأُ الأَرْضُ مِنَ الإِسْلامِ، وَيُسْلَبُ الْكُفَّارُ مُلْكَهُمْ فَلا يَكُونُ مُلْكٌ إِلا الإِسْلامَ } [٤]

وبوادر هذا ظهرت والحمد لله رب العالمين ....:

كلما أعلنوا حربًا على الإسلام يقول كثير منهم: نريد أن نقرأ الإسلام ونتعلمه؛ فيدخل ملايين في الإسلام، ما السبب؟ هم الذين أثاروا انتباههم لدين الله ﷻ؛ لأنه دين الله، وسيكون له الأولوية على كل الحياة الدنيا، إن شاء الله.

ظهر مرة أخرى في عصر أبي بكر ﷺ، وهؤلاء كانوا يريدون أن يكونوا أنبياء، فكان بعضهم يؤلف كلامًا؛ ليكون قد أتى بقرآن مثل النبي ﷺ، ..... وهذا الكلام ليس له معنى أبدًا.

والعرب كانوا فصحاء وبلغاء، وكانوا يدركون عظمة القرآن، والله ﷻ تحداهم، فهم أهل الفصاحة والبلاغة، فعجزوا أن يأتوا بسورة مثل هذا؛ أو بعشر آيات؛ أو حتى بآية؛ فلم يستطيعوا أيضًا، وسجدوا وسلموا؛ لفصاحة وبلاغة كتاب الله؛ لأن الذي أنزله هو حضرة الله جل في علاه، الحرف الواحد في كتاب الله يحيّر الأولين والآخرين في معناه، لأنه كتاب الله المبارك.

---

٤ فوائد تمام الرازي وتاريخ دمشق لابن عساكر عن أبي إمامة رضي الله عنه

بعدما انتقل حضرة النبي إلى الرفيق الأعلى، وكان العرب حديثي عهد بالإسلام، وكان النبي يرسل أناسًا من عنده يجمعون الزكاة ويوزعونها على الفقراء، ولم يتركوا لكل فرد توزيع زكاته بنفسه، فكانت الدولة تجمعها وتوزعها؛ فيجمع المكلفون بجمع الزكاة من أهل البلد ويحصروا الفقراء ويوزعونها عليهم، فأرسل سيدنا معاذ إلى اليمن فقال له:

{ أَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ }[٥]

لم يرد رسول الله ﷺ شيئًا، بل ردها إلى الفقراء؛ لتكون قد خرجت عن الهوى، وتعالج مشكلات المجتمع.

هؤلاء القوم كان بعضهم ضعفاء النفوس فقالوا بعد انتقال رسول الله إلى الرفيق الأعلى: لماذا فرضت هذه الزكاة علينا؟! نحن نبقى مسلمين لكن بشرط أن نصلي فقط، ولا ندفع الزكاة، فسيدنا أبو بكر رضي الله عنه كان نحيف الجسم، لكن كانت فيه روح يقول فيها الشيخ محي الدين ابن العربي رضي الله عنه: ((روح أبو بكر الصديق تهزم جيشًا بأكمله)) روح قوية فتية في دين الله عز وجل.

٥ البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

فقال لأصحابه: ما رأيكم، فقال سيدنا عمر الشديد في دين الله: الدولة كما ترى، ونحن في البداية، والأعداء حولنا من كل جانب، نتركهم إلى أن نقوى، وإذا بسيدنا أبو بكر يثور، وقال:

{ وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ "[٦] وقال لعمر: جَبَّارٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خَوَّارٌ فِي الإِسْلامِ }[٧]

لأن القرآن عندما تأتي آيات تذكر الصلاة ...، تُذكر الزكاة بعدها مباشرة: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (٤٣البقرة) وفي أكثر من موضع في كتاب الله ﷻ، فكيف نفرق بينهما والله قرنهما؟!.

وقال بعضهم: يا خليفة رسول الله، نحن ضعفاء، وهنا زوجات النبي، فلا نستطيع أن نحمي زوجات النبي في المدينة ونخرج نحارب ...، الجيش لا يستطيع ذلك ....، فقال: والله لو تخطفت زوجات النبي الوحوش، لا بد أن أحاربهم!!!

ما هذه العزيمة!! فالذي أعطاها له رب العزة ﷻ، فقال: هيا؛ فلم يخرجوا معه، فقال: أنا سأخرج بمفردي أحاربهم، فخرج بمفرده، فأُحرجوا من فعله، وخرج وراءه هؤلاء الأبطال، وتم القضاء على هذه الفتنة ببركة سيدنا أبوبكر رضي الله عنه،

---

٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
٧ دلائل النبوة للبيهقي

هذا الذي يقول لنا فيه الله: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ يقضوا على هذه الفتن .... أولهم أبو بكر الصديق ﷺ، فإياكم أن تخافوا من المرتدين في أي زمان ومكان.

لذلك كان هناك نفر مع سيدنا عمر وابنه عبد الله، ويتحدثون عن سيرة أبي بكر، ويثنون على سيدنا عمر، فيقولون له: أنت على أيديك الفتوحات، وتم تنسيق الدولة، وأقيمت النظم والدواوين، فقال لهم: والله ليوم وليلة من أبي بكر خير من عمر وآل عمر.

فقالوا: ما اليوم؟ وما الليلة؟ فقال: الليلة ليلة الهجرة، فإن الله ذكره في آية واحدة خمس مرات مع رسول الله: ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٤٠التوبة) خمس مرات يذكره مع حبيبه في آية واحدة، وعندما أعطى حبيبه أعلي ما يرجوه فقال له: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى) وقال للصديق: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ (٢١الليل) من نوعية العطاء الذي خص به أمير الرسل والأنبياء ﷺ- (ولهذه القصة روايات عديدة بكتب السير) .....

فقالوا: وما اليوم؟

قال يوم الردة، لولا أبي بكر لضاع الإسلام، ولشرد الناس جميعهم في الجزيرة العربية، شرارة واشتعلت، الذي في اليمن والذي في اليمامة، والذي في جهة الشام، ولذلك أخرج سيدنا أبوبكر أحد عشر جيشًا، كل جيش لجهة من الجهات، انظر إلى الأعداء كانوا كثرة، والذين هم في الأصل مسلمون، لكنهم ارتدّوا، وكانت النتيجة في أيام معدودات، كتب الله ﷻ له النصر في كل هذه الجهات، وأيده الله ﷻ بتأييده.

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾:

وهذه الآية في كل زمان ومكان، في أي موضع من أرض الله ستجد هذا الصنف موجودًا، فما صفتهم؟ فهم ليس الذين أحبوا الله أولًا، ولكن الله الذي أحبهم أولاً: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ فهم أحبوه لأنه أحبهم، والأعمال كلها الفاضلة والصالحة لا تتم إلا بفضل الله، ولا يستطيع الإنسان أن يعملها إلا بمعونة وحولٍ وطولٍ من مولاه ﷻ.

لذلك أحد السائلين يقول للسيدة رابعة العدوية رضي الله عنها:

هل لو تبت يتوب الله ﷻ عليَّ؟ قالت: لا، بل لو تاب الله عليك لتبت، ألم تسمع لقول الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ﴾ (١١٨التوبة).

والذي يتوب عليه الله؛ كيف يتوب؟ يلهمه في قلبه خواطر إلهية، وإلهامات ربانية؛ فيحس بالذنب، ويؤنب نفسه على الذنب، ويلوم نفسه على الوقوع في الذنب، ويحس بالندم، ويحس بالخوف والوجل، فيسارع إلى التواب ليتوب عليه علام الغيوب ﷻ.

لكنه لو تمادى في الذنب واستهتر بالذنب كما نري من بعض المجاهرين بالمعاصي، وافتخر بالذنب وظن أنه فارس أو بطل بفعله، ولم يؤنب ولا يلوم نفسه فكيف يتوب؟!! فهو يتباهى بالأعمال التي يعملها مع أنها مخالفةٌ شرعية.

فالذين يحبهم الله ويحبونه، هؤلاء رعاة الدين، وحماة الدين، والقائمون بالمكافحة عن هذا الدين في كل وقت وحين كما أخبر رب العالمين ﷻ.

علامات أهل محبة الله

أولاً: التواضع للمؤمنين:

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ :

التواضع لإخوانه المؤمنين، لا يتكبر، ولا يحس بزهو، ولا يحس بخيلاء، ولا يحس بفخر، ولا يحس بعجب لإخوانه المؤمنين؛ لأن المؤمن الصادق يرى أنه لا يستطيع أن يفعل شيء، بعد توفيق الله، إلا بدعاء إخوانه المؤمنين له،

وكان ﷺ قبل أن يخرج إلى الغزوات يمر على فقراء المسلمين الساكنين في مسجده المبارك ويقول: يا إخوتي إنما نُنصر بدعائكم.

الأبطال الصناديد عندما وقفوا في إحدى المعارك، فقالوا نحن فعلنا كذا وكذا، فقال لهم الله: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ (١٧الأنفال) هل أنتم فعلتم شيئًا من غير مدد الله؟! وهل نسيتم مدد الله وعون الله ومعونة الله؟!.

فالمؤمن دائمًا وأبدًا يعتمد على مدد الله، ومعونة الله، ودائمًا يستمد الدعاء من إخوانه المسلمين، وقد قال ﷺ معلمًا لأصحابه الكرام:

{ ابْغُونِي فِي ضُعَفَائِكُمْ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ }[8]

ابحثوا عن الضعفاء الذين فيكم وارعوهم، فإن الله ﷻ ينصركم بسبب ذلك، ويؤيدكم ويجنبكم المهالك بما تفعلون بأهل ذلك.

فيكونون أذلة على المؤمنين، يعني متواضعين، ....

ولذلك كان الصحابة الكرام يتنافسون في مودة الضعفاء والفقراء والمساكين بأنفسهم، سيدنا أبوبكر، وسيدنا عمر، ماذا كان قيام ليلهم؟ كم ركعة كانوا يصلونها بالليل؟ ما تيسر، لكن قيام الليل الأصلي عندهم تحسس أحوال المنقطعين من أمة سيدنا محمد ليوالونهم ببرهم وإكرامهم وعطفهم، ويبحثون ويجتهدون في البحث.

---

٨ الحاكم في المستدرك والنسائي عن أبي الدرداء رضي الله عنه

سيدنا عمر بحث ووجد امرأة مقعده – مشلولة - وليس معها أحد يؤنسها، تريد من يؤكلها ويسقيها، وينظف لها المنزل، فكلما يذهب إلى هذا المكان؛ يجده نظيفاً، والماء موجود، والأكل موجود؛ فقال لها ذات مرة: يا أمة الله من الذي يصنع لك كل هذا؟ فقالت له: شخص لم أعرفه، فقال متى يأتي؟ فقالت قبل الفجر بساعة؛ فوقف سيدنا عمر ذات يوم بعيدًا ليرى من ذلك الرجل، فنظر فوجده سيدنا أبو بكر، فقال لنفسه: تبًا لك يا عمر أتتبع عثرات أبي بكر.

فلينظر الذين لم يعرفوا حقيقة العبادات في الإسلام، فيقول: أنا أصلي طوال الليل، وليس لي شأن بهذا, صلاتك لنفسك، لكن عملك لعباد الله أنفع لك عند ربك ﷻ، فكانوا يبحثون عن الفقراء والمساكين، يؤونهم ويعولونهم، لماذا؟

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾:

والنبي حذرهم من أن يُغضبوا الفقراء أو يحزنوهم، سيدنا أبو بكر كان يتكلم مع أهل الصفة، وهم فقراء المسلمين في مسجد حضرة النبي ﷺ، ليس لهم بيوت ولا زوجات ولا مال ولا تجارة، موجودون وحضرة النبي يطعمهم ويسقيهم، وعين لهم عريشًا اسمه الصفة لكي يناموا تحته؛ ليقيهم من الشمس والمطر، وهم جالسون و أبو بكر معهم، ونظروا فوجدوا أبا سيفان داخلا المسجد بعدما أسلم، فقالوا:

{ وَاللَّهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا، فقال سيدنا أبو بكر: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ - هل في هذه الكلمة حرج؟ لا، ليس بها شيء - وبعد ذلك ذهب إلى حضرة النبي، وحكي له الموقف، فقال له: يَا أَبَا بَكْرٍ: لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ، فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي }[9]

عندما كان شبابنا ورجالنا مؤدبون على هذه القيم، كان المجتمع كله في خير وبر!!

لماذا؟ لأن كل فرد يريد أن يكرم الأكابر - الأكبر منه في السن - والضعفاء والمرضي وذوي الحاجات الخاصة، كل هؤلاء كان الإنسان المسلم يسعي في التواصل معهم، ويحرص على إرضائهم طمعًا في إرضاء الله سبحانه وتعالى، فكانوا يسيرون على هذه الشاكلة.

سيدنا أبوبكر ﷺ كان يذهب للجيران في كل صباح ... الذي عنده ماعز أو شاة أو ناقة .... يحلبها هو بنفسه لهم، وعندما تولى خلافة رسول الله، فوجد أنهم غير سعداء، ولم يباركوا له، فقال لهم: لماذا أنتم غير سعداء؟

---

٩ صحيح مسلم ومسند أحمد عن عائذ بن عمرو رضي الله عنه

فقالوا: أنت لن تحلب لنا بعد ذلك، فقال لهم أنا إن شاء الله على العهد الذي عاهدتكم عليه محافظ، يحلب لمن؟ للجيران كلهم، لماذا؟ طلبًا لمرضاة الله، ورغبة في استرقاق قلوبهم؛ لأن قلوب المؤمنين، أو جماعة من المؤمنين، لو توجهت بصدق ويقين في أمر إلى حضرة الله؛ فإن الله فورًا يستجيب لهم، فلذلك كانون حريصين على الفقراء والمساكين.

ثانياً: العزة على الكافرين:

﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾:

العز يكون على الكافرين الذين يحاربون الله رسوله، لا يذلون أنفسهم لهم ولا يطلبون منهم قليلًا ولا كثيرًا.

ذهب أحدهم إلى قيصر الروم، وكان ملكًا عظيمًا، فقال له الحراس: لابد أن تسجد للملك، فقال: عندنا لا يجوز السجود إلا لله، فاحتاروا، وكان رسول الله قد أرسل معه رسالة، فأتوا بنجارين، وصنعوا صنيعًا بالباب، بحيث أنه عندما يدخل لا بد أن ينحني، فلما رأى ذلك جلس على الأرض، ودخل برجليه!! لأنه من أهل العزة: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨المنافقون) فأصبحت رجليه في وجه الملك؛ ليظهر عزة أهل الإيمان.

رجل آخر في الحرب بين المسلمين والروم:

في عهد سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، وقع هذا الرجل أسيرًا، فوضع الله الرقة في قلب ملك الروم، وكان يغلي زيتًا يضع الأسرى فيه، فقال له: أنا سأتركك لكن لي شرط وحيد أن تُقبِّل يدي، قال: أقبّل يديك ولكن بشرط أن تصرف معي كل الأسرى الموجودين من المسلمين؛ فوافق على ذلك، وعندما رجع إلى المدينة، ووصل الخبر إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب؛ فقال له: أعطني يدك أقبلها فقبلها؛ لأنه عمل هذا العمل لله.

ثالثاً: الجهاد المبرَّأ من الهوى:

كانوا كما قال الله ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ ليس عندهم هوى ولا ميل ولا عصبية، وإنما أمورهم كلها على وفق الشريعة والسنة المحمدية، فلا يوجد واحد منهم يجامل، ولو كان أخاه.

سيدنا على ﷺ وكرم الله وجهه عندما تولي الخلافة:

ذهب إليه أخوه عقيل بن أبي طالب، وكان كفيفًا، وأخذ ابنه الصغير معه، فقال له: أريد شيئًا من المال الذي عندك، فصرف سيدنا عليٌ الغلامَ، وقال: يا عقيل، يقول عقيل: ففرحت واستبشرت، قال: خذ، فظننت أنها صرة كبيرة مليئة بالمال، قال: فإذا بيدي تلمس حديدة محماة، فصرخت وخُرت كما يخور الثور، وقلت: ما هذا؟ قال: يا عقيل، إذا كنت لم تتحمل هذه الحديدة المحماة بنار الدنيا، فكيف تتحمل نار الآخرة؟ ليس لك عندي إلا ما رأيت، ولا أراك بعد ذلك أبدًا.

نحن نحتاج إلى هذا الصنف:

﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٍۚ ﴾ :

همهم كله إرضاء الله، والعمل بشرع الله، ومتابعة حبيب الله ومصطفاه، من أين تعلموا ذلك؟ من رسول الله ﷺ.

عندما تجمع نساؤه عليه، فقالوا له: نريد أن توسع علينا كما وسع عليك الله، وقلن له: نساء كسرى ونساء قيصر عندهم الذهب والحرير والقطيفة، وعندهم الأشياء العظيمة، ماذا فعل حضرة النبي؟ أعتزلهن شهرًا كاملًا، وتدخل أصحابه، وتكلموا معه لكي يؤدبهم، إلى أن نزل التخيير من العلي الكبير فى سورة الأحزاب:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩ ﴾ (الأحزاب)

فخيرهم واحدة تلو الأخرى، تحكي ذلك السيدة عائشة فتقول:

{ لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ بَدَأَ بِي، فقَالَ:إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ، قَالَت: قَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَت: ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ: ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قَالَت: فَقُلْتُ: فِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ، فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، قَالَت: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ }[١٠]

١٠ صحيح مسلم والترمذي

وأصحابه ساروا على هذا النهج، والصالحون والأكابر والأولياء كذلك مشوا على هذا النهج، فما هذا النهج؟ هو العمل لإرضاء الله، وعدم النظر إلى خلق الله إلا بالقدر الذي جعله لهم في ذمتنا شرع الله ﷻ، فالعمل في الدنيا لأمرين: إذا عملت لإرضاء الخلق فلا أنتظر رضاء الحق، لكن الخلق لن يرضوا، ولا يستطيع أحد أن يرضي الخلق أجمعين، وقالوا: إرضاء الخلق غاية لا تدركن وفى الأثر المشتهر:

{ قال الله لسيدنا موسى: ألك حاجة؟ قال: يا رب، أن ترضي خلقك عني، قال: يا موسي، هذا شيء لم أرضه لنفسي }

فهل هم جميعًا راضون عن الله؟! الذي يسخط، والذي يتضرر، والذي يشكوا الله لخلق الله، فمن يستطيع أن يرضي الخلق؟!

لا أحد، لكني أستطيع أن أرضي الخالق ﷻ.

أرضي الخالق سبحانه وتعالى بما في شرعه، وبما كان عليه سيد رسله، وأقوم للخلق بما أوجبه عليَّ شرع الله، فالذي يقبل شرع الله مرحبًا به، والذي يرفض شرع الله، فماذا أصنع له؟! لن أستطيع إرضاءه ولو جئت له بالدنيا كلها ما دام لم يرض بشرع الله.

ولد يريد أن أميّزه في الميراث، فلو كتبت له التركة كلها؛ فلن يعجبه، وبذلك أكون قد خالفت شرع الله ﷻ, لكن أقول له: لماذا أورث طالما أنا موجود؟ فتمتعوا بالخير كلكم، وبعد مماتي اقتسموه بشرع الله ﷻ، رضي أو لم يرض فهو وشأنه!!

لكني بذلك أرضيت رب العزة ﷻ، أما إن أرضيت ولدي هنا بما يقول وأترك الآخرين، قال حضرة النبي ﷺ:

{ مَنْ حَرَّمَ وَارِثًا إِرْثَهُ حَرَّمَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ }[11]

فلِمَ تحرم شخصًا له نصيب في الميراث؟! فماذا أصنع؟ أتركها لشرع الله، أنا كشخص ساكن في بيت ليس ملكه إلى أن يتركه، وصاحب المنزل أعطاه خمسة أو ستة من الأفدنة يزرعها وليست ملكه أيضًا، وأنهى مهمته، هل من حقه أن يسلم المنزل والأرض لأحد؟! لا، فمن الذي يسّلمه؟ صاحبه ﷻ: ﴿ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (١١النساء) أَجعلُ الفريضة تُنفذ، وأُوصيهم بذلك.

[11] سنن ابن ماجة عن أنس رضي الله عنه

وأَحرصُ ما أحرص عليه أن أرضي الله ﷻ، والذي يحرص على ذلك في كل أموره في الدنيا، فيا هناه، لأنه فاز بالمرتبة العظيمة ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١١٩المائدة) ليس بالجد ولا الاجتهاد، وإنما منح إلهية وعطاءات ربانية يتفضل الله ﷻ بها على الأمة المحمدية، إذا صدقت النية وصلحت القلوب في المعاملة مع رب البرية.

ولكي تتنبهوا، نحن الآن مثل غزوة الأحزاب:

أمريكا مع إنجلترا مع إسرائيل مع أهل أوربا، وضعوا خطة الآن؛ لحصار مصر من جميع النواحي، فهم الذين يبنوا السد في أثيوبيا؛ لكي يحجز عنا الماء، وخيّب الله ظنهم وتغيرت الأحوال، فالماء هذه السَنَة نزل هنا، وأثيوبيا عندها جفاف، والحمد لله، حرب اقتصادية كما ترون كل يوم طائرة تقع هنا وهناك ولا يوجد أحد يتكلم، لكن الطائرة التي وقعت في مصر، هنا يقولون أن مصر لا يوجد فيها أمان، ولو أردتم سياحة فلا بد أن نأتي بقوات من عندنا، تنزل عندكم لكي تحمي هؤلاء السائحين، وتحمي المطارات، وإلا فلا يوجد سياحة ولا اقتصاد ولا غير ذلك.

فالحرب على مصر لأنهم الوحيدون الباقون أمام إسرائيل.

فلو انهدم الجيش المصري فمن يقف أمامها؟ لا أحد، وستنفذ خطتها في صنع دولتها من النيل إلى الفرات كما تريد، لكنه هو الجيش الوحيد الباقي الآن، ونحن محتاجون للدعاء في كل صلاة، وفي كل وقت، ونقول: اللهم أهلك الكافرين بالكافرين، وأوقع الظالمين في الظالمين، واجعل بأسهم بينهم شديد، وألق عليهم غضبك وانتقامك، ونجنا وسائر المسلمين، واجعل بلدنا على الدوام بلد الأمن والسلام، وأغننا بخيرك وبرك عن مساعدات جميع الآخرين حتى نكون في غنىً وسخاء ورضًا ورخاء إلى يوم الدين، وانصرنا على اليهود، وحرر على أيدي جنودنا أرض بيت المقدس وفلسطين كما وعد النبي الأمين.

طمأن الله قلوبنا على إيمان أهل الإيمان، فلا نستمع ولا نقف عند إشاعات أهل الإرجاف والبهتان، وينبغي علينا أجمعين؛ وننبه أحبابنا وأبناءنا وبناتنا، إذا رأينا أصحاب أهواء في برامج في التلفاز عن الإلحاد، واستضافوا ملحدين؛ لا ينبغي أن نرى هذا، ولا أن نستمع إليه، ولا أن نقرأ عنه شيئًا، ولا حتى يدور في حديثنا بيننا وبين بعضنا، أو بيننا وبين غيرنا ونسد هذا الباب بالكلية.

لأن هؤلاء الذين يدعونهم على أنهم ملحدين غاية الأمر عندهم، أنهم يريدون أن يعيشوا في الدنيا العيشة الحيوانية، ويحققوا لأنفسهم كل أصناف الحياة الشهوانية، والدين يكبح الإنسان عن ذلك، يريدون أن يشربوا الخمر،

والدين يحرّم شرب الخمر، يريدون أن يأتون ما يشاءون من النساء مثل أوربا، لا يريد الزواج لكي لا يلتزم بواحدة ولا أولاد أو غيرهم .. كل ما في الأمر أنه يريد أن يعب من الشهوات، ولا يدرك إلا مؤخرًا خطورة الأمر الذي سار فيه.

ولذلك لو تتبعنا في عصورنا الحديثة العلماء الكبار، الذين وُسِموا بالإلحاد والبعد عن الله ﷻ تجد معظمهم في آخر عمرهم رجع إلى الله وندم ندمًا شديدًا، وأخذ يبكي ويضرع ويعبر عن أسفه وندمه على ما فاته من العمر.

من أمثلة هؤلاء الدكتور مصطفى محمود، فكلكم أو أغلبكم قد شاهد حلقات الدكتور مصطفي محمود في برنامج (العلم والإيمان) وقد كان في بداية حياته ملحدًا، لكنه صار بعد ذلك إماماً يدعو إلى الإيمان بالعلم والقرآن والحجة والبرهان، وغيره وغيره على هذه الشاكلة.

طه حسين اتهموه أنه يهاجم القرآن، يقول أن القرآن كلام بشر وقد كتب كتابًا نقل فيه عن أحد المستشرقين اسمه مارجليوس كان يقول عن القرآن أنه كلام بشر وأن النبي هو الذي ألَّفه، طه حسين في آخر حياته ندم، وأخذ يبكي بكاءً شديدًا وذهب يحج لبيت الله الحرام، وتعلق بأستار الكعبة ودموعه تسح على وجنتيه، ويضرع إلى الله، ويستغيث بالله أن يتوب عليه وأن يمحو خطاياه.

هذه حالة المؤمنين في كل الأطوار، لكنهم لم يأتوا بهذه الأخبار لأنهم يريدون أن يسببوا اليأس إلى نفوس المؤمنين.

فأبشروا بالخير وبشروا الأمة كلها بالخير، واعلموا علم اليقين أن هذه الأمة ممدودة بإمدادات رب العالمين، محفوظة بحفظ العليم ﷻ إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

ولكي يؤكد الله لنا أن هذا الأمر ليس في حياة النبي أو العصور الفاضلة التي بعد النبي فقط، قال: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ :

و (سوف) تفيد المستقبل، أي أن هذه الطائفة ما زالت موجودة، قال ﷺ:

{ لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ }[١٢]

هذه الطائفة المجتباة المصطفاة، ليس بعمل أو أمل، ولكن بماذا؟

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ :

فضل من الله، يعني ليس بأجر، لو كان أجرًا لكان نظير عمل، لكنه فضل، يعني منحة من الله, وعطاء من الله, وخصوصية من الله.

وحتى لا نعتقد أن هذا الفضل لقوم مخصوصين، قال رب العالمين:

---

١٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن معاوية رضي الله عنه

﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ :

فضله واسع يسع ويغمر الأولين والآخرين ولا ينتهي فضل وجود أكرم الأكرمين.

ولاية المؤمنين:

فما المطلوب منا؟

أن نوالي المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾:

فمن يكون ولينا؟ الله، ومن يكون ولينا؟ رسول الله، وما ولايتنا للذين آمنوا؟ الولاية يعني المودة والتواصل، وتكون مع الله ومع رسول الله، مع الله بكتابه وشرعه، ومع رسول الله بإحياء سنته، والعمل بشريعته، وكذلك تكون مع المؤمنين، ولكن المؤمنين:

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ :

علَّمنا الله ﷻ المؤمنين الذين ينبغي أن نصحبهم ونجالسهم ونأكل معهم، ونشرب معهم، ونمشي دومًا معهم، لم يقل: الذين يصلون بل قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾

والفرق بين أداء الصلاة وإقامتها، الخشوع والحضور والخوف والوجل من الله في قلب الذين يقيمون الصلاة.

ولذلك يقول سيدنا عمر ﵁ كما ورد بالأثر:

((لا تصاحب إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله ﷻ))

إذا قيل لك أن الكفار الذين في أوربا وأمريكا أمناء، فهم أمناء في بعض الأمور الظاهرة لتحسين البضاعة وتصريفها، لكن انظر إليهم في السياسة ونجاستهم، أين أمانتهم؟

لا يوجد, من كان معهم ينصروه ويعضدوه بالكذب والزور والبهتان، ومن رفض أن يخضع لهم مثلنا، يعلنوا الحرب الشديدة الضروس عليه في كل وقت وآن !

فما الذي بيننا وبينهم؟ هل يوجد شيء، كل ما في الأمر يريدون أن ننفذ ما يأمروننا به، ويتدخلون في شئوننا ويُمْلون علينا سياساتنا، ونحن رفضنا هذا الأمر، فيجب إعلان الحرب على هؤلاء الذين يريدون أن يكونوا مستقلين، فأين الأمانة؟!.

هل هناك أمانة في الأسرار التي يؤلفونها ويذيعونها؟! هل هناك أمانة في الصور التي يركبونها؟! هل هناك أمانة في المواثيق والعهود التي يوقعونها؟!

أبدًا لا يوجد، ويقولون: هكذا السياسة, السياسة عندهم خلف الوعد والخيانة والنفاق وسوء الأخلاق، لكن الإسلام ليس فيه ذلك، ولذلك لا ينبغي لمسلم أن يوالي أعداء الله، أو أن يمدح فيمن كذَّب الله ورسوله، أو أن يكون بينه وبينهم مودة, لا يجوز لأحد منا أن يصادق أحدًا يهوديًا ولا أمريكيًا ولا إنجليزيًا إلا إذا كان على دين الإسلام:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (٢٢المجادلة).

وهذه الطامة الكبرى، التي وقع فيها في زماننا هذا جم كثير من المسلمين، بحجة أن المصالح تقتضي ذلك، لكن المسلم لا يوالي إلا إخوانه المؤمنين الصادقين الذين قال الله في شأنهم: ﴿ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾:

عندهم خشية من الله، وخوف من جلال الله، ووجل في مراقبة الله.

﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾:

لأنهم نجوا من فتنة المال، ما الدليل على أن الإنسان نجا من فتنة المال؟ أن يخرج الزكاة طَيِّبة بها نفسه، فَرِحًا بأدائها، موقنًا أن الله ﷻ سيخلفه في الحلال، وأن الله سيحصن ماله إذا أخرج منه هذه الزكاة، ويراها غنمًا ولا يراها غرمًا، فبعض من ينتسب إلى الإسلام يرى أن الزكاة مغرمًا، فهذا لا يجوز أن أصادقه لأنه شحيح والله ﷻ أنبأنا فقال: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٩الحشر).

ومع كونهم يقيمون الصلاة بأركانها القلبية وأحكامها الظاهرية، وتأتيهم فيها المنح والعطاءات الإلهية، ويؤتون الزكاة طيبة بها نفسهم:

إلا أنهم تراهم راكعين أي خاضعين ومتواضعين لإخوانهم المؤمنين، فليس عندهم غرور، وليس عندهم كبر، وليس لهم إعجاب بالنفس ولا يرون أنفسهم فوق إخوانهم للأعمال التي وفقهم المولي الكريم للقيام بها.

هل عرفنا الذين نمشي معهم؟ أهل خشية الله عند إقامة الصلاة، والمال في أيديهم، وليس في قلوبهم، ويعلمون علم اليقين أن هذا هو الطريق الصحيح لإرضاء الله، ومع هذه الأعمال لا يرون لأنفسهم حالًا ولا قالًا ولا عملًا إنما يفرحون بفضل الله ولا يفرحون بالعمل الذي قواهم وأعانهم عليه الله ﷻ .

إذا والينا هؤلاء الأقوام:

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ :

فالذي يدخل في هذه الآية؛ لابد أن ينصرهم الله على كل من عاداهم؛ لأن الله قال في قرآنه الكريم ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ (٥١غافر) ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (١٧٣الصافات).

وقال لنا في القاعدة القرآنية في النصر الإلهي: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٧محمد) كيف ننصر الله؟ ننصر شريعته على أهوائنا وعلى ميول نفوسنا، فنقيم شريعة الله وإن لم ترض بها النفس، وإن جنح إلى غيرها الهوى.

فإذا نصرنا الله، أقمنا شرع الله في أنفسنا، وفي بيوتنا، وبين أولادنا؛ ونصرنا الله على أنفسنا، ففتح علينا الفتح الإلهي، وكنا من أهل فتح الله الأعظم الذي يفتح الله به على عباده الصالحين.

وإذا نصرنا الله في مجتمعنا؛ أقمنا شرعه حكمًا في كل أمورنا، وجعلنا الشريعة المطهرة هي الميثاق الأكيد فيما بيننا؛ فنظر الله ﷻ إلينا نظر عطفٍ وحنان، فبدل حالنا إلى أحسن حال، قال ﷺ:

{ حَدٌّ يُقَامُ فِي الأَرْضِ، خَيْرٌ لِلنَّاسِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا } [١٣]

في الخير والبركة التي تنزل من السماء، والتي ستتفجر من الأرض لمن يقيم شرع الله وحدود الله جل في علاه، وهذا الذي ننتظره في هذه الأيام القادمة إن شاء الله.

نحن في بداية عصر جيولوجي جديد أنبأنا به السيد الأعظم ﷺ، وقال في شأنه : { لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ، فَلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا } [١٤]

ترجع للزمن الأول, الزمن الجيولوجي الذي كان أيام البطالمة والرومان, كان نهر النيل له سبعة أفرع، ويصب في البحر المتوسط, وكانت المياه تنزل بشدة على ساحل البحر الأبيض حتى ليبيا، وتمتد إلى سيوة، فكانت هذه الأرض التي بين الإسكندرية والسلوم وسيوة مزرعة العالم في هذا الوقت, وكانت تسمى سلة غذاء العالم.

---

١٣ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٤ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

فكانت هي الوحيدة التي تصدّر للعالم القديم القمح والشعير والتين والزيتون ونباتات البحر الأبيض المتوسط، وكانت لكثرة هذه المياه، وهي موجودة إلى عصرنا هذا، كان الرومان يصنعون سدودًا وخزانات، وما زالت موجودة حتى الآن، تتجمّع المياه في الخزانات خلف السدود ويستخدمونها طوال العام.

وكانت المياه تنزل على جبال البحر الأحمر بغزارة، ويوجد نهر موجود أثره إلى وقتنا هذا من البحر الأحمر عبر أسيوط إلى الوادي الجديد يزرع به الصحراء الغربية.

هذا العصر الجيولوجي سيبدأ أو بدأ مرة أخري، وستنزل المياه على كل المنطقة، والمنطقة التي ينزل عليها الماء تتدلل وتفرح، ويظنون أنهم سيتحكمون فينا، وأتوا بشركة إسرائيلية تشرف على بناء سد النهضة، وإسرائيل أرسلت فرقًا من جيشها لتحميه وتصد عنه خطر الهجمات المصرية، وأعدوا في مخططهم أن يصنعوا ثلاثة سدود على أنهار بعده على نفس الفرع؛ لكي لا تأتي نقطة ماء إلى مصر، لكن:

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (٣٠الأنفال).

الله ﷻ بجوده وفضله سيغنينا بخيره وبره وجوده عن هؤلاء أجمعين !!!

لكن لا بد أن نرجع إلى الله، ونوالي أولياء الله، ونصاحب الذين وصفهم الله، ونستغيث إلى الله، ونضرع إلى الله، والله ﷻ لا يخيّب من دعاه، فإن الله وعد، ووعده لا يرد، وقال لنا: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ (٦٠غافر) ...!!!

لم يقل أنظر في أمركم، أو أنظر في طلباتكم، وإنما فورًا أستجب لكم!

وعدٌ لا يتخلف!

وعدٌ أكيد من الحميد المجيد ﷻ، لكن يريد من المؤمنين أن يرجعوا إلى منهج كتاب الله المبين، وسنة سيد الأولين الآخرين.

من الجائز أن يقول البعض: من أين أتيت بهذا الكلام؟

لهذا الكلام شواهد في القرآن والسنّة, العجيب أني قلت هذا الكلام لإخوانكم قبل عدة أيام، واليوم نظرت في الصحف اليومية فوجدت رئيس هيئة الجيولوجيا والمساحة يقول هذا الكلام، يقول: نحن في بداية عصر جيولوجي جديد، والأمطار ستنزل على مصر، وأثيوبيا هذه السنة لن تنزل عليها قطرة ماء.

فها هو الكلام مؤّيد بالعلم، لماذا؟!

لأن سيدنا رسول الله ﷺ بشرنا به، وليست تخاريف ولا أكاذيب إنما:

علم غيب عن شهود لا بعلمي أو بعملي
بل بفضل الله ربي وبطه خير رسلي
وأنا عبد ظلوم أعلموني بعد جهلي

نسأل الله ﷻ أن يحي قلوبنا بأنواره العلية، وأن يهيّم أرواحنا في ذاته القدسية، وأن يكشف لنا في الدنيا عن أسراره الخفية، وأن يرزقنا من باب لطفه الخفي

وصلى الله على سيدنا محمد على آله صحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَـٰمُ رِجۡسٌ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَـٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِى ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ‌ۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْ‌ۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَـٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْ‌ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾(المائدة)

١٤- منازل إحسان التقوى[1]

جعل الله ﷻ القرآن شفاءًا لكل الأدواء, أمراض المجتمعات, والخلافات الأسرية, وما يحدث للمرء من أمور نفسية تجعله يضيق صدره, أو تتغير تصرفاته .. كل ما يخطر على البال من الأدواء التي تحدث في عالم البشر أنزل لها الشفاء خالق القوى والقدر ﷻ.

وأشار الله ﷻ عن هذه الحقيقة فقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٢الإسراء) لم يقل الله (وننزل من القرآن ما هو دواء) لأن الدواء قد يشفى به الداء وقد يزيد الداء, لكن القرآن شفاءًا محققًا لأنه من الله ﷻ.

ولو اتبع المؤمنون ما خوطبوا به في القرآن لكانت حياتهم في الدنيا كلها حياة طيبة, وصفها الله ﷻ فقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (٩٧النحل) هذا في الدنيا, أما في الآخرة: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧النحل).

---

[1] الأقصر – الرزيقات قبلي – ٢٧ من محرم ١٤٣٧ هـ ٢٠١٥/١١/٩م

القرآن يوجد فيه رسائل لبني آدم ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ ويوجد فيه رسائل للناس ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ويوجد فيه رسائل للعباد المخصوصين ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ﴾.

وأنزل الله ﷻ للمؤمنين خاصة في كتابه اثنين وثمانين رسالة تبدأ بقول الله:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فمن الذي ينادي؟

ملك الملوك ﷻ، ينادي على من؟ على أهل الإيمان في كل زمان ومكان منذ بعثة النبي العدنان إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

سيدنا عبد الله بن مسعود يقول:

عندما تسمع ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فأرعي لها سمعك, ونبه لها قلبك, وقل لبيك اللهم لبيك,

واسمع بخشوع، وافهم كلام الله ﷻ بتسليمٍ وخضوع، ثم سارع إلى العمل بما أمرك، أو الانتهاء عما عنه نهاك.

هذه الرسائل كل فرد فينا مطالب أنه يقرأها، لأننا نحن جميعًا آمنا، ويفقهها ويفهمها ويعمل بها.

نحن مشغولون لكن لابد لكي نحقق صدق الإيمان؛ نقرأ رسائل الرحمن التي وجهها لأهل الإيمان في القرآن ونعمل بها.

والآيات التي بين أيدينا الآن عبارة عن رسالة تعالج سبب من أسباب تخلف المجتمعات، وظهور الفساد والسوء في العلاقات بين أهل هذه المجتمعات قديمًا وحديثًا.

توجد أشياء رآها الله، وأن هذه الأشياء لو ظهرت في أي مجتمع سيكون الناس الذين في هذا المجتمع بينهم وبين بعضهم خلافات ومشاكل لا تعد ولا تحد, وسوء في العقول, وعدم حسن تصرف في الأموال, ويسوء حالهم إلى حالٍ لا يرضاه أي إنسان سوي بحال, لكن كيف العلاج منه؟ كعلاج حضرة النبي، بعد أن بيّنه الله ﷻ له في القرآن.

سيدنا رسول الله ﷺ بُعث في الجاهلية، وكان أهل الجاهلية يشربون الخمر, وكانت مباحة عندهم ولا يستطيعون قطعها ولا منعها لأنها تمكنت منهم فأصبحوا مدمنين, ولا بد من اقتلاعها لصلاح حال المجتمع، فماذا يفعل؟.

علاج القرآن للخمر

انظر إلى علاج الرحمن الذي نزل في القرآن: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (٢١٩البقرة) يسألونك يا رسول الله ما حكم الدين في الخمر والميسر؟.

والخمر هو كل ما خامر العقل، أي غطى على العقل وستره, وجعل صاحبه يفقد وعيه ويتصرف وهو لا يدري، فأي شيء يغطي على العقل فهو خمر.

وفي هذا الزمان تم اختراع أشياء أخرى كثيرة، وغيروا إسمها، والرسول ﷺ نظر إلى الذي يحدث وقال:

{ لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا }[٢]

لكي يقولون ليس هذا الخمر الذي ذكر في القرآن وهي لست بحرام، ولكن لأن الله أعطاه البصيرة النورانية، وبيّن كل ما يحدث في الأمة إلى يوم الدين فكل الأسماء التي يسمونها خمر، والشاهد في ذلك الحديث:

٢ سنن أبي داود والنسائي عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه

{ مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ }[٣]

فمثلًا يقول أحدهم أنا لم أسكر، فأنا لم أشرب إلا أربعة أو خمسة أقداح فقط, أو يقول أنا لم أسكر إلا بعد ما آخذ شريطًا كاملًا من البرشام، لكن ما دام أن النتيجة تغيب العقل، فهو يكون بمثابة الخمر التي نهى عنها الله, ونهى عنها رسول الله.

والله ﷻ تدرج معهم في التشريع، فقال للنبي أن يقول لهم: ﴿ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (٢١٩البقرة) فيها إثم لأنها تستر العقل، وفيها منافع للذي يعصرها، والذي ينقلها، والذي يبيعها، لكن ما الأكبر؟ الإثم: ﴿ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (٢١٩البقرة).

وما الميسر؟!

هو الشيء الذي يأتي بالمال بيسر ودون تعب، مثل الألعاب التي يهتم بها شبابنا، فالذي يلعب الكوتشينة, و الذي يلعب الطاولة، والذي يلعب الدومينو, ومثل هذه الألعاب.

فإذا كان يلعب هذه الألعاب على مال فتكون هي محرمة, لأنه أتي بمال بدون تعب, وإذا شغلته هذه الألعاب عن أداء فرائض الله في وقتها فبذلك تكون محرمة, إذا لعب في أوقات غير ذلك وعلى غير مال اختلف الأئمة في هذا الأمر، فمنهم من حرم ذلك، ومنهم من كره ذلك.

---

٣ جامع الترمذي وأبي داود عن جابر رضي الله عنه

وعندما نزلت هذه الآية قام العقلاء والأسوياء بتحريم هذا الأمر من أنفسهم، حتى قبل انتسابه للإسلام، فقد سألوا سيدنا أبوبكر: هل شربت الخمر في الجاهلية؟ قال لا، قالوا: ولم؟ قال: إنها تذهب بالعقل، وقد تجعل الإنسان يصنع ما لا يرضاه بأقرب الناس إليه؛ ببنته بزوجته أو أقاربه، لماذا؟ لأن العقل غائب فيصنع الذي يريده, فكان سيدنا أبوبكر من العقلاء ولذلك حرمها من البداية.

لكن الذين أدمنوا كانوا يشربونها، إلى أن جاء أحدهم يصلي ذات مرة إماماً، وخلفه مصلين، فقال: (قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون) فهو ليس بعقله، فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ (٤٣النساء) إياك أن تأتي وأنت مخمور وتصلي بين يدي الله لأنك لا تعلم ماذا تقول.

فصلاة الصبح تأتي بعدها بفترة صلاة الظهر، ثم بعدها بفترة صلاة العصر، وبعدها بفترة صلاة المغرب، وبعدها بفترة صلاة العشاء، فالذي يريد أن يشرب متى يشرب؟! ضيَّق الله عليه الوقت, فلم يوجد عندهم إلا فترة الصبح إلى الظهر، أو في الليل.

وذات يوم قال سيدنا عمر: يا رسول الله نريد أن يبيّن الله لنا بيانًا شافيًا في الخمر, فنزلت هذه الآيات التي بين أيدينا، ومع ذلك نرى بعض ضعفاء النفوس من المسلمين إلى وقتنا هذا يقولون أن الخمر ليس بحرام، لماذا؟ يقولون أنها ليست مذكورة في كتاب الله أنها حرام!!.

ولكن انظروا إلى الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَـٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَـٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴾ الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان، وقال الله (فاجتنبوه) وهنا لنا ملاحظة: هؤلاء أربعة لو تكلمنا على قواعد اللغة العربية فمن المفروض أن يقول (فاجتنبوهم) لكنه جعل الأربعة شيئًا واحد (فاجتنبوه).

الخمر والميسر وضحناهما، أما الأنصاب فهي التماثيل التي كانت تصنع من الحجارة أو الخشب وتُعبد من دون الله ﷻ.

والأزلام عندما كان العرب في الجاهلية يريدون أن يسافروا ويريدون أن يستبشروا خيرًا بهذا السفر، فيذهب إلى كاهن الأنصاب والأزلام، وهذا الرجل عنده قداح مكتوبًا عليها بعض الكلمات، فيضرب لهم بهذه الأقداح، ويقول لهم أن هذا السفر ميمون فسافروا، أو أن هذا السفر غير ميمون فلا تسافروا، وهذا دخول في الغيب!! والإسلام حرَّم علينا أن نذهب إلى من يزعم أنه يطلع على الغيب، قال ﷺ:

{ مَن مَشَى إِلَى كَاهِنٍ أَو سَاحِرٍ فَصَدَّقَه بِمَا يَقُول، فَقَد كَفَر بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحمَّد } [٤]

وقال ﷺ في الرواية الأخرى:

{ مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بمَا يَقُولُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبعِينَ يَوْمًا } [٥]

الكاهن أو العرَّاف هو من يدَّعي أنه يعرف الغيب، يقول: أنت ستنجح في هذا العام، أو أنت ستتخرج وتصبح كذا، أو أنت ستتزوج فلانة!!، فمن أين أتيت بهذا الكلام؟! لا يعلم الغيب إلا عالم الغيب ﷻ: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (الجن).

هذه كلها جرائم تحدث في المجتمع، والناس يعتقدون أنهم لا يصنعون شيئًا يغضب الله, أو أنها من دين الله, لكن الله وضح لنا أن الذي يريد الفلاح والنجاح يوم القيامة, ويريد الحياة الطيبة في الدنيا فلا بد أن يجتنب كل هذه الأشياء، فهي رجس أي نجاسة من عمل الشيطان.

ويكفي أن نعلم أنها نجاسة من عمل الشيطان فنجتنبها، فما بالك أن الله ﷻ يقول لنا (فاجتنبوه) فما معني ذلك؟ معناه أن الذي يشرب الخمر أو يلعب الميسر، أو يعتقد في الأنصاب والأزلام، كالذي يعبد الوثن، فالأربعة مثل بعضهم، ولذلك قال ﷺ:

٤ اتحاف المهرة لابن حجر العسقلاني
٥ مسند أحمد ومسلم

{ شَارِبُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ وَثَنٍ }ويقول ﷺ: { لَنْ يَزَالَ الْعَبْدُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يَشْرَبْ الْخَمْرَ، فَإِذَا شَرِبَهَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ غَيْرَتَهُ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ وَلِيَّهُ وَسَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَرِجْلَهُ يَسُوقُهُ إِلَى كُل شَرَ وَيَصْرِفُهُ عَنْ كُل خَيْرٍ } [٦]

يوجد بعض الشباب في هذه الأيام يتعاطوا بعض الدواء، والحبوب، والبانجو، وما شابه ذلك، ويقولون أنها حلال!! فمن الذي قال ذلك؟! فكل مشاكل المجتمع الذي نحن فيه الآن سببها هذه الاشياء.

مركز المعلومات التابع لرئاسة الوزراء في العام الماضي قام بعمل إحصائية، فوجد أن ما ينفق على المخدرات في مصر أربعة وأربعين مليار جنيهًا!! فأين تذهب كل هذا المبالغ؟! تذهب في إذهاب العقول وفي توهان الشباب.

معظم الحوادث التي نراها على الطرق أو في البيوت سببها الأساسي الشباب مغيب العقل، فتحدث حوادث في الطرق, عقله مغيب ويريد أن يُحصِّل مالاً ليشتري به المخدرات, فيتفنن في السرقة, ويتفنن في الخداع, حتى وجدنا من يقتل أبر الناس به من أجل جنيهات قليلة لكي يأخذها ويأتي له بشيء يسكره.

تسعة وتسعين في المائة من مشاكل المجتمع سببها حبوب الهلوسة والبانجو والحشيش والخمر وما شابهها، وهذا للأسف في بلدنا مصر حاضنة الإسلام، والتي وكَّلها الله ﷻ بحفظ الإسلام ونشره لجميع الأنام.

[٦] الحديث الأول مسند البزار وكشف الأستار عن عبد الله بن عمرو ﷺ، والثاني الطبراني عن قتادة بن عبَّاس الْحرشي ﷺ.

والطامة الكبرى أن هذا الداء يكون بين الشباب الذين في مقتبل العمر, وفي ريعان الصحة، والذين نطمع أن ينهضوا بأنفسهم وبأهليهم وبوطنهم وببلدهم، لكن كيف ينهضون بهذه الكيفية؟!!

ويسمعون نشرات، ويخرجون منشورات على أن هذه الأشياء لها فوائد؛ لكن كل هذا الكلام ليس له أساس علمي، ولا صحيح ديني، وإنما كلها حرب على الله ورسوله، وهذه الحرب صدَّرها لنا الكافرون واليهود قاتلهم الله لكي يقتلوا النخوة لدى شبابنا.

اليهود يزرعون البانجو في صحراء سيناء، وهم لا يتعاطونه، فيزرعونه من غير حساب، ويأخذه البدو ويبيعوه للشباب لكي يشربوه ويكسبوا!!!

والنتيجة كما نراها الآن!!!

وهذه كلها حرمها الله ﷻ، مثلها كمثل عبادة الأوثان تمامًا بتمام.

العداوة والبغضاء وأسبابهما

ثم زاد الله ﷻ في توضيح الأسباب:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ :

فسبب العداوات في أغلب الأحوال، والبغض والكره والحقد والحسد والكراهية؛ الخمر والميسر, الخمر لأنها تغيب العقل، وتجعل المرء لا يدري ما يصلحه، ولا يبحث عما ينفعه، ومن يحاول أن يُقِّومه يعاديه، ويظن أنه عدوًا له، حتى ولو كان أبيه الذي يريد أن يقومه إلى السبيل القويم والمنهج المستقيم.

وقد تُحفزه نفسه الأمَّارة بالسوء وهو مخمور فيريد أن ينتقم منه، فيحدث كما نسمع ونرى الآن الأحداث التي تحدث بين ذوي الأرحام، والأحداث التي تحدث مع المحارم، وسببها الأساسي السُكر، وغيبة العقل، والبعد عن من يقول للشيء كن فيكون.

والميسر كما قلنا إذا كان على مال فهي حرام، وقد تنهى المرء وتبعده عن الفرائض في وقتها، فتصد الإنسان عن ذكر الله وعن الصلاة, ولا خير في إنسان لا يذكر الله، ولا يقيم الصلاة، فأي إنسان لا يذكر الله ولا يقيم الصلاة لا خير فيه لمن حوله في الدنيا، ولا خير له في الآخرة.

لأن ذكر الله وإقامة الصلاة يطهر القلب، ويجعل صاحبه يراقب الله, ويعلم علم اليقين أن الله يطلع عليه ويراه، فلا يعمل إلا ما يرضي الله، ويكف نفسه عن أي عمل يغضب الله، لأنه يستحضر دائمًا قول الله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤الحديد).

وبعدما وضح الله ﷻ هذا التوضيح الكافي يستفهم منا فيقول:

﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ :

عندما نزلت هذه الآية قال سيدنا عمر: انتهينا يارب.

فانظروا إلى أهل الإيمان الحقيقي، هذه كانت عادة جاهلية، فهم يشربونها لأن الجاهلية كانت تبيحها لهم ولم ينزل حكم صريح إلى وقت هذه الآية في تحريمها.

سيدنا أنس أبن مالك ﷺ يقول: أرسل رسول الله ﷺ رسولًا من عنده يتلوا هذه الآية في طرقات المدينة لكي تسمع الناس، يقول: فكنت عند أبي طلحه وكان من كبار أغنياء المدينة وكان عنده أربعة نفر وكانوا يشربون الخمر، وكنت أدور عليهم أسقيهم، فلما سمعوا الآية قال أبوطلحة: يا أنس خذ هذه القارورات المملوءة بالخمر وأرقها في الطريق، لا حاجة لنا في شربها بعد أن نهانا عنها الله ﷻ.

ثم يواصل فيقول ﷺ: فامتلأت شوارع المدينة المنورة بالخمر حتى وصلت إلى الركب، من كثرة الخمر التي أراقها المؤمنون تنفيذًا لأمر رب العالمين ﷻ.

لم يتلصصوا ولم يختفوا وقالوا بعد أن نفرغ من الذي معنا، وبعد ذلك نتوب، بل فورًا انتهوا عن ذلك، لأنهم كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

وعلى عكس ذلك:

فالأمم الغربية تعلم علم اليقين مضار الخمر، وهم الذين عرفوها لنا، وما تحدثه في جسم الإنسان، والأمراض التي تصيب شاربها على التحقيق، لكن هل استطاعوا أن يمتنعوا عنها؟ لا، هؤلاء الذين يقولون لا داعي للدين فنحن مع العلم، فماذا صنع لهم العلم؟! أمريكا في سنة سبعة وثلاثين قامت بعمل ميزانية بالمليار للقضاء على الخمر، ومنشورات، ووحدات صحية، وغيرها، وبعد عشر سنين أعلنوا فشل المشروع، وأنهم عاجزون عن إقلاع أهل أمريكا عن الخمر.

لكن سيدنا رسول الله مع المؤمنين أخذهم بالتدريج فانتهوا فورًا في وقت واحد، وتركوا هذا الأمر تلبية لنداء الواحد ﷻ، وقالوا: انتهينا يا رب.

بعد ذلك أمرهم الله ﷻ أن يحافظوا على الدوام على طاعة الله ورسوله!

فمن أراد الحياة الطيبة السعيدة، والفوز والنجاح والفلاح في الدار الآخرة أن يطيعوا الله ويطيعوا الرسول ويحذروا من هفوات النفس، ووساوس الشيطان:

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْ ﴾ :

فمما نحذر؟

من النفس: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ (٥٣يوسف)

ونحذر من وساوس الشيطان، لأن الله قال لنا في القرآن قولًا صريحًا: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (٦فاطر) لا نهادنه أو نصالحه.

وزادت هذه التحذيرات تحذيرًا آخر في زماننا في قول ربنا: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ (٧٣آل عمران) احذروا الكفار والمشركين لأننا في حالة الضعف والاستكانة في الأزمان الماضية احتجنا كل طلباتنا من عندهم، وهم يكنون لنا كل عداوة، ويدبرون لنا كل سوء، ويريدون أن يدسوا السم في الدسم، ونحن لا نأخذ بالنا نهائيًا.

فأي شيء يأتي من عندهم لا بد أن نحذر منه ونفحصه جيدًا، نقيسه بمقاييس الإيمان، ونزنه بسنة النبي العدنان، ومعنا أيضًا برهان الإيمان الذي قال فيه النبي العدنان:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ } [٧]

[٧] جامع الترمذي وأبي حنيفة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

على سبيل المثال حرَّم الله علينا لحم الخنزير، لكن معظم المشتقات في كثير من المصنوعات الغذائية التي تأتي من عندهم مصنوعة من دهن الخنزير، فلا بد أن نحذر جيدًا ونفحص هذا الأمر جيدًا، لماذا؟ لأن المؤمن يكون دائمًا كما قال حضرة النبي ﷺ:

{ الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ }[8]

المؤمن ذكي ولبق ويفقه الأمور ويزنها من جميع النواحي، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول عن نفسه: ((لست بخبّ ولا الخبّ يخدعني)) أي لست مخادع، وهذا هو المؤمن.

وكانا سيدنا الحسن والحسين رضي الله عنهما يتصدقون بالآلاف من الأموال، وإذا ذهب أحدهم إلى السوق يجادل البائع في نصف درهم، فيقولون: يا ابن بنت رسول الله إنك تنفق مئات الآلف وتجادل في نصف درهم، قال: حتى لا يقال خدعنا ابن بنت رسول الله ﷺ.

فالمؤمن لا يُخدع لأن معه نور البصيرة، ومعه إخوانه المؤمنين يسألهم إذا لم يصل إلى الفهم الصحيح في أمر: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٧الأنبياء).

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾ :

8 مسند الشهاب عن أنس رضي الله عنه

لأنه ﷺ بلغنا بكل شيء سيحدث لنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حضرة النبي ذكر كل ما نحن فيه الآن كأنه رأي العين, وتوجد أحاديث كثيرة واضحة، نحتاج قبل أن نقرأ الصحف المزورة أن نقرأ الصحف المطهرة، ونقرأ فيها نبأ هذا الزمن في كتاب الله، وخبره في سنة رسول الله، لكي نتحقق بالحق الصحيح، ونمشي على المنهج الذي يحبه الله ﷻ ورسوله ﷺ.

بعد أن نزلت هذه الآيات أخذ الذين قد شربوا الخمر من قبل يعاتبون أنفسهم، ويقولون ماذا كنا نفعل فيما مضى؟! وإخواننا الذين كانوا يشربون الخمر وماتوا قبل نزول هذه الآية ما حكمهم؟ فنزل كلام رب العزة يبرأ الكل:

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ﴾ :

ليس عليهم إثم لأن هذا الأمر كان قبل نزول الوحي، وقبل نزول حكم الله ﷻ، وما دام هم كانوا على تقوى، وعلى إيمان، وعلى عمل صالح لله ﷻ، إذًا حسابهم على ما أمروا به، وعلى ما طالبهم المولى ﷻ بشأنه ...

لكن الأمر الذي لم ينزل بعد ليس عليهم فيه حساب.

ثم كرر الله هذا الأمر:

﴿ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (٩٣) ﴾ :

كررها ثلاث مرات، لماذا؟

كأن الله يريد أن يقول لنا:

أن تقوى الله ينبغي أن تلازمنا في كل أطوار حياتنا، نتق الله في بداية عمرنا، ونتق الله في منتصف أعمارنا، ونتق الله عند قرب مفارقتنا للحياة الدنيا، فلا نترك تقوى الله طرفة عين ولا أقل.

وتقوى الله معناها:

خوف الله، ومراقبة الله، واستحضار أن الله يطلع على كل شأننا ظاهرًا أو باطنًا, سرًا أو علنًا، في كل أوقاتنا، وفي كل أماكننا، وفي كل أحياننا.

وقال بعض السلف الصالح:

- (اتقوا) في المرة الأولى بترك المخالفات.
- وفي المرة الثانية بترك الشبهات.
- وفي المرة الثالثة بترك المباحات, وهذا هو طريق الصالحين للوصول إلى عليِّ الدرجات ﷻ.

فكيف يصل إلى الدرجات العلا؟

يبدأ يدرج الجهاد مع الله ﷻ، أولًا يحاسب نفسه على المحرمات حتى يبتعد عنها، بعد ذلك يحاسب نفسه على الشبهات، والشبهات هو الأمر الذي لا يتبين للإنسان فيه الحل من الحرمة فيتركه بالكلية، وكان سيدنا أبوبكر ﷺ يقول: ((كنا نترك سبعين بابًا من الحلال مخافة الوقوع في بابٍ واحدٍ من الحرام)) سبعون بابًا تسعة وستون منهم حلالًا ويوجد واحدٌ فيهم حرام ولا يعرفه فيبتعد عنهم كلهم، وهذا ما يسمي اتقاء الشبهات.

فإذا ارتقي الإنسان في هذا الأمر وظهر له عليِّ الدرجات يتقي بعد ذلك المباحات، كيف؟ أباح الله ﷻ له الجلوس صامتًا ما دام يسلم منه الخلق، ولا يؤذيهم؛ لكنه يأبي أن يجلس إلا ذاكرًا لله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ (١٩١آل عمران) وأباح الله عز جل له الطعام؛ لكنه يؤثر الصيام، وأباح الله عز جل له في الليل المنام؛ لكنه يؤثر القيام ليخاطب ويناجي ويصلي لله الذي لا يغفل ولا ينام.

فهذا ما يسمي اتقاء المباحات، فمباح لي أن آكل بالنهار لكني أقلل الأكل طمعًا في إرضاء الله، واقتداءً برسول الله، أو أصوم هذا اليوم لله، فهذه درجة عالية يوفق فيها الله ﷻ أحبابه وأصفياءه الذين يريد أن يمنّ عليهم بولاية الله، وإكرام الله، وعطاء الله ﷻ.

أنا أريد بهذا الكلام أن أنزه صفوف الصوفية من المندسين في وسطهم:

- فيوجد أناس يدَّعون أنهم صوفية ويشربون الحشيش ويتعاطوا المخدرات!!
- وفوجئت بإمام يقول لي أن شخص أتي له وقال، أني حلفت يمين الطلاق لكني كنت متعاطي بعض الحبوب, يلتمس لنفسه العيب!!، فقلت له: نحن ميزاننا الشريعة، والذي يترك الشريعة طرفة عين يكون دَعِيّ لصيق، ولا ينتسب للصوفية من قريب أو من بعيد.

وشيخنا الإمام أبوالعزائم قال لنا:

من فارق الشرع الشريف فليس من آل العزائم فافهمن برهاني

وأني أقول على الملأ :

- أن أي أخ ينتسب إلينا، أو يجالسنا، أو يذهب ويأتي معنا، ويتعاطى حبوب الهلوسة، أو يشرب البانجو، أو أي مخدرات أو مسكرات، فهو ليس منا ....، ونحن بريئون منه في الدنيا والآخرة.
- وأي أخ ينتسب إلينا أو يجالسنا، أو يذهب ويأتي معنا، ويترك الصلاة ولا يؤديها فنقول له: إن شاء الله أنت مكتوب في الوفد الذي يذهب إلى سقر:

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (المدثر).

لكن إبن الطريق هو أحرص الناس على العمل بالشرع الشريف لكي ينال به التحقيق، وكيف يصل إلى التحقيق؟ علم شرع الله، وعمل به اقتداءً برسول الله، وأشرف على هذا العمل رجلٌ صالح فتح عليه الله، فبذلك يصل الإنسان إلى فتح الله ﷻ.

وصلى الله على سيدنا محمد على آله وصحبه سلم



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦ ۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧ ﴾ (الأنعام)

١٥- منازل دار السلام[1]

هداية الله

الآيات التي بين أيدينا الآن من سورة الأنعام:

ونحن نريد أن نأخذ معنى آخر لهذه التسمية، لأن فيها إنعام من الله ﷻ للمؤمنين والمؤمنات فنقول الإنعام، وليس معنى ذلك تغيير التسمية.

هذه الآيات توضح لنا معزتنا عند الله، ودرجة قربنا عند حضرة الله، ومبلغ عناية الله ﷻ بنا لأننا أمة حبيبه ومصطفاه ﷺ، لأنه لو كانت الأمور بالعمل، فأين الذي يعمل منا عملًا خالياً من الزلل؟! هل يوجد أحد منا يصلي ركعة لله وقلبه يشهد، وروحه تسبح في محيط الجمال الإلهي، ولا ينشغل عن الله بالكلية طرفة عين ولا أقل؟! لم نصل إلى هذه المنزلة ...... إذًا فما الأمر؟

عطاء من الله، وفضل من الله لأمة حبيبه ومصطفاه ﷺ: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ (٥٨يونس)

---

١ الأقصر – الرزيقات بحري – ٢٨ من محرم ١٤٣٧ هـ ١٠/١١/٢٠١٥م

عندما ننظر إلى فضل الله ونقر به ونعترف به أفضل من الذي نجمعه من العبادات والمجاهدات والسنن والنوافل والقربات ونفوسنا حية ترى أنها قدمت بنفسها شيء لرب العباد ﷻ ماذا قدمت؟! وماذا معك؟! وماذا عملت؟! ..... فمنَّ الله ﷻ علينا بهذا الفضل الكبير، ومنَّ علينا مرة بإرسال النبي: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (١٦٤آل عمران) فهذا منةً وفضلًا من الله.

ثم بيَّن لنا الله ﷻ سر الحظوة الإلهية التي لنا عند الله، وسر كل الإكرام الذي حبانا به المولى ﷻ أنه تولى بذاتة القدسية فرح صدورنا، وتسييرها لقبول عطاءات الله، وأولها الإيمان بالله ﷻ، فمن أين هذه الهداية؟ الهداية من الله، أيوجد أحد في الكون كله يملك لنفسه أو لغيره الهداية؟ لا يوجد.

حتى الحبيب الأعظم ﷺ قال الله ﷻ لنا في ذاته: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (٥٦القصص).

كيف ذلك؟! يقول لنا الله انتبه، لو كان عندك إبن بعيد من الله، أو إبنة غير قريبه من الله، أرجع أولًا إلى الله، وأطلب العون والمدد من الله تجد الهداية تشمله، لأن هذا الأمر خاص بحضرة الله جل في علاه.

لكن لو أنت حاولت معه بدون اللجوء إلى الله، مثلًا تضربه أو تطرده أو تفعل معه أي شيء، فلن يمتثل إليك إلا إذا شاء ملك الملوك ﷻ.

فنختصر هذا من البداية ونسأل الله ونتضرع إليه ونتوسل إليه بحبيبه ومصطفاه لكي يأخذ بأيدي أبنائنا وبناتنا وأحبابنا إلى الطريق الذي يحبه ويرضاه ﷻ:

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ ﴾:

فائدة لتفريج الكروب

وهناك فائدة أخذناها من الصالحين ومجربة وهي لكم ولغيركم أجمعين:إذا كان أي شخص عنده ضيق في الصدر, أو عنده هم, أو عنده غم, أو عنده كرب ألمَّ به ويشغله، فعليه أن يردد بعد صلاة الفجر آيات شرح الصدر التي في القرآن، كل آية ثلاث مرات مع البسملة بعد صلاة الفجر

: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ (١٢٥الأنعام) ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ ﴾ (طه) ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ (٢٢الزمر) ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (١الشرح) :

فورًا :

- يشرح الله صدره.
- وييسر الله أمره.

ببركة آيات شرح الصدر الموجودة في القرآن الكريم.

ولو استخدمها أبنائنا في الإستذكار، أو في الإجابة قبل فتح ورقة الإمتحان، يجد مدد الله وإلهام الله جاء له من عند الله ﷻ

وهذه الأمور تحتاج إلى التوفيق، فالطالب قد يكون ذاكر المادة كما ينبغي، وعندما يبدأ الإمتحان لا يتذكر شيئاً، وعندما يخرج من الإمتحان يتذكر كل شيء، ولكن بعد فوات الأوان، لماذا؟

لأنه لم يستعن بالله، واعتمد على مذاكرته وحفظه للعلم الذي يؤدي فيه الإمتحان.

الله يريد منا أن نرجع في كل شيء لحضرته، فقد قال ﷺ:

{ لِيَسَأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ حَتَّى يَسْأَلَهُ المِلْحَ وَحَتَّى يَسْأَلَهُ شِسْعَ نَعْلِهِ إذَا انْقَطَعَ }، وروي: { ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله إذا انقطع، فإنه إن لم ييسره لم يتيسر }[٢]، وفى الأثر فى جامع العلوم والحكم:

{ أن موسى عليه الصلاة والسلام قال يا رب إنه ليعرض لي الحاجة من الدنيا فأستحي أن أسألك قال سلني حتى ملح عجينك وعلف حمارك }

لو الشخص كان سائراً في الطريق، وقطع نعله منه، فليقل يارب، فتجد من يصلحه، وإن لم تسأل الله قد لا تجد، ولو أراد الإنسان قضاء حاجته، فليسأل الله أن ييسر له ذلك، فإن لم يأذن الله فماذا تفعل؟! ستأخذ كبسولات وغيره غيره ولا توجد أي فائدة، إلا إذا أذن ملك الملوك ﷻ.

فالذي يريد أن يكون قريبًا من الواحد ﷻ فعليه:

- أن يستعين بالله في كل أحواله.
- ولا يستصغر بأي أمر يعرض عليه، ويقول إنه بسيط ...

---

٢ سنن الترمذي عنجعفر بن سليمان، والثانية رواية الترمذى فى مجموع فتاوى ابن تيمية

لأن أي أمر ولو بسيط إذا لم ييسره الله ستعجز حتى ولو عاونك أهل الأرض جميعًا لأنك لم تستعن بالله، ولم يأذن لك الله ﷻ بالانتفاع بهذا الأمر ولو كان صغيرًا في عينك وفي نظرك.

علامة حب الله للعبد

فالذي يحبه الله يشرح صدره للإسلام:

سئُل الرسول ﷺ في هذه الآية، ما معنى أن الله يشرح صدره للإسلام؟ فقال ﷺ: { نُورٌ يُقْذَفُ بِهِ فِي الْقَلْبِ فَيَنْفَسِحُ لَهُ الْقَلْبُ فَقِيلَ: فَهَلْ لِذَلِكَ مِنْ أَمَارَةٍ يُعْرَفُ بِهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ لِقَاءِ الْمَوْتِ }[3]

﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (٥٢الشورى) هذا الإنسان الذي عمّر الله صدره بنوره، تجد فيه هذه العلامات الثلاثة، تجد الدنيا في يده وليست في قلبه، لا تجد الدنيا أكبر همه ولا مبلغ علمه، وتجد أكبر حرصه على طاعة ربه وعلى العمل بشرعة ﷻ،

٣ مصنف ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

وعلى الإقتداء بحبيبه ونبيه ﷺ، ولا يأخذ من الدنيا إلا ما هو في أمس الحاجة إليه، لأن الدنيا هي الإمتحان الأول الذي يتعرض له الإنسان ليثبت للحق ﷻ ويبرهن على أنه صادق في الإيمان، فإذا عرضت عليه الدنيا، وشغلته عن الله، أيكون نجح في الإمتحان؟ لا: ﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ (١١الفتح) قال الله في شأنهم: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ (١١الفتح)، فالدنيا جعلها الله ﷻ للخلق في طريقين: أما الكافرين والمشركين والمبعدين فجعل تحصيلها عن طريق الأسباب، لا بد أن يسيروا ويأخذوا بالأسباب، يزرعوا ويصنعوا ويتاجروا ويأخذوا بالأسباب بالكلية حتى يرزقوا بالأرزاق التي قدرها لهم الرزاق.

الألطاف الخفية

أما المؤمنون فنظرًا لانشغالهم بالله، وحسن إقبالهم على المولى ﷻعلى الدوام، فجعل الله لهم بابًا إسمه باب الألطاف الخفية!، فيسعى بالأسباب ولكن بتأني ولا يتكالب على الدنيا مثل الكافر والنافر ولا تشغله ليلًا ونهارًا كما تشغل من حاد عن طريق الله ولكن يقوم بالعمل وهو لا ينسى مولاه ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٣٧النور).

حتى في التجارة التي تشغل الإنسان بالكلية لا تشغلهم عن ذكر الله، فيعطي لهم الله معونة وإغاثة ومدد من عنده من باب لطفه الخفي، الذي يقول فيه في قرانه الكريم: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق) يأتي له بالرزق من طريق لم تكن على باله، ولم تكن في حساباته، ولا يبني عليها حياته، وإنما يسوقها إليه الله ﷻ سوقًا حثيثًا، وهذا هو الرزق الخفي الوفي الذي كان يعيشه النبي وأصحابه، وما زال يعيش فيه الصادقين من أتباع النبي إلى يوم الدين.

الرزق الخفي مثل البركة، فالله ﷻ أنزل الخيرات وجعلها في الأرض، ولكن هناك من يأخذ الخيرات وينتقص منها البركات، وهناك من يأخذ الخيرات ويمده الله ﷻ معها بالبركات.

الذي يأخذ الخيرات ومعها البركات يكون أغناه الله ﷻ عن كل كنوز الأرض، بل وعن كل الخيرات النازلة من السماء، والخارجة من الأرض لأن الله ﷻ تولاه بولايته جل في علاه.

وأنتم كما تعلمون جيدًا ما لا يعد ولا يحد في قصص البركة التي كانت مع أصحاب رسول الله ومن بعدهم من الصالحين إلى يومنا هذا.

سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام وهو يبني في البيت، ويكشف عن الأساس في بيت الله الحرام وجد حجراً مكتوباً عليه ثلاث كلمات، الكلمة الأولى: ((أنا الله رب البيت أرزق الضعيف من القوي حتى يتعجب القوي)) الذي معه إمكانيات ومعه أموال يقول: كيف يعيش هذا الرجل الفقير وأولاده موفقين وناجحين وسعداء وفائزين، وأنا دخلي كبير ولا يكفيني؟!! فالسبب هو:

فكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكي

فهذا هو من عالم اللطف الخفي الذي يرزق الله ﷻ أحبابه البركة، ومن الممكن أن بعض الصادقين يرزقه الله ﷻ مباشرة حتى بدون الأخذ بالأسباب، فعندما أمر الله سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ أن ينزل من الجبل ليهدى الناس إلى الله، وقال: يا علي انزل اهدي الناس إلينا، قال: يارب تتركني إلى خلقك هذا يطعمني وهذا يحرمني؟ قال: يا علي أنفق وأنا الملي، إن شئت من الجيب وإن شئت من الغيب.

فكان لا يضع يده في جيبه إلا ويجد ما يريده ليقضي به حوائجه، فضلًا من الله ﷻ .

وليس هو وحده فكثير من الصالحين السابقين والمعاصرين وإن شاء الله في اللاحقين إلى يوم الدين لهم هذه الخصوصية من الله رب العالمين، لأنهم ينشدوا الله ﷻ، ويجعلوا الله أكبر همهم ومبلغ علمهم، ولا يركنون إلى الدنيا ولا إلى أهلها طرفة عين ولا أقل: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ (١١٣هود).

الذي يركن إلى الذين ظلموا أنفسهم، وابتعدوا عن الله، وحادوا عن شرع الله، ويظن أن هؤلاء النموذج الأمثل، والطريق الأقوم، سوف يبتعد كثيراً عن حضرة الله، ولن يتحقق مناه، والذي يختصر الطريق ويذهب فورًا إلى حضرة الله ويعتمد عليه، فإن الله ﷻ يكفيه كل همومه في دنياه، ويكتب له السعادة العظمى في أخراه في جوار حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

أما الذين لم يكتب الله لهم الهداية:

﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ :

فإذا قرأت عليه آيات من القرآن تجده ينفر، وإذا قلت له هيا نستمع لدرس العلم تجده يفر، حتى أن الله ﷻ وصف فرارهم في آخر سورة المدثر بطريقة منفرة: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ۝٥١ ﴾ (المدثر) كمثل الحمار الوحشي عندما يفر من أمام الأسد خائفًا أن يصطاده.

فهؤلاء يفعلون هكذا عندما يُدعون إلى دروس العلم والحكمة، وإذا دعوا إلى الدنيا تجدهم مسارعين، يُدعون إلى العلم بالله، أو إلى سماع كلام الله، أو إلى سماع حديث حبيب الله ومصطفاه، أو إلى حلقات الذكر التي تقرب المرء من الله،

وتوجب له مغفرة الله، فتجد صدورهم تضيق وتكون شديدة الضيق، مثل الإنسان الذي يذهب إلى الفضاء العالي، وهذه كانت من الإعجاز العلمي في كتاب الله ﷻ ...الناس في عصر النبي ﷺ وما بعده لم يكن عندهم يقين علمي أن الذي يذهب إلى الأجواء العليا من الفضاء لا يستطيع أن يتنفس، إلى أن أتي العلم الحديث وقال: أن الإنسان كلما صعد إلى الأعلى في الفضاء يقل الأكسجين في الجو، فلا يستطيع التنفس إلا بصعوبة بالغة، ولذلك عندما يذهب أولادنا الرياضيون إلى مكان مثل أثيوبيا ويلعبون هناك فيجدوا مشقة بالغة، لأن أثيوبيا هضبة مرتفعة فتكون نسبة الأكسجين ضعيفة، أما من هم في أثيوبيا اعتادوا على ذلك.

﴿ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾:

مثل الذين لا يؤمنون عندما نريد أن نسمعهم شيئاً من علوم الهداية، أو علوم الرسالة، أو من كتاب الله، أو من حديث رسول الله، أو نحاول أن نقربهم من الصلاة، أو الصيام، أو غيره تجد صدورهم ضيقة وحرجة، لماذا؟

حتى نعرف أن الأمر كله لمن يقول للشيء كن فيكون.

الصراط المستقيم هدية وهداية

ونحن بفضل الله وإكرام الله هدانا لهذا المنهج الكريم وهذا الطريق المستقيم:

﴿ وَهَـٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمًا ﴾ :

فمن منا اختار لنفسه هذا الصراط المستقيم؟!

الله ﷻ هو الذي اختاره لنا وقوانا وأعاننا بفضله ومنه وجوده وكرمه على ذلك، ولذلك علَّمنا قبل أن ندعو بالهداية إلى الصراط المستقيم أن نقول كما علمنا في آيات سورة الفاتحة: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ (٥الفاتحة) نحن محتاجين أن نعبدك يا رب، ولكن نريد إعانتك لنا لكي نستطيع أن نقوم بهذه العبادة، فما العبادة التي نريدها؟

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ ما هذا الصراط؟

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ (٧الفاتحة) من الذين أنعمت عليهم؟

الذين ذكرهم في القرآن: ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩النساء).

هل ذلك أجر أم عمل؟

ذلك فضل من الله، وهداية إلى الطريق المستقيم ولهذا المنهج القويم، فضل يتفضل الله ﷻ به على عباده المؤمنين الذين نحن منهم، ونسأل الله أن يزيدنا في ذلك أجمعين.

والله ذكرنا بذلك، لكي يعرف الإنسان دومًا فضل الله عليه، فالصحابة الأجلاء علموا ذلك، وكانوا يرددون في ذلك: ((اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا))، فلا يوجد أحد منهم عنده غرور ولا إعجاب بنفسه ولا يشعر بعلو على غيره لأنه يعرف أن كل الذي به ليس بسببه ولا بعمله ولا بشيء قدَّمه، وإنما بفضل الله ﷻ، وببركة حبيبه ومصطفاه ﷺ.

أهل دار السلام

إذًا الإيمان عطية، وليس على المعطِي حفظ العطية، إنما ذلك على المعطَى له، أنا قدمت لك هدية فهل عليا أن أحفظها لك أم أنت الذي تقوم بحفظها؟.

كيف يكون حفظ هذه العطية؟

يكون بدوام الشكر، وبتيقن المرء على الدوام أن كل ما فيه من خير، ومن إقبال على الله، ومن خيرات دنيوية، ومن معيشة سعيدة تقية نقية ... كل الذي هو فيه من الله، ويقرأ بصدره وبلسانه وبقلبه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (٥٣النحل)

كل النعم التي نحن فيها فإنما هي من الله، وهذا حال لا بد أن يعيشه صاحب الشكر وليس بالكلام.

يقول الحمد لله باللسان، ولكنه يرى نفسه أن له عمل قدَّمه، أو شيء بذله فيكون بذلك لم يصل إلى هذا الحال.

هذا الحال لكي يصدق الإنسان مع الله، فيجب أن لا يرى لنفسه حولًا ولا طولًا، وإنما يرى أن الأمر كله من الله وبتوفيق الله وبفضله ولذلك قال النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه:

{ أَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ }[٤]

فهذه هي عبادة الصالحين الكمل, إذا عمل أي عمل يعقبه بـ (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ودائمًا عندما يدخل إلى أي مكان أو أي عمل يقول: (بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله) وإذا سئل عن أي عمل كيف فعلت هذا؟

يقول: بتوفيق الله، وبإكرام الله، وبإمداد الله ﷻ، لأنهم يرون أن الفضل كله من الله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾ (٧٣آل عمران). .. حجب نفسه بالكلية، لأن النفس إذا ظهرت

تريد الرياء، وتريد الشهرة، وتريد السمعة، وتريد الظهور، وتريد الغرور .. وهذه الأشياء كلها تحجب هذا النور الذي في الصدور الذي استودعنا إياه الله ﷻ.

---

٤ جامع الترمذي ومسند أحمد

الإمام أبو العزائم ﷺ كان إذا أتى وأعطى درس علم في أي مكان، فتفاجئ الناس بعلوم وهبية إلهيه لم يستمعوا إليها من قبل، فسألوه من أين هذا العلم؟ فقال لهم ﷺ:

علم غيب عن شهود لا بعلمي أو بعملي

بل بفضل الله ربي وبطه خير رسلي

وأنا عبدٌ ظلوم أعلموني بعد جهلي

كشفوا لي الحجب حتى أشهدوني نور أصلي

فينسب ذلك كله إلى فضل الله، وإلى إكرام الله، وإلى عطاءات الله، والذي وصل إلى هذا الحال وأصبح له نصيب في إرث حبيب الله ومصطفاه في هذا المقام فهؤلاء الذين يبشرهم الله بأنهم: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ :

وليس لهم الجنة فقط! بل لهم دار السلام، وهو موضع في الجنة يتلقى فيه السلام من السلام، فبعد دخول أهل الجنة الجنة منهم من يتمتع بالحور، ومنهم من يتمتع بالقصور، ومنهم من يتمتع بما لذ وطاب من الطعام والشراب، وهؤلاء طائفة.

الأجر الكريم

لكن الطائفة الأعلى والأرقى في الدرجة عند الله ﷻ تُوجه لهم الدعوة من الله، والدعوة مكتوب فيها ((من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي يموت، عبدي اشتقت إلى رؤياك فتعالى لتزورني))

فيقوم ويذهب إلى زيارة الله، أين تكون هذه الطائفة؟ تكون في دار السلام لكي يسمعوا السلام من السلام ﷻ: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ (٤٤الأحزاب)

مرة يقول (أجر كريم) ومرة يقول (أجر عظيم) وهل هذا مثل هذا؟

لا، فآيات القرآن تبين لنا المعاني الحسان التي يريد أن يوصلها لنا حضرة الرحمن ﷻ، فلا بد للإنسان أن يقرأ القرآن وقلبه شديد الانتباه لكل حرف يقرأه أو يسمعه من كتاب مولاه ....

فالأجر العظيم يكون حظه كبير في الجنة من القصور والحور والممتلكات وغيرها في الجنة !!! ... أما الأجر الكريم يكون لأهل التكريم، وأهل التكريم غير أهل الأجر العظيم، أهل التكريم بدايتهم في دار السلام وأول تكريم لهم أن يسمعوا السلام من السلام ﷻ، وعندما يسمعون السلام يرون أن ما في الجنة من نعيم مهما كثر ومهما تعدد لا يساوي تسليمه واحدة من الله ﷻ على عبده المؤمن.

فهذه اللذة الروحانية التي يتلذذ بها أهل القلوب التقية النقية، وفي هذا الوقت، وفي هذا الحال: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ﴾ (٤٤الأحزاب)،

فهؤلاء الطائفة منهم من يحظى بالسلام، ومنهم من يحظى بسماع الكلام ويكون في مناجاة بينه وبين الله ﷻ زيادة مع السلام، ومنهم من يحظى بنظرة إلى وجه الله سبحانه وتعالى، وهذا لا يستطيع أحد التعبير عنه بكلام، ومنهم من يحظى بشهود ما يتاح له وما يلوح له من أنواع الجمال الإلهي، ومن جمال الصفات الربانية التي جعلها الله ﷻ هي النعيم الأعظم لأهل الخصوصية، ولذلك لا يطلبون الجنة لذاتها، بل يطلبون الجنة للحصول على هذه المزية.

الشيخ ابن الفارض ﷻ - وكان من جملة هؤلاء الرجال - عندما أتت ساعة خروجه من الدنيا عرضت عليه قصوره في الجنان فلم يفرح ولم يستبشر فتألم وحزن وعبس وجهه وقال مناجيًا مولاه:

فإن تكن منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي

فماذا كانت أمنيته؟ النظر إلى وجه الله جل في علاه، وأين تكون هذه؟ في دار السلام التي نسأل الله ﷻ أن يدخلنا فيها، وأن يجعلنا من أهلها يوم العرض والزحام إن شاء الله.

﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾:

لم يتكلم عن الأجر، ولكن هم يريدون ولاية الله ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾ أي كافيهم، من كل أمر يحتاجون إليه في الدنيا ويوم البرزخ وفي الآخرة ويوم لقاه، لأنه قال في قرآنه: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٣الطلاق) أي كافيه.

السيدة نفيسة، نفيسة العلم رضي الله عنها عندما جاءت إلى مصر واستقرت فيها، حفرت قبرها في منزلها، وكانت تنزل فيه وتقرأ فيه كتاب الله، وتصوم النهار، وتفطر عند غروب الشمس عند المساء، وتواصل تلاوة القرءان والقيام لله والناس نيام.

وظلت على هذا الحال خمس عشرة سنة تنتظر الموت - لكي نعلم أن المكان التي فيه مكانًا مباركًا - وجاء شهر رمضان وضعفت وهزلت، وفي اليوم الذي ستلاقي فيه الله قالوا لها: لا بد أن تفطري لأن جسمك ضعيف، قالت أأفطر وهذا اليوم الذي ألقى فيه ربي وقد طلبت من ربي أن يقبضني وأنا صائمة؟! لا يكون، ثم استرسلت في التلاوة حتى وصلت إلى هذه الآية: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ ثم خرجت الروح عند بارئها ﷻ، فسمعوا من يردد في كل أنحاء الحجرة: ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

وزوجها كان في المدينة وهو سيدنا إسحاق المؤتمن، وكان من ذرية سيدنا الحسن ﵁، وسبحان الله كانت الشبكة النورانية متصلة، كما لو كان يعرف أنها ستموت في هذه الليلة، ففي الصباح كان حاضراً وقال أنا سآخذها وأدفنها في البقيع بالمدينة.

وتجمع حوله أهل مصر وهذا يتحايل عليه، وهذا يحاول أن يسترضيه لكي يتركها لهم، إلى أن أتي المساء فقالوا له: انتظر إلى الصباح !!!

فأتاه النبي ﷺ في المنام وقال له: يا إسحاق اترك نفيسة لأهل مصر!!!

فدفنت في الموضع الذي كانت تتعبد لله ﷻ فيه، والذي كان مسك الختام فيه: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ نسأل الله ﷻ أن يُحسن ختامنا أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّاۖ قَالُواْ نَعَمْۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾

(الأعراف)

١٦- منازل أصحاب الجنة[١]

كل مؤمن يعلم علم اليقين أننا إلى الله مسافرون، ومن الدنيا إن آجلاً أو عاجلاً راحلون، وبعد ذلك على الله ﷻ مقبلون ومحاسبون، فمثابون أو معاقبون، إما في جنة يدوم نعيمها، أو نار - نعوذ بالله منها - لا ينفك عذابها.

الله ﷻ يحب عباده المؤمنين، ولذلك يسر لنا الأمر، وسهل لنا الطريق، حتى نعلم علم اليقين أن الله ﷻ مع جلاله وكماله وغناه عنا وعن الخلق أجمعين أرحم بنا من أنفسنا، وأولى بنا منّا، وأحرص علينا من آبائنا وأمهاتنا ﷻ.

يسر الله لأهل الجنة

لم يكلفنا الله ﷻ شططًا لننال النجاة، أو نحقق المقصد الذي نطلبه في جنة الله، مع أن كل مؤمن قبل أن يخرج من الدنيا لا بد أن يعرف مكانه في الآخرة، جهَّزه وعرفه وعرف طريقه لأن الله ﷻ قال في المؤمنين: ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ (٦محمد) أيأتي أحدنا يوم القيامة ويقول ... أين عنواني في الجنة؟! لا بد أن يعرف مكانه قبل أن يخرج من الدنيا، لذلك قال الحبيب ﷺ:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا وَقَدْ عَلِمَ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ }[٢]

---

١ الأقصر – المحاميد بحري – ٢٩ من محرم ١٤٣٧ هـ ١١/١١/٢٠١٥م
٢ القضاء والقدر للبيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وقال ﷺ في حديث آخر:

{ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ، وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[3]

وجعل الله ﷻ الجنة ليست بالعمل الكثير، ولا بالمشقة والتعب ولا ببذل المجهود والألم؛ لكنه يسر لنا هذا الأمر فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ ﴾ فلم يكلف أحدًا أبدًا بشيء فوق طاقته، فهو بذاته علَّمنا أن نقول له: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ (٢٨٦البقرة) فهو الذي علَّمنا هذا الدعاء، فلم نكن نعلمه، لماذا؟ لكي لا يكلفنا فوق طاقاتنا، ولذلك كان ﷺ في ذاته ويأمر الدعاة الذين يرسلهم ويبلغوا عن حضرته ويقول لهم:

{ يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا }[4]

---

٣ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
٤ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

أنت تريد أن تشدد شدد على نفسك، لكن لا تشدد على واحد من الحنيفية المحمدية، لأن الله جعل هذه الأمة أهل اليسر عند الله ﷻ، وقال ﷺ عن ذاته:

{ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا }[5]

فقد أتيت لكي أيسر للناس عبادة الله، وطاعة الله، والعمل الصالح الذي ينالون به رضاء الله، والذي به يدخلون جنة الله جل في علاه، ولذلك قال الله في القرآن: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ (١٦التغابن) الذي تستطيع أن تفعله في طاعة الله، يروى سيدنا طلحة بن عبيد الله ﵁:

{ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جاءَ إلى رسولِ الله ثائرَ الرأسِ فقالَ: يا رسولَ الله أَخْبِرْنِي ما افْتَرَضَ الله عَلَيَّ من الصلاةِ، قال: لصلواتُ الخَمْسُ، إلاَّ أنْ تَطَّوَّعَ شيئاً، فقال: أَخْبِرْني ما افْتَرَضَ الله عَلَيَّ من الصِّيَامِ قالَ: صيامُ رمضانَ، إلاَّ أنْ تَطَّوَّعَ شيئاً، فقالَ: أَخْبِرْنِي ما افْتَرَضَ الله عَلَيَّ من الزكاةِ، قال: فَأَخْبَرَهُ رسولُ الله بِشَرَائِعِ الإسلامِ، فقالَ: والَّذِي أَكْرَمَكَ لا أَتَطَوَّعُ شيئاً ولا أَنْتَقِصُ مِمَّا فَرَضَ الله عَلَيَّ شيئاً، فقالَ رسولُ الله: أَفْلَحَ وأَبِيْهِ إنْ صَدَقَ، دَخَلَ الجَنَّةَ والله إنْ صَدَقَ }[6].

---

٥ صحيح مسلم ومسند أحمد عن جابر رضي الله عنه
٦ السنن الكبرى للبيهقي عن طلحة بن عبيد الله ﵁.

المطلوب ما في وسع الإنسان، دعا ﷺ:

{ سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ:كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا }[7]

صاحب الدرهم لا يوجد معه إلا درهمين فقط، فبذلك يكون أتي بنصف ماله، أما صاحب الألف درهم فعنده دراهم كثيرة، فكيف يحبسها عن الله؟ على حسب الاستطاعة: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ (١٦التغابن) فلم يكلفنا الله عز جل فوق طاقتنا أبدًا.

الذاكرون الله

ذهب رجل إلى رسول الله وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: " لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ "}[8]

وهذا هو الشيء المهم، فالفرائض كلها فرضها الله لذكر الله، فالصلاة فرضها الله علينا لنذكره: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ (١٤طه)

٧ سنن النسائي ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
٨ جامع الترمذي وابن ماجة عن الله بن بسر رضي الله عنه

والحج فرضه الله لذكره ﷻ ... كل العبادات التي فرضها علينا الله الغاية منها والهدف منها أن يديم المؤمن على ذكر الله، لأن هذه تدريبات وتأهيلات واستعدادات ...ز لكي لا يغفل اللسان عن ذكر مولاه ... طرفة عين ولا أقل.

ولذلك ترك الله لنا كل هذه الأمور كما نريد، لكن الشيء الذي في استطاعتنا وليس لنا عذر في تركه هو ذكر الله، وأنا سائر أو جالس أو نائم، فالذكر لا يحتاج لمسجد ولا وضوء ولا طهارة، وحتى لو كنت على الجنابة فمباحٌ لي أن أذكر الله ﷻ.

فما الذي يمنع الإنسان ويجمد اللسان عن ذكر حضرة الرحمن ﷻ؟ هذه كان يعتبرها أصحاب حضرة النبي، ومريدي الصالحين الصادقين خطيئة يحاسب نفسه عليها، فما الذي يجعلني غافلًا عن ذكر الله؟! فماذا فعلت؟! ولماذا سهيت عن الله؟! لأن الإنسان يجب عليه أن يذكر الله كما قال الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ (١٩١آل عمران) يعني على كل أحوالهم.

فما الذي يمنعك وأنت ماشيًا أو راكبًا أن تحرك لسانك بذكر الله؟! والوعود التي وعدها لنا الله ﷻ في كتاب الله وجعل الإجابة فيها محققه من الله على الفور أولها: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ (١٥٢البقرة) وقال في الحديث القدسي لكي يوضح لنا ذلك:

{ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ }[٩]

ذكر الله لنا

وذكر الله لنا يكون بالاستغفار، أو نقول لا إله إلا الله، أو نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أو نقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، أو نقرأ أو نستمع إلى كتاب الله، أو نصلي على رسول الله ﷺ، والله ﷻ عليه تحقيق المطالب التي أتحدث بها في فؤادي وأنا أذكره ﷻ.

أنا أذكره لأني أشعر بمتاعب وآلام، وأريد أن أشفى من الداء، فما ذكره لي؟ أن يتجلى عليَّ بإسمه الشافي المعافي، فيشفيني من هذا الداء.

أنا أذكر الله لأني لا أجد بابًا للرزق، وأريده لكي يفتح لي بابًا، فيفتح لي بابًا من الأرزاق الظاهرة، وبابًا من الألطاف الخفية الباطنة لأدخل في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٧آل عمران) من غير الأسباب والحسابات الدنيوية.

أذكر الله ﷻ وأريد نعمة الولد، فما يكون ذكر الله لي؟

٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

أن ينعم عليَّ ويتعطف عليَّ ويرزقني نعمة الولد.

أذكر الله ﷻ وعلى بالي الجنة .....، فيكرمني الكريم ﷻ ويجعل لي منزلة كريمة في الجنة، ..... وهكذا.

فذكر الله للعبد تحقيق آمال العبد وتحقيق ما يرجوه العبد من الله، لأن الله ﷻ وعدنا أن لا يخيب من دعاه، ولا يرد من رجاه طرفة عين ولا أقل، اسمع إلى حبيبي ﷺ يقول:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا لَيْسَ فِيهِمَا شَيْءٌ }[10]

لا بد أن يستجيب له لأن الله ﷻ قال:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ (٦٠غافر)، فذكر الله في وسعنا، وفي طاقتنا، حتى وأنا متعب أو مريض وراقدًا في الفراش، لكن اللسان يتحرك بذكر الله، لذلك لا يوجد عذر في ذلك.

سيدي عبد الرحيم القنائي ﷺ ذهب لزيارته السيد كمال الدين الأخميمي في روضته، وكان من كبراء علماء السادة الأحناف، وكان في ذلك الوقت العلماء أولياء، لأنهم كانوا يسلكون الطريق على يدي الصالحين،

---

١٠ معجم الطبراني عن جابر رضي الله عنه

بعد أن يفرغ من الدراسة العلمية يطبق عمليًا على يد خبير أذن له اللطيف الخبير ﷻ، فدخل على سيدي عبد الرحيم وهو في قبره، وكان الله قد أعطاه شفافية روحية وجلاء بصري، يراه ويكلمه، وهذه أحوال واردة ولا ينكرها إلا جاحد، وبعد أن فرغ من اللقاء الذي بينهم قال له: يا سيدي أوصني، قال: يا بني لا تغفل عن ذكر الله طرفة عين فأنا كما ترى في روضات عالين ومع ذلك أقول: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (٥٦الزمر).

الذي يدخل الجنة يفرح، ولكن بعد دخوله الجنة وعندما يرى منازل الجنة ويرى أهل الجنة يندم، فما الذي يندم عليه؟! قال ﷺ:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا }[١١]

وكلمة (ساعة) تعني اللحظة، فكل لحظة مرت عليه دون ذكر الله يندم عليها، ويقول: لماذا لم أستزد؟! فما الذي جعلني أغفل عن ذكر الله؟!.

فاللسان عندما يشتغل بذكر الله، ما يكلفني ذلك؟ وما الذي يحتاجه مني؟ لا يشيء، بل لو اشتغل الإنسان بذكر الله وهو يؤدي أي عمل قوَّاه الله، وسهله له مولاه ﷻ، ولذلك قال لنا الله في الرجال الذين لهم الدرجات العلا في الجنة: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٣٧النور).

---

١١ معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

في التجارة، وفي البيع، وفي الشراء؛ لا يغفل عن ذكر الله ﷻ، وهذا هو الشيء الوحيد الذي لم يجعل لنا الله فيه عذر، سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال: كل عبادة أمرنا الله بها ﷻ جعل لنا عذرًا في أداءها، فالذي لا يستطيع أن يصلي واقفًا يصلي قاعدًا، والذي لا يستطيع أن يصلي قاعدًا يصلي نائمًا، والذي لا يستطيع أن يتوضأ يتيمم، والذي لا يستطيع أن يصوم يخرج الفدية، والذي لا يستطيع أن يحج ليس عليه حج، والذي ليس معه نصاب الزكاة لايوجد عليه زكاة، قال: إلا شيء واحد ليس للمؤمن عذرًا في تركه وهو ذكر الله ﷻ، فما عذري الذي أقوله لله عندما أترك ذكر الله جل في علاه؟!

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾ :

والتي من وسعها، وليس لها عذر في تركه؛ ذكر الله ﷻ.

أعلى الدرجات في الجنة

فإذا واظب الإنسان على ذكر الله فسيكون إن شاء الله من أصحاب الجنة:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾:

فالجنة أنواع ومنازل ودرجات لا عد لها ولا حد لها.

فمن هم أعلي الناس درجات في الجنة؟ البعض منا يظن أنهم العُبَّاد الذين يقومون الليل ويصومون النهار، والذين يعبدون الله ليلًا ونهارًا، لكن الله قال لنا غير ذلك، قال:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ :

أعلي الدرجات الذي جاهد نفسه في الدنيا إلى أن صار قلبه خالي من كل شيء، والغل شجرة منها الحقد ومنها الحسد ومنها الشح ومنها البخل ومنها الحرص ومنها الأثرة ومنها الأنانية، فكل الأخلاق الذاتية من الغل.

ونزع الغل دليل على أن العلي الكبير لم يخلق الإنسان ذو المنزلة العالية مقدسًا طاهرًا نظيفًا من بدايته، فلو كان كذلك لقال البعض ما ذنبنا؟! فهو مخلوق كذلك من البداية، لكن ما دام فيه البشرية فمن أحكام البشرية أن يكون فيه هذه الصفات، وعليه أن يجاهدها، وهذا هو الجهاد الأعظم الذي كان الحبيب الأعظم ﷺ بدأ به مع أصحابه المباركين.

أول درس عملي بدأه رسول الله في تزكية النفوس هو تطهير الصدور من الغل وما يشبهه نحو إخوانه المؤمنين، قال ﷺ لأحدهم:

{ يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فَافْعَلْ، وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ }[12]

١٢ جامع الترمذي والطبراني عن أنس رضي الله عنه

وعندما كان سيدنا رسول الله في مجلسه الموقر بين صحبه، فقال:

{ يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ تَنْطُفُ لِحْيَتُهُ مَاءً مِنْ وَضُوئِهِ مُعَلِّقٌ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبَتِهِ الأُولَى، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبَتِهِ الأُولَى، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اتَّبَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي لاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لا أَدْخَلَ عَلَيْهِ ثَلاثَ لَيَالٍ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَحِلَّ يَمِينِي فَعَلْتَ، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ لَيْلَةً أَوْ ثَلاثَ لَيَالٍ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ بِشَيْءٍ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا انْقَلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ، وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلاةِ الْفَجْرِ فَيُسْبِغَ الْوُضُوءَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لا أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلاثُ لَيَالٍ كِدْتُ أَحْتَقِرُ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدِي غَضَبٌ ولا هِجْرَةٌ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فِي ثَلاثِ مَجَالِسَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ تِلْكَ الثَّلاثَ مَرَّاتٍ،

فَأَرَدْتُ أن آوِي إِلَيْكَ فَأُنْظِرُ عَمَلَكَ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لا أَجِدُ فِي نَفْسِي غِلا لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلا أَحْسِدُهُ عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لا نُطِيقُ }[13]

وفي رواية أخرى أن الذي تبعه سيدنا عبد الله بن عمر، وهما الاثنين كانا في شبابهما يقوما الليل، ويصوما النهار، وكان الواحد منهما يختم القرآن كل ثلاثة أيام مرة، ويذهب إلى النبي ويحاول النبي أن يخفف عنه وهو مصّر لأن معه عزيمة الشباب.

لكن الذي يريد أن يكون من أهل المنازل العالية في الجنان ماذا يفعل؟ يطهر القلب والصدر نحو إخوانه المؤمنين أجمعين، وقد قال ﷺ مبينًا المسلم الصادق:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }[14]

١٣ سنن النسائي ومسندأحمد عن أنس رضي الله عنه
١٤ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

وبذلك يكون قد وصل إلى درجة الإيمان الصادق, ولو وصلنا إلى هذه الدرجة فهل يوجد في مجتمعاتنا أي مشكلات؟! أيكون بيننا وبين بعضنا البعض أي خلافات؟! أيكون بيننا وبين بضعنا البعض أي قضايا في المحاكم ونزاعات؟ أبدًا لا يوجد، كما كان في العصر الأول؛ عصر رسول الله ﷺ.

﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ :

يدخل الجنة، ويكون من أهل الجنة العالية، وعندما يذهب هناك يذكر فضل الله ويقول كما قال الله:

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ :

وقل فيها ما شئت: الحمد لله الذي هدانا للمعلم الأعظم، والرسول الأكرم الذي أخذ بأيدينا على هذا المنهاج، الحمد لله الذي هدانا لهذه المنزلة الرفيعة في الجنة العالية بفضل الله وبإكرام الله، لأن النبي ﷺ قال:

{ مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، فَقِيلَ: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلا أَنَا إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ }[١٥]

١٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

وفي رواية: { إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ }[16].

أو تقول: هذا الخلق النبيل فضل من المتفضل ﷻ، لأنه لم يقل (ونزعوا) بل قال (ونزعنا) .... فإذا جاءت العناية من الله أعان الله بحوله وبطوله العبد على طهارة القلب، وعلى إزالة الوساوس من الصدر، ليكون مؤهل لولاية الله وللدرجات العلا في جنة الله سبحانه وتعالي: ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾.

آيات الله في الإنسان

المؤمن يقر دومًا إذا أكرمه مولاه بالفقه في الدين وبالعلم الإلهامي، الذي يلهمه الله ﷻ للمتقين بأن كل ما فيه من خير، وكل ما فيه من فضل، وكل ما فيه من بر، فهو من رب العالمين ﷻ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (٥٣النحل).

وهذا حال المؤمن دائمًا، وصل إلى الحقيقة، والحقيقة أنه ليس مع أي أحد قوة ولا حول ولا طول إلا إذا أمدّه صاحب الحَوْل والطول والقوة بقوته وحوله وطوله ﷻ، لو تخلّى الله ﷻ عن أي رجل منا نَفَسًا واحدًا، هل يستطيع أن يفتح عينًا أو يرفع ذراعًا أو يحرك إصبعًا؟! لا، لأن الذي يحرك ذلك كله هو رب العزة ﷻ.

١٦ مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

الكمبيوتر الرباني الذي يشغل جسم الإنسان أين هو؟ ومن الذي يعطيه الأوامر؟ من الذي يشعرك أنك جائع وتحتاج إلى الطعام؟ وهذا الطعام من أين جاء؟

جهزه ملك الملوك ﷻ، كل ما في الأرض من خيرات صنع خالق الأرض والسموات، هو الذي أنشأها من البداية، وهو الذي يرعاها حتى النهاية.

فالذي نفعله نحن أننا نضع البذرة في الأرض، ومن أين أتينا بالحبة؟ هي من عند الله، فنحن لا نستطيع أن نزرع من لا شيء، فنحن نبذر البذرة، وهو الذي يمدها بالماء والغذاء من باطن الأرض، ومن خارج الأرض بالهواء، وإذا نضج المحصول بالضياء وبالنجوم التي تطيّبه بالليالي في عنان السماء.

حينما نبحث عن هذه الأشياء، ونرى التراب الذي نزرع فيه، هل طعمه مثل العنب أو المانجو أو البرتقال؟ هل طعمه مثل هذه الأشياء؟! لا، والمياه هل لها طعم مثل هذه الأطعمة؟! لا، والهواء هل له طعم مثل هذه الأطعمة؟! لا، فمن أين هذا؟ من الله ﷻ:

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (الواقعة).

إذاً هذا كله فضل الله، وكل ما على الأرض، وكل ما في باطن الأرض، وكل ما في البحار، هذا كله خلقه الله ﷻ للإنسان، والإنسان خُلق للرحمن ﷻ، والمائدة التي يقدمها لي ملك الملوك ﷻ قدّمها لي شخص ما، ولكنه أتى بها من عند الله ﷻ: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ (١١لقمان).

ويشغل لك جهاز كمبيوتر كامل، قطعة لحم تتكلم بها، وتذوق الطعام بها، وتبلع بها، وقطعة عظم تسمع بها الأصوات، وتعرف بها اللغات، وقطعة شحم صغيرة تنظر بها، ووضع فيها ٢ مليون كاميرا، كما يسمونها في عصرنا هذا كاميرات زوم من كل الجهات، في هذا الحيز الصغير، من الذي وصل إلى هذه التقنية في الصناعة من البشر؟! ومن الذي يحرك هذا الجسد كله؟ هو رب العزة ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ (٢٢يونس).

وحينما نأكل من الذي يعطى الأمر للأسنان أن تمضغ الطعام، ومن الذي أعطى الأمر إلى اللسان أن يتذوق الطعام وينزله، وأوجد لك عسكري مرور ينظم حركة الأكل حتى لا ينزل إلى مجرى الهواء، ويسمونه في العلوم (لسان المزمار) فهو مرور إلهي، وينزل الطعام إلى المعدة، من الذي أعطى الأمر إلى المعدة لتهضم الطعام، ولو أن المعدة امتنعت عن الهضم ماذا تفعل؟ ستبحث عن الأدوية، إذاً من الذي حرك هذا؟ هو الله ﷻ، كما قال الشيخ الجيلي رضي الله عنه وأرضاه

أراني كالآلات وهو محركي أنا قلم والاقتدار أصابع

حينما ينزل الطعام يأخذ الجسم منه عيّنه ويذهب بها إلى معمل التحاليل الإلهي الموجود في الجسم وهو (الكبد) فيحلل هذا الطعام، إذا كان به سموم أو شيء يؤذى الجسم؛ يخرجه حتى لا يؤذى الإنسان ولا يمرضه،

وإن كان سليمًا أو به شيء يمكن احتماله يعطى تقريرًا للمعدة، وتعلن المعدة إلى كل الجهات حتى ينظروا إلى الطعام وإلى احتياجاته، حتى تتم عملية الهضم.

البنكرياس ينظر إلى السكر الموجود بالجسم، حتى يخرج له عصارته، والمرارة تبحث عن المواد الدهنية التي فيه، حتى تخرج له العصارة المرارية التي تذيب الدهون، وكل عضو من الأعضاء يخرج أنزيماته وعصارته، وتعطى للمعدة الإذن للأعضاء لهضم الطعام، هل يستطيع أحد أن يؤخر هذه العملية أو يتدخل في هذا الأمر؟ كلا، هذا كله صنع وتقدير العلى الكبير ﷻ: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (٨٨النمل).

تريد الهواء، فأوجد لك الهواء في كل مكان؛ لأنك تستطيع أن تؤخر الطعام والماء لكن الهواء لا تستطيع، ولأنه يحبك وحريص عليك جعل لك مكيفات بتقنية عالية لم يصل إليها العلم إلى هذا الوقت والحين، إن كان الهواء ساخنًا هذه المكيفات تبرّده حتى لا يؤذى الرئتين والصدر، وإن كان الهواء بارداً تدفئه، من الذي يكيّف درجة الحرارة هذه؟ الله، أمْر فوق طاقة العقل والخيال.

فالإنسان المؤمن دائمًا له في بداية سلوكه إلى الله سياحة فكرية عقلية، حتى يعلم علم اليقين من البداية أنّ كل الأشياء بتقدير الله، وبإرادة الله، ولا تفعل إلا بإذن صريح من حضرة الله جل في علاه.

فماذا نحن نفعل؟ نحن نستعين بالله، ونلجأ إلى الله، ونطلب من الله، حتى نكون أقررنا واعترفنا أن هذا من فضل الله: ﴿ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (٤٠النمل)

فلا بد للإنسان أن يقر بأن كل شيء له وحوله وعنده من عند الله: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (٧٨النساء).

الذي ينكر هذا الكلام في الدنيا، ولا يعيش فيه، سوف يتألم في الدنيا، ثم يأتي في الآخرة فيذوق شديدًا من العذاب، والذي يريد أن يمر مسرعًا؛ لا بد أن يعترف بفضل الله، ويشكر الله على عطاياه، ويكرر دومًا فضل الله: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨يونس) إياك أن تفرح بعبادتك وأذكارك التي تفعلها؛ لأنه لو صفاها لا تجد شيئًا، فلو وزنها بميزان الإخلاص من الذي يعبر؟! لا أحد.

كان رجل من الصالحين يقول: لو حاسبنا الله ﷻ بأرجى عمل عملناه في الدنيا؛ لهلكنا جميعًا، ولكنه يحاسبنا بفضله لا بالعدل، وهذا فضل الله على هذه الأمة، فلو حاسبنا بالعدل من الذي يعبر من هذا؟ لا أحد، وضرب لنا حضرة النبي ﷺ مثلًا، فقال:

{ خَرَجَ مِنْ عِنْدِي خَلِيلِي جِبْرِيلُ آنِفًا، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنَّ لِلَّهِ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ، عَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى خَمْسَ مِائَةِ سَنَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ فِي الْبَحْرِ، عَرْضُهُ وَطُولُهُ ثَلاثُونَ ذِرَاعًا فِي ثَلاثِينَ ذِرَاعًا،

وَالْبَحْرُ مُحِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةَ آلافِ فَرْسَخٍ، مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَأَخْرَجَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ عَيْنًا عَذْبَةً بِعَرْضِ الأُصْبَعِ، تَبَضُّ بِمَاءٍ عَذْبٍ، فَتَسْتَنْقِعُ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَشَجَرَةَ رُمَّانٍ تُخْرِجُ لَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ رُمَّانَةً، فَتُغَذِّيهِ يَوْمَهُ، فَإِذَا أَمْسَى نَزَلَ، فَأَصَابَ مِنَ الْوضُوءِ، وَأَخَذَ تِلْكَ الرُّمَّانَةَ فَأَكَلَهَا، ثُمَّ قَامَ لِصَلاتِهِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ ﷻ عِنْدَ وَقْتِ الأَجَلِ أَنْ يَقْبِضَهُ سَاجِدًا، وَأَنْ لا يَجْعَلَ لِلأَرْضِ وَلا لِشَيْءٍ يُفْسِدُهُ عَلَيْهِ سَبِيلا، حَتَّى بَعَثَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ، قَالَ: فَفَعَلَ، فَنَحْنُ نَمُرُّ عَلَيْهِ إِذَا هَبَطْنَا، وَإِذَا عَرَجْنَا، فَنَجِدُ لَهُ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ﷻ فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبِّ، بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ، بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ، بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبِّ بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ لِلْمَلائِكَةِ: قَايِسُوا عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ، فَتُوجَدُ نِعْمَةُ الْبَصَرِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعِبَادَةِ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلا عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَدْخِلُوا عَبْدِي النَّارَ، قَالَ: فَيُجَرُّ إِلَى النَّارِ، فَيُنَادِي: رَبِّ، بِرَحْمَتِكَ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: رُدُّوهُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا عَبْدِي، مَنْ خَلَقَكَ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: كَانَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِكَ، أَوْ بِرَحْمَتِي؟ فَيَقُولُ: بَلْ بِرَحْمَتِكَ. فَيَقُولُ: مَنْ قَوَّاكَ لِعِبَادَةِ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْزَلَكَ فِي جَبَلٍ وَسَطَ اللُّجَّةِ، وَأَخْرَجَ لَكَ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ،

وَأَخْرَجَ لَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ رُمَّانَةً، وَإِنَّمَا تَخْرُجُ مَرَّةً فِي السَّنَةِ، وَسَأَلْتَنِي أَنْ أَقْبِضَكَ سَاجِدًا، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: فَذَلِكَ بِرَحْمَتِي، وَبِرَحْمَتِي أُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ، أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ، فَنِعْمَ الْعَبْدُ كُنْتَ يَا عَبْدِي، فَيُدْخِلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنَّمَا الأَشْيَاءُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى يَا مُحَمَّدُ }[١٧]

فمن الذي يستطيع أن يحاسب بالعدل؟!!

ولذلك دائمًا نقول جميعًا اللهم حاسبنا بفضلك ولا تحاسبنا بعدلك، فإنك لو حاسبتنا بفضلك؛ نجونا جميعًا، وإن حاسبتنا بعدلك هلكنا جميعًا؛ فأنزل الله لنا القلم على أمتنا هذه فقط، كل الأمم السابقة الحساب بالعدل، ولكن هذه الأمة بالفضل:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ (١٦الأحقاف).

فمن عمل عملًا صالحًا؛ تقبلناه، ومن عمل عملًا غير ذلك؛ نعف عنه، ما هذا؟ هو الفضل؛ لأن هذه الأمة أمة الحبيب الأكرم والنبي الأعظم المصطفى ﷺ، وحينما نذهب إلى هناك ونرى فضل الله فنشكر الله ونقول:

---

١٧ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن جابر رضي الله عنه

﴿ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾:

الحق الذي رأيناه رأى العين.

﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ :

ومع أن دخول الجنة برحمة الله وبفضل الله إلا أن العلماء قالوا: إن دخول الجنة برحمة الله، والدرجات فيها بالعمل الصالح الذي فعله العبد في هذه الحياة، إذًا فالدخول بالرحمة، والدرجات فيها بالعمل الذي فعله في هذه الحياة، العمل الذي عمله لله، لا يقصد به إلا رضاه جل في علاه، وملأه الإخلاص لله ﷻ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

النشأة الآخرة[18]

الآيات التي بين أيدينا من سورة الأعراف:

وفيها يعرفنا الله ﷻ ما جهزه لنا في الدار الآخرة, وما أعده الله ﷻ لنا من ألوان التكريم في جنة النعيم، والجنة كما قال الله في شأن المؤمنين فيها:

١٨ الأقصر – أولاد الشيخ– ٣٠ من محرم ١٤٣٧ هـ ١٢/١١/٢٠١٥م

﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (١٦٣آل عمران) درجات لا عد لها, ولا حد لها، إذا كان المجاهدين في سبيل الله وهم طائفة من المؤمنين يقول فيهم حبيبنا ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ }[19]

فأين الباقي؟!

هذا شيء لا يستوعبه العقل لعجزه, ولا يطلع حتى عليه نور القلب إذا صفا لضعفه، لأن هذا يقول فيه النبي ﷺ وهو أعلم بما علَّمه ربه في شأنه:

{ أَعَدَّ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[20]

﴿ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ ﴾ (٧١الزخرف) .

والأنفس هنا إشارة إلى القلة من الصالحين المعدودين في الدرجات العلا عند رب العالمين، ..... هؤلاء ماذا يشتهون؟

١٩ معجم الطبراني عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه
٢٠ دلائل النبوة للبيهقي وصفات الجنة لأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

- يشتهون نظرة في وجه الله، أو يسمعون السلام من السلام جل في علاه، ولا يشتهون الحور ولا القصور ولا ما شابه ذلك في الجنة، ولذلك قال فيها رب العزة: ﴿ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ ﴾ (٧١الزخرف) بماذا؟ بالنظر إلى وجه الله:

﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة).

هناك جماعة من المؤمنين سيخرجون من القبور إلى القصور في الجنة، فلا يرون الحساب، ولا يذهبون عند الميزان، ولا يمرون على الصراط، وإنما من القبور إلى القصور.

النفخات يوم القيامة التي سينفخها إسرافيل ثلاثة:

نفخة الفزع, ونفخة الصعق, ونفخة القيام، قال ﷺ: { كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَسَّمَّعُ مَتَى يُؤْمَرُ، فَيَنْفُخُ؟} [21]

فأين نحن من ذلك؟!

﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (٨٧النمل)

٢١ مسند أحمد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

والصُوُر هو العالم الذى يحيط بالسموات والأرض، سيفزع كل ما في عوالم السموات وكل ما في عوالم الأرض، الكل سيفزع, والكل سيهلع, والكل سيجزع، لكن لن يستطيع عمل أي شيء لأنه انتهي وقت العمل.

ثم تأتي النفخة الثانية:

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (٦٨الزمر)

تموت كل الأرواح وتبقى الأشباح، قال ﷺ:

{ فَجَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى الْجَبَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ مَاتَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الأَرْضِ إلا مَنْ شِئِتَ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنْتَ الْحَيُّ لا تَمُوتُ وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَجِبْرِيلُ، وَمِيكَائِيلُ، وَأَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ: لِيَمُتْ جِبْرِيلُ، وَمِيكَائِيلُ، قَالَ: فَيَتَكَلَّمُ الْعَرْشُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَتُمِيتُ جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: اسْكُتْ، فَإِنِّي كَتَبْتُ عَلَى مَنْ كَانَ تَحْتَ عَرْشِي الْمَوْتَ، فَيَمُوتَانِ وَيَأْتِي مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى الْجَبَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ مَاتَ جِبْرِيلُ، وَمِيكَائِيلُ، فَيَقُولُ وَهُوَ أَعْلَمُ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: بَقِيتَ أَنْتَ الْحَيُّ لا تَمُوتُ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَأَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ: لِيَمُتْ حَمَلَةُ عَرْشِي، فَيَمُوتُونَ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ: فَمَنْ بَقِيَ؟

فَيَقُولُ: بَقِيتَ أَنْتَ الْحَيُّ لا تَمُوتُ وَبَقِيتُ أَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَنْتَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِي، خَلَقْتُكَ لِمَا قَدْ رَأَيْتَ فَمُتْ، فَيَمُوتَ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ إِلا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الصَّمَدُ الَّذِي لَيْسَ بِوَالِدٍ وَلا وَلَدٍ كَانَ آخِرًا كَمَا كَانَ أَوَّلا، قَالَ: خُلُودٌ لا مَوْتَ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلا مَوْتَ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ فَلا يُجِيبُهُ أَحَدٌ، ثُمَّ يَقُولُ لِنَفْسِهِ: ((لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)) } [٢٢]

وبعد أربعين سنة، الذين ماتوا في نهاية الدنيا يكون لهم برزخ وحساب في القبر مثل بقية الناس، لكى يتساوى الجميع !!!

وفي هذه الفترة تتهيأ الأرض للحساب !!!

ويتهيئ ما عليها ليتجهزون للقاء رب العزة ﷻ في ساحة العرض والحساب,

فيأمر الله ﷻ الأرض أن يحدث فيها زلازل: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ (١الزلزلة)

زلازل تحرك الأرض كلها.

ثم يأمر الله ﷻ الهواء أن يهب على الأرض من جهاته الأربع, وتشتد صدمات الهواء حتى تحول الجبال الصماء إلى أكوام من الرمل:

٢٢ مسند اسحق بن راهوية والأحاديث الطوال للطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

﴿ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴾ (١٤المزمّل) أكوام من الرمل، وترج الأرض: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝ ﴾ (الواقعة) فلم يعد يوجد شيء.

وفي هذه اللحظات تتجمع ذرات كل إنسان بأمر من يقول للشيء كن فيكون! كيف ستتجمع؟

رب العزة ﷻ بحكمته وإرادته جعل جزءاً في الإنسان لا يبلى ولا يفنى, ولكنه صغيرًا لا نعرفه، حيث يوجد في آخر العمود الفقري، قال فيه ﷺ:

{ كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَبْلَى وَيَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إلا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ، وَفِيهِ يُرَكَّبُ }[٢٣]

فهو المغناطيس الذي يجمع ذرات الإنسان، نحن نضع في المقبرة خمسة عشر أو عشرين أو خمسين ميت، لكن إياك أن تظن أن تراب شخص سيختلط بتراب شخص آخر، فملك الملوك ﷻ له تصريف في ذلك لا يعلمه إلا من أطلعه الله ﷻ على هذه الأسرار .... والذي مات في البحر وأكله السمك، لكن السمك لا يستطيع أن يأكل عجب الذنب، ولا يهضمها، لأن الله جعلها محفوظة بحفظ الله جل في علاه، لأنها المغناطيس الذي سيتجمع حولها جسم الإنسان.

٢٣ مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

فعندما تحدث الزلزلة والرجة ستتجمع هذه الحقائق، ثم يأمر الله ﷻ السماء أن تمطر - كما أخبر ﷺ [٢٤]- منيًا كمني الرجال لمدة أربعين عام.

ففى بداية تكوين الخلق عندما يُقدِّر الله ﷻ إيجاد ولد أو بنت يأمر ملكًا يُنزل جزء من النطفة يضعه في الرحم يتكون منه الولد أو البنت، وجزء يضعه في الموضع الذي سيدفن فيه، فإذا مات في أي مكان لا بد أن يرجع للموضع الذي ذر عليه من نطفته.

{ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِجِنَازَةٍ عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: قَبْرُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: فُلانٌ الْحَبَشِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ سِيقَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى تُرْبَتِهِ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ } [٢٥]

ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

والجزء الثالث يصعد به إلى السماوات العلا، ويحفظه الحفيظ ﷻ حتى ينشأ منه كما أنشأ أول مرة: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٢٩الأعراف).

فتمطر السماء أربعين عامًا منيًا كمني الرجال، ومن ينزل عليه المني يتجمع جسمه الآدمي لكن في الصورة التي جهز الله له منزلته فيها، فإن كان من أهل الجنة يأخذ شكل أهل الجنة، وصورته البشرية التي كانت في الدنيا واضحة لكن تكون في حال آخر.

---

٢٤ فى ذلك أحاديث عدة منها {الأرض تمطر مطراً كمني الرجال ينبتون في القبور كما ينبت النبات } فتاوى ابن تيمية

٢٥ الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

هيئة أهل الجنة وأهل النار

وأهل الجنة كما قال حضرة النبي ﷺ:

{ أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ لا يَتَغَوَّطُونَ وَلا يَبُولُونَ وَلا يَمْتَخِطُونَ وَلا يَبْزُقُونَ أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ أَخْلاقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى طُولِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا }[٢٦]

ومن سيدخل الجنة سيكون عمره ثلاثة وثلاثون عامًا ولا يزيد عمره, سيكون مثل ما قال حضرة النبي: { لا يَبْلَى شَبَابُهُمْ }[٢٧]

ليس فيها أمراض ولا أسقام، ولا فيها هم، ولا فيها حزن!!!

، فعندما يدخل المؤمن الجنة سيقول مثل ما علمنا الله: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (٣٤فاطر) فقد ذهب الحزن.

٢٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
٢٧ مسند حمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

علامات الجنة: ﴿ عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (٦٦الرحمن) تخرج لكل واحد شربته الخاصة به فقط عندما يصل عندها، العين الأولي يشرب منها فيقول: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ ﴾ (٣٤فاطر) ينتهى الحزن، وينزع الله بها ما في صدره - إن كان باقيًا - من غل أو غيظ أو حقد أو حسد، لأن الله حكم على داخليها:

﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾ (٤٣الأعراف).

وإذا شرب من العين الثانية يظهر عليه نضرة النعيم، علامات النعيم الذي سيجده في جنة النعيم في جوار الكريم ﷻ.

أما إذا كان من الكافرين فسيذهب إلى جهنم، فلا بد أن يكون تكوينه يتحمل العذاب، فما شكله؟ حضرة النبي أعطانا بعض أوصافه فقال:

{ ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَعَرْضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرِقَانَ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مِثْلُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّبَذَةِ } *

٢٨ مسند أحمد والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه

المركز الذي سيشعر بالعذاب هو الجلد: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ (٥٦النساء) قال فيه ﷺ: { وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاثٍ }[٢٩]

مثل سفر ثلاثة أيام، حتى يكون جاهز للحالة التي ذاهب إليها.

عندما تأتي النفخة الثالثة: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (٦٨الزمر) بعد النفخة الثالثة تخرج الأرواح كما قال فيها الفتاح: ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ (٧القمر).

كل روح تعرف البيت الذي كانت تسكنه في الدنيا، عندما تدخل فيه ينبض بالحياة ويتحرك بأمر من يقول للشيء كن فيكون، إن كان من المؤمنين يكون في الدرجات العلا من الجنة، فعندما تنبض فيهم الحياة يجد ملائكة الجنة يأتونه ليهنئوه ويستقبلوه ويأخذونه ومعهم ملابس من الجنة، ومعهم زينة من الجنة، ويأخذونه إلى حوض الحبيب، فيسقونه شربة عذبة هنيئة مريئة من الكوثر، ثم يسيرون به إلى الجنة، ليس له شأن بحساب ولا بعتاب ولا أي شيء، والحمد لله فأكثر هذه الأمة سيكون على هذا الحال لأن معظم الأمة كما قال ﷺ : { عَذَابُ أُمَّتِي فِي دُنْيَاهَا }[٣٠]

---

٢٩ صحيح مسلم وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه
٣٠ الحاكم في المستدرك والطبراني عن عبد الله بن يزيد رضي الله عنه

في الزلازل والفتن التي نحن فيها، والأمراض والأسقام والمشاكل، وما من ألم ولا هم ولا غم ولا شيء يصاب به العبد المؤمن إلا كفَّر الله ﷻ به من خطاياه، وهذا هو الحساب، فيأتي قرار رب العباد: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠الزمر)

فهذا كلام الله ﷻ ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً ﴾ (١٢٢النساء) ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٨٧النساء)،

فهؤلاء سيدخلون الجنة بغير حساب، وليس لهم شأن بالميزان ولا الصراط ولا أي شيء، هؤلاء قال لنا الله عليهم:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾.

وكل ما في الأمر في الآية التي بعدها: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ :

يعيشون في الدنيا ببضاعة الأحبة، وهم مالئين الصدور بنور الإيمان، والذي لا ينفع معه إلا المودة والمحبة والصلات والروابط الطيبة بكل بني الإسلام، بل بكل بني الإنسان.

لكن لا يصح مع بضاعة الرحمن وهي الإيمان بضاعة الشيطان، ويكون معها الحقد والحسد والغل والكره والبغض والمكر والدهاء.

فالإنسان المسلم والمؤمن صدره فيه بضاعة مولاه جل في علاه، ولا يسمح بدخول بضاعة الشيطان أبدًا، لأنه واثق الله وعاهد الله أن يكون قلبه سليم، وصدره مستقيم على الدوام حتى يلقى الله ﷻ.

جنة الميراث وجنة الاختصاص

عندما يصلون إلى هناك:

﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣ ﴾:

ورثها لكم الله، وكتب لكم العقود:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ (١١١التوبة)

وهذا هو العقد بيع وشراء، وهى إسمها جنة الميراث.

وهناك جنة أخرى تسمى جنة الاختصاص وهى لأطفال المسلمين الذين يموتون وهم صغار، ومعهم المجانين الذين ثبتوا على جنونهم ولم تثبت عقولهم حتى لقوا الله، وأيضا أهل الفترة الذين لم يرسل لهم نبي ولا رسول قبل رسول الله ﷺ،

وهى جنة صغيرة فيها على قدر ما يريدون، وعلى قدر ما يتحملون، لكن الجنة العالية الغالية فهي للمؤمنين والمؤمنات، وهناك طبقة أعلى من هؤلاء، تحدث عنهم الله ﷻ وقال: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ (٣١ق) الجنة هي التي ستذهب عندهم إلى مكانهم وتستقبلهم وليست الملائكة فقط، قال ﷺ:

{ اشْتَاقَتِ الْجَنَّةُ إِلَى أَرْبَعَةٍ: عَلِيٍّ وَسَلْمَانَ وَأَبِي ذَرٍّ وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ }[٣١]

الجنة نفسها عندما تراهم في أرض الموقف على الفور تخطفهم، فيدخلون الجنة بعد أن قربت لهم الجنة، فضلًا من الله ﷻ ورضوانًا.

بعد أن يدخل أهل الجنة الجنة، يريد الله أن يعرفهم قدره عنده ومكانتهم لديه، فيكشف لهم عن النار ومن كانوا يعرفونهم، فيرونهم وهم في عذاب جهنم، وبينهم حجاب، وينادون عليهم ويكلمونهم، ويظهر لأهل النار مكانة هؤلاء في الجنة، لأن هذا سيكون أشد العذاب بالنسبة لهم، فعندما يكشف لهم الله عن أهل الجنة والمنزلة التي هم فيها يقولون:﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٥٠الأعراف).

---

٣١ تاريخ دمشق لابن عساكر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

فهذا يكون بالنسبة لهم أشد العذاب، وأيضًا في نفس الوقت داعي لعظيم الشكر لأهل الجنة لله؛ أن أنجاهم من هذا العذاب، وأن جعلهم من أهل الجنة في جواره وفي جوار أحبابه وفي جوار نبيه ورسوله صلوات ربى وتسليماته عليه.

الظالمون

فينادى كل مؤمن على صديقه الكافر في الدنيا:

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ :

من الظالمون هنا الذين يلعنهم الله؟

الذين يحاربون الإسلام، ويحاربون أهل الإيمان، ويتصدون لهم ليمنعوهم من العمل الذي يرضي حضرة الرحمن ﷻ.

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ :

يصدونهم عن دين الله، وعن شرع الله، ويريدونهم أن يرجعوا لطريق الغي والضلال، ومن هم هؤلاء في هذا الزمان؟ أهل أمريكا وأهل أوروبا، ومن سار في ركابهم، فهم الآن يشنون حرباً لا هوادة فيها كما ترون، حرب في كل الاتجاهات.

فيحاربوننا من النواحي الاقتصادية، حصار اقتصادي حتى نجوع، واتفقوا لبناء سدود في إثيوبيا، وهم من يشرفون عليها حتى لا تأتينا قطرة ماء، حتى نموت من الظمأ, والذي يشرف على سد أثيوبيا شركة يهودية، وما يطمعهم أنهم أرسلوا إلى إثيوبيا قوات يهودية بحجة حراسة السد من التفجير من المصريين، والممول الحقيقي الأمريكان ومن يلوذ بهم ومن يعاونهم.

فهم بدءوا ذلك من وقت أن جاء الرئيس جمال عبد الناصر وأصدر قرار ببناء السد العالي، وأمم قناة السويس، فقالوا لقد بني السد العالي رغمًا عنا فسنحرمه من الماء ونمنعه عنه من أثيوبيا، فانظر للتخطيط والتدبير على المسلمين الآمنين.

وحاليًا يحاولون أن يضيعوا شبابنا تارة بالأفلام الإباحية، وتارة بشبكة النت التي أصبحت مع كل تليفون، وتارة بما ينشرونه من أخلاق فاسدة باسم الحرية، كل ذلك حرب على الإسلام وعلى المسلمين، فهؤلاء هم من قال فيهم الله ﷻ:

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾:

لا يهمهم أن هناك آخرة، لكن عندهم هي الحياة الدنيا وفقط.

الأعراف

وهناك آخرون سيدخلون الجنة بعد الحساب، هؤلاء: ﴿ خَلَطُواْ عَمَلاً صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ (١٠٢التوبة) غفلوا عن ذكر الله، وعن طاعة الله، كانوا كما قال الله: ﴿ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (١٤٢النساء) هؤلاء خصص الله لهم مكان بين الجنة والنار إسمه الأعراف، وتعنى عرف الديك؛ أعلي شيء فيه، فالأعراف وهو مكان عال بين الجنة والنار، ولِمَ هذا المكان؟ حتى يقتص للمظلوم من الظالم، قال ﷺ:

{ يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ }[٣٢]

بعد ما يخلص الواحد منهم من الحساب، ويأخذوه على طريق الجنة، ينادي منادي الله: من كان له مظلمة عند فلان فليخرج؛ فيخرج الناس، فمنهم من يمسك في رقبته، ومن يمسك في وسطه، ومن يمسك في ذراعه،

٣٢ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وكل واحد يقول: يا رب خذ لي مظلمتي من هذا, الذي يقول سرقني يوم كذا، و الذي يقول سبني يوم كذا، و الذي يقول خدعني في يوم كذا، والذي يقول غشني يوم كذا .. فكل واحد يذكر مظلمته, فيقول رب العزة: وعزتي وجلالي لا تدخل الجنة حتى ترضي خصماءك، فيجلس معهم: فيقول يا فلان سامحني فيقول له كم ستدفع لي؟ ولا يوجد إلا حسنات، فلايوجد جنيهات ولا دولارات، لا يوجد إلا الحسنات، فكم تدفع لي؟ والدفع هذا كيف ستكون صورته؟ ففى الأثر: { **كلمة أف تعدل يوم القيامة عمل سبعين سنة** }! .... فهي ليست كلمة وإنما هي شخص يتحدث مع أبيه، فقال له (أف) فهو لم يضربه، ولم يشتمه، ولم يؤذيه، لكنه بيَّن علامة عدم الرضا والقهر أمام أبيه، فيقول له يوم القيامة سامحني، فيقول الأب: كم ستدفع حتى أسامحك؟! فكل شخص هناك لا يهمه إلا نفسه، فمتى سيوافق على الصلح؟ سيوافق بعمل سبعين سنة وأنا كم سبعين سنة عندي حتى أدفعها؟!.

شبابنا الذين لا ينتبهون الذين يجلسون في الطريق ينظرون إلى الذاهبة والآتية!!!

وكلما تمر عليهم واحدة يغتابونها، هذه تمشي مع هذا، وفعل معها كذا !!!

هل أنت رأيت ذلك؟!

هذا قذف محصنة، لأن شرط الكلام في هذا الأمر يكون بأربعة، والأربعة رأوه رأى العين، وكما قالوا يرونهم وذكره في فرجها كالمرود في المكحلة, وإلا يكون الواحد منهم شهد زوراً، فيجلد ثمانين جلدة.

وهذا إن لم يجلد في الدنيا ولم يقم عليه الحد، فستأتي يوم القيامة وتطالب بحقها، وكم حقها؟ قال ﷺ:

{ إِنَّ قَذْفَ الْمُحْصَنَةِ لَيَهْدِمُ عَمَلَ مِائَةِ سَنَةٍ }[٣٣]

فهل نتكلم في هذه الأشياء؟!ما لنا وهذه؟!

فلابد من أن نمسك اللسان، حتى لا ينطق إلا بما يرضي الله ...

فأي كلمة إن لم تحاسب هنا عليها فستأتي يوم القيامة وتحاسب عليها ... فإن انتهى رصيده من الحسنات ويوجد مطالبون لهم حقوق عليه !!فيحمل من ذنوبهم حتى يسامحوه، وهذا ما سيحدث في هذا المكان لمن قصروا في حق أنفسهم وفي حق إخوانهم المؤمنين.

رجال الأعراف

ومع هذا في هذا المكان يكون هناك تكريم من الله ﷻ:

يوجد ناس في هذا المكان الذي بين الجنة والنار الذين يقول فيهم الله ﷻ:

٣٣ مسند البزار والطبراني عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ :

هؤلاء الرجال الأنبياء والمرسلين والعلماء والصالحين والشهداء وكبار المتقين لأن الله وعدهم أن يشفعوا في غيرهم، فهنا موطن شفاعة ربهم ﷻ ... ولماذا هم يقفون في هذا المكان المرتفع؟ ..... لكي يرون من في الجنة ومن في النار!!!

فيشفعوا لمن في النار، قال ﷺ:

{ شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي } [٣٤]

فيشفع في أهل الكبائر الذين دخلوا النار، ويرجوا الله ﷻ، ويضرع إلى الله، ويسجد بين يدي الله، ويحمد الله بمحامد يلهمه بها في وقتها الله، فيقول الله:

{ يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ: يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي، لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ } [٣٥]

٣٤ سنن أبي داود وأحمد عن أنس رضي الله عنه
٣٥ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وأيضًا قال لنا:

{ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ شَفَّعَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدِ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ } [36]

فقد أخذوا الحكم، وصدرت الأحكام، وأخذتهم الزبانية على التنفيذ في السجون الإلهية، لكن يسامحهم الله من أجله، فالعالم العادي سيشفع في سبعين, لكن هناك من يشفع في أكثر من ذلك، قال ﷺ:

{ إِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَمَنْ يَشْفَعُ لأَكْثَرَ مِنْ رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ } [37]

وربيعة ومضر أكبر عائلتين في الجزيرة العربية كلها، كل واحد على حسب جاهه عند الله يكون له شفاعة يعطيها له الله على يد حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

- الشهيد يشفع في سبعين من أهله كلهم قد استوجبوا النار.
- وقارئ القرآن يشفع في عشرة من أهله كلهم قد استوجبوا النار .
- فهي شفاعات, ولذلك قال ﷺ:

{ اسْتَكْثِرُوا مِنَ الإِخْوَانِ فَإِنَّ لِكُل مُؤْمِنٍ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [38]

أكثر من أحبابك وإخوانك في الله!!

٣٦ المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن ابن عباس رضي الله عنهما
٣٧ مسند أحمد عن الحارث بن أقيش رضي الله عنه
٣٨ ابن النَّجَّارِ في تاريخِهِ عن أنَسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

إن لم تدخل بشفاعة هذا فستدخل بشفاعة الثاني أو الثالث أو الرابع، فيكون لك شفعاء كثيرين عند الله يوم القيامة.

يوجد أناس آخرون من المؤمنين سيكرمهم رب العزة بذاته ﷻ:

أناس سيأتون عند الميزان وتتساوى الحسنات مع السيئات:

فلا هو أهل لأن يدخل النار، ولم يعمل ما يستحق به الجنة، وهؤلاء من أجلهم يأمر الله ﷻ أهل الموقف بالسجود، يسجدون سجدة, وهى السجدة الوحيدة التشريعية في الحياة الأخروية، هذه السجدة ترجح كفة الحسنات ويدخلون بها الجنات؛ إكراما من الله لهذه الأمة, أمة حبيبه ومصطفاه.

ويأتي آخرون يريدون السجود فلا يستطيعون:

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (٤٢القلم).

عندما تسجد من الذي يلين الأعضاء ويلين الأرجل لكي تستطيع السجود؟

الله ﷻ!

وإنما الآخر يأتي لسجدة فيصلب ظهره ولا يستطيع السجود لله، حتى لا يأخذ حسنة في الدار الآخرة مضاعفة عند مولاه جل في علاه.

لكن المؤمن سيعينه الله وسيسجد خلف رسول الله، وهذا تكريم لرسول الله!

لأنه سيكون خلفه كل الأنبياء والمرسلون والصالحون والمتقون والمؤمنون والذين تداركهم الله برحمته ... وسمح لهم بهذه السجدة ليدخلهم مع المؤمنين جنة النعيم.

هناك أناس آخرون في هذا المقام يأتيهم العفو من العفو ﷻ، فيقول لهم أنتم تستحقون النار كما رأيتم لكني قد أعتقتكم من النار وأدخلكم الجنة برحمتي:

﴿ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡ ﴾ :

ليس بالاسم وإنما بالشكل!!

فهؤلاء الشفعاء حتى وإن لم يكن يعرف إسمى فسيعرفني عندما يراني على الفور!

فيشفعون فيهم عند الله ﷻ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أوصاف أصحاب الأعراف[39]

نحن نبين أوصاف المقربين وأحوالهم لكي نكون منهم....

والقرآن الكريم فيه آيات لأهل اليمين, وفيه آيات للمقربين ونحن نريد أن نكون منهم إن شاء الله: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الواقعة)

وليس الجنة فقط، وهناك قراءة أخرى: ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَاحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ ....فليست الجنة فقط ....

وإنما هناك راح سيشربونه بغير أقداح من يد الله ﷻ والحبيب المصطفى ﷺ، وتوجد روح سيتفضل بها عليهم الله بها يتمتعون بشهود وجه الله، لأن هذه العين في الدنيا ميتة فهي لا تري إلا المحسوسات، لا ترى الأنوار الخفيات, ولا ترى ما في القلوب, ولا ترى ما في الصدور, ولا ترى ما في عالم الملكوت.

توجد عينٌ أخرى أعطاها لنا الله، لكنها تحتاج إلى جهاد، فهي كانت في الأصل مفتوحة، وكنا نري بها، وعندما ينزل الإنسان من بطن الأم تكون العين مفتوحة، فيرى بها الملائكة الصاعدة والملائكة النازلة وكل هذه الحقائق.

---

٣٩ الأقصر – أولاد الشيخ– ٣٠ من محرم ١٤٣٧ هـ ٢٠١٥/١١/١٢م

لكن عندما تنزل ستارة الحس تُحجب عين البصيرة، لأنه عندما يعرف الأشياء حوله مثل أن هذا أبوه، وهذه أمه، تنزل ستارة الحس فورًا، ويحجب عن هذه المشاهد، ماذا **يفعل** حتى يشاهد؟ جاهد تشاهد، وقد قال فيها ﷺ:

{ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا جِلاؤُهَا؟ قَالَ: ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَتِلاوَةُ الْقُرْآنِ } [٤٠]

فهي تحتاج إلى ذكر، حتى تجلى الغشاوة التي على عين القلب، ونزيل صدأ الذنوب التي تراكمت وعششت على عين البصيرة، وجعلتها غير منيرة.

فأصحاب الأعراف هم الذين جاهدوا في هذا الجهاد:

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (٧٨الحج) إلى أن انفتحت عين البصيرة وأصبحوا يرون بعين السريرة, فيرون ما في الصدور ويرون ما يغيب عن الكون المنظور ويرون عالم الملكوت وما فيه ويرون عالم الجنة.

وهؤلاء قد يكونوا جالسين معنا، وبيننا في الدنيا، وتتنزل عليهم الملائكة ويرونهم ويكلمونهم ويحادثونهم، ويكون بينهم وبين بعضهم صداقات ومودة، لأنهم ينزلون لهم باستمرار: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (٣٠فصلت).

---

٤٠ مسند الشهاب والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

هؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين وصلوا لهذه المكانة العالية في الفتح والبصيرة والقرب من رب البرية ﷻ، فسيرون المشهدين، وأين سيجلسون؟ كما قال الله في القرآن الكريم: ﴿ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (المطففين) على أرائك القرب من الله ﷻ.

منهم من يكون على منابر من نور قدام عرش الرحمن, ومنهم من يكون تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله, ومنهم من يكون في قصوره في الجنان وينظر إلى أهل الموقف وهو في عالم الجنان, كل واحد منهم على حسب درجته ومكانته.

وهؤلاء الذين ينظرون مرة هنا، ومرة هنا، مرة لأهل الجنة حتى يمدحونهم ويثنون عليهم ويقولون لهم: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ ﴾ وكلمة سلام عليكم هناك ليس مثل التي تقال هنا في الدنيا، فأنت تقول السلام عليكم بلسانك، لكن السلام من السلام ﷻ يكون تجلي, والسلام من الأولياء والصالحين يكون تنزل من قِبَل الله على القلب بالبرد والسلام؛ لأن هذه تكون أحوال علية وتجليات وهبية.

﴿ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ يثنون عليهم، ويؤيدونهم لأن الله ﷻ جعل هؤلاء القوم هم الشهود العدول على الجميع يقول الله في شأنهم:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١٤٣البقرة) فالشهادة هنا، وسيكونون هم الشهداء على الناس لأنهم هم الذين أعطاهم الله من عنده الإطلاع على السرائر, والنظر بالبصائر, وانكشاف الأحوال, وانكشاف حقيقة الأعمال, وهذا سيكون عطاء من الله ﷻ لهم حتى يشهدون.

فهل يوجد محامي يدافع عن أحد في قضية من غير أن يطلع على الملف الخاص بالقضية؟ لا بد أن يطلع على ملف القضية ويرى ما فيه، فهؤلاء نفس الشيء، فهم سيثنون على أهل الجنة، ويشفعون لمن يريدوا أن يشفعوا له ممن أخذ حكمًا بأن يذهب إلى النار, وأيضا يباكتون الفجار والكفار والمناوئين والمعارضين للمؤمنين ممن دخلوا النار.

فيطلعهم الله ﷻ على أحوالهم وعلى أعمالهم وعلى سرائرهم حتى ينطقون عن ضمائرهم، فيكلمون أهل الجنة: ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ : وهذه شهادة لأنهم شهداء على الناس: ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾:

يقولون الحمد لله الذي نجانا من هذا ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر برب العالمين ﷻ ومعاداة المؤمنين، فيشكرون الله ﷻ على ذلك، ويدعون الله ﷻ أن يصرفهم عن ذلك.

فكيف يدعون الله وهم من أهل العدول ويقفون على الجنة؟

هذه هي الحقيقة التي بيَّنها لنا الأئمة الكرام، والتي قال فيها أبو بكر الصديق ﵁ وأرضاه: **((لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي في الجنة))** لأن الله ﷻ قال: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ (٢٣الأنبياء) والإمام أبو العزائم ﵁ قال: **((لا آمن مكر الله ولو دخلت برجلي وبكلي في الجنة فآدم دخل الجنة وقال له الله اهبط منها))**.

فالإنسان حتى ولو في أعلى مراتب القرب من الرحمن لا بد أن يخاف الله، ويخشى الله ويرجوا رضاه جل في علاه، ويطمع دومًا أن الله ﷻ يعامله بفضله وكرمه وجدواه، ولا يعامله بعدله، لأنه لو عامله بعدله ربما يهوي في النار والعياذ بالله ﷻ؛ لأن الأعمال لو نظر الله ﷻ عليها وحاسبنا عليها حسابًا دقيقا لن ينجوا أحد منا أبدًا.

الإمام الجنيد ﵁ كان يصلى لله ﷻ كل ليلة ثلاثمائة ركعة, وكان لسانه لا يكف عن ذكر الله ﷻ طرفة عين ولا أقل, حتى إنه فى لحظة موته أخذوا يلقنوه فقالوا له: اذكر الله ﷻ، فقال لهم ﵁: وهل نسيته حتى أذكره؟! وناجي الله ﷻ فقال:

إن قلبا أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السرج
وجهك المحبوب حجتنا ... يوم يأتي الناس بالحجج

لا يريد إلا وجه الله!!

ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين، وبعدما انتقل رآه أحد إخوانه في المنام فقال له: ماذا فعل الله بك؟ قال له: ((حاسبونا فدققوا ثم منوا فأعتقوا)) حاسبونا حساباً شديداً حتى ظننت أنى ذاهب إلى مكان آخر غير ما كنت أظن، وبعد ذلك جاء المن من فضل الله، فقال له: ما الذى نفعك هناك؟ قال له: ((تاهت تلك العبارات، وراحت تلك الإشارات، ولم تبق إلا ركيعات كنا نركعها في وقت السحر)) لم ينفعه الكلام الكثير ... ولا العلم الذي نشره.

فينادون أهل النار:

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ :

يقولون لهم أنتم كنتم في الدنيا تتباهون بالكثرة، والمال والسلاح والعتاد والقوة, مثلما يحدث الآن، فأهل الغرب والكرب يعاملوننا كأننا لم نكن بشر من الأساس، كأنهم هم البشر ونحن أنصاف بشر، ويستهزئون بنا أعلى إستهزاء، لماذا؟ غرتهم قوتهم وأسلحتهم وأموالهم والخيرات التي ملَّكها الله ﷻ لهم: ﴿ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ (٧٠الأنعام)،

هؤلاء الذين يقول لهم الله ﷻ: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ :

واعلموا علم اليقين، وهذا كلام بشرنا به رب العالمين, وبشرنا به سيدنا رسول الله ﷺ في أحداث الساعة - إن أمريكا سيأتيها قضاء الله ﷻ حتمًا، والأسلحة التي عندها لن تستطيع أن تقف ضد الأسلحة الإلهية التي سيسلطها الله عليها ويقول فيها أبو العزائم ؓ:

وبأميركا زلازل ومخازي انتقامًا لفتنة الصهيون

لأن كل ما يفعلونه من أجل اسرائيل، فسيسلط الله عليهم الزلازل، ولا يوجد عندهم أسلحة ضد الزلازل، وأول دولة في أوروبا ستباد هي انجلترا لأنها أظلم دوله في الوجود، ظلمت العباد كلهم، فهي امتصت دمنا ونهبت اقتصادنا وأموالنا, عندما كانت مستعمره مصر وغيرها من الدول الكثيرة، فكل هؤلاء لهم يوم في الدنيا سينتقم الله ﷻ فيه منهم، وهو الذى يقول فيه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢٤يونس) إذا كان ليلًا في أوروبا سيكون نهارًا في أمريكا والعكس، فهذا ما سيحدث في الدنيا.

وأيضا سيُبكِّتهم به في الآخرة: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ أتستكبرون على المؤمنين؟!.﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ ﴾: حاصرتموهم وظننتم أنكم ستقضون عليهم، ثم يقولون للمؤمنين:﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ فهذا فضل الله, وهذا كرم الله, وهذه عطاء الله, الذي سيتفضل به على المؤمنين في الدنيا إن شاء الله، وسنقول كلنا: ﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (الروم).

سنرى جميعًا هذا النصر، ونقدر على هؤلاء، رغم الجبروت والقوة التي عندهم، لكنهم لن يقدروا على محاربة الله, فهم يقدروا على محاربة البشر، لكن لا يستطيعون أن يحاربوا الله ﷻ, وهو خالق القوى والقدر.

وأسلحة الله ﷻ لا تعد ولا تحد, مثل سلاح الزلازل، وسلاح المياه التي ستغرق انجلترا، فالشمس سوف تسلط على القطب الشمالي وتذيب الثلج المخزن، فتخرج المياه وتغرق كل هذه الجزر، بأمر من يقول للشيء كن فيكون، وأسلحة الله ﷻ لا يستطيع أن يقف أمامها أحد لأنه ﷻ وعد: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ (٥١غافر) في الحياة الدنيا أولًا، فأبشروا بنصر الله, وفتح الله:

ومع العسر إن تدبرت يسراً ومع الصبر كل شيء يهون

ولا تسمعون للشائعات، ولا تسيروا مع الساعين في إظهار هؤلاء الأقوام اللئام، لأن نور الإسلام سيظهره الله، وهو القائل فى (٨الصف)::

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ ﴾(الأعراف)

١٧: منازل أهل الرحمة[١]

فساد طباع بني اسرائيل[٢]

ذكر الله ﷻ اليهود ونبيهم سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أتم الصلاة والسلام ذكراً كثيراً في كتاب الله .... لماذا؟

حتى نتبين سوء أخلاقهم وفساد طباعهم فلا نقع فيما وقعوا فيه فينزل علينا سخطه وعذابه كما نزل عليهم، فاليهود قومٌ بُهتٌ رأوا من آيات الله البينة ما لم يره أحدٌ قبلهم، ومع ذلك كانوا لا يزدادون إلا جحوداً وعناداً وتكذيباً لرسل الله ولدين الله ﷻ.

كانوا في مصر:

١ الأقصر – العديسات قبلي – ١ من صفر ١٤٣٧ هـ ١٣/١١/٢٠١٥م

٢ من أراد الإسزادة فى هذا الموضوع بكافة نواحيه فيمكنه الرجوع لكتابنا المفصل المسمى "بنو إسرائيل ووعد



الآخرة" وهو كتابنا السابع والستون وصدر بتاريخ ٥يونيو ٢٠١١ برقم ٢٠١١/١٠٣٧٣

وكان فرعون مصر يتخذهم في الأعمال التي فيها ذلَّةً لهم، وعبودية لهم... إلى أن جاءهم سيدنا موسى وأرسله الله ليُحررهم من هذا الرق ومن هذه العبودية، ونصر الله ﷻ موسى على فرعون يوم الزينة وآمن السحرة - الذين جمعهم فرعون - برب العالمين في الوقت والحين، رغم تحذير فرعون لهم بأشد العذاب، لكنهم آمنوا بالله لما أشرق في قلوبهم من نور الله جل في علاه.

غرق فرعون وقومه

فصمَّم فرعون على الخلاص من قوم موسى واليهود أجمعين، وهم دخلوا مصر مع أبيهم يعقوب لأخيهم يوسف، وكانوا إثني عشر رجلاً، وتناكحوا وتناسلوا حتى أصبحوا إثني عشر قبيلة وكل قبيلة ٥٠ ألفاً وزادوا كثيراً في وقت محدود تكريماً من الله ﷻ لهم.

وجهَّز فرعون جيوشه ليقضي عليهم، وجاء الأمر من الله ﷻ لموسى أن يخرج ببني إسرائيل، وأن يقطع الصحراء الشرقية حتى يصل إلى خليج السويس، ويمر إلى سيناء، ويذهب إلى أرض فلسطين أرض الأجداد والآباء.

نظروا خلفهم فوجدوا القوم كادوا يلحقونهم، وكان جيش فرعون جيشاً جراراً: ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلاً ۝٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ۝٦٢ ﴾ (الأحزاب)، وهذا أول شيء ننتبه إليه، الله مع من؟

معه هو وحده، لأنه يعرفهم، غير الرجل الذي كان مع حضرة النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فماذا قال له؟ ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٤٠التوبة) هل هذه المنزلة كهذه المنزلة؟ هذا الرجل مع حبيب الله ومصطفاه، لكن هؤلاء القوم كانوا منفصلين بالكلية عن رُسل الله وأنبيائه.

ذهبوا إلى ساحل البحر الأحمر، وكان فرعون يتقدم جُنده وهو على فرسه، وأوشك على اللحاق بهم، فأوحى الله إلى موسى: ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ﴾ (٦٣الشعراء) وماذا تفعل العصا بالبحر؟

لكنها معجزة الله ﷻ ...

التي أيَّد الله بها موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام!

ضرب البحر بعصاه فانشق فيه إثنا عشر طريقاً، بين كل طريق وطريق تجمدَّت المياه، وكيف يكون طريقاً وطريقاً؟! المياه تجمدَّت، وسلَّط الله ﷻ الشمس بالحرارة الشديدة فجففَّت الطين الذي في قاع البحر .... !!! حتى أصبح يبساً يستطيع أن يمشي عليه الإنسان!

هذه المعجزات التي رأوها:

﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ (٧٧طه) يبساً يعني ناشفاً جافاً، وليست وحلة

يوحلون فيها، مع أن قاع البحر عبارة عن وحل .. فكل عائلة مشت من طريق، وقالوا: يا موسى لا نرى بعضنا ونريد أن نطمئن على بعضنا!! فضرب بعصاه البحر ففُتحت نوافذ في جدران الثلج التي بينهم، فأصبحوا يرون بعضهم ويتحادثون فيما بينهم، وهذه آيات الله ﷻ، وبمجرد خروجهم من البحر، وقيَّض الله ﷻ إهلاك فرعون وقومه، وأن ينزل البحر، وفرعون كان عالماً وفليسوفاً وحكيماً، لكن قال النبي الرءوف الرحيم ﷺ:

{ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْفَاذَ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، سَلَبَ ذَوِي الْعُقُولِ عُقُولَهُمْ، حَتَّى يُنْفِذَ فِيهِمْ قَضَاءَهُ وَقَدَرَهُ }[٣]

بعد أن ينفذ القضاء، يقول: أين كان عقلي؟! وأين كانت بصيرتي؟! إرادة من يقول للشيء كن فيكون نافذة على كل من في الأكوان لأنه وحده هو الفعَّال لما يريد.

فنزل فرعون مع أنه يعرف أن هذا شيء غير عادي!!!

٣ مسند الشهاب عن ابن عمر رضي الله عنهما

ونزل خلفه قومه، ومع آخر رجل خرج من البحر من بني إسرائيل كان آخر رجل نازل في البحر من المصريين من أتباع فرعون، فضرب موسى البحر بعصاه فغرقوا كلهم أجمعون، ولم ينجُ منهم إلا جسد فرعون، لأن الله قال فيه: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ (٩٢يونس) حتى تكون آية لمن بعدك.

وهذه الآية - سبحان الله - عرفناها وتحققنا منها في عصرنا الذي نحن فيه الآن في السبعينيات من القرن العشرين.. ففرعون موسى مُحنِّط وموجود في المتحف المصري، فبدأوا يلاحظون بعض التغيرات فيه، فقالوا، نرسله لفرنسا لنعالجه، والدكتور الذي أشرف عليه أسلم، ولماذا أسلم؟ وهو يفحصه قال لهم: هذا الرجل جسمه مملوء بملح البحر، فمن أين أتاه؟! فقالوا: إنه فرعون موسى الذي قال فيه الله: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ (٩٢يونس) .... فعرف أن هذا فرعون موسى، فأسلم الرجل عندما رأى هذه الآية، وكان فرنسياً وعلى غير دين الإسلام.

أوصاف بني اسرائيل

لكن هؤلاء القوم الذين رأوا هذه الآيات وهو غرق فرعون وقومه، وعندما ذهب سيدنا موسى لمناجاة الله وجدوا قوماً يعبدون الأصنام فقالوا: لسيدنا هارون الذي كلفه نبي الله موسى باستخلافه فيهم إلى أن يعود:

﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (١٣٨الأعراف).

ما هذا؟! وأين هذه الآيات التي رأيتموها؟! وأين هذه المعجزات التي رأيتموها؟!

يبين لنا الله طبيعة هؤلاء القوم وجحودهم وكفرهم وبهتانهم، وأنهم قومٌ لا يؤمنون بالله ﷻ إلا قليلا، مهما ظهرت لهم من الآيات الكريمات.

وكان معهم رجلٌ كان صِنواً لموسى لأن فرعون لما أنبأه الحكماء أنه سيخرج رجلٌ من بني إسرائيل وسيكون عليه وعلى يده نهاية ملكه أمر مفتشين أن يفتشوا على كل مواليد بني إسرائيل، وما الذي نجَّى سيدنا موسى؟

أن أمه وضعته في التابوت، ..... وربطته بحبل .... فكلما أرادت أن تُرضعه تجره من الحبل ثم ترضعه وتضعه في الصندوق في البحر مرةً ثانية ....

فجاءت موجة شديدة فقطعت الحبل، فسار الصندوق في البحر حتى وصل إلى شاطئ بيت فرعون ووقف عنده، فتربَّى في بيت فرعون.

- وليد آخر قريب له رمته أمه في الغابة:

وأنزل الله ﷻ سيدنا جبريل وجاء بغزالة ليُرضعه من ثديها كلما جاع، إذاً فمن الذي ربَّاه؟ سيدنا جبريل!

- وموسى الكليم من الذي ربَّاه؟ فرعون!

الذي رباه جبريل بعد أن قالوا: اجعل لنا إله كهؤلاء القوم، قال لهم:... أنا أصنعه لكم ...!!!، وكانت حكمة إلهية يعلمنا إياها ربُ البرية:

فكل مالٍ جاء من حرام، يُنفق في الذنوب والآثام.

فهم أثناء سفرهم وكان غدُهم يوم عيد عندهم، ماذا يفعلون؟ كل امرأة من بني إسرائيل ذهبت لجارتها المصرية وقالت لها: أنا أريد ذهبك لألبسه غداً في العيد، وسأعيده لك مرةً ثانية، وهي تأخذه تنوي أن لا تعيده لها مرةً ثانية لأنها مسافرة.

وكيف يصنع الصنم؟ فقال لهم: ائتوني بالذهب الذي جمعتموه معكم كله، فجاءوا بالذهب الذي أخذوه وسرقوه من المصريين، ووضعه في النار، وصنع منه عجلاً مصنوعاً من الذهب، وجعل فيه فتحات معينة بحيث أنه إذا تحرك الهواء يسمعون له صوتاً يُهيأ لهم أنه عجل وله خُوار .... فالذهب الذي جمعوه من حرام ذهب في الذنوب والآثام، من الذي فعل ذلك؟ موسى السامري والذي ربَّاه جبريل، ولذلك يقول الرجل الحكيم:

فموسى الذي ربَّاه جبريل كافرٌ   وموسى الذي ربَّاه فرعون مرسلٌ

لنعرف الحكمة الإلهية، حكمة رب البرية ﷻ، أن الإجتباء والإصطفاء من الله.

رجع سيدنا موسى من مناجاة الله، فوجد هذا الوضع، فذهب إلى أخيه هارون وأمسكه من رأسه ومن لحيته، وكان سيدنا موسى شديداً، وقال له: يا هارون تركتُهم مؤمنين بالله، أرجع فأجدهم كفاراً!

قال: ﴿ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾ (٩٤طه) :

الأفضل أنتظر حتى تأتي أنت فلعلك تتصرف معهم؛ وكان سيدنا هارون حكيماً، ولذلك سُميَ بحكيم الأنبياء، فلو تصرَّف تصرفاً غير هذا، فمن الجائز أن يقتلوه، ومن الجائز أن يسجنوه ويظلوا على ما هم عليه ويعادوه أشد العداوة، لكنه قال: أترك الأمر حتى يأتي النبي الذي كلَّفه الله، وقد يكون معه من رعاية الله وعناية الله ما يرد به هؤلاء الشاردين لطاعة الله ﷻ،

وقد كان.سيدنا موسى عنَّفهم وعاتبهم ولامهم لوماً شديد، ثم قال لهم: اختاروا سبعين واحداً منكم ونذهب للمكان الذي أناجي فيه الله عزوجل ونعتذر إلى الله من العمل الشنيع الذي فعلتموه وهو الكفر بالله وعبادة العجل من دون الله ﷻ !! وكانوا إثني عشرة قبيلة، فقالوا كيف نختار؟ قال: من كل عائلة ستة، فأصبحوا إثنين وسبعين، فقال: أنا أُمرت بسبعين، فإثنان يبقيان ولهم من الأجر كما للباقين!

فالذي بقيا هما أولاً تلميذه النجيب وخليفته في النبوة يوشع بن نون ... والثانى رجلٌ مثله في الصلاح والتُقى.

ذهب السبعون - وانظروا لليهود - موسى يناجي الله وهم سمعوا الكلام، فقالوا: ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (١٥٣النساء) لكي نعرف أن اليهود منذ زمن بعيد وهم كما وصفهم ربهم في القرآن ....!!!!

فتزلزلت الأرض وصُعقوا وماتوا، فقال موسى: يا رب ماذا أقول لبني اسرائيل، فأحيهم من أجلي، ورُدَّ إليهم الحياة من أجلي، حتى لا تحدث فتنة بين بني إسرائيل، فأحياهم الله ﷻ إكراماً لموسى حتى لا يقع في هذه المعضلة الكبيرة التي تورطوا فيها بأنهم يريدون أن يروا الله ﷻ جهرة، ومخالفاتهم لسيدنا موسى يطول الوقت لو تحدثنا فيها، لكن الله يريد أن يعرفنا فضل الأمة المحمدية، وفضل الحضرة المحمدية على جميع هذه الأديان السابقة التي أرسلها الله ﷻ وأرسل إليها النبيين والمرسلين السابقين.

إن الدين عند الله الإسلام

فهؤلاء القوم لما أفاقوا دعوا الله ﷻ وقالوا:

﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ :

وهدنا يعني رجعنا، ولذلك هم ليس إسمهم اليهود!

ولا الآخرون إسمهم النصارى، لأن الدين عند الله الإسلام.

سيدنا موسى وسيدنا عيسى وغيرهم من ذرية سيدنا إبراهيم، سيدنا إبراهيم يقول الله فيه لنا: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ﴾ (٧٨الحج) وقال لأبنائه: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (١٣٢البقرة)، إذاً فالدين الحق عند الله لكل الأنبياء هو الإسلام، دين واحد، ومن أين جاءت هذه المسميات؟ هم من سمَّوها، قالوا: ﴿ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ :

وقالوا: نسمي أنفسنا اليهود، يعني الذين رجعوا إلى الله ﷻ، وخرجوا من تسمية إبراهيم وتسمية الرب الكريم ﷻ.

والآخرون الذين قالوا: إنا نصارى، هم من قالوا هذا، لكن الله لم يسميهم بهذا، والدين عند الله من آدم إلى سيدنا رسول الله إسمه الإسلام.

ولكي نعرف منزلة هذه الأمة ننظر إلى كلام الله وجواب الله وردَّ الله:

﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾:

فماذا قال لهم الله؟ ﴿ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُ ﴾ :

يعني .... لن يكون لكم إلا العذاب.

رحمة الله الواسعة

﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ :

رحمتي لكم أنتم المؤمنون الصادقون أتباع النبي الكريم سيدنا محمد ﷺ...

ورحمة الله لا يستطيع أحدٌ من الأولين ولا الآخرين وصفها ..!!!

وسنتناول فقط بيان من الأحادث النبوية لنصل إلى شيء من قدرها ..

يقول الصادق المصدوق حبيب القلوب ﷺ:

{ مَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَا فِيهِنَّ فِي الْكُرْسِيِّ إلا كَحَلَقَةٍ أَلْقَاهَا مُلْقٍ فِي أَرْضِ فَلاةٍ، وَمَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إلا كَحَلَقَةٍ أَلْقَاهَا مُلْقٍ فِي أَرْضِ فَلاةً، وَمَا الْعَرْشُ فِي الْمَاءِ إلا كَحَلَقَةٍ أَلْقَاهَا مُلْقٍ فِي أَرْضِ فَلاةٍ، وَمَا الْمَاءُ فِي الرِّيحِ إلا كَحَلَقَةٍ أَلْقَاهَا مُلْقٍ فِي أَرْضِ فَلاةٍ، وَمَا جَمِيعُ ذَلِكَ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ ﷻ إلا كَالْحَبَّةِ، وَأَصْغَرَ مِنَ الْحَبَّةِ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ}[٤]

العرش والكرسي والجنة والنار وعالم المُلك وعالم الملكوت وعالم الجبروت وعالم العظموت وعوالم اللاهوت ...... وكل عوالم الحي الذي لا يموت وسعتها صفة واحدة من صفات الحي الذي لا يموت:

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ....:

تسع كل كائنات الله:

- الظاهرة والباطنة.
- العُلوية والدنيوية .

لأنها تسع كل ذلك، ويبين الرسول ﷺ قدر هذه الرحمة ...... فيقول صلوات ربي وتسليماته عليه:

---

٤ العظمة للأصبهاني عن أبي ذر رضي الله عنه

{ جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلائِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ }[٥].

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ، وَالإِنْسِ، وَالْبَهَائِمِ، وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٦].

لنعرف مدى سعة رحمة الله، حتى قال ﷺ:

{ إِنَّهُ لَيَرْحَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَحْمَةً حَتَّى يَتَطَاوَلَ لَهَا إِبْلِيسُ رَجَاءَ أَنْ يُصِيبَهُ }[٧]

في رواية أخرى:

---

٥ صحيح مسلم وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه
٦ الأربعين في فضل الرحمة والراحمين لابن طولون عن أبي هريرة رضي الله عنه
٧ الأربعين في فضل الرحمة والراحمين لابن طولون عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُدْخِلَنَّ اللَّهُ الْجَنَّةَ الْفَاجِرَ فِي دِينِهِ، الأَحْمَقَ فِي مَعِيشَتِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُدْخِلَنَّ اللَّهُ الْجَنَّةَ مُؤْمِنًا قَدْ مَحَشَتْهُ النَّارُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَغْفِرَنَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفِرَةً لا تَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بِشْرٍ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَغْفِرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفِرَةً يَتَطَاوَلُ لَهَا إِبْلِيسُ رَجَاءَ أَنْ تُصِيبَهُ }[8]

رحمة الله لأمة المصطفى

ولما نزلت هذه الآية:

﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾:

فرح إبليس وقال: أنا شيء، فقال رب العزّة:

﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ فبكى إبليس، لأن الله قدَّر أن تكون:

٨ معجم الطبراني عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

﴿ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾:

قدَّر الله أن تكون هذه الرحمة لهذه الأمة؛ أمة حبيب الله ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه، وورد في سبب نزولها:

أن الله ﷻ أوحى لموسى: إن شئت أجعل لك الأرض كلها مسجداً، فتُصلُّوا في أي موقعٍ وُجدتم فيه، وأجعلكم تحفظون التوراة، فيحفظها الصغير والكبير والذكر والأنثى!

فذهب إلى بني إسرائيل وشاورهم فقالوا: لا نصلي إلا في الصوامع - هم مجادلون ومعاندون وفقط - وقالوا: ولا نقرأ التوراة إلا كتابةً ولا نريد أن نحفظها.

فبيَّن الله بذلك فضل هذه الأمة، ولذلك قال فيكم ولكم ﷺ:

{ جُعِلَتِ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيْنَمَا أَدْرَكَ رَجُلا مِنْ أُمَّتِي الصَّلاةُ صَلَّى } [٩]

في أى مكانٍ صلوا، خصوصية لهذه الأمة .....

لأن هذه منحة إلهية لم يقبلها هؤلاء الأقوام، وقدَّر الله أن تكون لأمة الإكرام؛ أمة المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

---

٩ سنن النسائي عن جابر رضي الله عنه

معنى النبي الأمي

وما الذي يعرفنا أن هذا الكلام لأمة رسول الله؟

قال الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ وكلمة الأمي ليس معناها القراءة

والكتابة فقط، لأنه ثبت أن رسول الله ﷺ كان يُعلم كُتَّاب الوحي الطريقة الصحيحة للكتابة، فكان يقول لمعاوية: { يَا مُعَاوِيَةُ، أَلْقِ الدَّوَاةَ، وَحَرِّفِ الْقَلَمِ، وَانْصُبِ الْبَاءَ وَفَرِّقِ السِّينَ، وَلا تُقَوِّرُ الْمِيمَ، وَحَسِّنِ اللَّهَ، وَمِدِّ الرَّحْمَنَ وَجَوِّدِ الرَّحِيمَ }[10]، ولما كان ﷺ في صُلح الحديبية وأمر سيدنا علي أن يكتب وثيقة الصُلح، مع مُشْرِكِي قُرَيْشٍ كَتَبَ بَيْنَهُمْ كتاباً: { هَذَا ما صَالَحَ عليهِ محمدٌ رسولُ الله، قالُوا: لو عَلِمْنَا أَنَّكَ رسولُ الله لَمْ نُقَاتِلْكَ، قالَ: لِعَلِيَ: امْحُهُ، فأَبَى، فَمَحَاهُ رسولُ الله ﷺ بيدِهِ وَكَتَبَ (على): هَذَا ما صَالَحَ عليهِ محمدُ بنُ عبدِ الله }، وورد أنه

١٠ أدب الإملاء والاستملاء لابن السمعاني عن معاوية رضي الله عنه

قال لعلي { أما إن لك مثلها ستأتيها وأنت مضطر }[١١]، أى سوف يأتيك مثل هذا وستجيب، وقد حدث، وما أكثر الأحاديث في ذلك، يقول ﷺ: { رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مَكْتُوبٌ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ: الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا بَالُ الْقَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ؟ فَقَالَ: إِنَّ السَّائِلَ يَسْأَلُ وَعِنْدَهُ، وَالْمُسْتَقْرِضُ لا يَسْتَقْرِضُ إِلا مِنْ حَاجَةٍ }[١٢]، ولما نزل الأمين جبريل عليه في بداية الوحي وقال له: (اقرأ) قال: ما أنا بقارئ، قال: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (١العلق).

فما معنى النبي الأمي؟

الأمي يعني الأصل الذي تفرَّع منه جميع الأنبياء والمرسلين:

وهو ﷺ مصدر أنوارهم، وهو ﷺ سرُّ رسالاتهم، وهو ﷺ الذي أخذ الله عليهم العهد أجمعين أن يؤمنوا به ويتبعوه:

﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكۡمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِىۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ (٨١آل عمران).

---

[١١] الحديثان أخرجهما الإمام النسائى فى سننه الكبرى الأول عن البراء والثانى قوله لعلى ﷺ عن علقمة.
[١٢] معجم الطبراني عن أنس رضي الله عنه

ولذلك جدَّد الله ﷻ هذا العهد بعد بعثته وتكليفه بالرسالة:

فأحياهم بعد مفارقتهم الحياة الدنيا، وجمعهم له في بيت المقدس، وهناك أخذ الأمين بيد رسول الله ﷺ وقال تقدم يا رسول الله صلِّ بهم فأنت الإمام لهم ... فصلى بهم ﷺ، إن كانت الصلاة على ملة إبراهيم، أو كانت الصلاة هي الدعاء بحسب اللغة، المهم أن الذي أمَّهم في الصلاة هو رسول الله ﷺ، وجدد لهم العهد الذي أخذه عليهم الله في يوم الميثاق بعد تكليفه بالرسالة صلوات ربي وتسليماته عليه.

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾:

إذاً الأمي يعني الأصل والمصدر الذي تفرَّعت منه جميع الأصول، اللهم صل وسلم وبارك على الأصل الذي تفرعت منه جميع الأصول:

وكما يقولون: مكة أم القرى، لأنها التي نبعت منها كل القُرى في الجزيرة، ولم يكن هناك قرية في الجزيرة العربية قبلها، لكن البداية مكة ومنها نشأت ونبعت جميع القُرى التي حولها فسُميت من أجل ذلك بأم القُرى.

﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾:

وانظر إلى عظمة هذا النبي الكريم، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، من الذي يأمرهم؟ رسول الله ﷺ، لأنه كما تعلمون أن الدين عند الله الإسلام، والنبي الذي أرسله الله ﷻ بالإسلام هو نبينا المصطفى ﷺ.

وكل الرسل الذين أُرسلوا قبله نواباً عن حضرته في إبلاغ رسالته وتبليغ دعوته:

الرسل من قبل الحبيب محمد	نوابه وهو الحبيب الهادي
موسى وعيسى والخليل وغيرهم	يرجون منه نظرةً بودادِ
رغبوا يكونوا أمةً لمحمدٍ	وبحبه فازوا بكل مرادِ

{ سيدنا مُوسَى لَمَّا نَزَلَ بِالتَّوْرَاةِ قَرَأَهَا، فَوَجَدَ فِيهَا ذِكْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَقَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ الشَّافِعُونَ الْمَشْفُوعُ لَهُمْ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ الْمُسْتَجِيبُونَ وَالْمُسْتَجَابُ لَهُمْ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً أَنَاجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ يَقْرَءُونَهُ ظَاهِرًا، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً يَأْكُلُونَ الْفَيْءَ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً يَجْعَلُونَ الصَّدَقَةَ فِي بُطُونِهِمْ فَيُؤْجَرُونَ عَلَيْهَا، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ

قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحَدُهُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً وَاحِدَةً، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحَدُهُمْ بِسَيِّئَةٍ لَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً يُؤْتَوْنَ الْعِلْمَ الأَوَّلَ وَالآخِرَ، فَيَقْتُلُونَ قُرُونَ الضَّلالَةِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَ فَأُعْطِيَ عِنْدَ ذَلِكَ خَصْلَتَيْنِ، فَقَالَ: يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ، فَقَالَ: رَضِيتُ رَبِّ }[١٣]

ألقى الألواح وطلب من الله أن يكون من أمة رسول الله ﷺ، ولذلك ـ كما قلت ـ جدد الله لهم العهد ليكونوا أتباعاً له ﷺ.

﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ :

١٣ حديث أبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

فرسول الله ﷺ في عالم الحقيقة هو الذي يأمرهم بالمعروف، وهو الذي ينهاهم عن المنكر، ويُحل لهم الطيبات، ويُحرِّم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، كل هذه الأشياء ألغاها ﷺ من على أمته، فقد كان اليهود عندهم عادات تغُلهم وتعوق حركاتهم: كان الرجل منهم إذا تبوّل فأصاب البول ثيابه فلا بد أن يقرض موضع البول من الملابس التي يلبسها فيقطعه ويرميه جانباً ويحرقه ... !!!

فاكتفينا وكفانا النبي ﷺ بالغُسل.

وكان الرجل منهم إذا حاضت امراته لا يواكلها ولا يشاربها ولا يجالسها ولا ينام معها فى فراش واحد ...، كانوا في هذا الإثم أو في هذه الأغلال التي غلُّوا أنفسهم بها!!!

لكن وضعها رسول الله ﷺ وجعل هذه الأمة كما قال ﷺ:

{ أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ }[١٤]

أمة كلها تراحم، وكلها وُدٌ، وكلها لين، وكلها معروف، وكلها خيرٌ وبركة.

---

١٤ سنن أبي داود ومسند أحمد عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه

أوصاف المفلحين

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾:

وصف الله ﷻ في هذه الآية قوماً بأنهم هم المفلحون، والفلاح يعني النجاح الأعظم يوم لقاء الله، وهذا النجاح ليس بعده خسارة ولا بعده بوار، لأن الإنسان بعده سيكون في الجنة مع الأبرار في جوار النبي المختار ومع أصحابه الأخيار رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين، وكلنا بحمد الله يتمنَّى الحصول على هذا المقام، فما المهام التي إذا عملها الإنسان مع حضرة النبي ﷺ كان من المفلحين؟ ..... أربع مهام أعطانا لنا الله:

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ من هؤلاء؟ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ :

ولكي يكون الواحد منا من المفلحين، فيلزم عليه أن يعمل بهذه الأربع التي ذكرها رب العالمين ﷻ.

زيادة الإيمان

أولاً: الإيمان به: أليس كلنا مؤمنون؟

لكن نجد الله ﷻ يخاطبنا جماعة المؤمنين فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ (١٣٦النساء) لماذا؟ لأن الإيمان درجات، ويقول الله في المؤمنين: ﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (١٦٣آل عمران) وأنا أتمنى أن تفقهوا كتاب الله، فلم يقل لهم درجات، ولكنهم هم الدرجات . والإيمان بحبيب الله ومصطفاه هو الذي يطلبه منا الله، وهو الذي أشار إليه الحبيب المصطفى، وقال لنا في خطابه المباشر صلوات ربي وتسليماته عليه: { لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [١٥]

وهذا هو الإيمان المطلوب، فيكون أحبَّ إلى من كل شيء، وما البرهان على هذا الإيمان في هذا الكون؟ أن تكون سنته والعمل بها وشريعته وإقامتها أحب إلى من نفسي ومالي وولدي والناس أجمعين،

١٥ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

فالإيمان ترجمته في عصرنا السنة والشريعة، ولذلك قال ﷺ مبشراً لمن تمسَّك بالسنة في هذا الزمان: { مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ }[١٦] ... لأنه يستمسك بالسنة ولا يريد أن يتزحزح عنها، ويجد من يسخر منه، ومن يستهزئ به، ومن يحاربه، لكنه لا يعبأ بذلك كله لأنه يريد أن يبلغ الدرجة القُصوى من الإيمان بالنبي العدنان ﷺ، ومن وجد سنة أماتها أهل البدع ويحييها، يقول فيه ﷺ كذلك: { مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي فَإِنَّ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا }[١٧] فنبحث عن السنن ونحييها ونتمسك بها:

لسنته فاخضع وكن مستمسكاً وحاذر فحصن الشرع باب السلامةِ
على الجمر قف إن أوقفتك توضعاً يكن لك برداً بل سلاماً برحمة

إياك أن تميل عن السنة طرفة عين ولا أقل، وإياك أن تستصغر شيئاً وتقول ليس مهماً إتباع السنة في هذا الأمر، قد يكون هذا الشيء في نظرك ليس مهماً لكنه فيه رضا الله، ومخبوءٌ تحته عطاءات الله، ولذلك كان الصالحون يقولون: ((لا تستصغر من الذنوب ذنباً فعسى أن يكن غضب الله ﷻ فيه، ولا تستصغر من الطاعات طاعة فعسي أن يكون رضا الله ﷻ فيها))...

---

١٦ الزهد الكبير للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما
١٧ جامع الترمي وابن ماجة عن عبد الله بن عوف رضي الله عنه

الناس في هذا الزمان تتساهل بالسنة، وليس معنى ذلك التشدد، السنة الوسطية التي جاء بها خير البرية، لأن سيدنا رسول الله لم يكن عنده تشدد أبداً، كان يُشدد على نفسه، وكان يُيسِّر على غيره ويقول لهم: { يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا }[١٨] .... ولذلك دائماً نقول للمُعرَّضين والمتعرِّضين في الحديث بالنيابة عن سيد الأولين والاخرين: إن كنت تريد أن تشدد فشدد على نفسك، لكن على المسلمين يسَّر الأمور حتى تكون مثل حضرة النبي ﷺ، وبشَّر ولا تفتح للمسلمين باب الإعذار والإنذار وجهنَّم والعياذ بالله ﷻ، فما لهم وما لجهنَّم؟!....

ذكِّرهم بالجنة وعرَّفهم عليها حتى تطير أرواحهم إلى هذه الجنة، ويسارعون إلى الأعمال التي توصلهم إلى هذه المراتب العالية في الجنة، وهذا كان منهج الحبيب ﷺ وهو الطبيب الأعظم الذي علمَّه مولاه وقال له قل لهم: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (١٠٨يوسف) يدعو ﷺ إلى الله على بصيرة منيرة.

---

١٨ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

فالإيمان برسول الله ﷺ يعني أن تكون سنته وشريعته أغلى عند الإنسان من أى شيء في هذه الأكوان، فيستمسك بها لأجل أن يفوز بهذا المقام العظيم الذي قدَّره لنا الرحمن ﷻ.

تعزيره ﷺ

ثانياً: تعزيره ﷺ:

وقد أمرنا الله بذلك في سورة الفتح: ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (٩الفتح) ونعزِّره يعني نساعده ونعاونه على إبلاغ الرسالة، وعلى أداء الشريعة لمن لا يعلمها، ولذلك قال لنا ﷺ أجمعين:

{ بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً }[١٩]

كل مسلم مُطالب بالبلاغ عن الله وعن رسول الله، وإياكم أن تعتقدوا أن البلاغ مُطالب به العلماء فقط، لأن الأمة يُفترض أن تكون كلها علماء، ومن عرف شيئاً في دين الله فلا بد أن يُبلغه لمن لا يعرفه، وهذا الأمر الذي أمرنا به رسول الله ﷺ حتى نعينه صلوات ربي وتسليماته عليه على إبلاغ رسالات الله.

١٩ صحيح البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

والمعاونة الأعظم، والمعاونة الأكرم أن أكون في سلوكي وأخلاقي وأعمالي صورةٌ لما جاء به رسول الله من عند الله .... لا أريدك أن تتكلم باللسان، ولكن أريدك أن يكون سلوكك وحركاتك وسكناتك خير تعبيرٍ عما جاء به ﷺ من عند الرحمن، لأن الناس يروك ويروا فيك أخلاق الإسلام، وأخلاق أهل الإيمان، وكل ما جاء عن النبي العدنان ﷺ، يروه في حركاتك وسكناتك وسلوكياتك أنت ومن تعول.

الصدق

فلابد للإنسان المؤمن لكي يعضِّد رسول الله ويؤازره ويساعده، يحاول أن يجاهد نفسه لتنطبع على أخلاق النبوة.

ويا ليتنا في عصرنا الذي نحن فيه نصل إلى أخلاق النبي التي وُصف بها قبل أن تنزل عليه الرسالة، وينزل عليه الوحي، فقبل الرسالة ماذا كانوا يسمونه؟

الصادق الأمين!

فالمصيبة الكبرى الآن بين المسلمين - إلا من عصم ربي – أن أغلبهم لا يعتبر أن الكذب ذنبٌ سيحاسبه عليه الله، فيعتبره فهلوة وشطارة، ويقول لك: كيف أعيش، فلو كل شيء أتكلم عنه بصدق فلن أستطيع العيش بين الناس، لكن حضرة النبي قالوا له:

{ هَلْ يَزْنِي الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: قَدْ يَكُونُ ذَاكَ، قَالَ: هَلْ يَسْرِقُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: قَدْ يَكُونُ ذَاكَ، قَالَ: هَلْ يَكْذِبُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: لا }[٢٠]

وكانت بداية من يُرد أن ينتسب يقولون له: تُعاهدنا على الصدق!

حتى السيدات في الزمن الأفضل كنَّ يعلمنَ ذلك ...

فسيدنا عبد القادر الجيلاني ﵁ وأرضاه وُلد في بلد اسمها جيلان في إيران الآن، وأراد الإستزادة في طلب العلم، فقالوا له: تذهب إلى بغداد، وكانت عاصمة الخلافة، وكان أبوه متوفياً، فاستأذن أُمه لطلب العلم، فقالت له: لا مانع، وكان له أخٌ واحد، فقالت له: أبوك ترك لكما ثمانين ديناراً أنتما الإثنين، فخذ الأربعين دينار نصيبك واذهب بهم لطلب العلم، ولكن تعاهدني أولاً أنك لا تكذب قط! ... أخذت عليه العهد أولاً أن لا يكذب قط، وخاطت له الأربعين ديناراً في جلبابه من الداخل، لأنه في زمانهم كان قُطَّاع الطرق منتشرون، وكانوا لايعرفون لقطاع الطريق مكان، وكانوا لا يسافرون إلا في قافلة ليحتموا فيها من قطاع الطريق.

٢٠ تاريخ دمشق لابن عساكر

فسافر ومشى مع قافلة وإذا بقطاع الطريق يخرجون عليهم، وأخذوا كل ما مع القافلة، وسألوه: ماذا معك؟ فقال: أربعين ديناراً، فظنوا أن عقله فيه شيء، فذهبوا به لكبيرهم، وقالوا له: إن هذا الصبي يقول كذا وكذا، فسأله: ماذا معك؟ قال: أربعين ديناراً، قال له: أنت تكذب، فقال: لا أكذب وأراه مكانهم في جلبابه، فسأله: ولِمَ لم تكذب؟ قال: لأن أمي أخذت عليَّ العهد أن لا أكذب.

فشاءت إرادة الله لأجل الصدق أن يفتح الله قلب هذا الرجل وقال لمن معه: إذا كان هذا الصبي قد أخذت أمه عليه العهد أن لا يكذب، ونحن قد أخذ الله ﷻ علينا العهد أن لا نسرق ولا نقطع الطريق، فما هذا الذي نصنعه؟ أنا تائبٌ إلى الله ﷻ على يد هذا الغلام ... ولم يكن الغلام شيخاً بعد، ولكنه كان ذاهب ليتعلم ويتربَّى في طريق الله، فقال الزعيم لمن معه: ما رأيكم؟ فقالوا: نحن معك، فقال: إذن رُدَّوا كل ما أخذتموه من القافلة إلى أصحابه.

الله ﷻ قال لنا في القرآن: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾

(١١٩التوبة) ما إسم هذه الأمة؟ هذه الأمة إسمها أمة الصادقين فلا يكذب أحدٌ منهم أبداً، حتى في اللهو واللعب، حتى في المزاح، فقد كان صلى الله وسلَّم يقول:

{ إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا } [٢١]

---

٢١ معجم الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

ولابد أن تكون أنت صورة من هذه الأخلاق الكريمة، ما الذي حبَّب الأمم في الإسلام في أندونيسيا وفي الصين وفي الهند وفي أفريقيا؟ هل العلماء الذين ذهبوا إلى هناك؟ لا أحد، وما الإذاعات التي توجَّهت إلى هناك؟ لا شيء، فكيف أحبُّوا الإسلام؟

كان التجار المسلمون يذهبون إليهم فيرون فيهم الصدق والأمانة، فيسألوهم من أين تعلمتم هذه الأخلاق؟ فيقولون لهم: من الإسلام، فأحبوا الإسلام ودخلوا في الإسلام، أخلاق التجار المسلمين، الذين قال فيهم حضرة النبي:

{ التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ } [٢٢]

والشرط هنا أن يكون صدوقاً وأميناً، وهكذا أمر المسلم في أى عملٍ يقوم به لله؛ لا بد وأن يكون صادقاً وأميناً.

فأخلاق المسلم التي يجب أن تكون على نسق أخلاق الحبيب هي المعونة العُظمى التي نقدمها لرسول الله، ولدين الله، لأن الكافرون يرون أحوال المسلمين، فقد قرأوا عن الإسلام ودرسوا الإسلام، ولكن عندما يروا أحوال المسلمين يقولون: ما هذا؟ أهذا هو الإسلام الذي قرأنا عنه؟! عندما يروا الغش والنصب والخداع والزور والكذب والبهتان، يقولون: مال هؤلاء وما للإسلام الذي قرأنا عنه؟!.

الإسلام ليس فيه شيء من هذه الصفات نهائياً، الإسلام يحتاج إلى المسلم الملتزم والقدوة، ونحن جميعاً نحتاج إلى ذلك، نحتاج إلى القدوة الملتزم.

٢٢ جامع الترمذي والدارمي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

ونحن أيضاً لكي نساعد رسول الله، ونعزِّر رسول الله، فينبغي أن نتخلق بالأخلاق الكريمة التي كان عليها في الحياة صلوات الله وتسليماته عليه، وهو يعرفنا ويقول: من الذي يريد أن يكون معي يوم القيامة؟ كم ركعة يصليها في الليل؟ وكم يوماً يصوم في الأسبوع؟ لا هذه ولا تلك، قال ﷺ: { أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إلى وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافُهُمْ، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ }[٢٣] .... لا عندهم فظاظة ولا غلظة ولا إ قسوة ولا شدة، وإنما رحمة وشفقة ومودة لجميع المؤمنين والمؤمنات.

نصرته ﷺ

ثالثاً: ونصروه:

ونصر رسول الله ﷺ هو العمل على نشر سنته، وتطبيق شريعته، فعلى من نطبقها؟

على نفسي أولاً، وعلى أولادي بعد ذلك!

---

٢٣ الجامع لمعمر بن راشد

فابدأ بنفسك ثم بمن تعول ثم الأقرب فالأقرب .... ومن يُرد أن يُطبِّق الشريعة على الناس فليبدأ بنفسه أولاً، فيرى الخلق من حولك آيات قدرة الله، رزقك قليل لكن يتعجبون من البركة التي تنزل فيه من الله، يتعجبون من هداية أولادك إلى الله، وحُسن تربيتهم في الدنيا وحُسن إقبالهم على حضرة الله، يلمسوا فيك هذه الأشياء الطيبة، فيريدون أن يفعلوا مثلك، فماذا يصنعون؟. يسألونك عن الطريق، أو يقتفوا أثرك لكي ينالوا ما نلت من فضل الله وإكرام الله، والذي يقول فيه الله جل في علاه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (٩٧النحل).

وكان بعض الصالحين يقول في هذه الحياة:

((نحن في لذَّة لو يعلم الملوك ما نحن فيه لحاربونا عليه بالسيوف))، فهذه اللذة القلبية التي يعيشون فيها هي:

- القرب من الله.
- ومناجاة الله.
- والأنس بالله.
- ومواجهة حبيب الله ومصطفاه...

- والعطايا المتتالية التي تنزل على القلب من المولى جل في علاه ...
- والتوفيق الذي يصحب المرء في كل حركاته وسكناته في هذه الحياة ..
- والتيسير الذي يجعله الله ظلاً له ورفيقاً له في كل أموره في هذه الدنيا ...

يرون هذه الأشياء وهم يريدونها لأنهم يشكون من الهم والغم والمتاعب وما لا عد له ولا حد له من مشاكل الدنيا ومتاعاتها.

ماذا يريدون؟

يريدون أن يروا فيها فتح الله، فيمشون وراءه، فلا بد أن يكون أولاً إماماً يُقتدى به في نفسه، ويأخذ معه إبنه وإبنته وزوجه، وبعد ذلك يوسِّع الدائرة فيفعل كما فعل رسول الله ﷺ ....من أول من آمن برسول الله؟

زوجته السيدة خديجة وربيبه الإمام علي وخادمه زيد بن حارثة، فبدأ أولاً بنفسه وبمن معه وهي نفس الدعوة لكل من يتعرَّض لدعوة الله على منهج رسول الله وحبيبه ﷺ.

العمل بكتاب الله

﴿ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾:

النور هنا هو كتاب الله، فالله ﷻ نور، وكتاب الله نور، والنبي نور:

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٣٥النور) والقرآن يقول فيه رب العزة:

﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٢الشورى) ورسول الله نور:

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ (١٥المائدة) ... والواو تقتضي المغايرة، لأن ما قبلها غير ما بعدها، ولو كان النور هو الكتاب لكانت الآية: (قد جاءكم من الله نورٌ كتابٌ مبين) لكن ما دام وُجدت الواو فيكون النور شيء والكتاب شيء آخر، والنور هنا هو رسول الله ﷺ.

وكان ﷺ يقول ذلك، كلما يقوم لصلاة الفجر كان يقول:

{ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَاجْعَلْنِي نُورًا }[٢٤].

٢٤ مسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

ودعاؤه مستجاب:

- فدعا الله أن يجعله كله نوراً ...

- ولذلك كان إذا مشى في الظل لا يُرى له ظل ...

وكل شيء في الكون له ظلٌ ما عدا النور!

فضوء المصباح ليس له ظل! ...

فكان إذا مشى لا يُرى له ظل صلوات ربي وتسليماته عليه، لأنه:

أبرزته يد العناية كوناً وهو نورٌ في صورة آدمية

هذا النور يقول فيه رب البرية:

﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (١٩٨الأعراف)...

فلا يرون إلا الجسم الظاهر؟

يرونه!

ولكنهم لا يرون ما فيه!!!

وهو حقيقة الحبيب الأعظم والرسول الأكرم صلوات ربي وتسليماته عليه.

فالنور الذي أُنزل معه نور القرآن.

وما معنى (اتبعوه)؟

أى اعملوا به!

فلا يُعرض عليه عملٌ ولا يريد أن يتحرَّك حركة أو سكنة إلا ويرجع للقرآن ويسأل القرآن، فإن كان القرآن يأمر بالفعل، سارع إلى الفعل، وإن كان القرآن يأمر بالنهي سارع إلى الإنتهاء، وإن تحيَّر ولم يدر سأل أهل الذكر:

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل) لم يقل:

أهل العلم، فأهل الذكر يعني العلم والعمل!!!

الذين فتح الله بصائرهم ونوَّر سرائرهم وأصبحوا لا يغفلون عن ذكر الله طرفة عين ولا أقل، وأصبحوا أهل خشية الله جل في علاه، يسألهم فيُخبرونه ....

فلا يعمل عملاً صغيراً أو كبيراً إلا سأل القرآن، ولا يسارع إلى أي أمرٍ ولا يمضي فيه إلا إذا كان مطابقاً لصريح القرآن.

من كانت فيه هذه الصفات، ويُجمَّل بهذه المواهب، فهنيئاً له الفلاح يوم القيامة، فيكون يوم القيامة:

﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩النساء) ....

فيكون الناس في كرب الحساب وهو له منبرٌ من نور قدام عرش الرحمن:

{ لَهُمْ مَنَابِرَ مِنْ لُؤْلُؤٍ قُدَّامَ الرَّحْمَنِ، يَفْزَعُ النَّاسُ وَلا يَفْزَعُونَ، وَيَخَافُ النَّاسُ وَلا يَخَافُونَ }[٢٥]

أو يدخل الجنة بغير حساب ....

ويجلس على أرائك شرفات قصوره في الجنة ليرى وينظر الموقف وأهل الحساب...

ويشكر الله ﷻ على ما أتاه وما أعطاه ....

لأنه عمل بكتاب الله، وكتاب الله ﷻ هو النور الذي ينير له يوم القيامة في هذه الظلمات الهائلة ظلمات يوم الدين ..... نسأل الله ﷻ أن يعيننا على العمل بذلك، وأن يخلقنا بهذه الكمالات، وأن يواجهنا بهذه التنزلات، وأن يجعلنا من أهل هذه النفحات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٢٥ الأسماء والصفات للبيهقي عن أبي مالك الأشعري ﷺ



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ (الأعراف)

١٨: منزلة النبوة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أنعم علينا وجعلنا أهلاً للجلوس بين يديه على مائدة القرآن، وفتح آذان قلوبنا بفضله ومنَّه فجعل فيها نوراً من عنده نستشعر به عظمة القرآن ومعاني القرآن، فله الشكر وله الحمد وله الثناء الحسن الجميل، والصلاة والسلام على من اصطفاه الله ورقاه وجعله البيان العملي في الحياة لما جاء في كتاب الله، سيدنا محمد صاحب الهدي الإلهي والنور الرباني والبيان الزكي، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل تقيٍّ تبعه على هذا المنهاج، واجعلنا منهم أجمعين في الدنيا ويوم الدين آمين يا رب العالمين.

كلنا - والحمد لله - ندرك تمام الإدراك أننا للدنيا مفارقون، وعن قريبٍ أو بعيدٍ إلى الله راحلون، وبين يديه ﷻ يوم الدين واقفون، وكل رجلٍ منا يحاول أن يكون له مقامٌ كريمٌ عند الكريم ﷻ.

نريد عندما نذهب إلى هناك نكون ممن يُنادى علينا: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الواقعة) اللهم اجعلنا أجمعين من أهل هذه الآية، وخُصّنا بهذه العناية.

---

١ المسجد النموذجي – القرايا – إسنا ٢٧من ربيع الآخر ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٢/٦م

طرق الفضل الإلهي

عندنا في شرع الله طريقين: طريقٌ للعمل بما جاء به الحبيب ووصفه لأصحابه بلسانه المبارك، ومن يمشي على هذا الطريق يكون من أهل اليمين إن شاء الله.

وطريقٌ للعمل كما كان عليه الحبيب، وهذا الطريق يحتاج إلى العزيمة الفتيّةِ والهمة المضيّةِ، لأنه كما وُصف ﷺ في قول صحبه الكرام: كان يأمرنا بالأخَّف ويأخذ نفسه بالأشَّد.

فمن يمشي على ما قاله ﷺ فيا هناه ويكون من أهل اليمين، ولكن من يمشي على حالته، ويستحضر هيئته، ويصحبه ﷺ كأنه يراه، ويجعله شمساً مشرقةً في قلبه يتمثله في كل عملٍ يتوجَّه به إلى حضرة الله، فهذا يكون في المقام الأعلى، وهذا ما قال لنا فيه الله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾ .. الله أولاً، وما دليله وما برهانه؟ ﴿ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب).

فمن يريد أن يكون في المقام الأعلى، والدرجة الأرقى، والمنزلة الأسمى، ويكون يوم القيامة له منابر من النور قدام عرش الرحمن، ويُضيء حُسن عمله الصالح الذي عمله في الدنيا مشرقاً في وجهه لأهل الموقف كما تضيء الشمس لأهل الدنيا،

فماذا يعمل؟ ينظر إلى الآيات التي في كتاب الله، والتي أوصى بها الله حبيبه ومصطفاه ليمشي على هداها، لأن هناك آيات في كتاب الله يقول لنا فيها الله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا" وهي حوالي اثنان وثمانين آية، وهذا خطاب خاص لنا.

وهناك خطاب خاص لحضرة النبي ﷺ، من الذي يمشي عليه؟ الخواص الذين يريدون أن يكونوا من أهل الإختصاص، ويدخلوا في قول الله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح) معه في المنزلة، ومعه في الدرجة، ومعه في الآخرة، ومعه في الجنة، ومعه في الدنيا بقلوبهم وأرواحهم وشفافيتهم، وهو ﷺ معهم بعطاءاته وهباته وإمداداته التي استمدها من حضرة الله جل في علاه.

خصوصية الرسول

هذه الخصوصيات تحتاج لهذه الأشياء، والآية التي بين أيدينا من سورة الأعراف تبين مقام حضرة النبي الذي أقامه فيه مولاه، وقال له: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ عندما نزلت هذه الآية قال سيدنا رسول الله لسيدنا جبريل:

{ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ }[٢]

أظن أنه سهلٌ على كل واحد منا أن يصلي كل ليلة مائة أو ألف ركعة، وسهل عليه أن يصوم السنة كلها، ولكن ليس سهلاً عليه أن يتصف بخُلق من هذه الأخلاق، فهي حقيقة، لماذا؟ لأن الطاعة التي يقوم بها لله ﷻ فيها رضا للنفس، نفسه تفرح أنها عملت كذا وكذا لله، وبعد قليل يحدث لها زهو، وبعدها يحدث لها إعجاب، أي يُعجب بنفسه ويقول: أنا أعمل كذا وكذا فمن مثلي؟! وقد يتحول الإعجاب - والعياذ بالله - إلى غرور.

وقد يظن البعض نتيجة الجهل أنه بالعبادات أصبح له حقٌ عند بارئ الأرض والسماوات ﷻ، ويريد أجرته على هذا العمل الذي عمله لمولاه، ويطالب بهذا!! وسيدنا رسول الله يحكي لنا عن الرجل الذي كان في الأمم السابقة وجعله الله ﷻ في جزيرة وأجرى له عين ماء، وجعل بجوارها شجرة رمَّان تطرح كل يوم رمانة طوال السنة، يتوضأ بالماء ويغتسل بالماء ويشرب من الماء، وآخر النهار تنزل له رمانة يُفطر عليها ويأكلها فتعطيه كل القيم الغذائية التي يحتاجها جسم الإنسان.

---
٢ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وتفسير بن أبي حاتم

ويقوم الليل، وجعله الله مُجاب الدعاء، فطلب من الله ﷻ أن يقبضه وهو ساجد، فأجابه الله ﷻ إلى ذلك، وأطال الله عمره فعاش خمسمائة سنة على هذه الكيفية وعلى هذه الحالة، قائمٌ بالليل وصائمٌ بالنهار، لا معاصي ولا غفلة ولا فتن ولا شيء من هذا القبيل، سيدنا جبريل يحكي لحضرة النبي فيقول:

{ يَا مُحَمَّدُ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنَّ لِلَّهِ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ، عَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى خَمْسَ مِائَةِ سَنَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ فِي الْبَحْرِ، عَرْضُهُ وَطُولُهُ ثَلاثُونَ ذِرَاعًا فِي ثَلاثِينَ ذِرَاعًا، وَالْبَحْرُ مُحِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةَ آلافِ فَرْسَخٍ، مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَأَخْرَجَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ عَيْنًا عَذْبَةً بِعَرْضِ الأُصْبَعِ، تَبَضُّ بِمَاءٍ عَذْبٍ، فَتَسْتَنْقِعُ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَشَجَرَةَ رُمَّانٍ تُخْرِجُ لَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ رُمَّانَةً، فَتُغَذِّيهِ يَوْمَهُ، فَإِذَا أَمْسَى نَزَلَ، فَأَصَابَ مِنَ الْوضُوءِ، وَأَخَذَ تِلْكَ الرُّمَّانَةَ فَأَكَلَهَا، ثُمَّ قَامَ لِصَلاتِهِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ ﷻ عِنْدَ وَقْتِ الأَجَلِ أَنْ يَقْبِضَهُ سَاجِدًا، وَأَنْ لا يَجْعَلَ لِلأَرْضِ وَلا لِشَيْءٍ يُفْسِدُهُ عَلَيْهِ سَبِيلا، حَتَّى بَعَثَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ، قَالَ: فَفَعَلَ، فَنَحْنُ نَمُرُّ عَلَيْهِ إِذَا هَبَطْنَا، وَإِذَا عَرَجْنَا، فَنَجِدُ لَهُ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ﷻ فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي،

فَيَقُولُ: رَبِّ، بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ، بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ، بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبِّ بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ لِلْمَلائِكَةِ: قَايِسُوا عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ، فَتُوجَدُ نِعْمَةُ الْبَصَرِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعِبَادَةِ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلا عَلَيْهِ }[٣]

فهذا طريق العبادة، إن لم يكن معها الحصون الإلهية، والآداب المحمدية فربما تكون على أصحابها بلية، فالعبادة تحتاج إلى الأدب.

طريق الدرجات العلى

لكن الله ﷻ بيَّن لنا كيف نصل إلى الدرجات الأرقي والأعلى والأسمى بما وصفه لحبيبه ومصطفاه ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ ﴾.

سيدنا رسول الله ﷺ لما نزل عليه الأمين جبريل ببيان حضرة الجليل أدخل عقبة بن نافع رضي الله عنه فقال له:

٣ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

{ يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ } [٤]

فمن يريد أن يكون على هذا المنهج الكريم وعلى هذا المقام العظيم الذي اختاره الله ﷻ لحبيبه الرءوف الرحيم ﷺ يتحسَّس على أخلاق حضرته، ويراها ويحاول أن يمشي عليها في حياته.

فنحن كلنا نسمع عن أخلاق رسول الله، ونحكي ونتكلم عن أخلاق رسول الله، لكن السعيد الذي يوفقه مولاه ليتخلق ولو بخلقٍ واحد من أخلاق رسول الله، فهي التي بها المنازل العُليا، والدرجات الدانية عند رب البرية ﷻ.

والقرآن مليء بذلك، فمن يُرد أن يكون له درجة علية عند رب البرية فلا بد أن يتخلص من الفظاظة والغلظة والقسوة والشدة على إخوانه المؤمنين، فكيف يكون على إخوانه المؤمنين؟ مثل الأصل الأعظم ﷺ: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨التوبة) كله رأفة ورحمة بالمؤمنين صلوات ربي وتسليماته عليه، فلا بد أن يكون على هذه الأوصاف.

ولذلك أخبرنا ﷺ عن أول فوج يدخل الجنة، فقال:

---

٤ مسند أحمد والحاكم في المستدرك

{ يَصِيحُ صَائِحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عِدَةً فَلْيَقُمْ، أَيْنَ أَهْلُ الْعَفْوِ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ }[٥]

وعندما قالت السيدة عائشة:

{ يا رسول الله أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: " قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي }[٦]

من يرد أن يعفو عنه الله فماذا يفعل؟ يعفو عن الناس، ما الأسباب التي أدَّت لزيادة الخلافات والإشكالات بين المسلمين الآن؟ أنه لا يوجد تسامح، ولا يوجد تصالح، ولا يوجد عفو، وكل إنسان متمسك برأيه، ويريد أن يكون صاحب الحق ولو بالباطل، وهو الذي يظهر أمام الناس أنه المصيب ولو كان مخطئاً.

أصحاب رسول الله ﷺ ورضوان الله عليهم أجمعين لم يكونوا بهذه الهيئة ولا بهذه الكيفية، كان ديدنهم العفو على الدوام، وخاصة عن إخوانهم المؤمنين الذين يعايشونهم ويشاركونهم الحياة، ويتحركون بينهم، وتختلط الأمور الدنيوية فيما بينهم، فيشترون منهم ويبيعون لهم، ويزوجونهم ويتزوجون منهم، فالمعاملات لا تصِّح إلا بالعفو.

٥ الثامن من الخلعيات عن أبي الدرداء رضي الله عنه
٦ جامع الترمذي وابن ماجة

لأنه لو كل إنسان حاسب أخاه حساباً شديداً، فسنذهب إلى متاهات لا عدَّ لها ولا حدَّ لها:

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ معناها أن الله ﷻ جاد على حضرته وخلَّقه بجوده وفضله ورحمته بخُلُق العفو، إفاضة من الله ومنحة من الله وعطاء من الله جل في علاه.

﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾ تأمر الناس بما أنزله عليك رب الناس ﷻ من التشريعات الإلهية المنبثة في الآيات القرآنية، والتي يتولى سيدنا رسول الله ﷺ إيضاحها بأقواله وأفعاله وأعماله لمن حوله.

فلا بد للمؤمن الذي يريد هذا المقام أن يعمل بقول الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام:

{ الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قِيلَ: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ }[٧]

٧ جامع الترمذي والنسائي عن أبي هريرةرضي الله عنه

لكن النصيحة تكون بالطريقة الصحيحة، باللطف واللين، ذهب رجلٌ إلى الخليفة العباسي المأمون وخاطبه بلهجة قوية وبشدة وغلظة في القول، والمأمون كان عالماً وكان حكيماً، فقال: يا هذا لقد أرسل الله من هو خيرٌ منك، إلى من هو شرٌّ مني وقال لهما: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ (٤٤طه) هذا الكلام قاله الله لموسى وهارون قبل أن يذهبا لفرعون.

ولذلك السادة الحكماء من علماء هذه الأمة ينصحوننا فيقولون: ((أخوك ولو أخطأ فليس شراً من أبي جهل، وأنت مهما أحسنت فلن تصل إلى ذرَّةٍ في جسد النبي، فقد تحمَّل النبي ﷺ أبا جهل أفلا تتحمَّل أخيك المسلم)).

الموعظة تحتاج للين والشفقة والرحمة والحنان والعطف، إذا كانت موعظة عامة أمرنا حضرة النبي ﷺ أن لا نسميها، أى لا تقُل: فلاناً عمل كذا، لأنها فضيحة، والنصيحة على الملأ فضيحة، لكن كان النبي ﷺ يقول: ((ما بال أقوامٍ يفعلون كذا، وما بال أقوامٍ لا ينتهون عن كذا)) فلا يذهب لأحدهم ويقول له: ماذا تفعل؟! أنت أخطأت وفعلت كذا وكذا.

إذاً إذا أخطأ شخصٌ فعلينا أن ننصحه بالطريقة الصحيحة التي كان عليها الحسن والحسين أهل البيت رضوان الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين، رأيا رجلاً لا يعرف كيف يتوضأ، فاصطنعا أنهما على خلاف، وقال أحدهما للآخر: أنا أتوضأ أحسن منك، والآخر يقول: أنا أتوضأ أحسن منك، فتحاكما للرجل، فقالا: تعالى يا عم واحكم بيننا أيُّنا يتوضأ أفضل من الآخر.

وانظر إلى الطريقة اللطيفة التي علمها لهم الرءوف الرحيم ﷺ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ (١٢٥النحل) فلم يذكر الموعظة أولاً، ولكنه ذكر الحكمة قبل الموعظة، وحتى الموعظة ذكر أنها موعظة حسنة، فلا تسبب إساءة، ولا تسبب جرحاً في قلب إنسان، أو جرحاً في صدر إنسان.

فجاءا بالماء وتوضئا، فقال لهما: أنا المُخطئ، لأنه رأى وضوء هذا مشابه لوضوء الثاني تماماً بتمام، فهذه النصيحة بالطريقة الصحيحة التي علَّمها سيدنا رسول الله ﷺ لصحبه الكرام.

لم يخرجا إلى الشارع ويقولا: إن الرجل لا يعرف كيف يتوضأ، وهل يوجد مسلم يُشنِّع على مسلم؟! فالمسلم مأمور بالستر، قال ﷺ:

{ مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ }[٨]

وكونه أنه لا يعرف كيفية الوضوء، فهذا معناه أنه جاهلاً، فنعلمه بالطريقة التي وصفها الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالرفق وباللين ولا نفضحه، لأنه لو كان يعرف لفعل الصحيح من البداية.

رجل من السعودية أرسل رسالة لإمام مسجد وقال له: أرجو أن تنشر هذه الرسالة في خطبة الجمعة للسامعين: إبني كان عنده صدود عن الصلاة بالكلية، وكلما أحاول إقناعه يهرب مني، فأخذته باللين وقلت له: أنا يا بني أسهو عن مواقيت الصلاة، فأريدك أن تضبطها لي وتنبهني عند ميعاد كل فريضة، تقول لي: الظهر اقترب، والعصر باقي له عشر دقائق، وهكذا، ففرح الولد ووجد لنفسه وظيفة طيبة تُرضي أباه، فمشى على ذلك فترة، ثم قلت له: هل تأتي معي للمسجد؟ فاستقام على طاعة الله ﷻ، فالأمور كلها تحتاج إلى اللين، وقد قال ﷺ للسيدة عائشة إذ:

{ ركبت عائشة بعيراً وكان منه صعوبة، فجعلت تردده، فقال لها رسول الله ﷺ: عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ فَإِنَّهُ لاَ يَكُ فِي شَيْءٍ الإ زَانَهُ وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلا شَأْنَهُ }[٩]

تريد لإبنك أن يكون مثلك فخذه معك، واحكي معه، ولا مانع أن تضحك معه وتتنزل له لكي تأخُذه إلى طريق الله جل في علاه.

---

٨ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
٩ مسند الإمام أحمد عن عائشة ﵂

لكن أعامله بالشدة وأقول له: لم لم تصلي وأضربه بالعصا، فسيكره الصلاة ويكره الدين، صحيح قال رسول الله ﷺ:

{ مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ سِنِينَ }[10]

ولكنه قال في الحديث الآخر:

{ عَلِّقْ سَوْطَكَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُكَ }[11]

فلا تستخدمه، ولكن أَخِفْهُ فقط، حتى لا يكرهك، بل يظل يحبك ويقبل على الله ﷻ بسببك.

إذا أردت أن تضرب اتفق مع زوجتك: إذا ضربته تعالي وامنعيني واجعليه يهرب، أو اضرب على الأرض من حوله ولا تضربه على جسمه، فالأمور تحتاج إلى حكمة كما كان سلفنا الصالح، حتى يكون الأولاد كما قال رب العباد: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ (١٣الكهف).

١٠ سنن أبي داود ومسند أحمدعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
١١ معجم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

وهكذا النصيحة لكل مسلم، تحتاج للطريقة الحكمية الإلهية التي وضحها لنا في عمله وأحواله خير البرية، وسار عليها سلفنا الصالح إلى يومنا هذا، وأنتم إن شاء الله ستطبقونها ومَن بعدكم إلى يوم الدين.

﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ :

إذا ظهر رجل أثناء الدعوة أو النصيحة فاستهزأ أو سخر أو عرَّض فأعرض عنه، وقد كثر هؤلاء في زماننا، يقول لأحدهم: لم يبق أحدٌ يصلي غيرك، أنت كذا وكذا وكذا، فمثل هذا يكون جاهلاً، والجاهل يحتاج أن أتوقف عنده ولا أناقشه ولا أحادثه، وكأنني لم أسمع شيئاً، وأعرض عنه كما أمرنا رب العباد ﷻ.

إذا كنت تريد أن تتكلم فيكون كما الله قال في عباد الرحمن:

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ (٦٣الفرقان)

يعني يا رب سلمنا من هؤلاء الذين يصيبنا من ألسنتهم وآذاهم، واجعلنا في حصون أمنك يا رب العالمين.

فالأمة المحمدية تحتاج إلى هذه الوصايا الإلهية ليصلح الله أحوالنا، لأننا أصبحنا في زمان إذا ناصح إنسان إنسان يقول له: وما شأنك بي؟! وهذا ليس من دين الله، والمفروض أن يقول له: جزاك الله خيراً لما نصحتني بهذه النصيحة، حتى ولو لم يعمل بها.

لكن الأمور تفاقمت فنحتاج إلى الرجوع مرةً ثانية للأخلاق المحمدية الإلهية التي أمرنا بها سبحانه وتعالى، وأنزلها على خير البرية، حتى نكون معه في الدرجات العُليا الوهبية يوم القيامة، ومن أهل جواره في الدرجات الجنانية أجمعين.

نسأل الله ﷻ أن يخلقنا بذلك، وأن يجعلنا أهلاً لذلك، وأن يوصلنا بمنِّه وجوده وكرمه إلى ذلك

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (الأعراف

١٩- منزلة الإنابة[1]

تحدثنا عن قول الله ﷻ: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (١٩٩الأعراف)

وقلنا أن هذه مكارم الأخلاق التي دعا إليها الله حبيبه ومصطفاه، ومن يُرد أن يكون على قدمه الأسمى، وفي منزلته الرفيعة يوم يلقى مولاه.

ولم يستطع أحدٌ من الأولين والآخرين بتفسيرٍ لها غير الذي قاله رسول الله، عندما نزلت قال سيدنا رسول الله لسيدنا جبريل:

{ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ }[2]

وهذه الأخلاق الكريمة تحتاج إلى جهاد نفسٍ عظيم، فيه معونة من الرب الكريم ﷻ.

[1] العنانية- إسنا ٢٨من ربيع الآخر ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٢/٧م
[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وتفسير بن أبي حاتم

وحتى نعرف قدر هذا الجهاد ننظر في الآيات التي أثنى بها الله ﷻ على عباد الرحمن في القرآن: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (٦٣الفرقان) وهوناً يعني متواضعين وخاشعين ومخبتين لله رب العالمين، تخلصوا من مرض الكبر والإعجاب بالنفس والزهو والفخر وحب الرياسة وحب الظهور ولا يريدون إلا وجه الله ﷻ في كل أعمالهم وأحوالهم.

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ (٦٣الفرقان) لم يردوا عليهم بمثل خطابهم، ولا بنمط كلامهم، ولا خطاباً مناسباً للسفَّه الذي قذفوهم به:

يخاطبني السفيه بكل قبحٍ فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهةً وأزيد حلماً كعُودٍ زاده الإحراق طيبا

والعُود هو عود البخور، كلما أوقدتَ النار فيه أكثر، كلما كانت الرائحة الطيبة تنتشر فيه أكثر.

وكما قلت: عرَّفنا الله أن هذا هو الجهاد الأعظم، لأنه بعد أن يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، تبقى عبادة الله، وأفضل العبادات هي التهجد والناس نيام: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ (٦٤الفرقان).

والدرجة الأعظم في جهاد النفس في محو الكبرياء والزهو والرياء والشهرة والسمعة وحب الظهور وتحمل أذى الخلق فمن لم يوطن نفسه على تحمل أذى الخلق، لا يصلح أن يكون ولياً للحق ﷻ.

من الذي تحمَّل ما تحمَّله سيد الأولين والآخرين وأولياء الله الصالحين؟ لا أحد، ولذلك سُئل النبي ﷺ:

{أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: " الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ } [٣]

وبلاء الأنبياء كان من أذى الخلق، وانظر إلى القرآن وأحوال النبي العدنان وغيره من أنبياء الله ورسله عليهم جميعاً الصلاة والتسليم، وانظر إلى أي مدى كانوا يتحملون أذى قومهم.

هل يوجد أحدٌ تحمَّل أذى قومه كما تحمل النبي ﷺ أذى قريش له؟ لا، لكن لما مكَّنه الله ﷻ منهم ودخل مكة فاتحاً، وجاءوا الحرم خاضعين خاسئين خائفين من العقاب الذي سيتعرضون له من أمير الأنبياء والمرسلين، طلب المشهد الأعلى فقال لهم:

{ مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ } [٤]

---

٣ مسند أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه
٤ سنن البيهقي والطبري عن أبي هريرة رضي الله عنه

وفي رواية أخرى قال:

{ فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: ((لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)) }[5]

تأسَّى بسيدنا يوسف عندما طلبوا من أبيهم أخذه ليبعدوه عنه، لأنهم رأوا حب سيدنا يعقوب وعطفه على يوسف، ولماذا كان هذا الحب؟ لأنه يرى بنور الله أنه الوارث لنبوته، ولذلك لما رأى الرؤية قال له: ﴿ قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ﴾ (٥يوسف) لا تخبرهم بأمرك، لأنهم سيحسدونك، مع أنهم أسباط!! والأسباط يعني أولاد الأنبياء، يعني أنبياء لكن الحسد موجود، فطلبوا منه أن يخرجه معهم: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ (١٢يوسف).

وذهبوا إلى هناك فذبحوا كبشاً من الغنم وجاءوا بقميصه ولطخوه بالدم، ورموه في البئر وانتَظروا - وعناية الله ترعاه - هم رموه في البئر وأمر الله الأمين جبريل أن ينزل فيشير إلى حجرٍ في قاع البئر ليعلوا على الماء ويتلقاه ويُجلسه عليه حتى لا يغرق في البئر.

٥ سنن النسائي والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

فكلما حاول الخروج يفكُّوا يديه لينزل مرةً ثانية، وهم إخوته وانظر كيف يفعلون به!! وكلما حاول الخروج يفكوا يديه ويعيدوه للبئر مرةً ثانية، إلى أن جاءت إرادة الله - ولا رادَّ لقضاء الله - أن يحييه الحياة الطيبة، فمرت قافلة مسافرة من بيت المقدس إلى مصر وتاهوا في الطريق، وإخوته كانوا قد وضعوه في مكانٍ ليس في طريق عام حتى لا يعرف أحدٌ مكانه، فيقدِّر رب العزِّة لهؤلاء القوم أن يتيهوا في الطريق، ونفد ما معهم من ماء، فقالوا: ننظر بئر فيه ماء، فوجدوا هذا البئر.

وإخوته واقفون بالقرب من البئر يريدون الإطمئنان، ولا يريدون عمل هذه الجريمة بأيديهم لأنهم خائفين من الله ﷻ، فلم يقتلوه لا بسكين ولا بآلة، وهذا دليل على أنهم يخشون الله ﷻ.

فألقى الناس دلواً فيه حبل، فسيدنا يوسف قفز وجلس في الدلو - والدلو هو وعاء كالجردل - فشدوا الحبل فوجدوا الدلو ثقيل، فاستعان الرجل الذي دلاَّه بأصحابه فأخرجوا يوسف، فلما رآه قال: ﴿ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ﴾ (١٩يوسف).

وإخوته كانوا واقفين وقالوا: إنه عبدٌ عندنا وكان هارباً منا، فإن كنتم تريدونه فنبيعه لكم، واعطونا ثمنه، انظر كيف يفعل الأخوة بأخيهم!! ولن نأخذ منكم مبلغاً كبيراً، وما المقصد من ذلك؟ أن يكون عبداً وليس حُراً ليذلُّوه: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۢ بَخْسٍۢ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍۢ ﴾ (٢٠يوسف).

ليس الهدف المال ولكن الهدف أن يكون عبداً ذليلاً وليس حراً في التصرف في نفسه، ومع ذلك مكَّنه الله وجعله على خزائن الأرض، وانتبهوا للآية: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ (٥٥يوسف) ولم يقل خزائن مصر، فتكون خزائن الأرض كلها في مصر، وستخرج إن شاء الله رب العالمين في مصر، ليُغني الله ﷻ أهل مصر بفضله ومنِّه وكرمه وجوده ﷻ.

منزلة مصر

وتظل مصر هي التي تُعطي العالم كله كما كانت في القديم، وسيكون ذلك أيضاً إن شاء الله في هذا العصر الحديث، فإنه كلما حدثت مجاعة في العالم من الذي كان يُنقذ العالم؟ مصر.

مصر حملت راية الإسلام، فمن الذي يُعلم العالم القرآن والدين والعلم؟ مصر؟ لماذا؟ إنها إرادة الله وعناية الله لأن الله اصطفى لهذا البلد أُناسٌ طيبين ذوي قلوبٍ سليمة، وأفئدة رحيمة، علم ذلك النبي فأمر أصحابه أن يستوصوا بهم خيراً.

جاءوا بعد ذلك، فماذا فعل بهم؟ قال: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٩٢يوسف).

هذه سُنة الأنبياء والمرسلين، وعليها الصالحين والمرشدين والأئمة الربانيين أجمعين، لأنهم ليس لديهم وقت لوضع ضغينة في القلب، أو وضع كره في الفؤاد، وأشد حرصهم أن يظل القلب والفؤاد خالصاً لرب العباد ﷻ، ولا يضع فيه شيئاً غير ذلك، فهذا خالصاً لله جل وعلا.

فإذا أراد الشيطان أن يوسوس للإنسان ليمنعه عن هذا الجهاد، لا بد للإنسان الذكي العاقل الفطن أن يلجأ إلى الله، ولا يستطيع أحدٌ محاربة الشيطان بنفسه كما يدَّعي أهل الغفلة، ويقولون: حيل الشيطان كذا وكذا وكذا، ولكن ما علاج هذه الحيل؟!.

ذهب رجل لأحد الصالحين وقال له: أريد أن تعرفني كيد الشيطان وحيله، وكيف أخرج منها؟ قال له: إن هذا طريق طويل، لكن أريد أن أسألك سؤالاً: لو أنك تسير في طريق وخرج عليك كلب يريد أن يعُضك، ولمحت صاحبه فماذا تفعل؟

قال: أستنجد بصاحبه، فقال له: كذلك أنت لن تقدر على الشيطان، فنادي على حضرة الرحمن، وارجع لحضرة الرحمن، واسأله ﷻ أن يكَّف عنك الشيطان حتى تعيش في أمان إن شاء الله.

ولكن تظل تشغل نفسك بهذه الأمور، وما هذه الحيل؟ وما أنواعها؟ وكيف تخرج منها؟ فهذا موضوع سيطول شرحه، ولن تمشي فيه إلا إذا وُفقت من الموفق ﷻ.

فالله ﷻ اختصر الأمر وقال:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ :

واستعذ بالله يعني اطلب العوذ، أي المساعدة، واطلب التوفيق من الله ﷻ، ولذلك حضرة النبي علَّمنا أن نتبع كل أمر بالإستعاذة بالله ﷻ من الشيطان الرجيم، ليكفينا الله ﷻ وسوسته وهواجسه.

ثم بشرنا الله ﷻ ببشرى عظيمة لا نستطيع شكرها ولو عشنا ساجدين وأطال الله في أعمارنا إلى يوم الدين:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ :

الإنسان الذي سيصحب الأتقياء ويعطيه الله ﷻ تقوى في قلبه ونور، فهذا النور جعله الله ﷻ واقياً للإنسان من كل الذنوب والآثام والشرور، مثله كالمصباح الأحمر الذي يضيئ عند غلق الطريق.

عندما يمشي في طريق ليس سوياً، أو تسول له نفسه بمعصية من معاصي الله ﷻ، يتحرك القلب على الفور ويُذكِّره ليرجع إلى الله ﷻ، وليتوب وليئوب، فيُدخله الله ﷻ في رحمته ويجعله من أهل رضوانه وكرامته.

يروي الإمام ابن عساكر رحمة الله عليه في كتابه الذي جمع فيه أحاديث رسول الله ﷺ أن شاباً في عصر سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ راودته امرأة عن نفسها، فأخذت تغريه وتُزين نفسها له حتى همَّ بدخول منزلها، وإذ به يرنُّ في قلبه هذه الآية:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

يقول: لما مرَّت الآية على قلبه غُشي عليه - يعني حدثت له غيبوبة - وبعد أن أفاق من الغيبوبة نطق الآية بلسانه ثم وافاه الأجل.

ثم صلوا عليه ودفنوه، وسمع سيدنا عمر به فأخذ بعض أصحابه وذهب لأبيه ليُعزيه، وقال: أين قبره لنصلي عليه؟ فدلوه على قبره، فوقف وخلفه من معه وصلوا عليه صلاة الجنازة، وبعد أن صلوا عليه قال عمر: يا فتي من خاف مقام ربه فله جنتان، لأن الله قال:﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (٤٦الرحمن)!

فسمعوا الفتى يقول من قبره: لقد شاهدتهما ودخلتهما يا عمر!!.

بمجرد أن جاءه الخوف من الله على الفور:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (٤٦الرحمن)

هذا جزاء الخوف الذي يمنع الإنسان من فعل الذنب، لكن الله ﷻ في سورة الرحمن عاد فذكر: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (٦٢الرحمن) سألوا رسول الله عنهما؟ فقال:

{ جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا }[٦]

فتقوى الله التي في الفؤاد إذا حرَّك الشيطان وساوسه وهواجسه على النفس لتفعل المعصية فإن نور الإيمان في قلب الإنسان يتحرك فيُجمده ويُخمده عن فعل المعصية خوفاً من الله، وما نتيجة ذلك؟:

{ جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا }[٧]

﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٨الحجرات):

هل هناك أجرٌ أكمل من هذا؟

وما العمل الذي عمله؟

أنه استطاع كبح جماح نفسه!

وسدَّ وساوس الشيطان أن يستجب لداعي الهوى، وإنما خوفه من الرحمن هو الذي دفعه إلى ترك هذا العمل طلباً لمرضاة رب العباد ﷻ.

ولذلك نحن نحتاج أن نقوي هذه المشاعر الإلهية في القلوب ....

فنزيد من طاقة التقوى التي يُعمِّر الله ﷻ بها قلوبنا، وكيف نزيدها؟

٦ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه
٧ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (٢٨الرعد)...

نذكر الله على الدوام أثناء سيرنا وجلوسنا ونومنا:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (١٩١آل عمران) ؟؟؟؟

متوضئين وغير متوضئين، متجهين للقبلة أو لأي جهة:

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (١١٥البقرة) ....

المهم أن الإنسان لا يغفل عن ذكر الله طرفة عينٍ ولا أقل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾

(الأنفال)

٢٠: منازل الإيمان الحق[1]

نحن مطالبون أجمعين بالتدبر والتذكر والتفكر في كتاب الله، ولا يوجد مؤمن له إعفاء من هذه القضية الربانية: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ (٢٩ص) ليتدبروه ويفقهوه ويعلموا مراد الله ﷻ فيه.

ونسمع الآيات مراراً وتكراراً لكن لا بد أن نعرف شيئاً ولو قليلاً من معناها، فلا يوجد أحدٌ من الأولين والآخرين يحيط بمعاني كلام الله، ولكن كلٌ يعبِّر على قدره بما شرح الله ﷻ صدره.

هذه الآيات التي معنا نزلت عقب غزوة بدر، وغزوة بدر كانت أول غزوة في الإسلام بين المسلمين وأهل مكة من الكافرين وهم قريش ومن يتبعها ـ ولن أسوق الواقعة ولكن نريد أن نأخذ صورة سريعة لأسباب نزول هذه الآيات.

خرج النبي ﷺ ومعه ثلاثمائة وتسعة من صحبه الكرام؛ يقصدون قافلة تجارية لقريش تعوِّضهم ما استلبوه من أموال المسلمين في مكة، فقد استولوا على دورهم، وعلى تجارتهم، وعلى أموالهم، ولم يسمحوا لهم بالخروج منها بشيء.

---

١ نجع الطوايع – إسنا ٢٨من ربيع الآخر ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٢/٧م

وهم أرادوا ذلك، والله ﷻ أراد شيئاً آخر، ولا يكون إلا ما يُدبِّره من يقول للشيء كن فيكون، وهذه تعلمنا أنه لن يحدث لك ولا لمن حولك إلا ما يقدره اللطيف الخبير ﷻ، فهل لا ندبر؟ ندبر ولكن نرضى بما قسم الله لنا إذا جاء خلاف تدبيرنا، قال ﷺ:

{ ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ }[٢]

فقدَّر الله ﷻ أن تكون هذه غزوة فيها إعلاءٌ لشأن الإسلام والمسلمين، كانوا قلة قليلة، كانوا ثلاثمائة وتسعة، وفي رواية أخرى ثلاثمائة وإحدى عشر، ورواية أخرى ثلاثمائة وثلاثة عشر، ولم يكن معهم إلا فرسين، وبضع جمال لا تزيد عن سبعين جملاً، يركبون قليلاً ويمشون قليلاً.

والكفار خرجوا بما يقرب من ألف مقاتل مُدججين بالسلاح، ومُجهزين بالعتاد،.

وكانت هذه أول معركة في الجزيرة العربية يحدث فيها تنظيم للجيش العسكري لأن قائد المعركة هو حضرة النبي ﷺ.

والجيوش كانت همجية بدون تنظيم، ولكن حضرة النبي وزَّع الجُند، الشباب في المقدمة ليقاتلوا المقاتلين، فمعهم الفتوة ومعهم الشجاعة ومعهم البأس، والشيوخ في المؤخرة يحمون الأماكن التي يُعسكر فيها المجاهدين إذا رجعوا فيكونون حماية لهم.

---

٢ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

الخلاف على الغنائم في غزوة بدر

ودارت المعركة، والنبي كان دوره في خيمته متوجهاً لرب العالمين يدعو الله ﷻ بالنصر للمؤمنين، وانتصر المؤمنون وفرَّ الكافرون.

وانقسم الجيش إلى ثلاثة أقسام: قسمٌ تبع الفارِّين من الكافرين ليقضي عليهم، وقسمٌ دخل المعسكر الذي كان يقيم فيه المشركين ليستلب ما فيه من غنائم أتوا بها وتركوها، إن كان سلاحاً أو أموالاً أو عتاداً، أو جمالاً أو طعاماً أو غيره، وقسمٌ بقي يحرس حضرة النبي خوفاً من هجمة مرتدَّة يكون فيها خطورة على حضرة النبي ﷺ.

انتهت المعركة، والأشياء التي أخذوها من الكافرين نسميها الغنيمة، والغنيمة يعني: ما نأخذه من المقاتلين أثناء القتال أو بعد القتال، من أي نوعٍ إن كان سلاحاً أو خيرات أو غيره.

وهناك شيء آخر في الشريعة إسمه الفيئ، وهذا ما نأخذه بدون قتال، فلو دخلنا بلداً بدون قتال ولا حرب فهذا إسمه الفيئ.

فأتوا بالغنيمة وتنازعوا واختلفوا، ليعرفنا الله أن التنازع في أي مكان وزمان سببه الدنيا، أثناء القتال كانوا كرجلٍ واحد قلوبهم متوحدِّة،

وبعد القتال الذين دخلوا المعسكر وأخذوا الغنائم قالوا: إنها لنا لأننا جمعناها، والجماعة الذين تبعوا الفارّين قالوا: نحن أولى بها لأننا الذين تبعناهم وحاربناهم وجعلناهم يفروا من الميدان، والجماعة الثالثة قالوا: نحن كنا في حراسة النبي، واحتدم الخلاف واشتد الخلاف.

إن معكم حضرة النبي ﷺ، كيف تتنازعون في وجود حضرة النبي؟! وقد قال ﷺ:

{ لا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ }[3]

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (٨٣النساء)

اذهبوا إلى حضرة النبي واعرضوا عليه الأمر وسينتهي كل شيء، لكن عرفنا ربنا لكي نعرف أن سر الخلافات إلى يوم القيامة بين المسلمين والمؤمنين في كل مكان سببه حب الدنيا، والحرص على الدنيا، والحرص على أخذ الحظ الوفير من مقتنيات الدنيا.

فلما لم يجدوا لخلافهم حلاً، ذهبوا لحضرة النبي فسألوه: ماذا نفعل؟ فنزلت هذه الآيات من الله ﷻ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ هي ليست لهؤلاء ولا لهؤلاء ولا لهؤلاء، نزع الله منهم هذا الأمر وجعله في يد رسوله ﷺ.

---

٣ البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنه

إصلاح ذات البين

بعد ذلك أوصاهم وأوصانا كلنا: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ﴾ أهم شيء يحرص عليه الله ﷻ لعباده المؤمنين الإصلاح بين المؤمنين والتآلف والتوادد والمحبة، وأن يكون بين المؤمنين وفاق واتفاق، وأن لا يكون بينهم خلاف ولا شقاق، وأن لا يكون بينهم عصبيات جاهلية، ولا تشرذم عن طريق رب البرية.

قال بعض الصالحين: الناس تعتصم بأشياء كثيرة، ولكن عندنا أمرٍ واحد ذكره الواحد ﷻ ولا يريدون تنفيذه: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ (١٠٣آل عمران).

بالله عليكم لو أننا في مجتمعنا ومجتمع المسلمين كلهم استمسكنا بهذه الآية فهل يوجد خلافٌ بين مسلم ومسلم؟! أو طائفة وطائفة؟! أو فئة وفئة؟! لا، لكننا وقفنا عند هذه الآية ونسيناها وأهملناها.

فأمرهم الله ﷻ أن يصلحوا ذات بينهم، ولذلك أشار نبينا الكريم ﷺ إلى أن أعلى وأسمى قربة يتقرب بها العبد إلى الله ﷻ لينال أجراً أعلى من أجر قيام الليل وأعلى من أجر صيام النوافل وإن كان طول العام، وغير ذلك؛ أن يمشي بالإصلاح بين المسلمين، قال ﷺ:

{ أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ؟، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِصْلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ }[٤]

وهنا يقصد النوافل حتى ننتبه للحديث، يعني أفضل من صلاة النوافل، وأفضل من صيام النوافل، وأفضل من صدقة التطوع.

ألا يحدث ذلك الآن؟ ما الذي أوهى وأضعف صفوف المسلمين في هذا الزمان؟ الإنقسامات والخلافات والطائفية والفُرقة والمنازعات في كل الجهات.

فدعانا النبي ﷺ إلى أن نهُبَّ جميعاً حتى ولو لم يستدعينا أى من الطائفتين، فنذهب من تلقاء أنفسنا نتطوع للإصلاح بين المتخاصمين، وقد كنا في السابق في أي بلد إذا تخاصم جارين أو تخاصم أخوين، كان كل من كان حولهم لا يستريح حتى يبيتا متصافيين، فهذا من هنا وذاك من هناك، ويمشون في جماعة، إلى أن يجعلوا هذه الجماعة كما ذكر الله ﷻ:﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ (١٠٣آل عمران).

هذه أفضل القربات التي يتقرب بها العبد إلى مولاه جل في علاه لينال رضاه، ويكون من كُمَّل أولياء الله، لأنه يقضي على الفتن بين المؤمنين، ويقضي على الكراهية والبغض الذي يحدث بين المسلمين، ويُصفِّي الأفئدة، وينزع الغل والحقد من صدور المؤمنين، وهذا الذي دعا إليه رب العالمين ﷻ.

٤ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه

سلاح العفو

ومن يمشي في هذا الأمر فلا بد أن الذي يكون معه ويعتمد عليه ويركز عليه هو سلاح العفو، لأنه لابد أن يعفو عن بعضهم، ولذلك حضرة النبي ﷺ عندما نزلت هذه الآية قال لهم:

{ رَجُلانِ مِنْ أُمَّتِي جَثَيَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا:

يَا رَبِّ، خُذْ لِي مَظْلِمَتِي مِنْ أَخِي، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلطَّالِبِ:

فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، فَلْيَحْمِلْ مِنْ أَوْزَارِي،

قَالَ: وَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْبُكَاءِ،

ثُمَّ قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ، يَحْتَاجُ النَّاسُ أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ.

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ: ارْفَعْ بَصَرَكَ، فَانْظُرْ فِي الْجِنَّانِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ:

يَا رَبِّ، أَرَى مَدَائِنَ مِنْ ذَهَبٍ وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبَ مُكَلَّلَةً بِالْلُؤْلُؤِ، لأَيِّ نَبِيٍّ هَذَا، أَوْ لأَيِّ صِدِّيقٍ هَذَا، أَوْ لأَيِّ شَهِيدٍ هَذَا؟

قَالَ: هَذَا لِمَنْ أَعْطَى الثَّمَنَ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ؟

قَالَ: أَنْتَ تَمْلِكُهُ، قَالَ: بِمَاذَا؟ قَالَ: بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ،

قَالَ: يَا رَبِّ، فَإِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ،

قَالَ اللَّهُ ﷻ: فَخُذْ بِيَدِ أَخِيكَ، فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: اتَّقُوا الله، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ }[٥]

منزلة المصلحين

فالمؤمن الذي يرى قضية أو خصومة ويستطيع حسمها ولا يتقدم، فسيؤاخذه ربه على ذلك، ويلومه حضرة النبي صلوات ربي وتسليماته عليه على ذلك، لماذا؟ لأن المؤمن يريد دائماً أن يكون من أهل المقامات والدرجات العُلى عند الله ﷻ، فعلينا كما قال لنا الله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١ ﴾.

ويمشون في هذه القضية، ويجعلوها أهم العبادات النفلية التي يتقربون بها إلى رب البرية ﷻ، وقد كانت وظيفة الصالحين ولا زالت.

٥ الحاكم في المستدرك عن أنس رضي الله عنه

ولذلك أنا أرى بنور الله أن من يمشي في ذلك فهو من كُمَّل أولياء الله الصالحين في هذا الزمان، وأغبطه على ذلك لأنه يفعل ما أمر به الله، وما طلبه رسول الله، وما كان عليه الصحابة البررة الكرام، والسلف الصالح في كل زمان ومكان، وهم المؤمنون الصادقون.

وكلنا طبعاً نريد أن نكون من المؤمنين الصادقين، والذين وصفهم الله ووعدهم أن لهم عند ربهم درجات عالية، ومنزلة كريمة، وأيضاً مع ذلك مغفرةٌ ورحمةٌ من الله ﷻ، هذه الدرجات يُحدِّث عنها رسول الله ﷺ فيقول:

{ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ فِي رَأْسِ الْعَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ يُضِيءُ حُسْنُهُمْ أَهْلَ الْجَنَّةَ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ أَهْلَ الدُّنْيَا }[٦]

وقال ﷺ في حديث آخر:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَيُونَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ، أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ، لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ }[٧]

---
٦ اتحاف الخيرة المهرة للبوصيري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
٧ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَوْنَ مَنْ فَوْقَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَ عُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَا }[8]

﴿ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (٢٠الزمر) وهي التي سيكون فيها عباد الرحمن، وما جزاؤهم؟ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ (٧٥الفرقان) هذه هي الغرف العظيمة النورانية.

والجنة لأن ليس فيها حُزن؛ فقد جعل الله ﷻ كل واحد فيها يرى أنه لا خير أعظم مما هو فيه، لا يرى من فوقه حتى لا يحزن، ومن كان فوق يرى ما تحته فيحمد الله أنه في منزلةٍ أعلى، فالجنة ليس فيها حُزن، وعندما يدخل الإنسان الجنة يقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (٣٤فاطر).

أهل هذه الغرف سيرون أهل الإيمان الصادق الذين منهم أبو بكر وعمر، كما نرى نجم خافت وباهت في السماء، يعني المسافة بعيدة لعُلو شأنهم ورفعة درجاتهم عند الله ﷻ.

٨ مسند أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

هؤلاء القوم سيرتقون إلى هذه الدرجات، وبماذا؟ بهذه الأوصاف التي وصفهم بها الكريم الخلاق في هذه الآيات الكريمة، الصفة الأولي: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ عندما يسمعون إسم الله تقشعر الأبدان، ويحدث خوفٌ وانزعاجٌ في القلوب لشدة معرفتهم بالحبيب المحبوب ﷻ.

لكن هناك آية أخرى تقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (٢٨الرعد) فما هذه وهذه؟ إذا واجههم الله ﷻ بجلاله - يعني قهره وشدته - خافت القلوب، وإذا واجههم بجماله ولطفه اطمانت وأنست القلوب، فلا تعارض بين الآيتين، فهذه مواجهة والأخرى مواجهة أُخرى.

لكن الوجل ذكره الله ﷻ لأنه هو الذي يمنع النفس من المخالفة لرب العزة، والإستماع إلى هواجس الشيطان، فلا بد في البداية أن يسوقها الوجل، والذي يطمئنها بعد ذلك الإطمئنان بالجمال، فيربي الله ﷻ رجاله المؤمنين الصادقين في البداية بالخوف من الله، ولذلك قالوا: ((من خاف سلم، ومن خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل)).

فمن خاف سيستعد ويعمل لما يُرضي الله، وستكون له وقفة مع النفس ينهاها به عن معصية الله جل في علاه، وإذا خاف من الله ﷻ فيُصبح القلب دائماً وأبداً يستشعر حلاوة كلام الله:

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (٢٣الزمر).

الإيمان بين الزيادة والنقصان

﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ فعندما يسمع آيات الله، ويقرأ كلمات الله يزيد الإيمان في قلبه، ويزيد النور الإلهي في باطنه، والإيمان - كما اتفق سلفنا الصالح - قد يزيد وقد ينقص، الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، لكن كلام المحققين أوضح قليلا، فهناك إيمان ثابت لا يزيد ولا ينقص، وهو إيمان الملائكة:

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ (١٦٤الصافات).

لا توجد درجات عندهم، فلا يكون أحدهم اليوم في درجة الصادقين، ثم غداً يكون في درجة الذاكرين، فكل واحد منهم في درجة ثابتة، فالإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص.، وإيمان العوام من المؤمنين يزيد وينقص كما ذكرنا، فيزيد بطاعة الله، وينقص بمعصية الله لقوله ﷺ:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ((كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) }[9]

أساس الإيمان هو النور الرباني الذي في قلب المؤمن، فهذا الذي يحفظه الحفيظ ﷻ، لأنه لو تناقص فقد يتحول المؤمن - والعياذ بالله - بعد ذلك إلى الضلال وإلى الكفر، لكن الإيمان في القلب: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ (٢٢المجادلة).

ولذلك لا يستطيع الشيطان أن يتسلل إلى قلوب أهل الإيمان، وأين يوسوس؟

في الصدور: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ (٥الناس) فلا يستطيع أن يذهب إلى القلب، لأن نور الإيمان الذي وضعه الرحمن وكتبه الرحمن يقول فيه سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ: ....((لو ظهر نور المؤمن العاصي لملأ ما بين المشرق والمغرب، فما بالكم بالمؤمن المطيع؟!)).

---

٩ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

رأس مال الإيمان الذي كتبه الرحمن في القلوب محفوظٌ بحفظ علام الغيوب ﷻ، لكن يزيد في الفتوحات، ويزيد في العطاءات إذا زاد في الطاعات وانتهى عن المعاصي والمخالفات، ويُحرم من الفتوحات، ويُحرم من العطاءات إذا انغمس في المعاصي والمخالفات، لكن الإيمان الذي وضعه في قلبه الرحمن يحفظه الرحمن ﷻ.

وهناك إيمانٌ يزيد ولا ينقص أبداً وهو إيمان الأنبياء والمرسلين والصديقين والأولياء والصالحين وأتباعهم الصادقين أجمعين، لأن هؤلاء سائرين في طريق السداد والرشاد على الدوام، ولذلك الإيمان عندهم في ازدياد، والنور عندهم في ازدياد، لأنهم يستزيدون دوماً من القرب من الله ومن طاعة الله، ومن طاعة حبيب الله ومصطفاه، فيزيدهم الله ﷻ شرفاً من عنده أضعافاً مضاعفة من العطاءات الإلهية، والهبات الربانية والنفحات الروحانية، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

توكل الصادقين

الصفة الثانية من صفات المؤمنين الصادقين: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ﴾ لا يتكلوا على عملٍ، ولا على حسبٍ، ولا على نسبٍ، ولا على من حوله، وإنما يتكلوا دائماً وأبداً على من إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

والتوكل معناه الأخذ بالأسباب مع الإعتماد في النتيجة على مسبب الأسباب، فلا أترك الأسباب وأقول توكلت على الله فهذا إسمه تواكل، وهذه سلبية وانعزالية وليست في دين الإسلام، لكن التوكل أنني أسعى على الرزق وأطلب من الله أن يبارك في هذا الرزق ليقوم القليل مقام الكثير، وهي البركة التي يعيش فيها الصالحون والصادقون، فليس عندهم تكايا واسعة، ولا أراضي ولا استثمارات، ولكنهم يريدون من الله أن يكون الرزق فيه البركة، فإذا نزلت فيه البركة صاحب هذا الرزق يا هناه ... لأن الله ﷻ كما قال الحبيب ﷺ:

{ طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ }[10]

فيعيش مغموراً في بركة الله ﷻ في جسمه وفي أعضاءه وفي حواسه وفي أولاده وبناته وفي زوجه وفي بيته وفي أرضه فالبركة ستحفُّه من جميع نواحيه حتى في العمل الصالح فالركعتان اللتان يصليهما يكونان أفضل من ألف ركعة لآخر يصلي!، وفى أثر قيل:

{ إن الرجل ليُصلي بصلاة أخيه وركوعهما واحد وسجودهما واحد وبينهما كما بين السماء والأرض } ,,,,

١٠ صحيح مسلم والترمذي عن جابر رضي الله عنه

ودعا ﷺ ذات مرة إلى الإنفاق، فجاء رجلٌ بدرهم وجاء آخر بألف درهم، فقال ﷺ: { سبق درهم مائة ألف قالوا : يا رسول الله كيف يسبق درهم مائة ألف؟ قال رجل كان له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به وآخر له مال كثير فأخذ من عرضها مائة ألف }[١١]

ما الأمر في هذه الأحوال؟

فالبركة حتى في الأعمال، ولذلك من بركات الله لهذه الأمة أن أعطانا كلنا ليلة لو أننا قمناها - وأقل القيام صلاة العشاء والفجر في جماعة في تلك الليلة - نأخذ أجر ألف شهر، ليلها قيام ونهارها صيام، بركة من الله ﷻ لهذه الأمة.

فكل سنة يزيد عمرك ثلاثة وثمانين سنة في طاعة الله، فتقول: أنا هذه السنة عمري ستون سنة والسنة القادمة واحد وستون، لكن هناك ثلاثة وثمانين سنة في طاعة الله لم تحسبها، لكن الحسيب ﷻ حسبها من البركة التي خصَّ الله ﷻ بها هذه الأمة المباركة.

ولذلك التوكل هو الإعتماد على الله، أنوي المذاكرة كطالب لأنجح في الإمتحان، وأحرص على أن لا أتهاون في الفرائض التي كلفني بها الرحمن،

---

١١ صحيح ابن خزيمة عن أبى هريرة

وأحرص على الفرائض التي كلفني بها مع الأهل والخلان كطاعة الوالدين وعدم عقوقهما وما شاكل ذلك، فما أقرأه في ساعة قد لا يحصله غيري في ثلاثمائة ساعة، ولا يحفظ الذي حفظته، ولا يركِّز التركيز الذي ركَّزته، ما هذا؟ هي البركة التي تأتي من الله ﷻ.

الإمام الشافعي ﵁ وأرضاه كان فقيراً لكنه كان باراً بأمه، وأبوه مات وهو صغير، فكان لا يملك ثمن شراء الكتب، فكان يذهب للحانوت الذي يبيع الكتب فيسأل البائع ما ثمن الكتاب، يقول له بكذا، فيقول له: هل تسمح لي بأن أجلس بجوارك وأتصفَّحه، فيقول له: تفضَّل يا بني، فيجلس سويعات قليلة، وبعد ذلك يقول له: الحمد لله أنا حفظت الكتاب كله من أوله إلى آخره، فما يقرأه يحفظه، وليس يفهمه فقط بل يحفظه حفظاً جيداً!!.

ولذلك هذا كان عتب الإمام مالك ﵁ منه، لما دخل عليه ليطلب العلم منه، فقال له: اقرأ كتاب الموطأ، فقال له: أنا أحفظه، فقال له: أحفظت الموطأ؟! قال: نعم، فقال له: اقرأ، فوجد قراءة صحيحة سليمة فيها جودةٌ في النطق وفيها سلاسةٌ وعذوبة في نطق الألفاظ، والرجل حفظ الكتاب كله من أوله إلى آخره، بماذا؟ بالبركة التي يبارك الله ﷻ فيها للمؤمنين الذين يحسنون التوكل على رب العالمين ﷻ.

إقامة الصلاة

أما الصفة الثالثة لهؤلاء المؤمنين الصادقين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾:

وإقامة الصلاة - باختصار شديد - أن يتشبه الجسم بظاهر رسول الله في هيئة الصلاة في القيام والركوع والسجود والتلاوة والتسبيحات، وأن يكون القلب - على قدره - حاضراً وخاشعاً بين يدي الله متابعاً في ذلك سيدنا مولانا رسول الله ﷺ.

فإقامة الصلاة أن تَحضر الروح مع الجسم والقلب في أداء الصلاة بين يدي الله ﷻ، فإذا حضر الجسم وغاب القلب فهذه ليست صلاة، النبي ﷺ قال فيها لأحدهم:

{ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ } [12]

ووجد آخر يصلي ويُحرك يده وبعض جوارحه، وعبث بلحيته فقال:

{ أَمَّا هَذَا فَلَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ } [13]

أما الصلاة التي فيها إقامة لله هي الصلاة مع الروح ومع الجسم، فيكونوا كلهم صفاً واحداً في مواجهة الواحد، وإليهم الإشارة بقول القائل فى الأثر الشهير الذي يقصد به كل صفيٍّ إذ وقف يصلى لله:

---

١٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٣ مسند زيد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

{ إن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج }

الناس فهموا أنه الصف الذي هنا، لكنه صفَّك أنت، الجسم هنا، والقلب في البيت، والروح في مكان آخر، والسر في مكان آخر، فيكون صفَّك أنت أعوج، فمن الذي ينظر إليه؟! فلا بد أن يكون الصفُّ مستقيماً أمام الكريم، القلب مع الروح مع السر مع الجسم بين يدي من يقول للشيء كن فيكون.

مدح الله هذه الصلاة فماذا قال؟ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ (٢المؤمنون) لم يقُل راكعون أو ساجدون لأنها لا تنفع إلا بالخشوع، والخشوع يحتاج حضور القلب بين يدي من يقول للشيء كن فيكون، قال الله تعالى في حديثه القدسي:

{ إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي، وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِي، وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِي، وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِي ذِكْرِي وَرَحِمَ الْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالأَرْمَلَةَ، وَرَحِمَ الْمُصَابَ، ذَلِكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ، أَكْلَؤُهُ بِعِزَّتِي، وَأَسْتَحْفِظُهُ مَلائِكَتِي، أَجْعَلُ لَهُ فِي الظُّلْمَةِ نُورًا، وَفِي الْجَهَالَةِ حِلْمًا، وَمَثَلُهُ فِي خَلْقِي كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْجَنَّةِ }[١٤]

١٤ مسند البزار وحلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنه

الإنفاق

والله ﷻ أفاء على العبد نعماً في هذه الحياة الدنيا، فلا بد وأن تكون الصفة الرابعة: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ رزقهم مالاً ينفقون من هذا المال على الفقراء

والمساكين، رزقهم علماً ينفقون من هذا العلم في تعليم الجهلاء من المسلمين، رزقهم الله جاه ينفقون هذا الجاه في توصيل الضعفاء والفقراء من المسلمين إلى المسئولين لقضاء حاجاتهم، رزقه الله ﷻ بسطة في الولد يجعل هذا الولد حمايةً للمستضعفين حتى لا يفتك بهم الأقوياء والمتشددين.

فمن أي رزقٍ رزقه الله يُنفق من هذا الرزق ليكون من المؤمنين الذين يقول فيهم الله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ :

ونأخذ واحداً منهم وهو سيدنا حارثة ﷺ، يسأله سيدنا رسول الله ذات صباح: { كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، قَالَ: أَصْبَحْتُ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنْ الدُّنْيَا وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي قَدْ أُبْرِزَ لِلْحِسَابِ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عُوَاءَ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ لَهُ: عَبْدٌ نَوَّرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، إِذْ عَرَفْتَ فَالْزَمْ }[١٥]

١٥ مصنف ابن أبي شيبة

اجتهد في طاعة الله:

إذاً الطاعة التي تُقرب إلى الله لا ترفع إلا بعد الزهد في طيبات هذه الحياة، لكن يشتغل بقيام الليل، ويكون في النهار مشغولاً بقضاء طلبات بطنه وفرجه، فمال هذه وطاعة الله التي قام بها لله جل في علاه.

فهذا الزهد الأول، يقضيها من حلال لكن لا يبحث عن الحرام الذي حرمه الله وجعل لمن يصنعه الذنوب والآثام.

قد يقوم الليل ويجلس بالنهار وعينه لا يستطيع أن يغضها عن النظر إلى الذاهبات والآتيات، هل ترفعه هذه الطاعة؟! وهل ينتفع بهذه العبادة؟! لا، فلا بد أولاً للزهد.

قال: (عَزَفَتْ نَفْسِي عَنْ الدُّنْيَا وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي) ... فماذا كانت النتيجة؟ أفاض الله عليه روحانية وشفافية وصفاء ونقاء ونور ينظر به إلى ملكوت السماء:

(وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي قَدْ أُبْرِزَ لِلْحِسَابِ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عُوَاءَ أَهْلِ النَّارِ) ....

فقال ﷺ لمن حوله:

(عَبْدٌ نَوَّرَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، إِذْ عَرَفْتَ فَالْزَمْ).

جزاء الصادقين

هؤلاء الصادقون المؤمنون حقاً، ماذا لهم عند الله؟

﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ هذه الدرجات عند رفيع الدرجات لا يستطيع الإحاطة بها أحدٌ من خلق الله في هذه الحياة الدنيا، لأن الحبيب قال في شأنها:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَعَدَّ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[١٦]

هؤلاء القوم لهم درجات:

وهناك جماعة أخرى وصفهم الله أنهم هم أنفسهم الدرجات:

﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (١٦٣آل عمران) ...

وفارق كبير بين ما:

- كانت له درجات!

١٦ صفة الجنة لأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

- والذين هم أنفسهم الدرجات التي جعلها الله ﷻ وأعدها للصالحين والصالحات.

﴿ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾:

ومن فاز بالمغفرة فقد فاز بالنجاة والنجاح والخير العميم يوم الدين، ولهم رزقٌ كريم يأتيهم من حضرة الكريم.

وما هذا الرزق؟

- مشاهدات !!!
- وتنزلات !!!!
- وفيوضات !!!
- وإلهامات !!!
- وعلومٌ وهبية !!!!
- وأسرار قرآنية !!!!!
- وحكمٌ قدسية !!!!!
- وغيرها من العطاءات الربانية التي يُفيضها الله على هؤلاء القوم الذين تخلقوا بأخلاق المؤمنين الصادقين.

نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

وأن يجعلنا من الصادقين في طاعته، ومن المخلِصين في عبادته ... ومن المُخلَصين في ديوان حضرته ...

وأن يرزقنا الصفاء والنقا!

ويتنزل لنا بعظيم النور والضياء ....

ويجعلنا دائماً وأبداً على وصلةٍ بإمام المرسلين وسيد النبيين، وتأتينا منه النفحات النبوية على الدوام في كل وقتٍ وحين ....

وأن لا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، وأن يكفينا بحلاله عن حرامه، ويُغنينا بفضله عن جميع من سواه، وأن لا يُحوجنا إلى خلقه طرفة عين أو أقل ....

وأن لا يجعلنا نمد الأيدي إلا إليه، ولا نرفع الأكَّفَ إلا إليه، ولا نستمد الفضل والخير إلا من بين يديه، وأن يجعلنا في الآخرة من خيار المقربين الناظرين إليه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

إشارات في الآيات لأهل المجاهدات[17]

ينقسم الجهاد إلى نوعين رئيسيين:

جهاد الأعداء المغايرين الخارجين وهم الكفرة والمشركين وما يتبعهم وهو جهاد خارجي، وهناك جهاد داخلي وهو جهاد النفس.

وكما أن الجهاد الخارجي له غنائم يحصل عليها المجاهدون نتيجة الحرب، فكذلك من جاهد نفسه فله غنائم.

الذين دخلوا حرباً ضد أعدائهم فمن حقهم أن يأخذوا ما كان بصحبة هؤلاء في حربهم ضدهم؛ غنيمة لهم لأنهم جاهدوا، وهذه غنيمة جاءت عن طريق الحرب والكر والفر والقتال.

أما من يجاهد نفسه حتى ينتصر عليها فيحصل على غنائم أخرى تسمي غنائم باردة، تأتي من الحضرة الإلهية، وهذه الغنائم عبارة عن فتوحات إلهية، عطاءات ربانية لأهل هذا الجهاد الذي يجاهد فيه الفرد نفسه.

١٧ طفنيس – الطومية– إسنا ٢من جماد الأول ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٢/١١م

ولذا ركَّز الصالحون مع المريدين والسالكين على جهاد النفس، لأنهم ذهبوا إليهم طمعاً في الغنائم الإلهية والأحوال التي رأوها في الصالحين، والعطاءات التي أغدقها الله على الصالحين، فلذا لا بد من جهاد النفس.

ولذلك كانت نصيحة الصالحين للسالكين والمريدين **(لا تنظر إلى الشيخ في نهايته ولكن انظر إليه في بدايته)** لأنه في النهاية يكون حوله الآلاف، وهذا يريد أن يُقبِّل يديه، ومن يقبل رأسه، فينظر المريد إلى ذلك فيضيع، لكن انظر إلى الشيخ في البداية، ماذا كان يصنع؟.

فمن أراد غنائم النهاية لا بد أن ينظر إلى الشيخ في البداية، كيف كان يجاهد نفسه في ذات الله، وهذا هو المشهد الذي لا بد أن لا يضيع عن الصادقين.

وما ضيع كثير من الأحباب إلا بهذه النظرة؛ يري الشيخ والجموع حوله، لكن الشيخ لا يري من ذلك شيء، لا يري إلا وجه الله تعالى.

فيريد أن يكون مثل الشيخ في التفاف الناس حوله، والشيخ لو كان يريد ذلك لما تم له ذلك، لأنه عند الله ﷻ من أراد أن يكون شيئاً لا يكون.

لكن من سلَّم مراده للمراد ﷻ، يأخذ من الله ﷻ سر من أسرار كن فيكون، لأنه لا يريد، قال ﷺ لمن يطلب الإمارة والحكم:

{ إِنَّا لا نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ ولا من حرص عليه }[18]

من يطلب الحكم لا نوليه !!! ...، والزاهد فيه هو من نوليه، لأنه سيضطر إليه ليرضي الله ﷻ.

فالصالحين الكُمَّل يجاهدون حتى يصلوا إلى درجة الصفاء والنقاء، وفي هذه الحالة لن يريد الخلق بالكلية، ويريد أن يظل في نعيم المشاهد العلية، والتجليات الوهبية، والأنوار القدسية، يعيش في هذا الصفاء والهناء ويبتعد عن الخلق بالكلية، ولذا كثيراً منهم كان يعيش في الخلاء؛ السيدة رابعة العدوية كانت تقول: **((راحتي يا إخوتي في خلوتي))** لأن فيها الصفاء والهناء لها.

لكن هم يريدون أمراً، والله ﷻ يريد أمراً، وهم لا يخالفون أمر الله طرفة عين ولا أقل؛ والله يريد انتفاع الخلق، فيطلب منهم ذلك، فيتحملون المشاق والمتاعب؛ متاعب السفر، ومشاكل الأحباب، والعناء، ليرضي من يقول للشيء كن فيكون.

سيدي أبو الحسن الشاذلي كان يتعبد لله ﷻ في خلوة في جبل في شاذله:

١٨ فتح البارى فى شرح صحيح البخاري عن ابى موسى رضي الله عنه، وأوله أنه قال: دخلتُ على النبيِّ ﷺ أنا ورجلانِ من قومي، فقال أحدُ الرجُلين: أَمِّرْنا يا رسولَ اللَّه، وقال الآخَر مثلَه، فقال ﷺ {الحديث}.

وظل هناك سبع سنوات، حتى وصل إلى درجة عالية من النقاء والطهر والجمال والصفاء، ثم جاء له هاتف إلهي وقال له: ((يا علي انزل اهدي الناس إلينا، قال يا رب تتركني للناس هذا يطعمني وهذا يحرمني!؟قال: يا علي انزل وأنا الملي، سأعطيك إما من الغيب وإما من الجيب))!!!!

لأنه كان متفرغاً لطاعة الله في الجبل، وأكله كان من حشائش الجبل، وهذه الحشائش كان الله يعطيه فيها جميع الأطعمة والنكهات التي تخطر على بالك، لأنه إذا قام بتنفيذ أمر الله جل في علاه سيعطيه من الغيب حديث بحديث.

وتلميذه النجيب أبو العباس المرسي ﷺ أدخله شيخه في ميدان المجاهدة حتى وصل إلى المشاهدة، كان يقول :ما خرجت إلى لقاء الخلق إلا بعد أن هُددت بسحب العطاء.

هؤلاء هم الصالحون وأحوالهم، أما من ينظر إلى هذه الأحوال ويريد أن يكون مثلهم لن يحدث إلا إذا شاهدت كيف كانت البداية، ولذا لا بد أن تجاهد نفسك، ولا يكون لك مطلب إلا رضا الله ﷻ.

لكن تريد أن يكون لك كرامات، ويلتف الناس حولك، ومن يقول لك ادعوا لي، ومن يقبل يدك .. فهذه فتنة، ومن يقع فيها من الصعب أن يخرج منها، يقول الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه في هذا المجال:

والخلق فتنة من أردت صدوده وشهود أهل البعد في الأدوار
وإذا رأيت الخلق مقبلة فلا تركن ركون مقرب من نار

إياك والركون والفرح بهم؛ لا تفرح إلا بالله، أما الصالحين فقال الإمام أبو العزائم ﷺ فيهم:

وإذا دعاهم أن يدلوا غيرهم قاموا بحول منه لا بفخار
يدعون والرهبوت ملء قلوبهم بالهدي هدي المصطفى المختار

هذه أحوال الصالحين، فمن أراد أن يكون مثلهم لا بد أن يرى كيف كانت بدايتهم حتى يسير على هذا المنوال، لكن أن يذهب إلى ساحة أحد الصالحين، ويُعجب بالساحة، ويريد أن يكون له ساحة مثلها، فماذا فعلت ليُبنى لك ساحة مثلها؟!

ولو عملت لك ساحة وأنت في هذه الحالة سيسيطر عليك إبليس وستضيع.

لكن هل هذا الرجل الصالح هو من عمل الساحة؟ لا !!

لكنه عندما كُلِّف بدعوة الخلق إلى الخلق سخر الله له أناساً آخرين ليعينوه على دعوة الله، فمنهم من يحضر الطعام، ومن يحضر الشراب، ومن يجهز المكان، والشيخ ليس له دخل بهذا الأمر، وليس محل نظره ولا محط بصره، لأنه مشغول بالله !!!

وهكذا كل الصالحين السابقين واللاحقين، فآفة الآفات أن ينظر المريد إلى الشيخ في نهايته!!! ويريد أن يكون كهيئته.

وأنا أحيانا أري لقطات متفرقات في البلاد؛ أن بعض الأحباب عندما يجلس مع إخوانه فإنه يمثل دور الشيخ بالضبط، وهذا الحال لا ينفع فيه تمثيل، أنت عليك مجاهدة نفسك لله، ولا تطلب إلا وجه الله، لكن إذا طلبت الظهور ستكون حياتك كلها في غرور وتضيع، وساعة خروجك من الدنيا تقول: يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله.

هب أن جميع الخلق ساروا خلفك؛ ما الذي سيفعلونه لك؟ لا شيء، لكن الصادق يريد رب العزة ﷻ، ولو كُلِّف بدعوة الخلق يدعوهم للخالق ﷻ.

ولذلك علامة الصادق أنه لو حضر له كل من في البسيطة لا يفرح بهم؛ ولو تخلوا عنه جميعا لا يحزن، وإنما يحزن إذا حدث بينه وبين مولاه قطيعة أو بعد، لأنه يريد وجه الله جل في علاه، والصادق في هذا المقام والذي سيجاهد نفسه تأتي له الغنائم.

لكن من يُنصِّب نفسه شيخًا سيأخذ الكتب ويقرأ فيها ويقول للناس منها، أو يسمع مثل هذه المحاضرات ويكررها ليقال أنه مثل الشيخ فلان.

لكن الصالحون لم يكونوا كذلك!!

كان سيدي أبو الحسن الشاذلي يحضر مجلسه البارزين، فيقول: تكلم يا فلان، فيحكي مما سمع أو قرأ، ثم يقول للآخر: تكلم يا فلان فيقول كلاماً مما قرأ أو سمع، فيقول لهم: حدثونا بما فتح الله عليكم ولا تحدثونا عن غيركم!! ... أنت تحدثني عن ابن عطاء، أو ابن العربي، أو غيرهما!! هؤلاءكتبهم موجودة!!

أنا أريد ما أفاء الله به عليكم: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ (٦الإنسان) لم يقل يشرب منها، بل يشرب بها.

هذه العين سيشربون بها شراب الحقائق من عند الله ﷻ، لكن لا بد لهذه العين أن تطهر، وهذه العين لكي تحصل الغنائم فلا بد من:

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾:

أصلح قلبك، وهذب نفسك، فهؤلاء هم من يتشاكسون بداخلك، فاصنع لهم محكمة صلح إلهية؛ تصلح النفس مع العقل مع القلب مع الروح، وعندما يتم الصلح يتم المراد، يقول في ذلك سيدنا رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ بُدَلاءَ أُمَّتِي لَمْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِكَثْرَةِ صَلاتِهِمْ وَلا صِيَامِهِمْ، وَلَكِنْ دَخَلُوهَا بِسَلامَةِ صُدُورِهِمْ، وَسَخَاوَةِ أَنْفُسِهِمْ }[١٩]

البدلاء :

هم من بدَّل الله صفاتهم بصفات الحبيب، وقد يبدل الله صورهم فتكون لهم أكثر من صورة، صوره هنا، وصوره في أندونيسيا مثلاً، وصورة في ماليزيا .. يدعون إلى الله في وقت واحد!!.

١٩ شعب الإيمان للبيهقي

سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه:

جاءه جمع من الأحباب، كل واحد منهم على حدة؛ يطلبون منه تناول الغذاء عندهم يوم الجمعة، فأجاب الجميع، وبعد الصلاة جلس في منزلة مع المريدين وتناول الغذاء معهم، وبعد قليل جاء رجل فشكر الشيخ على تشريفه له وتناوله الطعام عنده اليوم، والشيخ جالس مع مريديه!! وبعد قليل جاء رجل آخر فشكره على تناول الغذاء عنده، ما هذا؟! هذه الأحوال التي تجري على أيدي الرجال دون تكلف أو افتعال، إنما فضل من الواحد المتعال ﷻ.

وهؤلاء حتى يقيم الله بهم الدعوة لن يستطيعون أن يكونوا في كل الأماكن، فلذا ينشئ الله لهم صوراً في عدة أماكن لتقام دعوة الله.

فقال ﷺ في هؤلاء الرجال:

{ إِنَّ بُدَلاءَ أُمَّتِي لَمْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِكَثْرَةِ صَلاتِهِمْ وَلا صِيَامِهِمْ، وَلَكِنْ دَخَلُوهَا بِسَلامَةِ صُدُورِهِمْ، وَسَخَاوَةِ أَنْفُسِهِمْ }[٢٠]

هذه هي: ﴿ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ (٨٩الشعراء) ليس بعمل كريم، ولا عمل عظيم،

لكن العبرة بالقلب السليم، وعندما تفضل الله ﷻ على سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام بالخلة وضح سبحانه سبب ذلك فقال:

---

٢٠ شعب الإيمان للبيهقي

﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٤الصافات).

فأهم شيء هو سلامة القلب من الكراهية والبغضاء والأحساد والأنانية والأثرة وحب الدنيا .. وكل الصفات الدنية التي أشار الله إليها في آياته القرآنية، وبينها بتوسع خضرة النبي ﷺ في الأحاديث الشريفة.

نَفَسٌ بقلب سليم رفعة ورضا وألف عام بلا قلب كلحظات

نَفَس واحد يتنفسه رجل منهم بعد القلب السليم أحسن ممن ظل ألف عام يتعبد لله وقلبه شارد وغائب!!:

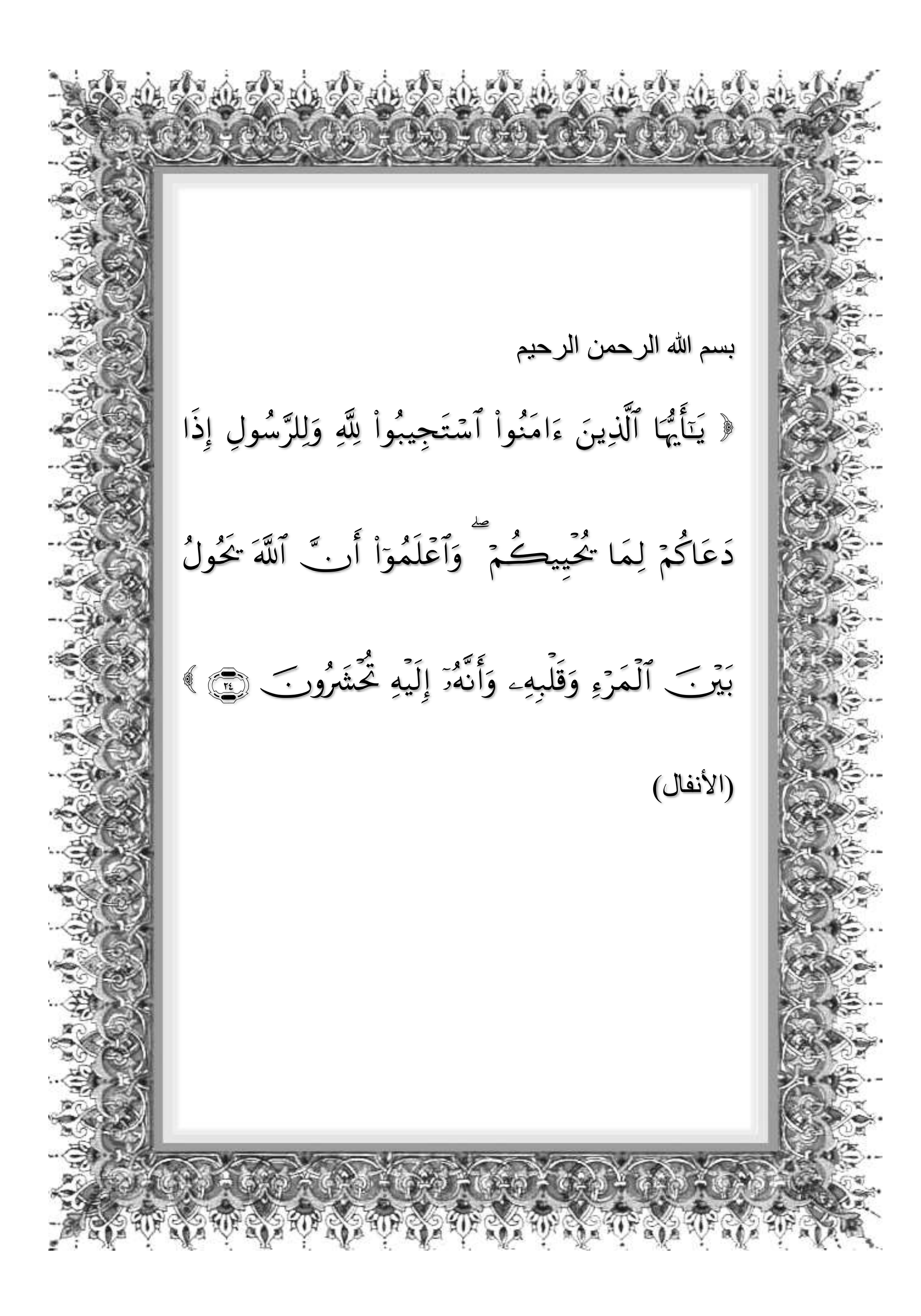
إذا صفا القلب من وهم وشبهات يشاهد الغيب مسروداً بآيات

يشاهد الغيب، يكون في مقام العبودية التامة لله ﷻ ويحصل الغنائم الإلهية، وهذه الغنائم هي نفحات ربانية تنزل على القلوب:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤الفتح)

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (٢٨الرعد).

كل العطاءات الإلهية تنزل على القلب، لذلك لا بد أن يجهز القلب، حتى يحظي الإنسان بغنائم فضل الله التي جهزها للصالحين من عباد الله. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾

(الأنفال)

٢١: منازل الاستجابة[1]

لو أحدنا جاءته رسالة من إنسان عزيز عليه كإبن غائب في بلاد بعيدة، أو أخ عزيز ساكن في منطقة أُخرى، وأراد قراءة الرسالة ماذا يفعل؟ يُسكت كل من حوله، حتى يعرف ماذا في الرسالة، وإذا كان لا يجيد القراءة يبحث عن قارئ ويقول له: أنا أريد أن أعرف ماذا في الرسالة، ولمعزَّة صاحب الرسالة عنده ينظر في طلباته ويسارع في تنفيذها ليعرف أنه عزيزٌ عنده، وله شأنٌ لديه.

ولا أعز في قلوبنا، ولا عندنا من الله جل في علاه، وستكون مصيبة لو كان هناك من هو أعز منه، فأعزُّ ما في قلوبنا هو الله، وبعده سيدنا رسول الله ﷺ.

والله ﷻ أرسل لنا في القرآن مع حضرة النبي العدنان إثنين وثمانين رسالة، ولا يوجد في الإسلام جاهل، ولو كان جاهلاً فقد قال له رب العزة: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل) لم يقل أهل العلم، فأهل الذكر يعني الذين عملوا بالعلم، فالعلم يأمر بذكر الله، وهم عملوا بما أراده الله، حتى اخترقت قلوبهم الحُجب وأصبحت تستمد من حضرة الله جل في علاه.

---

[1] مسجد الخن – إسنا ٢٨من ربيع الآخر ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٢/٧م

بعث لنا بهذه الرسائل لكي نقرأها رسالة رسالة، فنعرف ماذا فيها، وننفذ ما فيها، وأرسل لنا خطاب كان تمهيداً لخير كتاب أنزله لنا على النبي ﷺ، يقول فيه رب العزّة لنا ولمن قبلنا ولمن بعدنا:

{ يا عبدي أما تستحي مني يأتيك كتاب بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي، فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك منه شيء، وهذا كتابي أنزلته إليك، أنظر كم فصلت لك من القول، وكم كرّرت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه، ثم أنت معرض عنه أفكنتُ أهون عليك من بعض إخوانك؟ يا عبدي يقص إليك بعض إخوانك، فتقبل عليه بكلّ وجهك، وتصغي إلى حديثه بكل قلبك، فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كفّ، وها أنا ذا مقبل عليك، ومحدّث لك وأنت معرض عني بقلبك أجعلتني أهون عليك من بعض إخوانك؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. }[٢]

ولذلك أمرنا الله عند قراءة أو سماع هذه الرسائل أن لا يكون حولنا حركة ولا صوت: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢٠٤الأعراف).

٢ ورد فى التوارة، إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد

نحن نُشغِّله في الصباح في السيارات والركاب يتحدثون مع بعضهم، وهذا لا يليق بمقام كلام الله، نُشغِّله في البيت أو في العمل أو في المحلات أو في المواصلات، فلا بد أن نُنصت، فإذا لم ننصت نقول: صدق الله العظيم، ونختم التلاوة لكي لا نُخطئ في حق أنفسنا، ونكون قد خالفنا منهج العزيز الحكيم ﷻ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ لماذا يا رب؟ ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢٠٤الأعراف) وكلمة لعلَّ في اللغة العربية للترجِّي، لكن لعلَّ في آيات القرآن للتأكيد: (لترحمون) للتأكيد لمراد الله ﷻ.

القرآن فيه خطاب لكل الناس، وهي خطابات يبدأها الله بـ (يا أيها الناس) وهناك خطابات لبني آدم: (يا بني آدم) لكن الخطابات العالية والغالية التي يبدأها بـ (يا أيها الذين آمنوا) وانظر عندما ينادينا الله ﷻ ويُعظمنا ويُفخمنا ويُبجلنا ويكرمنا.

كان يخاطب اليهود في كتب التوراة وغيرها بـ: (يا أيها المساكين) لكن يقول لنا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ كان أصحاب رسول الله رضوان الله تبارك عنهم أجمعين عندما يسمعون النداء يقولون: لبيك اللهم لبيك، يعني نحن مسرعين إلى تلبية النداء والإستجابة إلى كلام رب الأرض والسماء ﷻ.

الخطاب للمؤمنين، لكن عندما نسمع الآية نجد فيها عجباً إلا للمتدبرين في كلام رب العالمين، فالقوم الذين آمنوا معناها أنهم صدقوا بالله وبالرسول وبكتاب الله ومشوا على شرع الله الذي علَّمه إياهم رسول الله ﷺ أو أحد ورثته الكرام.

حياة المؤمنين

لكن الله هنا يقول لنا:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾:

وهل نحن لسنا أحياء الآن؟!

فكأن كلمة حياة في كتاب الله لها معنى آخر غير ما يعرفه الناس، فالناس يقولون: إن فلان حيٌّ يعني يتحرك ويأكل ويشرب وينام، ويذهب ويجيء، لكن الله ذكر أن من يأكل ويشرب ويذهب ويأتي ولا يؤمن بالله، ولم يستجب لله، فيكون عايش فقط وليس حيًّا:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (١٢٤طه).

ليست حياة ولكنها معيشة، أقول هذ الكلام لأن شبابنا مفتونين بالقوم العايشين، وهم أهل الغرب، مع أنهم لو قرأوا عنهم في كتاب رب العالمين لتبرأوا منهم ومن كل ما يأتي من عندهم أجمعين.

هؤلاء القوم لا يغرُّكم أكلهم وشربهم، قال الله: ﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (١٢محمد) يأكلون كما تأكل الأنعام لا يسمون ولا يحمدون الله على عطاياه، ولا يشكرون الله على النعم التي أفاء عليهم بها، لكن المؤمن يعمل بقول الله: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ (عبس) يتدبر وهو يأكل.لكن من لم يشكر الله على عطاياه فقد خرج عن الحياة الإيمانية التي اختارها لنا الله جل في علاه، فهؤلاء القوم زادوا في البعد عن الله وغرقوا في معاصي الله، قال الله:﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ (١٧٩الأعراف)

هؤلاء ليسوا كالأنعام بل هم أضلُّ من الأنعام، لأن الأنعام ذللها لنا الله، فتمشي كما أمرها رب العزة ﷻ، الجمل إذا هاج من يستطع أن يقف أمامه من البشر؟ لا يوجد، ولكن لأن الله ذلَّله لنا فطفلٌ صغير يستطيع أن يجرُّه ويمشي به كما يريد، لأنه مستجيب لأمر الله: ﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ ﴾ (٧٢يس).

من يستطيع أن يُسخِّر هذه الركائب التي سخَّرها لنا الله؟! ولذلك يجب عندما نركبها نقول : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ (١٣الزخرف)،

فإذا لم يُسخِّرها لنا ﷻ فمن يقدر أن يُسخِّر دابة من هذه الدواب؟!

فهي مُسخَّرة بأمر الله أولاً، ولا تغفل عن ذكر الله لحظة ثانياً: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤٤الإسراء)، ولذا قال ﷺ منبها ومعلما:

{ لاَ تَلْطِمُوا وُجُوهَ الدَّوَاب فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُسَبحُ اللَّهَ بِحَمْدِهِ }[٣]

٣ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَ أبو الشيخ كر، جامع المسانيد والمراسيل

وحضرة النبي ﷺ ضرب أمثلة عديدة لأصحابه، يقول سيدنا أبو ذر ﵁:

{ إِنِّي لَشَاهِدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَلْقَةٍ، وَفِي يَدِهِ حَصَيَاتٌ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُمْ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَسَبَّحْنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُمَرَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَى عُثْمَانَ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا فَلَمْ يُسَبِّحْنَ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا } [٤]

ويحكى سيدنا أنس ﷺ أنه: { أتى رسول الله ﷺ بطعام ثريد، فقال: إن هذا الطعام يسبح قالوا: يا رسول الله، وتفقه تسبيحه؟ قال: نعم!. ثم قال لرجل: ادن هذه القصعة من هذا الرجل فأدناها منه فقال: نعم يا رسول الله، هذا الطعام يسبح فقال: ادنها من آخر وأدناها منه فقال: هذا الطعام يسبح. ثم قال: ردها فقال رجل: يا رسول الله، لو أمرت على القوم جميعا، فقال: لا إنها لو سكتت عند رجل لقالوا من ذنب ردها فردها } [٥]، فالكل يُسبّح لله ﷻ، ولذلك يقول ﷺ في الأحاديث الشريفة:

---

٤ معجم الطبراني ودلائل النبوة لأبي نعيم
٥ الدر المنثور والعظمة لأبى الشيخ، عن أنس

{ ما اصطيد طير في بر ولا بحر إلا بتضييعه التسبيح }[٦]

{ آجال البهائم كلها وخشاش الأرض والنمل والبراغيث والجراد والخيل والبغال والدواب كلها وغير ذلك آجالها في التسبيح، فإذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها، وليس إلى ملك الموت منها شيء }[٧].

وقالﷺ أيضا للسيدة عائشة ؓ معلما لها وللمسلمين والمسلمات:

{ يا عائشة اغسلي هذين الثوبين أما علمت أن الثوب يسبح، فإذا اتسخ انقطع }[٨]

أى تسبيحه، فالشجرة التي تغفل عن ذكر الله لحظة فماذا يكون عقابها؟ أن تُقطع، وكذلك الدابة أن تُذبح، فهم يُسبحون الله على الدوام.

لكن الكافرون والمشركون والمُبعدون فإنهم يحاربون الله، ويحاربون دين الله، ويحاربون كتاب الله، ويحاربون رسول الله، ويحاربون جماعة المؤمنين، فهؤلاء مهما كان معهم من الحياة المادية التي نراها فهي فتنةٌ لهم، وإملاءٌ من الله لهم، فشغلهم الله بهذه الأشياء حتى لا يرجعون إليه ويتعرفون عليه: ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ (٤٥القلم).

---

٦ أخرجه ابن عساكر من طريق يزيد بن مرثد ، الدر المنثور
٧ أخرجه العقيلي في الضعفاء وأبو الشيخ والديلمي عن أنس رضي الله عنه ، الدر المنثور
٨ رواه الخطيب وابن عساكر عن عائشة.

وكيف تكون الحياة؟ الحياة تكون بحياة القلب، وحياة الروح وحياة الفؤاد، وهذه الحياة لا تتم إلا بعد الإيمان والإستجابة للنبي العدنان ﷺ...

﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ لكي يبين لنا الله ﷻ منزلة حضرة الرسول ودرجته عند رب العزة ﷻ أمرنا أن نستجيب لله وللرسول.

﴿ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ لم يقل: إذا دعاكما، فمن الذي يدعوا؟ رسول الله هو الذي يدعوا، ولكن: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (٨٠النساء) حتى لا نقف عند هذه الجزئية فنعلم أن كل ما يفعله وما يقوله إنما هو وحيٌّ من عند الله وليس من عند نفسه.

سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه كان يكتب الأحاديث لرسول الله ﷺ، فقال له قوم ممن حوله: إنك تكتب الأحاديث وستختلط بالقرآن، والنبي بشرٌ مثلنا ـ وهذا ما يقوله بعض المعاصرين ـ فذهب لرسول الله ﷺ وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْتُبُ عَنْكَ مَا سَمِعْتُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَى؟ قَالَ: نَعَمْ، فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولَ فِي ذَلِكَ إلا حَقًّا }[٩]

---

٩ صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ (٣النجم) لا يميل هنا وهناك، فكل هواه في مولاه، وكل ما يريده هو أن يبلغ رسالات الله إلى خلق الله، وكل ما يُحزنه إذا رأى رجلاً لا يستجيب لله، إشفاقاً عليه، لأن الله ملأ قلبه بالشفقة والحنان والعطف على جميع الكائنات، وليس للمخلوقات الأرضية فقط، ولكن لجميع الكائنات صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى ﷺ، قَالَ:" كُنْتُ أُصَلِّي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَانِي، فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ((يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ)) "}[١٠]

كان يُصلي نافلة، وإجابة رسول الله فرض، والفرض مُقدَّم على النافلة، وما دام نادى عليه رسول الله فلا بد أن يُسلِّم ويُلبي رسول الله أولاً، ثم يُصلي ما شاء من النوافل بعد ذلك.

ولذلك الأئمة استنبطوا من هذه الآية ومن هذه الحادثة، أن الإنسان لو كان يُصلي في البيت نافلة - والإسلام أمرنا أن لا نحرم البيوت من بعض النوافل حتى لا تكون كالمقابر - ونادى عليه وهو يصلي أبوه أو أمه، فماذا يفعل؟ يسلِّم ويجيب أباه وينظر ما يريده منه، أو أمه ماذا تريد منه، لأن طاعة الأب والأم فريضة، وصلاته التي هو فيها نافلة.

١٠ صحيح البخاري وسنن أبي داود

بعض الشباب وقعوا في مشكلة في هذا الزمان، ويسألوننا فيها، والفتوى فيها زادت عن الحد، يقول: أنا أريد الزواج من فلانة وأبي غير موافق وأمي غير موافقة، وأنا قلت لهما: إني سأتزوجها رغماً عنكما، فأقول له: يا بني إن الزواج سُنَّة، وطاعة الوالدين فرض، فكيف تُنفِّذ السنة بضرب الفرض؟!

فانتبهوا يا شباب من هذا الأمر، طاعة الأبوين فريضة، لكن الزواج كله قال فيه ﷺ: { النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي } [11]

فالأولى هنا طاعة الأبوين، أحاول أن أقنعهم، أو آتي بأصدقاء لهما ليقنعوهما، فإذا أصرا أعلم أن هذا الأمر ليس فيه خير لي، والله ﷻ لا يريده لي، لأن الله لو يريده لي سيوافق الأبوين، وسيُحنِّن قلوبهما فيمشيان كما أريد، وهذا المنهج الإسلامي الذي علَّمه لنا كتاب الله وسيدنا رسول الله:

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ :

كيف نستجيب لله وللرسول؟ نستجيب للأوامر التي جاء بها الله، وبلَّغها لنا رسول الله، يعني ننفِّذ مطالب الحضرة الإلهية التي كان ينفذها الحضرة المحمدية، أمرنا الله بالصلاة، فنستجيب، وكيف نُصلي؟ قال ﷺ:

١١ سنن ابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي } [12]

فالكيفية عند الحضرة المحمدية!.....

وكل ما طلبه منا الله ﷻ فهو الذي نستجيب له، يعني أن نسارع إلى تنفيذه، ونسارع إلى العمل به، على المنهج الذي كان الحبيب ﷺ يؤديه به ويعمله به، لأن الله ﷻ جعله ميزان الأحوال، وميزان الأعمال للمسلمين في كل زمانٍ ومكان.

إذا استجاب الإنسان ومشى على هدي النبي العدنان وتأسى به يُحيي الله قلبه، والقلب إذا احتيا فيظهر فيه كما قال الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام) فيُملأ بالأنوار الإلهية، وتُطل هذه الأنوار من هذه العين الإنسانية، وعندما ينظر الإنسان ينظر بنور الله، كما قال ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ } [13]

ونحن في هذا العصر زادت الفتن عن الحد، وكل مؤمن منا يحتاج إلى هذا الكشاف حتى لا يقع في حبائل الدجالين، ولا يحتوشه النصابين، ولا يغُرُّه إغواء الشياطين، وماذا يريد؟ يري نور السريرة، ويريد نور القلب،

---

١٢ سنن الدارقطني عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه
١٣ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

والقلب لا يستنير إلا بعد القيام بالتأسي بالحضرة المحمدية في كل الأحوال ظاهراً وباطناً، لأن الله ﷻ قال في شأنه وفي وصفه: ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (٤٦الأحزاب).

فهو السراج المنير الذي أناره الله بنوره، ومن نوره يُضيء الله ﷻ قلوب المتقين والمقربين، فيستنير بأنوار سيد الأولين والآخرين، ويمشون في الدنيا بنور الله كما كان أصحاب رسول الله المباركين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

سيدنا أبو بكر ﵁ كان قد خصَّ ابنته السيدة عائشة التقية والنقية ببستان، وهي وصية، فلما حضر الأجل وكانت جالسة بجواره فقال لها: يا عائشة كنتُ قد وهبتكِ - وليس توريث - كذا، وأريد أن تعود لكل الورثة، وإنما هما أخواك وأختاكِ، قالت: يا أبت أخواي عبد الله وعبد الرحمن، وليس لي إلا أخت واحدة هي أسماء، فكان متزوجاً بأخرى، فقال لها: انظري بطن بنت خارجة فأظن أن ما في بطنها أُنثى!! وبعد ستة أشهر ولدت بنتاً، وكيف عرف هذا؟ بنور الله ﷻ.

لم يكن هناك سونار ولا غيره، ولكن كان معه بداخله السُونار الإلهي النوراني، وشرعاً نحن لا نوّزع التركة إلا بعد أن تلد الحامل طالما هناك امرأة حامل، حتى نعرف إن كان المولود ذكراً أو أُنثى، ولو حتى عرفنا بالسونار أيضاً لا نوّزع لأن الله قد يبدّل من حالٍ إلى حال، فإذا كان ذكراً أو أنثى فيكون له نصيباً واحداً أو نصيبين.

سيدنا عمر وهو يخطب على المنبر يوم الجمعة، وجيشه يحارب في بلاد فارس وبينه وبين الجيش أربعة آلاف كيلو متراً، ولم يكن معه محمولٌ ولا هاتف شغال على المحطات الأرضية العادية، ولا غيره، ولم يكن معه حتى سماعة أرضية، ولكن معه جهاز تليفونه الإلهي، فنظر وهو على المنبر ونادى: يا سارية الجبل، وسارية كان في الميدان، والوقت وقت الظهيرة وكان يوم الجمعة، فقال: سمعتُ صوتاً كصوت عمر يقول: الجبل، فنظر إلى الجبل فوجد الأعداء يتحولون من خلف الجبل ليحيطوا بالجيش من الخلف، فتنبَّه وتم النصر ببركة نداء عمر.

وبعد أن نزل من على المنبر سأل الناس: ما الذي سمعناه اليوم من عمر؟ وقال بعضهم : هل جن عمر؟ وكان عمر له هيبة ورثها من رسول الله، فسيدنا رسول الله كان من رآه بديهةً هابه، وهي الهيبة التي نراها في الصالحين والعارفين والتي أخذوها وراثةً من سيد الأولين والآخرين ﷺ.

فلم يستطيعوا أن يكلموا عمر، فذهبوا لسيدنا علي وكان قد كتب وقت تلك الوقعة عنده، فقالوا: سمعنا عمر يقول: كذا، فقال لهم: ليخرجن مما قال، أى عمر أعلم بمخرجه، إياكم أن يخوض أحدكم في هذا الأمر، فاسألوه أولاً ثم ننظر لماذا قال هذا؟

علَّمونا أنهم يتبينوا ويتثبتوا، ولا يفعلون كما نفعل الآن فنشيع فوراً،

ولكن أذهب لصاحب الشأن أولاً وأسأله، وأتبين منه وأتثبت منه حقيقة الأمر وجلية الموضوع قبل أن أخوض في هذا الأمر كما يفعل بعض ضعفاء هذا الزمان المنتسبين إلى الإسلام.

يسمع أحد الناس يقول: أن فلاناً يقول كذا، فيصعد المنبر ويخوض في فلان، وفي رأي فلان، وهو لم يقابل فلان ولم يسمع من فلان، فهل هذه أخلاق الإسلام؟! لا، لكن أذهب لفلان أولاً وأقول له: أنا سمعت أنك قلت كذا، فما صحِّة هذا الموضوع؟ فيجيبني فأفهم منه وأعرف منه وهنا يكون الحكم الصائب في أي أمر، أو واحد قال لي: أن فلان يقول عليك كذا، فلابد أن أتبين وأتثبَّت وأتحرَّى من جلية الأمر، لأن من ينقل الكلام وصفه الله بأنه فاسق: ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ (٦الحجرات) من ينقل الأمر بين إثنين من المسلمين ليوقع بينهما فهذا فاسق، وهل أسمع لفاسق؟! لا، فلا بد أن أتبين، واسمعوا لسيدنا عمرو بن الحارث إذ يروى الواقعة ولها تخريجات وروايات عديدة:

{ بَيْنَمَا عُمَرُ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ تَرَكَ الْخُطْبَةَ فَقَالَ: يَا سَارِيَةَ الْجَبَلَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثَاً، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلى خُطْبَتِهِ، فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: لَقَدْ جُنَّ، إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحمنِ بنُ عَوْفٍ وَكَانَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنَّكَ لَتَجْعَلُ لَهُمْ عَلى نَفْسِكَ مَقَالاً، بَيْنَا أَنْتَ تَخْطُبُ إِذْ أَنْتَ تَصِيحُ: يَا سَارِيَةَ الْجَبَلَ، أَيُّ شَيْءٍ هذَا ؟ قَالَ: وَاللَّهِ إِنِي مَا مَلَكْتُ ذٰلِكَ رَأَيْتُهُمْ يُقَاتِلُونَ عِنْدَ جَبَلٍ يُؤْتَوْنَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ فَلَمْ أَمْلِكْ أَنْ قُلْتُ: يَا سَارِيَةَ الْجَبَلَ لِيَلْحَقُوا بِالْجَبَلِ. فَلَبِثُوا إِلى أَنْ جَاءَ رَسُولُ سَارِيَةَ بِكِتَابِهِ أَنَّ القَوْمَ لَقُونا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَاتَلْنَاهُمْ حَتَّى إِذَا حَضَرَتِ الْجُمُعَةُ سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي: يَا سَارِيَةَ الْجَبَلَ مَرَّتَيْنِ، فَلَحِقْنَا بِالْجَبَلِ، فَلَمْ نَزَلْ قَاهِرِينَ لِعَدُونَا إِلى أَنْ هَزَمَهُمُ اللَّهُ وَقَتَلَهُمْ. فَقَالَ أُولئِكَ الَّذِينَ طَعَنُوا عَلَيهِ: دَعُوا هذَا الرَّجُلَ، فَإِنَّهُ مَصْنُوعٌ لَهُ }[١٤].

فهم لم ينتبهوا لكلام حضرة النبي الذي قال:

{ قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، مِنْهُمْ }[١٥]

١٤ أبو نعيم في الدلائل عن عمرو بن الحارث، جامع المسانيد والمراسيل
١٥ صحيح مسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها

سيدنا عثمان بن عفَّان ﷺ كان جالساً في مجلس الخلافة، وصحابي من صحابة رسول الله جاءه لعرض قضية، وأثناء قدومه إلى دار الخلافة رأى امرأة أمامه تمشي، فهبَّت ريحٌ فكشفت ساقها فنظر لساقها، فعندما دخل الرجل على أمير المؤمنين عثمان قال له: أما يستحي أحدكم أن يدخل عليَّ وفي عينه أثر الزنا؟ فقال الرجل له: أوحيٌ بعد رسول الله يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكنها فراسة المؤمن، أما سمعتَ قول رسول الله ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[١٦]

فهل هذه النظرة تظهر في العين، أي عندما تنظر في عين رجل فهل تعلم أن هذا الرجل نظر بعينه إلى فلانة؟

لا، لكن أهل الكشف النوراني يعرفون، كيف؟ بنور الله.

وملف الأصحاب ملآن بهذه الحكايات، لأن كل واحدٍ منهم كان معه كشَّاف رباني ينظر به بنور الله إلى خلق الله، فيُعلمه الله ﷻ بحقيقة أحوال النبي ﷺ، وبحقيقة القلوب وهي التي يقول فيها الله:

---

١٦ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ (٢الطلاق).

ميزان بداخلك تزن به الأحوال !!!

فبعد الحياة الإيمانية تبدأ العطاءات والتزلات الإلهية للعبد المؤمن ....

- فقد يلهمه الله ﷻ بالعلم الإلهي: ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ (٦٥الكهف) ...

- وقد يؤتيه الله ﷻ الحكمة: ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ (٢٦٩البقرة) .....

- وقد يؤتيه الله ﷻ بصيرة مُضيئة بنور النبوة ويدخل في قول رب البرية: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ (١٠٨يوسف).

وقد يرزقه الله ﷻ من عنده قبولاً بين خلقه فيجد الخلق يحبونه مع أنه لم يقدم إليهم شيئا سر قول الحبيب ﷺ: { إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ }[١٧] .. فيُحبه أهل الأرض نظراً لأن الله ﷻ ألقى عليه محبة من عنده: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ (٣٩طه)

عطايا الله في هذا الباب لا تُحد ولاتُعد !!!!

ولكن كل ما في الأمر أن نستجيب لله !!!!

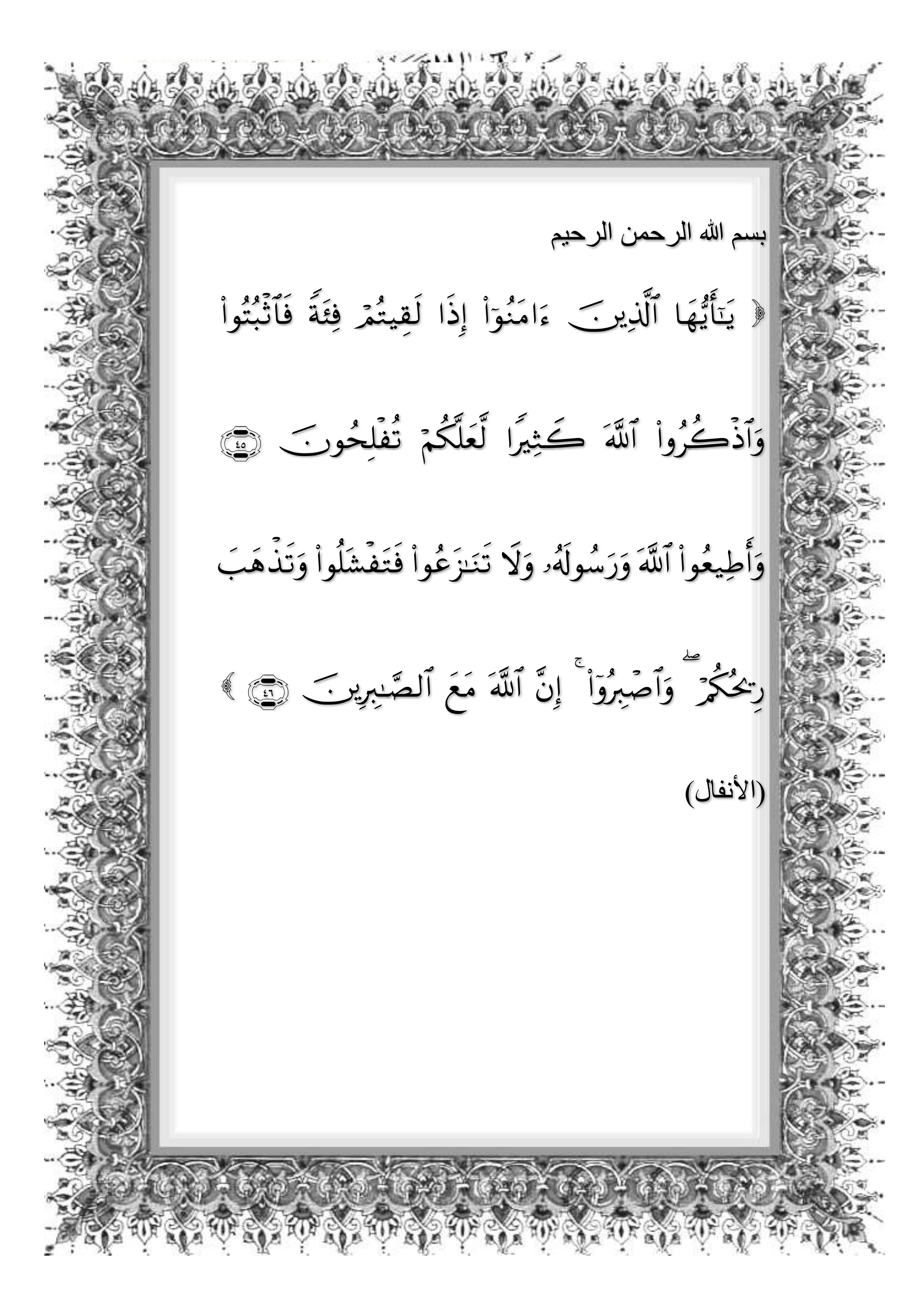
وننفذ ما طلبه منا الله، متشبهين في ذلك ومتأسين بسيدنا رسول الله ﷺ.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل ذلك، وأن يوفقنا أجمعين إلى ذلك

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٧ البخاري ومسلم عن أبي هريرةرضي الله عنه



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ ﴾

(الأنفال)

٢٢: منازل المجاهدين الصادقين[1]

في الحقيقة كتاب الله ﷻ فيه شفاءٌ لكل المشاكل، ودواءٌ لكل المشاغل، وعلاجٌ لكل المصالح، ولو اتبعناه لكنا أعلى الأمم شأناً، وأسعد الشعوب حياةً، وتكون رايتنا مرفوعة على العالم أجمع، لأنه كما قال فيه الله لنا: ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ (٤٩الكهف).

كل ما يحتاجه الإنسان في دنياه علمَّه لنا الله في كتاب الله، كيف نتكلم؟ وكيف نمشي؟ وكيف ننام؟ وكيف نأكل؟ وكيف نشرب؟ كل الحركات والسكنات التي نحتاجها في دنيانا وجَّهها إلينا مولانا ﷻ في كتابه القرآن الكريم.

المداومة على ذكر الله

وأوصانا أجمعين بأن الإنسان لو أراد النجاح في أي عمل، وأن يتجنَّب كل خطأٍ وكل ذلل، فأهم شيء يستمسك به في حياته كلها في كل أمر أن يداوم على ذكر الله، لأن الذكر هو المفتاح لكل نجاح وفلاح.

[1] مسجد الدير الشرقي – إسنا ٢٩من ربيع الآخر ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٢/٨م

والعبادات التي فرضها علينا الله إنما كانت إعداداً لنا بالكيفية الصحيحة لذكر الله ﷻ، فالله ﷻ أمرنا بالصلاة لماذا؟ ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (٤٥العنكبوت).

وهذه الآية فيها أقوال كلها صحيحة تبين قول الواحد المتعال ﷻ: فمن الممكن أن تقول أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، لكن ذكر الله الذي يداوم عليه المرء أكثر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة، لأن الصلاة لها أوقات محدودة معدودة، لكن ذكر الله على الدوام يجعل الإنسان الله منه على بال، فيراقب الله ﷻ ويخشاه لأنه يذكره جل وعلا في كل لحظاته في صبحه ومساه.

ومن المكن أن تقول وهذا عين اليقين: ذكر الله لي بعد ذكري له في الصلاة أكبر من ذكري له، لأن الله قال لنا: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ (١٥٢البقرة) فنحن نذكره في الصلاة فلا بد أن يذكرنا، فأيهما أكبر؟ ذكري أم ذكر الله؟ حاشا لله ﷻ، فذكر الله للعبد أكبر من ذكر العبد لربه في الصلاة، لأنه قال في حديثه القدسي:

{ وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ }[2]

سأذكره بين الناس، لكنه سيذكرني بين الملائكة الذين اصطفاهم وحباهم وأدناهم وجعلهم ﷻ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

فأمرنا الله ﷻ بذكره في الصلاة، ولذلك قال لسيدنا موسى الكليم: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ (١٤طه) فالصلاة لنذكر الله ﷻ.

والحج أيضاً كله لذكر الله: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ (٢٠٠البقرة) ومرةً أخرى يقول: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ (١٩٨البقرة) كل آيات الحج تحُضُ وتحُثُّ على ذكر الله ﷻ.

والصيام كذلك، فالإنسان بعد أن يعينه الله ﷻ على أداء فريضة الصيام، أمره الله ﷻ أن يُكبِّر الله ﷻ الذي أعانه وقوّاه على أداء الصيام لله: ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ (١٨٥البقرة).

٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

علَّمنا الله من هذه العبادات، ومن الآيات المبثوثات في كتاب الله، ومن أحوال حبيبنا سيدنا رسول الله، أن المداومة على ذكر الله جل وعلا فيها الصلاح والفلاح لأي أمرٍ يمشي فيه الإنسان.

فإذا ذهب ليعمل والعمل ثقيل، إذا ذكر الله ﷻ عند عمله يُخفف الله ﷻ عنه عناء العمل، حتى يعمل ولا يشعر بكسلٍ ولا خورٍ ولا ضعفٍ ولا ملل، ولذلك كان الصالحون والمتقون دائماً يذكرون الله على الدوام.

حتى في التجارة والتي كلها مشاغل، يشتري ويبيع ويساوم ويفاصل، لا ينشغل عن ذكر الله: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (٣٧النور).

حتى السوق كان سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يركب بغلته يوم السوق، ويدخل السوق يمشي فيه قليلاً ثم يرجع، ولم يشتر ولم يبع، فسألوه: لماذا جئت للسوق؟ يقول لهم: قال ﷺ:

{ مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ }[٣]

٣ جامع الترمذي وابن ماجة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لأن أهل السوق أحياناً يكونوا غافلين، وذاكر الله ﷻ بين الغافلين يكون أجره مُضاعفٌ أضعافاً كثيرة، فكان يدخل السوق ليذكر الله ﷻ.

وكان الزارع لا يضع نبتة في الأرض إلا ومعها ذكرٌ لله ليُنبتها الله نباتاً حسناً، ولا يمسك آلة أو مُعدة ويرفعها إلا ويذكر الله، ولا يُنزلها إلا ويذكر الله، فيُخفف ذكر الله عنه عناء العمل، ويجعل هذا العمل مباركاً، وثماره مباركةً بأمر من يقول للشيء كن فيكون، فالمؤمن لا بد أن يكون دائماً ذاكراً لله ﷻ.

لما أراد الله ﷻ إعزاز دينه، وبلوغ الإسلام إلى جهات العالم تولَّى بذاته تدريب المؤمنين المجاهدين الذين سيخرجون مع سيد الأولين والآخرين ناشرين لهذا الدين، معسكر إلهي، فوضع خطة النصر في أي معركة حربية أو معركة إقتصادية أو معركة سياسية، أو معركة اجتماعية.

ما خطة النصر في أي معركة يا رب؟ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ هذا الكلام للمؤمنين في عصر النبي، والمؤمنين بعد عصر النبي ونحن منهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلا نقول: أن هذا كان لأصحاب النبي ومن حوله، ونحن لا شأن لنا بهذا الأمر، وإلا فلماذا جعل الله هذا القرآن يُتلى مدى الدهر؟ حتى نعرف هذه التعليمات.

من يُرد النجاح في أي أمر لا بد أن يعمل خُطة، وديننا علَّمنا التخطيط السليم، والخطة تكون جسمانية تدريب على القوة، وعلى حمل السلاح، وعلى كيفية استخدامه، وعلى إجادة التنشين، وكلها قوة بدنية، ولكن لا بد أن يكون معها خُطة إستراتيجية، وهي الخطة التي يتوقف عليها النجاح في أي مصلحة عاجلة دنيوية، أو حربية، أو إقتصادية كما قلت.

الثبات على المبدأ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ ﴾ أول شيء لا بد من الثبات؛ الثبات على المبدأ، فإذا كان للإنسان مبدأ سيثبت عليه، فلا بد للإنسان أن يحارب، فيعمل خُطة للإصلاح بين عائلتين، أو يعمل خطة للنهوض بنفسه، أو بالمجتمع اقتصادياً، فيكون له مبدأ يريده من وراء ذلك، وخير المبادئ ما كان يريد به وجه الله ﷻ.

وضرب الله ﷻ المثل في ذلك بحبيبه الأعظم ونبيه الأكرم ﷺ لما بدأ دعوته، الكفار في مكة جلسوا مع بعضهم حول الكعبة وقالوا: ما رأيكم نريد أن نعرف نيته، فنعرض عليه إذا كان يريد أن يكون رجلاً غنياً نجمع من كل واحد منا مبلغاً من المال حتى يكون أغنانا ويترك هذه الدعوة، وإذا كان يريد الرئاسة والمنصب ويكون أمير مكة ورئيساً فنحن موافقون على ذلك، وإذا كان ما يحدث له تعب من مسٍّ من الجن أو تعب روحاني أو تعب جسماني، فنحن مستعدون أن نأتي له بالأطباء والحكماء والكُهَّان ليعالجوه.

من الذي يعرض عليه الخُطة؟ اختاروا رجلاً من وجهائهم ليعرض عليه الأمر فقال:

{ يَا ابْنَ أَخِي، أَرَاكَ أَوْسَطَنَا بَيْتًا، وَأَفْضَلَنَا مَكَانًا، وَقَدْ أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمِكَ مَا لَمْ يُدْخِلْ رَجُلٌ عَلَى قَوْمِهِ مِثْلَهُ، فَإِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ مَالا فَذَلِكَ عَلَى قَوْمِكَ أَنْ يُجْمَعَ لَكَ حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالا، وَإِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ شَرَفًا فَنَحْنُ نُشَرِّفُكَ حَتَّى لا يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِكَ أَشْرَفَ مِنْكَ وَلا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كَانَ هَذَا عَنْ لَمَمٍ يُصِيبُكَ فَلا تَقْدِرُ عَلَى النُّزُوعِ مِنْهُ بَذَلْنَا لَكَ خَزَائِنَنَا حَتَّى نُعْذَرَ فِي طَلَبِ الطِّبِّ لِذَلِكَ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ.فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ.فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حم السَّجْدَةَ، حَتَّى مَرَّ بِالسَّجْدَةِ فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعُتْبَةُ مُلْقٍ يَدَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهَا، ثُمَّ قَامَ عُتْبَةُ مَا يَدْرِي مَا يَرْجِعُ بِهِ إِلَى نَادِي قَوْمِهِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ مُقْبِلا، قَالُوا: لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ بِوَجْهٍ غَيْرِ مَا قَامَ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، قَدْ كَلَّمْتُهُ بِالَّذِي أَمَرْتُمُونِي بِهِ، حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ كَلَّمَنِي بِكَلامٍ لا وَاللَّهِ مَا سَمِعَتْ أُذُنَايَ مِثْلَهُ قَطُّ، وَمَا دَرَيْتُ مَا أَقُولُ لَهُ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فَأَطِيعُونِي الْيَوْمَ وَاعْصُونِي فِيمَا بَعْدُ وَاتْرُكُوا الرَّجُلَ وَاعْتَزِلُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ بِتَارِكٍ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَخَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ، فَإِنْ يَظْهَرْ عَلَيْهِمْ يَكُنْ شَرَفُهُ شَرَفَكُمْ وَعِزُّهُ عِزَّكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْهِ تَكُونُوا قَدْ كُفِيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، قَالُوا: صَبَأْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ } [٤]

---

٤ دلائل النبوة لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

وقالوا له:

{فَقُلْ فِيهِ قَوْلا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ، قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ: فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالأَشْعَارِ مِنِّي، وَلا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي، وَلا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ، قَالوا: لا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ، قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ، قَالَ: هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ}[٥].

قالوا: نذهب إلى عمه أبي طالب، وهو الذي كان يدافع عن حضرة النبي، وعائلة النبي التي هي بني هاشم كانوا كلهم أربعين رجلاً، لكن مكة كان العدد فيها كبير، فقالوا: إما أن تحجز عنا إبن أخيك، وإما نتجمَّع كلنا عليكم ولا طاقة لكم بهذا.

فذهب أبو طالب لحضرة النبي فقال له:

---

٥ الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ يَابْنَ أَخِي، إنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاءُونِي فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، فَأَبْقِ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ، وَلا تُحَمِّلْنِي مِنَ الأَمْرِ مَا لا أُطِيقُ، فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ أَنَّهُ قَدْ بَدَا لِعَمِّهِ فِيهِ بَدَاءٌ، وَأَنَّهُ خَاذِلُهُ وَمُسَلِّمُهُ، وَأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِهِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يا عماه، لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ} [٦].

فأول شيء يحتاجه الإنسان لبلوغ المراد في أي شأنٍ هو صدق النية والثبات على المبدأ، ولذلك أنبأنا الله ﷻ لمن يمشي للصلح بين إثنين أو فريقين أو عائلتين أو طائفتين: ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ ﴾ (٣٥النساء) إذا ثبت على المبدأ، وكانوا يريدون الصُلح مؤكداً فإن الله يُلَيِّن لهم حديد القلوب، ويجعلهم يلينون في أيديهم ويهتدون بأيديهم ويتقاربون ويصطلحون لأنهم ينوون ذلك.

فأول شيء هو الثبات على المبدأ، والمبدأ يكون لله، ويكون معه نية صالحة لوجه الله ﷻ.

٦ تاريخ الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما

حتى لمن يريد أن يصل إلى الله فلا بد من ذلك، أن يكون ثابتاً في المبدأ، وليس لتحصيل دنيا، أو لمشيخة، أو لإظهار كرامات، أو ليجعل الناس يقبلوا يده، فهذا كله ليس لله، لكن لا بد من البداية أن يكون هذا الأمر لله ﷻ، فلا يريد من الله إلا وجه الله، ولا يريد من الله شيئاً سواه.

الذكر الكثير

فإذا ثبت على المبدأ كانت الخُطوة الثانية في الخُطة الإلهية القرآنية لمن يريد أن يصل لأي أمر: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ والله ﷻ يخاطبنا في أكثر من آية في القرآن ويقول فيها كما في آية الأحزاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ ﴾ (الأحزاب) وكلمة (كثيراً) ليس لها حد أو نهاية، فالإنسان لو قطع ليله ونهاره وكانت حياته كلها في ذكر الله، فهل يكون قد ذكر الله كثيرا؟ لا، لأن كلمة (كثيراً) من رب العزة معناها أنه بابٌ مفتوحٌ وليس له نهاية أبداً ولا غاية.

وكلما زاد الإنسان في ذكر الله زاد في القرب من حضرة مولاه، وكلما رفعه إليه مولاه وحباه وقرَّبه وأدناه، لأن الله ﷻ قال: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ (١٥٢البقرة) فكلما زاد في الذكر كلما زاد في الرُقي.

ولذلك كان السادة الصالحون يقولون: ما علامة الولاية؟ وما علامة المرء الذي كُتب في ديوان الصالحين؟ قالوا: إذا ألهمه الله بمداومة ذكر الله في كل وقتٍ وحين، ويرى نفسه يذكر الله على الدوام قائماً وقاعداً وماشياً وغيره، فيعرف ويعلم علم اليقين أن الله اختاره وكتبه في ديوان الصالحين، قال في ذلك الإمام عليٌّ ﷺ وكرم الله وجهه: ((إذا أحب الله عبداً ألهمه ذكره)) فيجعله يذكر الله على الدوام.

والذكر ليس للإنسان عُذر في تركه، لأنه لا يحتاج إلى وضوء ولا اتجاه للقبلة ولا الجلوس في مسجد ولا لشيء معين، فأذكر الله في أي وقتٍ، قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم .. في أي وقت.

حتى لو كان الإنسان عليه جنابة، فالجنابة لا تمنعه من ذكر الله، ولكنها تمنعه من قراءة كتاب الله والصلاة والصيام والطواف بالبيت، ولكن لا تمنعه من ذكر الله، فما عُذر المرء الذي يقدمه لمولاه في غفلته عن ذكر الله جل وعلا؟ لا يوجد شيء أبداً، ولذلك ورد في الأثر:

{لا يندم أهل الجنة وهم في الجنة إلا على الساعة التي مرَّت بهم دون ذكر الله ﷻ}.

فمن له رأس مال في الجنة يقول: لماذا لم أزد؟! ومن كان رأس ماله خفيف يقول: لماذا لم أزد؟! فلم تكن تكلفنا شيء، لأن ذكر الله كلامٌ خفيفٌ على اللسان، ثقيلٌ في الميزان، حبيبٌ للرحمن، فعندما يذكر المرء الله، ما التعب الذي فيه؟ لا يوجد أبداً.

ولذلك جعل الله ﷻ أعظم المقامات التي ذكرها في سورة الأحزاب: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ (٣٥الأحزاب) وهؤلاء سيدنا رسول الله بيَّنهم يوماً لأصحابه، وكان ماشياً في الصحراء وبجواره جبل إسمه جُمدان، فقال ﷺ:

{ سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ }[٧]

وفي رواية أخرى قال:

{ سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافًا }[٨]

وأتناول مثالاً واحداً يقول فيه الحبيب ﷺ:

{ مَا قَالَ عَبْدٌ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلا طُمِسَتْ مَا فِي صَحِيفَتِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى يَسْكُنَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ }[٩]

عندما يقول العبد: (لا إله إلا الله) تعمل كممحاة تمحو كل السيئات في الصفحة حتى تجد حسنة تقف بجوارها.

---

٧ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
٨ جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه
٩ مسند أبي يعلي الموصلي واتحاف الخير المهرة للبوصيري عن أنس رضي الله عنه

فالذكر يخفف الذنوب، ويستر العيوب، ويستمد صاحبه القوة والمعونة من حضرة علام الغيوب، فيبلغ ما يريد لأنه يذكر الله ﷻ.

وحتى الذين هم في ميدان القتال - كما في الآية - قال لهم: إياكم أن تتركوا الذكر وأنتم تضربون بالسلاح، وأنتم تضعون الذخيرة، وأنتم تجهّزوا الخُطة، فأي خطوة من الخطوات عليكم بذكر الله.

ونحن كلنا نعرف أنه كان من الأسلحة الفعالة في النصر سنة ثلاثة وسبعين كلمة (الله أكبر) فكان يقول الرجل: الله أكبر فيحدث لليهودي جزع ويستسلم، وليس من السلاح، ولكن من التكبير الذي سمعه من المؤمن في هذا الميدان الكريم، وكان درساً عملياً أعطاه لنا الله لنعرف أن ذكر الله ﷻ أهم سلاح يعتمد عليه المرء في هذه الحياة إن كان في دنياه، أو في حياته، أو في الجهاد في سبيل الله ﷻ.

الطاعة لله ولرسوله

الأمر الثالث: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ لا بد من طاعة رسول الله، وطاعة رسول الله هي طاعة الله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (٨٠النساء) لأنه من الجائز أن يُحرم الإنسان من رزقه، أو يُعاقب في جسمه أو نفسه أو ولده أو غيره، لماذا؟ لمخالفة شرعية خالف فيها الحضرة المحمدية.

أصحاب رسول الله ﷺ حاصروا حصن بابليون في مصر، ولم تكن القاهرة قد بُنيت، ولكنه كان حصناً وله سورٌ من حوله، وكان أهل البلد من أتباع المقوقس ومعهم الأقباط.

فحاصر المسلمون الحصن وطلبوا نجدة من سيدنا عمر فأرسل لهم ومكثوا ستة أشهر، فتعجبوا لأن أصحاب رسول الله كانوا يعرفون أنهم وهم في الميادين أن المعركة كانت لا تستغرق أكثر من ساعة مهما كانت قوة العدو، حتى يأتي الله بالنصر.

فلما طال الوقت قالوا: ماذا تركنا وخالفنا فيه رسول الله؟ ولم نعمل بالآية: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ لذلك لم يتحقق لنا النصر؟ فبحثوا ووجدوا أنهم نسوا استخدام السواك، وليس بسبب نسيان الصلاة لأنهم كانوا يصلون ومحافظون على الصلاة، ولكن نسوا فضيلة من الفضائل وهي السواك والذي قال فيه حضرة النبي:

{ صَلاةٌ بِسِوَاكٍ خَيْرٌ مِنْ سَبْعِينَ صَلاةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ } [١٠]

فرجعوا للسواك، فنظر الأعداء من فوق السور فوجدوا كل واحدٍ في فمه قطعة من الخشب - أي السواك - فقالوا: يبدوا أن هؤلاء القوم جاءهم مددٌ يأكلون الخشب، وإذا كنا لم نقدر على هؤلاء القوم، فكيف نحارب من يأكل الخشب؟! فسلموا واستسلموا فوراً، لماذا؟ لأنهم أطاعوا الله ورسوله.

١٠ سنن البيهقي ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

ولذلك كان سيدنا عمر ﷺ وأرضاه يُوصي جنده ويقول لهم: إنكم لا تغلبون عدوكم بكثرة عدد لأنهم أكثر عدداً منكم، ولا بعُدةٍ لأن عُدتهم أشد من عدتكم، وإنما تغلبونهم بطاعة الله ﷻ.

ويُحذر القائد ويقول له: حذِّر الجُند من معصية الله، لأنهم إذا عصوا الله فيكونوا متساويين مع الأعداء، والأعداء أكثر في العدد وأقوى في العُدة فيكون لهم النصر، ما الذي يُرجِّح ميزاننا؟ طاعة الله ﷻ، وطاعة رسول الله ﷺ.

ترك الخلافات

وأهم وصية في هذه الآية القرآنية التي ركَّز عليها الله، وركَّز عليها في مواضع لا تُعد في كتاب الله، ونحن نحتاجها كلنا في كل أحوالنا في المساجد وفي الشوارع وفي الجوار، وفي العمل وفي أي مجال: ﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ ﴾ فلا يحدث بيننا خلاف، ولا يحدث بيننا فُرقة وانقسامات، وبعد أن كنا رجلٌ واحد فيكون هذا ضد هذا، وهذا ما يسبب المشاكل التي في عصرنا ومجتمعنا الذي نحن فيه الآن.

فظهرت الفُرقة وظهرت الخلافات، وظهرت الإنقسامات، وكل جماعة يظنون أنهم على الحق، والباقي على الباطل، ويقضون بقتلهم، مع أنهم مسلمين!! وأصبحت الأسلحة موجهة للمسلمين، واليهود يعيشون آمنين مطمئنين، هل يوجد سلاح الآن يُوجَّه لليهود؟ لا، ولكن السلاح موجه للمؤمنين، وهذا أخبر به نبينا ﷺ ببصيرة نبوته، قال فيه ﷺ:

{ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلامِ، فَيَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَدْعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، وَيَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ }[11]

ألم يحدث ذلك الآن؟! وقد حذَّرنا منها رسول الله، وحذَّرنا منها كتاب الله: ﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾ وهذا ما يحدث الآن، حدث في ليبيا، وفي سوريا، وفي العراق، وفي الصومال، وفي اليمن، ولولا عناية الله بنا لحدث لنا نحن، ويحاولون بكل وسيلة ليدخلونا مع هؤلاء.

من منا يستطيع أن يهاجر بزوجته وأولاده كما حدث في سوريا إلى البلاد الأجنبية؟! لكن الله سبحانه وتعالى أكرمنا في هذا الوقت وأخرجنا من هذا المقام، فأوصى الله ﷻ بعدم النزاع.

[11] السنن الواردة في الفتن للداني عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه

نحن في بلد كلٌ له رأيه في الدين، هذا له رأي في الدين، وهذا له رأي آخر في الدين، فلا نختلف، ولكن نرجع للأعلى في العلم، ورأيه يمشي عليَّ وعليك.

فإذا اختلفنا في أي قضية، كقضية حدود في أرض، أو قضية في بيت، أو في أي أمر، نلجأ للمحكِّمين العقلاء ويعملون لوجه الله، ونرضى بحكمهم، وكان هذا يحدث في الزمن القديم، وكانت القُرى في سعادة، لكن الآن إن لم تحكم اللجنة له فلا يوافق على كلامهم ويعترض على حكم أعضاء اللجنة.

الإسلام أمرنا باختيار حكماء عقلاء يحكمون في كل المشاكل وكل المشاغل التي تحدث بيننا، وبذلك نظلُّ كما قال الله في الأمر الوحيد: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ (١٠٣آل عمران).

وهذا الأمر الذي لا نستطيع تطبيقه، فكل واحد يعتقد أن رأيه هو الصواب وغيره رأيه خطأ، لماذا؟! لو كان رأياً شرعياً فعلى العين وعلى الرأس ونقول: سمعنا وأطعنا، لكن هذا رأيك ووجهة نظرك، والآخر له وجهة نظر أُخرى، فيجب أن نقرِّب وجهات النظر وتسير الأمور ونعمل بقول الله: ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ (٣٨الشورى).

الفرقة شتات

لأنها التي ضيّعت قوتنا: ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أي قوتكم، أين القوة في ليبيا وفي الصومال وفي سوريا وفي العراق والتي كانت تدافع عن هذا المبدأ؟! ما الذي ضيَّع هذه القوات؟ الخلافات، فالعراق كانت من أقوى الدول العالمية في السلاح، وكيف أصبحت الآن؟!.

ليبيا كان عندها مخازن سلاح تكفي أفريقيا كلها، أخذوها وباعوها، والمصيبة أنهم جلبوا منها الكثير وباعوها عندنا في مصر، وزادوا المشاكل بين المسلمين وذهبت القوة التي كانت في هذه الدول.

وما أعاننا في عام ١٩٧٣ أننا كنا مع سوريا، نحن في هذه الجهة، وسوريا كانت من الجهة الأخرى، فسوريا الآن ضاعت ولم يعد إلا نحن ويريدون الإنهاء علينا لتستريح اسرائيل.

الحاجة إلى الصبر

لماذا ضاعت القوة؟ نتيجة الفشل ونتيجة التنازع، وماذا نحتاج يا رب؟ ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

نصبر في التعاون مع بعضنا، ولا نتعجَّل في الغضب، ولا نتعجَّل في الرد إذا سمعنا ما لا يعجبنا، ولا نتعجَّل في موضوع إلا بعد التأني والمشورة والصبر.

فمن يمشي على ذلك يكون معه الله، يعني معه تأييد الله، ومعه معونة الله، ومعه توفيق الله، ومعه عناية الله، ولا يتخلى عنه مولاه طرفة عين ولا أقل.

هذه ليست خُطة للقتال فقط، ولكنها خُطة للقتال في سبيل الله، وخُطة لجهاد النفس لمن أراد الوصول إلى رضوان الله جل في علاه، ولمن أراد أن يصل إلى فضل الله وإكرامات الله وعطاءات الله، فهذا هو المنهج وهذه الخطة الإلهية.

نسأل الله ﷻ أن يُعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمَّنا، وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم، وأن يغفر لنا ذنوبنا ما قدمنا منها وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أظهرنا وما أبطنا، وما علمنا وما لم نكن نعلم، وأن يجعلنا دوماً من عباده الذاكرين الفاكرين الحاضرين الشاكرين لحضرته في كل وقتٍ وحين، وأن يُلحقنا بالصالحين وأن يُدخلنا في معية سيد النبيين، وأن يجعلنا من أهل شفاعته يوم الدين، ومن أهل جواره في جنة النعيم، وأن يجعلنا ممن يكرع من حوضه الشريف شربةً هنيئة مريئة بيده الشريفة لا نظمأ بعدها أبداً

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الأنفال)

٢٣: منازل ولاية المؤمنين[1]

فضل مدارسة القرآن

نحن مجتمعون وقد أعلى الله تعالى شأننا، ورفع قدرنا، وجعلنا أهلاً لإكرام الله الذي أخبرنا به نبينا في الحديث الذي بحمد الله ينطبق علينا أجمعين الآن، يقول فيه ﷺ:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ }[2]

فنحن مجتمعون الآن، وقد تلونا كتاب الله وسمعناه، وها نحن نتدارسه.

وتفصيل هذا الحديث يحتاج إلى أوقات طويلة كي نبين فضل الله ﷻ فيه علينا أجمعين، فقد أصبحنا بفضل الله أهلاً لسكينة الله، والسكينة هي الطمأنينة التي تنزل على قلب المؤمن فيطمئن بمولاه، ويعتمد عليه، ويعلم أنه ﷻ قد تولاه، ومن تولاه مولاه كفاه، أين تنزل السكينة؟

---

١ مسجد السواكنة - المساوية – إسنا ٢٩من ربيع الآخر ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٢/٨م
٢ سنن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤الفتح).

يعني نحن والحمد لله صرنا بهذا القول الإلهي من المؤمنين الصادقين، لأننا صرنا أهلاً لتنزل السكينة من رب العالمين ﷻ.

وتغشانا رحمة الله ﷻ، ومن غشيته رحمة الله كشف الله ﷻ الحُجب عن قلبه، وملأه بنور عظمته وجمال بهاه وضياه ﷻ.

والملائكة حولنا من الأرض إلى عنان السماء، وهم يسجلون معنا صوت وصورة، ظاهرة وباطنة، فأخينا المصور يصوِّر الظواهر لكن هم يصورون الظواهر والسرائر، وبعد أن نُتمَّ الجلسة يسألهم رب العزة، كما أخبر النبي ﷺ:

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا،

وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ: مَلَكٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ: فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ } [٣]

كل من يجلس معهم وفي وسطهم يكون داخلاً في قول الله:

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ (١٠٨هود).

وما المكان الذي نجلس فيه الآن؟

نحن نجلس في روضة من رياض الجنة!!!

والذي قال ذلك حبيبنا وعظيمنا وزعيمنا ﷺ فقد قال لنا:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ } [٤]

وفي رواية أخرى:

---

٣ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
٤ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَحِلَقُ الْقُرْآنِ }[٥]

وفي رواية أخرى:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ الْعِلْمِ }[٦]

وارتعوا يعني:

اجلسوا واطمئنوا، ولا يكون عندكم إنزعاج ولا قلقٌ على القيام.

فالحمد لله نحن في روضة من الجنان جمعت كل هذه المعاني الحسان التي ذكرها النبي العدنان ﷺ.

- وغير هذا أن الله سيذكرنا عنده، ومن نكون نحن حتى يذكرنا رب العالمين؟!
- ومن يذكره مولاه فياهناه:

لأنه يحظى بكل خيرٍ وكل فضلٍ وكل برٍّ وكل لطفٍ وكل كرمٍ وكل عطاءٍ يخرج من حضرة الله إلى المسلمين والمؤمنين الصادقين والأولياء المحبين لله ﷻ ولرسوله ﷺ.

٥ الثاني والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس رضي الله عنه
٦ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

فالحمد لله الذي أذهب عنا الحزن!

وجعلنا في روضة الجنة، وفي روضة المنّة مع الله ﷻ.

المغفرة والرزق الكريم

الآيات التي بين أيدينا شدَّني وأثار اهتمامي فيها أن فيها قوم يقول فيهم الله:

﴿ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ :

فهؤلاء سيعطيهم الله ﷻ المغفرة، وسيعطيهم الرزق الكريم، والرزق الكريم من الكريم لايستطيع أحدٌ وصفه ولا نعته، لأن الحبيب ﷺ يقول فيه:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَعَدَّ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[7]

كل ما نقوله في هذا المقام تقريبٌ للحقائق ...

لكن الحقائق الإلهية غيبية، وليس معنا عقولٌ تفقهها ولا عيونٌ تراها، ولا أعضاء تُحسُّ بنعيمها الآن، لكن في الآخرة سيبدِّل الله ﷻ شأننا وحالنا كما قال في القرآن لنا:

﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾ (٣٥الواقعة)

٧ صفة الجنة لأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

ستكون نشأة أُخرى غير النشأة التي نحن فيها!

يُركِّب فيها أجهزة تستطيع التمتع بالجنة ونعيمها وحورها وقصورها، بل تستطيع أن تتمتع بالنظر إلى جمال طلعة الله، وبهاء ضياء الله جل في علاه.

من هم هؤلاء القوم؟ لأننا نريد أن نكون معهم ونحظى بالفضل الإلهي الذي خصَّه بهم رب العزة ﷻ؟.

الحمد لله أن أول بند في هذه الشروط ينطبق علينا جميعاً وعلى من كان قبلنا وعلى من سيأتي بعدنا إن شاء الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الشرط الأول؟

الإيمان، والإيمان يعني التصديق بما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله ﷻ، والحمد لله هذا الشرط ينطبق علينا أجمعين، لأننا كلنا مؤمنين ومصدقين بما جاء به إمام الأنبياء والمرسلين ﷺ.

صحيح نحن لم نر الجنة، لكننا مؤمنون بها!

ولم نر الملائكة لكننا نؤمن بهم!

ولم نر يوم القيامة، لكننا مصدقون به ومؤمنون به!

ولم نر الحضرة الإلهية، لكننا نعتقد تمام الإعتقاد أن الله ﷻ لا يخلُ منه زمان ولا مكان، ولا يحيط به زمانٌ ولا حيطةٍ ولا إمكان، وأنه ﷻ كما قال القائل: ((كل ما خطر ببالك فهو هالك والله تعالى بخلاف ذلك)).

وحتى لا نتوه في هذه الأمور:

عندما تكلم الله عن المؤمنين في أول سورة البقرة عافانا من شرط الرؤية فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ (٣البقرة).

نؤمن بالغيب لأنه جاء على لسان النبي، وقد صدقنا بحضرة النبي، وصدقنا بكل ما جاء به النبي، وصدقنا بالكتاب الذي أنزله رب العزة على حضرة النبي ﷺ.

أيام حضرة النبي ﷺ كان المؤمنون أصناف:

- قوم هاجروا معه أو قبله أو بعده بقليل إلى فتح مكة، وهؤلاء إسمهم المهاجرين.
- وقوم آووهم واستقبلوهم وضيفوهم وساعدوهم ونصروهم .... وهؤلاء إسمهم الأنصار.
- وقوم كانوا مؤمنين في مكة ولكنهم كانوا مستضعفين ولا يستطيعون الخروج من مكة خائفين على مصالحهم، وخائفين على أهليهم وأولادهم، وخائفين كذلك من المشركين والكافرين من أهل مكة.

هؤلاء الأصناف:

ذكرهم الله ﷻ في هذه الآية ليعرفنا أن كل ما ينطبق فيه صفة من هذه الأوصاف يكون من أهل هذا المجد الإلهي والعطاء الرباني له عند الله مغفرةٌ ورزقٌ كريم.

أوصاف الصادقين

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ :

وهذه واحـــــدة.

﴿ وَهَاجَرُوا ﴾:

وهذه الثـــانيـــة.

﴿ وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ ﴾:

وهذه الثـــالثـــة.

﴿ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ :

وهذه الرابعـــــــة.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ :

وهذه الخامســــــة.

هؤلاء جيش النبوة، وأصحاب الفتوة الذين جعل لهم الله ﷻ المغفرة والأجر الكريم.

ولاية المؤمنين

وفضلاً عن ذلك ذكر أن شرط من يكن منهم أن يكون فيه ولاية بينه وبين المؤمنين، وفيه مودة وفيه محبة وفيه أُلفة وفيه تواصل وفيه توادد وفيه تراحم وفيه دائماً علاقاتٌ طيبة بينه وبين إخوانه المؤمنين، نفرض أنه من طائفة من هذه الطوائف، لكن بينه وبين المؤمنين قطيعة وهجر، فليس له نصيب من هذا العطاء، ولا في هذا الجزاء:

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾.

والولاية يعني ولاية النُصرة والتعاون والتوادد والتحابب والتآلف، لأن الله ﷻ حريصٌ على أن يكون المؤمنين كما قال أمير الأنبياء والمرسلين ﷺ:

{ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى }[٨]

أنت ستصلي في الليلة ألف ركعة، ما شأني أنا؟! لماذا تتباهى بهذه الصلاة عليَّ؟! أو يحدث لك زهوٌ بين إخوانك المؤمنين وتظن أنك أحسن منهم، وأنت لم تضمن القبول من الله ﷻ!! أو تصوم أيام، وتقرأ القرآن كل يوم مرة، وتذكر الله على الدوام ...

كل هذه أعمال صالحة، والأعمال الصالحة قال فيها رب العزة:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٥الجاثية).

ليس لنا شأنٌ بك في هذا الأمر، لكن نحن نريد من بعضنا الكلمة الطيبة، والبسمة الصادقة، والسلام ورد السلام، والتعاون، والتآزر .. وكل هذه لها ثمنها وأجرها عند رب العزة ﷻ، قال ﷺ:

{ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ }[٩]

فلماذا نهرب من الصدقة ونعمل محاضر كلها سب وشتم ولعن وغيره؟!! فهذا خروج عن النهج الذي وضعه الله للمؤمنين والمؤمنات، لأن بعضهم أولياء بعض، هناك ولاية بينهم، وأُخُوة ربانية بينهم، وقال ﷺ في البسمة:

٨ صحيح البخاري ومسند أحمد عن النعمان بن البشير رضي الله عنه
٩ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ }[١٠]

إذا قابل المؤمن أخاه المؤمن يصافحه، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا صَافَحَ أَخَاهُ تَحَاتَتْ خَطَايَاهُمَا كَمَا يَتَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ }[١١]

وقال ﷺ في الحديث الآخر:

{ إِنَّمَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا الْتَقَيَا مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى }[١٢]

عندما تسلم على أخيك في الله أنت تغسله من الذنوب، وهو يغسلك من الذنوب، ولذا ورد أن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين، عندما كانوا يسيرون في المدينة، وكانت شوارعها مملوءة بالنخل، فإذا اعترض طريقهم نخلة ففرقتهم يصافحون بعضهم بعد أن يلتقوا!! لماذا؟ ليحصلوا على هذا الأجر الكبير الذي أخبر به وأنبأ به البشير النذير ﷺ.

نفرض أن أخاك كان قادماً من سفر ولم ترهُ من فترة، فأجره أكبر قال فيه ﷺ:

{ نَظَرُ الرَّجُلِ إِلَى أَخِيهِ عَلَى شَوْقٍ خَيْرٌ مِنَ اعْتِكَافِ سَنَةٍ فِي مَسْجِدِي هٰذَا }[١٣]

---

١٠ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه
١١ كشف الأستاروالبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٢ آداب الصحبة للسلمي والترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين عن أنس رضي الله عنه
١٣ الْحكيم عن ابن عمروٍ رضَيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

لماذا؟ لكي نقابل بعضنا كما كان حضرة النبي يفعل، ابن عمه جعفر بن أبي طالب هاجر إلى بلاد الحبشة، وجاء بعد ثلاث سنوات بعد أن فتح الله على النبي فتح خيبر، فعندما علم النبي بقدومه قام واحتضنه والتزمه وانظر إلى العبارة الكريمة:

{ مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَفْرَحُ بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ }[14]

انظر إلى رقة كلمات حضرة النبي، من الذي أفرح به أكثر؟ قدوم جعفر أم فتح خيبر، لماذا؟ لأن كلمات الحبيب كلها بلسم وشفاء لجميع الأحباء، فلا يخرج من لسانه إلا الكلم الطيب.

ونحن أيضاً أنبأ عنا الله ﷻ أننا إذا سرنا على هذا المنهاج سيوصلنا إلى هذه المنزلة الكريمة: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ (٢٤الحج).

ولذلك أنا عندما أمشي في شوارع بلدان المسلمين وأسمع النشاذ بأذناي، والألفاظ الغريبة والعجيبة، من يسب ومن يشتم ومن يلعن ومن يتسَّقط، ما هذا؟!! أين الإيمان وبشاشة الإيمان في هذه القلوب؟! لو كانت هذه القلوب مملوءة بالإيمان، فإن الإيمان يمنع حركة اللسان إلا باللفظ الذي يُرضي حضرة الرحمن ﷻ.

١٤ الحاكم في المستدرك عن جابر رضي الله عنه

الله ﷻ يريد منا أن نكون مع بعضنا متوادين متآلفين متناصرين، وليس بيننا عداوات ولا أحقاد ولا عصبيات ولا تمسك بالرأي ولا حزبية، وإنما كلنا تحت لواء الله ﷻ ننفذ قوله سبحانه:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١٠الحجرات).

وكان أصحاب حضرة النبي على هذه الشاكلة:

فسيدنا مصعب بن عمير ﷺ كان ممسكاً باللواء في غزوة بدر، وكانت أمه من الأغنياء، وكان من المرفَّهين، ولكن لما خالطت بشاشة الإيمان قلبه استلذَّ بلبس الخشن وترك الترفُّه، وكان يأكل الخشن ويترك الأكل الطيب في سبيل الإيمان، وهو في المعركة مرَّ فوجد أخاه من أمه وأبيه - وكان كافراً - أسيراً في يد رجلٍ من المسلمين، فقال للرجل المسلم: استوصي بأسيرك خيراً فإن أمه ثرية وستدفع فيه كثيراً، فقال له أخوه: أهذه وصاتك بأخيك؟! فقال له: لست أخي وإنما هذا هو أخي، والإسلام فرَّق بيننا.

الأُخُوة أُخُوة الإيمان.

والذين لم يدخلوا الإسلام لا ولاية بينكم وبينهم لأنهم لم يؤمنوا بالله رب العالمين، ولا ينبغي أن يكون هناك مودة بين مسلمٍ وكافر بنص آيات كتاب الله ﷻ.

ولاية المستضعفين

أما القوم المستضعفين في مكة:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾:

لماذا يمكثوا فيها أفلا يهاجرون؟!

ليس لهم ولاية وهم بين الكفار، فلا بد أولاً أن يخرجوا: ﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗ ﴾ (١٠٠النساء) فمن يخرج مجاهداً ومهاجراً في سبيل الله فلا بد وأن يجد من فضل الله ومن إكرام الله ومن تيسير الله ما يُسهِّل له كل أموره، لأنه ألقى حموله كلها على حضرة مولاه ﷻ.

﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ ﴾:

إلا إذا كان بينكم وبين قوم ميثاق، فالمؤمن مُطالب باحترام المواعيد والمواثيق التي بينه وبين البشر، لأن المؤمن أهل بالوفاء لكل عهد كما علمنا الله وحبيبه ومصطفاه ﷺ.

منع ولاية الكفار

أما الكفار:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾:

ليس لكم شأنٌ بهم، لأنهم بعيدون عنا!

ولذلك نوَّه الله ﷻ في القرآن أنه لا ينبغي للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أودَّاء، أو أحباء، أو يكون بينهم - كما وضَّح القرآن - ولاء، لماذا؟

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ (٧٣آل عمران) الولاء والمودة والرحمة للمؤمنين الصادقين الذين نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين إن شاء الله رب العالمين.

مواصفات المؤمن الحق

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا ﴾:

ولذلك كل واحد منا مُطالب أن يطبق هذه الشروط في حياته، فيكون فيك كل هذه الأوصاف، معك الإيمان، لكن لا بد أن تهاجر، وكيف تهاجر؟ تهاجر لأداء فريضة الحج إذا وفقك الله وآتاك بتكاليف الحج، أو تهاجر لزيارة مريض مسلم، أو تهاجر لصلة الأرحام، أو تهاجر لطلب العلم:

{ اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ }[١٥]

هجرة في الله ولله، لكي تكون قد دخلت في هذه الآية، لأنه لا يوجد هجرة حسِّية من مكة إلى المدينة وغيرها، قال ﷺ:

١٥ شعب الإيمان للبيهقي ومسند البزار عن أنس

{ لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ } [16]

ولكن هجرة معنوية، أزور مريض فهي هجرة، أو أزور أخ في الله فهي هجرة، أو أبَّرُ الوالدين وأزورهم إذا كانوا بعيدين عني فهي هجرة بل أعظم هجرة، فلا بد أن يكون للمؤمن هجرة من هذه الهجرات المباركة.

ولابد أن يكون لي جهاد في سبيل الله، قال ﷺ:

{ جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ } [17]

اختر لك واحدة من هؤلاء أو كلهم، فإما أن تجاهد في سبيل الله بلسانك، يعني تنشر دين الله، وتحاول أن تُبصِّر الجُهَّال وتعلمهم دين الله ﷻ، أو تأخذ بأيديهم إلى الطريق القويم والمنهج المستقيم، أو تحاول أن تنصح برفقٍ ولطفٍ ولين المتنكبين عن الطريق القويم، العصاة والمذنبين وتأخذ بأيديهم لتردهم إلى طريق الله وتُنقذهم من الشيطان وأعوانه وحزبه.

ولابد أن يكون لك جهادٌ أيضاً بالمال ولو بقليل في كل المشاريع الخيرية التي تحدث في البلاد الإسلامية والقصد منها نفع المسلمين ومصالح المؤمنين فجهادٌ قليل يقول فيه ﷺ:

---

١٦ البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما
١٧ سنن أبي داود والنسائي عن أنس رضي الله عنه

{ تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ }[18]

هل يوجد من يتبرع بنصف تمرة؟! لا ....

لكن النبي قال ذلك حتى لا يكون لأحدٍ حُجة.

قد يقول قائل: أنا فقير، لكن الله قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ (١٣٤آل عمران)

فلم يعد لأحدٍ عُذر، لأنه لن يكلفك ما ليس في وسعك، وإنما يكلفك قدر طاقتك وقدر ما تستطيع أن تفعله لتكون من المنفقين الذين يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ لا بد للمؤمن أيضاً أن يكون جاهزاً لإيواء إخوانه المؤمنين الغرباء، ولذلك قال ﷺ:

{ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الدَّارِ بَيْتُ الضِّيَافَةِ }[19]

صدقة البيت بيت الضيافة، وماذا يكلفني بيت الضيافة؟ لا شيء،

١٨ السير لأبي إسحاق الفزاري
١٩ الجامع لأخلاق الراوي أدب السامع للخطيب وتاريخ دمشق لابن عساكر عن أنس رضي الله عنه

{ إِذَا دَخَلَ الضَيْفُ عَلَى قَومٍ دَخَلَ بِرِزقِهِ وإِذَا خَرَجَ خرَجَ بِمَغفِرَةِ ذُنُوبِهِم }[20]

رزقه جاء معه، وقد ورد في الأثر أن الملك يكتب إسم الضيف ورزقه قبل مجيئه بأربعين يوماً، فلم يكلفك رب العزة شيئاً من عندك، فمن الذي ربح؟! صاحب الضيافة.

ولذلك كان سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام لا يأكل إلا مع ضيف، فأحياناً كان يمكث أسبوعاً حتى يحصل على ضيف ليأكل معه، ولذلك سموه: (أبو الضيفان) لا بد أن يبحث عن ضيف أولاً لكي يأكل، وهو الذي علَّم أولاده الكرم، ولذلك قال النبي الرءوف الرحيم:

{ إِنَّ الْكَرِيمَ بْنَ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ }[21]

كلهم كانوا كرماء، وجنة الله ﷻ لا يدخلها بخيل، ولذلك قال أُستاذنا النبيل ﷺ:

{ السَّخَاءُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، فَمَنْ كَانَ سَخِيًّا أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا، فَلَمْ يَتْرُكْهُ الْغُصْنُ حَتَّى يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَالشُّحُّ شَجَرَةٌ فِي النَّارِ، فَمَنْ كَانَ شَحِيحًا أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا، فَلَمْ يَتْرُكْهُ الْغُصْنُ حَتَّى يُدْخِلَهُ النَّارَ }[22]

---

٢٠ رواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه
٢١ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
٢٢ شعب الإيمان للبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

وقال ﷺ: { السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ عَالِمٍ بَخِيلٍ }[٢٣]

لذلك لا بد للمؤمن أن يُدرِّب نفسه وأولاده دوماً على صفة الأنصار التي ذكرها الله في آيات القرآن، بم أثنى الله على هؤلاء القوم؟ ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (٩الحشر) ...فلا بد للإنسان أن يأوي إخوانه المؤمنين الغرباء الضالين والبعيدين عن الأهل والأحباب كما علمنا، وكما رأينا آباءنا وأجدادنا وسلفنا الصالح...

فكانوا كلهم على هذه الشاكلة، والآن - والحمد لله - زادت الخيرات عن الحد، ولا أحد يحرم نفسه من شيء، ولكن سبحان الله: ﴿ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ (١٢٨النساء) الخير موجود وكثير، لكن الإنسان يبخل أن يأتي برجل يأخذ عليه أجرٌ وفير من العلي الكبير ﷻ، وهذا دليل على أنه باء بالخسران والحرمان من الله ﷻ.

٢٣ جامع الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

المقام الكريم

ومن كانت فيهم هذه الصفات قال فيهم الله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ ضمن الله ﷻ لهم المقام الكريم، ما لهم يا رب؟ ﴿ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ :

يغفر الله لهم ذنوبهم، ويوم القيامة لا يذهبون للحساب، ولا يقفون على الميزان، ومن يذهب منهم إلى الصراط سيمُر عليه كالبرق الخاطف، لكن أغلبهم سيطيرون من القبور إلى القصور، لأنهم سيدخلون في قول الله: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠الزمر) ليس لهم شأنٌ بالحساب، يقول فيهم ﷺ:

{ إذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَنْبَتَ اللهُ تَعَالَى لِطَائِفَةٍ مِنْ أُمَّتِي أَجْنِحَةً فَيَطِيرُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إلَى الجِنَانِ يَسْرَحُونَ فِيها وَيَتَنَعَمُونَ فِيها كَيْفَ شَاؤُوا، فَتَقُولُ لَهُمُ المَلائِكَةَ: هَلْ رَأَيْتُمُ الحِسَابَ؟ فَيَقُولُون: ما رَأَيْنَا حِسَاباً، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ جُزْتُمُ الصِّرَاطَ؟ فَيَقُولُونَ: ما رَأَيْنَا صِرَاطاً، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ رَأَيْتُمْ جَهَنَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: ما رَأَيْنَا،

فَتَقُولُ المَلائِكَة: مِنْ أُمَّةِ مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ، فَتَقُولُ: نَاشَدْنَاكُمْ اللَّهَ حَدِّثُونا ما كَانَتْ أَعْمَالُكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُونَ: خَصْلَتَانِ كَانَتَا فِينا فَبَلَغْنَا هذِهِ المَنْزِلَةَ بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَيَقُولُونَ: وَما هُمَا؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا إذا خَلَوْنَا نَسْتَحِي أَنْ نَعْصِيه وَنَرْضَى بِاليَسِيرِ مِمَّا قُسِمَ لَنَا، فَتَقُولَ المَلائِكَةُ: يَحِقُّ لَكُمْ هذا }[24]

والتخلي عن هاتان الخصلتان:

- هو الذي قطع المجتمع.
- وهو الذى نشر الأوبئة والمشاكل في المجتمع.

ما الذي نشر الغش في الكيل والوزن والبيع، والكذب في الأقوال، والتشنيع بين الرجال، والزور والبهتان؟

سبب هذا كله أنه غير راض بالرزق الذي رزقه له مولاه بالحلال!!

يريد أن يزيد، فماذا يفعل؟

يرتكب الحرام، ويرتكب الذنوب والآثام ليزيد الرزق:

٢٤ أخرجه الحافظ العراقي في الإحياء عن ابن حبان في الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمي عن أنس رضي الله عنه

مع أنه لن يأخذ إلا رزقه الذي قدَّره له الرزاق، ولو صبر سيأخذه من حلال:

﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾ (١١الإسراء) .... وكما ورد في الأثر:

{ مَا سَرَقَ السَارِقُ إلا مِن رِزْقِهِ، وَلَو أَنَّه صَبَر لأَخَذَهُ مِن حَلال }.

فهؤلاء القوم سيغفر لهم الله، ولا شأن لهم بمواقف القيامة ولا شدتها ولا أهوالها ولا عثراتها، لأن الله ﷻ سيدخلهم الجنة بسلامٍ إن شاء الله رب العالمين.

ولهم رزقٌ كريم، والرزق الكريم في الدنيا يكون مُباركٌ فيه:

وإذا نزلت البركة في الأرزاق، قام القليل مقام الكثير، وكان العبد وإن بدا بين الناس فقير، إلا أن الناس يحسدونه ويظنون أنه من الأغنياء لما يرونه من حُسن حاله وأولاده، بستر الله ﷻ الذي غمره به.

أما في الآخرة فالرزق الكريم :

يكون بالنظر إلى وجه الله، والمجاورة لحبيب الله ومصطفاه في جنة النعيم، وأن يشرب من حوض الكوثر بيد الحبيب شربةً هنيئةً مريئةً لا يظمأ بعدها أبداً، وأن يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وأن يكون على منبرٍ من نورٍ قدام عرش الرحمن يوم القيامة، والناس في كرب الحساب وفي أشد الحساب، وهو يتمتع بالنظر إلى وجه الكريم الوهاب ﷻ.

ولا يأتيه الملكان في القبر على سبيل التعنيف وإنما على سبيل التشريف، لكي يهنئوه بالمكانة التي هو ذاهبٌ إليها ولها عند الله ﷻ، فلا يعنفوه ولا يبكتوه ولا يضربوه وإنما يبشرونه بما له عند الله ﷻ من الأجر الكريم الذي لا عد له ولا حد له.

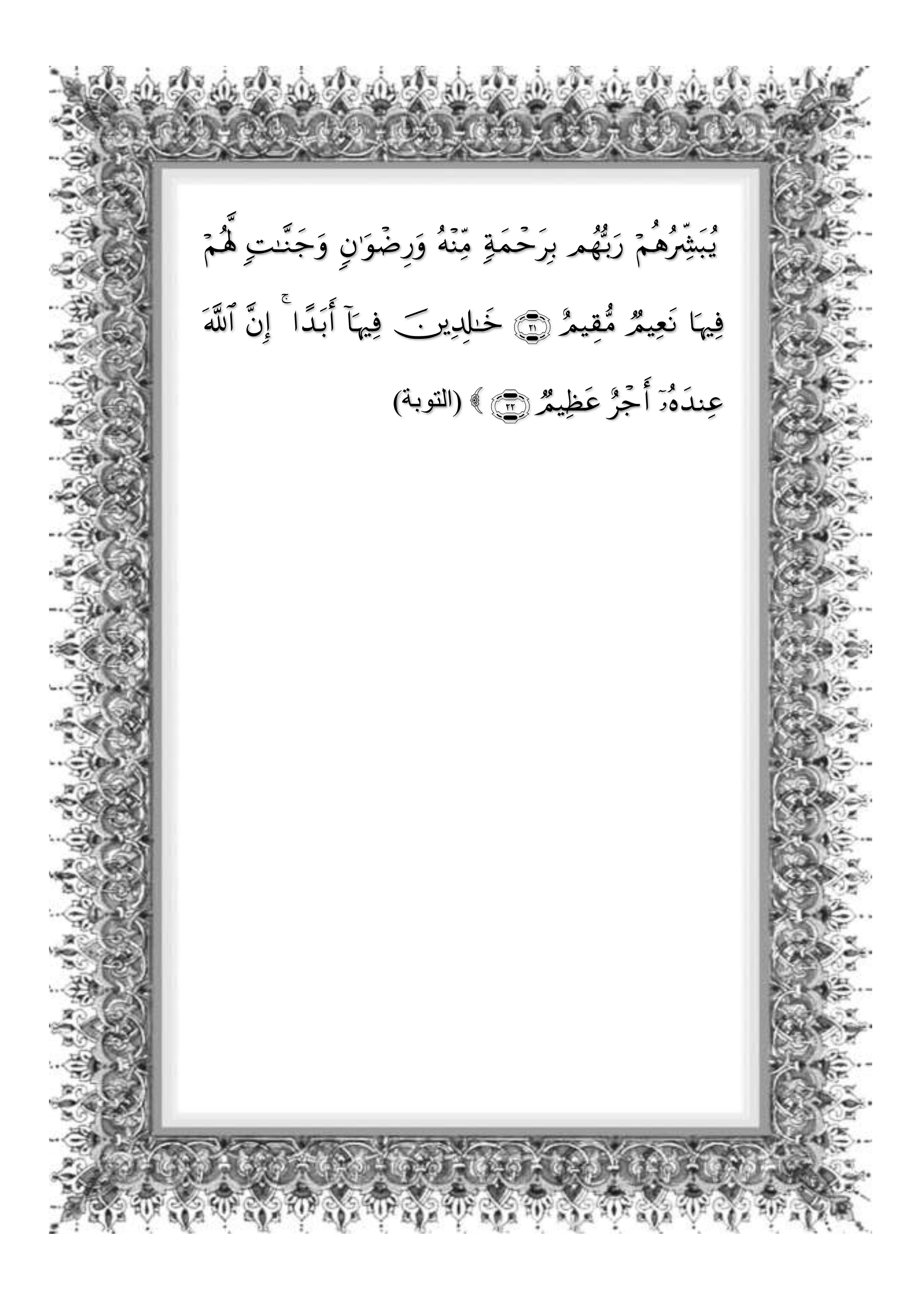
نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل هذا المقام ....

وأن يتفضَّل علينا بما تفضل به على عباده المقربين ....ز وأولياءه الصالحين والأنصار والمهاجرين .... وأن يرزقنا معية سيد الأولين والآخرين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بس م الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٨ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠



يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ (التوبة)

٢٤: منازل الرحمة والرضوان[١]

غزوة بدر حدثت بين الرسول ﷺ وبين أهل مكة، وخرج فيها أُناسٌ من الوجهاء والعظماء من أهل مكة، ووقع بعضهم في الأسر، ومنهم عم النبي ﷺ سيدنا العباس، صحيح أنه خرج مُكرهاً، لكن لم يصِحّ له ذلك، فعاتبه الصحابة البررة الكرام، لماذا تحاربون إبنكم؟! إنه منكم وشرفه شرفٌ لكم، وعزُّه عزٌّ لكم .. وأخذ سيدنا علي ﷺ وكرم الله وجهه يلوم العباس ويقول له: أنت عمه تقطع الرحم وتأتي لتحاربه!! وأخذ يعاتبه، فقال العباس: ما لكم لا تذكرون محاسننا؟! لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني، فأنزل الله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ الآية[٢].

وفي رواية أخرى: قال علي للعباس: ألا تهاجر؟ ألا تلحق بالنبي ﷺ؟ قال: ألست في شيء أفضل من الهجرة؟! ألست أسقي حاج بيت الله، وأعمر المسجد الحرام؟ فنزلت هذه الآية[٣].

---

١ ترعة ناصر – إسنا ٣٠من ربيع الآخر ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٢/٩م
٢ رواية الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما
٣ رواية ابن سيرين والهمداني

عمارة المسجد الحرام

فكان هذا سبب نزول هذه الآيات، لأنه ظنَّ أن عمارة البيت الحرام بإطعام الطعام، وإسقاء الماء، وماشابه ذلك من العبادات، لكن الله قال: ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾.

الشرط الإيمان، لأنه لا ينفع مع الكفر عملٌ للخير، السيدة عائشة ﵄ا كانت من قبيلة بني تيم، وكان من بينهم رجلٌ من العظماء في الجاهلية، وهذا الرجل بنى مضيفة بجوار الكعبة وكلَّف لها طهاة يطعمون كل من يأتي إلى بيت الله، فتقول السيدة عائشة:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقْرِي الضَّيْفَ، وَيَفُكُّ الْعَانِيَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُحْسِنُ الْجِوَارَ، فَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ، فَهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لا، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا قَطُّ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي يَوْمَ الدِّينِ "}[٤]

إذاً وضع الحبيب ﷺ قاعدة؛ أنه لا ينفع مع الكفر عملٌ عند الله ﷻ!

٤مسند أحمد وابن حبان

فقبول العمل عند الله شرطه أن يصدر ممن آمن بالله وآمن باليوم الآخر، ولو آمن بالله واليوم الآخر ولم يقم بالتكاليف الشرعية التي كلفنا بها الله يحبط عمله أيضاً، شرط قبول العمل عمارة المساجد.

وعمارة القلوب شرطها أن تُعمَّر بـ:

﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾:

هذه الأعمال أوصلته إلى مقام مراقبة الله، فأصبح قلبه يمتلئ بالوجل والخوف والخشية من جلال الله جل في علاه.

وهذا الذي قال فيه الله:

﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ :

وكلمة (عسى) هنا ليست للترجي، ولكن معناها أن هؤلاء إن شاء الله سيكونوا من المهتدين إلى الطريق القويم الذي نزل به الرءوف الرحيم ﷺ.

ثم كلَّم الله ﷻ هؤلاء القوم فقال:

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ :

هل هؤلاء كهؤلاء؟ لا، وفي القراءة الأخرى العظيمة: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سُقَاةَ الْحَاجِّ وَعَمَرَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ فهذه قراءة توضح المقصود، فالذين يسقون الحجيج، ويعمرون المسجد الحرام بالأكل والشرب ولم يؤمنوا بالله فهل يكونوا كالذين آمنوا بالله وآمنوا باليوم الآخر وجاهدوا في سبيل الله؟! وقطع الله الحجة فقال: ﴿ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فهذا غير هذا: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

وبيَّن بعد ذلك مقام المؤمنين ليفرِّحهم ويُبشرهم ويدخلنا معهم في هذه البشريات الإلهية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهذه واحدة، ﴿ وَهَاجَرُواْ ﴾ وهذه الثانية، ﴿ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ وهذه الثالثة،

﴿ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ :

جماعة آمنوا، وجماعة بعدها هاجروا، وجماعة بعد ذلك جاهدوا في سبيل الله.

بشريات المجاهدين

ماذا لهم يا رب؟ قال:

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ :

ثلاث بشريات لثلاث فئات:

- فالذين آمنوا لهم رحمة الله ﷻ.
- والذين جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم لهم مقام الرضوان.
- والذين هاجروا لهم الجنات.

ومقام الرضوان أعظم المقامات في الجنان، ولذلك عندما يدخل أهل هذا المقام الجنة يقول الله تعالى لهم:

{ هَلْ رَضِيتُمْ،؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا }[٥]

٥ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

والذين هاجروا لهم الجنة، فلماذا قدَّمنا وأخرنا؟ لأن من هاجروا في الدنيا أجرهم الذي يناسبهم أن يكون لهم في الآخرة جنة النعيم التي أعدها الكريم لكل من هجر المعاصي، وكل من ترك دار الشرك وفرَّ إلى الله ﷻ راغباً في جواره وفي داره التي أعدها للمؤمنين والصالحين.

وبعد أن يدخلوا هذه الجنة، كم المدة التي سيقضونها فيها، فطمأنهم الله وقال:

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾:

لا خروج منها أبداً، وهل هذا فحسب؟ لا، هناك شيء آخر لا يستطيع البشر تحمله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ وما الأجر العظيم؟

هذه تجليات ومؤانسات ومكاشفات وملاطفات، وهناك أشياء غيبية جعلها الله لأهل هذه المقامات لا تستوعبها العقول، ولا تستطيع أن تصل إلى مداها النفوس، عبّر عنها النبي ﷺ بعبارة عامة فقال:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَعَدَّ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[٦]

---

٦ صفة الجنة لأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

الفضل العظيم

ولكي نفوز بهذا الفضل العظيم لا بد أن نضع أنفسنا بواحدةٍ من هؤلاء:

- الإيمان الحق وهي أول درجة:

والإيمان الحق أي الذي ليس فيه شكٌ ولا ارتياب في حضرة القريب الوهاب ﷻ، الإيمان الذي يرضى به الإنسان بما قدره له مولاه، لا يعترض عليه في قضاء، ولا يتمرَّد إذا لحق به شيء في الأرض من الأذى في نظره، وإن كان رفعةً في الدرجات عند الله ﷻ.

- الإيمان الصادق:

الذي صاحبه دائماً يشكر الله على عطاياه، ولا يشكو الله إلى خلق الله، ويقول: لماذا أنا كذا وكذا، فهذا ليس إيمان صادق، لكن أصحاب الإيمان الصادق يسألهم سيدنا رسول الله ﷺ ويقول:

{ أَمُؤْمِنُونَ أَنْتُمْ؟ فَسَكَتُوا، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ عُمَرُ فِي آخِرِهِمْ: نَعَمْ، نُؤْمِنُ عَلَى مَا أَتَيْتَنَا بِهِ، وَنَحْمَدُ اللَّهَ فِي الرَّخَاءِ، وَنَصْبِرُ عَلَى الْبَلاءِ، وَنُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مُؤْمِنُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ }[٧]

٧ معجم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه

فعلامة الإيمان الصادق لمن يريد أن يفوز بهذه المقامات؛ مقامات الرحمة والرضوان، والدرجات العُلى في الجنان الشكر عند الرخاء، والرضا بمُرِّ القضاء، وأن يكون الإنسان صادقاً عندما يلاقي مولاه في الصلاة، أو في تلاوة كتاب الله، أو في أي عملٍ صالحٍ يتوجه به إلى مولاه جل في عُلاه.

ولا بد للإنسان المؤمن في هذه الحياة من التشبة بأصحاب رسول الله فتكون له هجرة، هجرة للعلماء العاملين والأولياء والصالحين، لكي يفتح الله عليه بفتوح العارفين، والله ﷻ ضرب لنا المثل في القرآن الكريم، فعرَّف موسى أن ما معه من علم فهو علم الشريعة، وطلب منه أن يُحصِّل العلم الخاص الذي خص الله به أهل الإختصاص، فأمره أن يهاجر ويذهب لهذا الرجل الذي معه هذا العلم، فنوى موسى أن يمشي ولو لثمانين سنة لكي يصل إلى هذا الرجل، لكي يصل إلى العلم المكنون الذي يقول فيه ﷺ:

{ إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ، لا يَعْرِفُهُ إِلا الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَمْ يُنْكِرْهُ إِلا أَهْلُ الْغِرَّةِ بِاللَّهِ }[8]

[8] الثاني من فوائد أبي عثمان البحيري عن أبي هريرة رضي الله عنه

والرجل لم يكن له عنوان معروف، ولا صيت، ولا شُهرة، ولا يعرفه أحد إلا من يُعرِّفه الله به، فهاجر سيدنا موسى ومعه تلميذه ليذهب لسيدنا الخضر، لماذا؟

ليتعلم، فلا بد للإنسان أن يهاجر للعبد الرباني الذي أوضح الله صفاته في آيات القرآن فقال في شأنه لكليم الله موسى ولنا ولكل المؤمنون الصادقون:

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف)

نفرض أن هذا الرجل في مكان بعيد، حضرة النبي قال لنا:

{ اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ } [9]

هذا العلم الذي سيوصلك إلى الله، وسيجعلك من العارفين بالله، وسيجعلك في الثلَّة الأولى: ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩النساء).

وسيجعلك تُرزق بجوار رسول الله، وهي المنازل العالية التي يحرص عليها كل مؤمن، لأننا كلنا مسافرين وإن لم يخرج كل واحد منا بمنزلة من هذه المنازل فماذا يفعل هناك؟! هل يقول: ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (٥٦الزمر)؟!

٩ شعب الإيمان للبيهقي ومسند البزار عن أنس

هل تنفع هذه الحسرة هناك؟!. ... فلا بد للواحد منا - من هنا - أن يعمل حسابه على ذلك، فيهاجر المؤمن ليزور أخاً له في الله، لأنه لو زار أخاً في الله كما قال ﷺ:

{ إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا زَارَ أَخَاهُ فِي اللَّهِ، شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ وَصَلَهُ فِيكَ، فَصِلْهُ }[١٠] وفي رواية أخرى:

{ مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ، نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلا }[١١]

لا مانع أن أمشي في المصالح، ولكن أعمل حسابي أن يكون لنفسي نصيباً في هذه المصلحة العُظمى: فأذهب إلى واحد من الأحبة في الله، حتى لو كان عندي هموم أو عندي ضيق أو عندي غيره يذهب عني، فلقاء الإخوان يُذهب الأحزان، فبمجرد أن يلتقي الإنسان بأخيه الإنسان ينسى كل همومه، وتذهب كل الغموم، ويأتيه فرج الله ﷻ في الوقت والحال ببركة هذه الزيارة في الله ﷻ.

وقد تكون الهجرة إلى بيت الله، ليؤدي الفريضة التي كلفنا بها الله إذا يسَّر الله ﷻ له الأسباب.

---

١٠ الجامع في الحديث لابن وهب
١١ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

يريد أن يذهب زيارة ليؤدِّي عُمرة فلا مانع،ولكن يجب لمن يؤديها أن لا يظن أنه قد أنهى ما عليه، فلو ذهب مائة عمرة فلن يسد مقام الفريضة التي فرضها الله ﷻ عليه.

وهذه هي الجزئية التي يجب أن يفهمها كثير من الناس، لأن البعض يتصور أنه بأداء العمرة وعند عودته ينادونه: الحاج فلان، قد أدى ما عليه، لكن هذه ليست حجّة وإنما زيارة، ولا تُغني عن الحج مهما كان عددها، لأن الحج فريضة.

وقد تكون الهجرة لزيارة الصالحين، حتى المنتقلين، والبعض من الذين لا يعرفون أصول الدين يقولون أن الحديث يقول:

{ لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ، مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى }[12] وفي رواية أخرى:

{ لا يَنْبَغِي لِلْمَطِيِّ أَنْ تُشَدَّ رِحَالُهُ إِلَى مَسْجِدٍ يُبْتَغَى فِيهِ الصَّلاةُ، غَيْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى، وَمَسْجِدِي هَذَا }[13]

لكن جميع المساجد سواءٌ بعد ذلك، قال ﷺ:

١٢ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
١٣ مسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

{ وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا } [14]

لكن أنا ذاهب ليس للمسجد، ولكن لزيارة الرجل الصالح الذي روحه في روضةٍ من رياض الجنة بجوار أو في داخل هذا المسجد، فليس فيها شي أبداً، ولا تناقض الشريعة، بل هي في عين الحقيقة؛ قربةٌ إلى الله ﷻ، لأن الله قال لنا في آل بيت النبي:

﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ (٢٣الشورى).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

١٤ البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (التوبة)

٢٥: منازل الرسول في هجرته[1]

تدبر القرآن

كلام الله ﷻ يحتاج إلى تمعُّن وإلى تدبُّر، لا إلى تمعنٍ بالفكر فإن الفكر عاجزٌ بنفسه عن فهم هذا الكلام، لكن يحتاج إلى تدبر بالقلوب التي صفت ووفت وصدقت في الإيمان لحضرة علام الغيوب، فيُلهمها الله ﷻ من عنده علماً فيَّاضاً يكشف عن جمال كتابه المكنون وسره المصون وغيبه المضنون الذي أخفاه في هذا الكتاب لكل المؤمنين من بدء الدنيا إلى يوم الدين، ولذلك قال الله ﷻ لنبيه ليُبلغنا: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ (٢٩ص) ليست التلاوة ولكن التدبر.

وعندما رأى الحق ﷻ أُناساً من المسلمين مشغولين بالتلاوة، ويعُدُّوا على الله، مع أن الله ﷻ لا يعُد علينا نعماً، يقول: أنا أختم القرآن كل مدة معينة، ويريد أن يقدم كشف الحساب ليأخذ الأجر والثواب من الكريم الوهاب، وهذا أمرٌ مفروغٌ منه.

ولكن ليست هذه الغاية العُظمى من كتاب الله، فلما رأى رب العزِّة قوماً شُغلوا بالتلاوة، ولم ينتبهوا إلى ما في القرآن من جميل المعاني ومن كريم العلوم، قال رب العزة لهم معاتباً: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (٢٤محمد) لماذا لا يتدبروا هذا الكلام؟!.

---

[1] بني سويف - الفشن ٣ من محرم ١٤٣٧هـ ١٦/١٠/٢٠١٥م

يسَّر الله هذا الكلام لجميع الأنام، حتى أنه من فضل الله وجميل عطائه أن أي مسلم ولو كان أُمياً عندما يستمع إلى من يتلو كتاب الله لابد أن تكون له درجة من الفهم يمنحها له الله جل في علاه.

لا بد وأن يفهم شيئاً من كتاب الله، صحيح أنه تتفاوت الأفهام، لكن الكل له نصيبٌ من الفهم من كلام الله جل في علاه، لأن الله يسَّره للأنام، وعندما يسره ذكر السبب في ذلك فقال عز شأنه: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (١٧القمر).

لم يقل للتلاوة ولكن للذكر، ولم يقل: فهل من تال، فتلاوة القرآن التي تُرضي حضرة الرحمن والتي وصفها في القرآن هي التلاوة مع الفهم والتدبر.

والتدبر يكون بالقلوب إذا خلت من العيوب، وأنزل الله ﷻ فيها نوره الموهوب فيكشف لها عن باطن المعاني وعن غيب العلوم التي جعلها ﷻ في كتابه المكنون.

نصرة الله لنبيه

فعندما ننظر في الآية التي بين أيدينا اليوم يُعاتب الله ﷻ قوماً جفوا نبيهم وتخلوا عن نصرته، ورفضوا كل الرفض أن يعينوه على نشر دعوته، أو حتى يؤمنوا به وبرسالته، وقال لهم الله ﷻ ليعلمنا أجمعين أن النصر من عند الله؛ إن كان لحبيبه ومصطفاه، أو لعباد الله، وأنبياء الله ورسل الله، أو للمؤمنين بالله في كل زمان ومكان كما نصَّ على ذلك كتاب الله ﷻ، فقال لهم رب العزِّة معاتباً:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾:

لم يقل رب العزة إلا تنصروه فقد ينصره الله، ولكن جاء بالفعل الماضي لأن الله نصره من قبل القبل، حتى أنه ﷺ عندما جاءته النبوة ظهر في كتفه الأيسر في ظهره مقابل قلبه خاتم النبوة، وكان من شَعرٍ وكان مكتوباً فيه: (توجَّه حيث شئتَ فإنك منصور).

وهذا خاتم الحق الذي ختم به كتف رسول الله ﷺ تأييداً ونصرةً ومؤازرةً لهذا النبي الصفيِّ الوفيّ صلوات ربي وتسليماته عليه.

ميثاق النبيين

وكيف نصره ربنا قبل خلق الأكوان؟

وضَّح ذلك الله ﷻ في القرآن، ونحن نأخذ كل ما نريد أن نتحدَّث فيه من بيان القرآن، لأنه تنزيلٌ من حكيم حميد وقوله فصلٌ وليس بالهزل.

بيَّن الله ﷻ أنه عندما خلق الأنبياء أرواحاً نورانية قبل خلق الأجسام، والأشباح ونزولها إلى دار الدنيا الدنية، خلق أرواح النبيين جملةً واحدة، ونحن كذلك، ولذلك يقول لنا الله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ﴾ لا يوجد إستثناء خلقكم كلكم: ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ﴾ أعطى لكل روحٍ صورتها، وبعد الخلق والتصوير: ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾ (١١الأعراف)

فنحن كلنا خُلقت أرواحنا ووُضعت صورنا من المصور ﷻ قبل خلق جسم آدم، وهذا بنص كلام الله في سورة الأعراف.

خلق الله أرواح النبيين ثم جمعهم في غيبه العليّ حيث لا زمان ولا مكان ولا أفلاك ولا أكوان، وأخذ عليهم العهد بنبي الختام والشفيع الأعظم يوم الزحام سيدنا رسول الله ﷺ:﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ولم يقل المرسلين،

لأنه متى يُصبح رسولاً؟ إذا نزل إلى الدنيا وكُلِّف بإبلاغ رسالة، لكن هم كانوا أرواحاً في عالم المليك الكريم الفتاح ﷻ: ﴿ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَا ﴾ (٨١آل عمران) هذا موقف عظيم نتيه به فخراً في الدنيا ويوم الدين على الأولين والآخرين، لأنه صاحب أكرم مقام بين جميع الرسل والأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم السلام.

أخذ عليهم العهد أن يؤمنوا به وينصروه، وهذا قبل خلق الأفلاك والأكوان والأرض، ونزول آدم إلى الدنيا الدنية لتخرج منه الذرية التي نحن منها أجمعين، لنعرف صدق القرآن أن النصر قبل القبل، فقد نصره الله من وقت أن أخذ العهد على الأنبياء والمرسلين أن ينصروه ويؤمنوا به.

وكونهم أن يؤمنوا به فمعناه أنه رسول المرسلين ونبي النبيين، وليس في ذلك شك، لأنهم جميعاً لا بد وأن يؤمنوا به، ولذلك لما سألوا الله ﷻ أن يجددوا الإيمان بعد بعثته وتكليفه برسالته أحيا الله أرواحهم وجمعهم في بيت المقدس حتى يجددوا البيعة للحبيب، ويصلُّوا وراءه ليكونوا من أمته.

موسى وعيسى كانا يتمنيان أن يكونا من أمته صلوات ربي وتسليماته عليه، وكان الواحد فيهم يقول: النبي الذي يأتي من بعدي اسمه أحمد أتمنى أن أحمل حذاءه، لماذا؟ لكرامته على الله، وعلُّو درجته عند مولاه جل في علاه:

صُفُّوا وراءك إذا أنت الإمام لهم	قد بايعوك على صدق المتابعة
صليت متوجهاً لله معتصماً	بالله حتى بدا نور المفاضلة
أبوهمُ أنت يا سر الوجود ولا	فخر وسرهمُ قبل المعاهدة

فأخذ عليهم العهد أنهم لا بد أن يؤمنوا به وينصروه، فكيف ينصروه وهم لم يلحقوا زمانه ولم يُبعثوا في عصره وأوانه؟ بأن يكشفوا عن أوصافه لأممهم، وأن يُبينوا صفاته الكريمة لأتباعهم، ويأمروهم أنهم إذا حضروا زمانه يتخلوا عن معتقداتهم ويؤمنوا به ويتبعوه ويدخلوا في دينه ﷺ، ولذلك كان كل واحد منهم يوصي أتباعه وأحبابه بالإيمان بهذا النبي الذي يخرج في آخر الزمان ونصرته ومؤازرته.

حتى أن هذه الأسرار شاعت عند الناس، فاليهود عرفوا بما ذكره لهم نبي الله موسى عن أوصاف النبي، والزمن الذي يظهر فيه النبي، والبلد التي يظهر فيها النبي، والأصحاب الذين يكونون حول النبي، كل هذا سيدنا موسى عرفه لهم، وأنظر ماذا قال عنهم الله: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ (٢٠الأنعام).

هل يوجد من لا يعرف أولاده؟ سيدنا موسى ظل معهم حتى عرفَّهم معرفةً كمن يعرِّف أولاده حتى لا يضيعوا منه، ولذلك كانوا يعرفون كل شيء عن رسول الله ﷺ.

لما قرُب ظهور حضرته في الأكوان وعرفوا أين يظهر، تركوا بلاد الشام وكانت مملوءة بالبساتين والخيرات والمبرات، وذهبوا للصحراء طامعين أن يكون هذا النبي نبي الختام منهم، مع أنهم يعرفون ومتأكدين أنه من ولد إسماعيل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، لأنه كان دعوة أبيه إبراهيم، ولذلك قال ﷺ:

{ أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ }[٢]

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡ ﴾

(١٢٩البقرة) من الذي دعا بهذه الدعوة؟ سيدنا إبراهيم، ولمن كانت؟

كانت لرسول الله ﷺ.

فذهبوا إلى هناك، فمنهم من سكن في مكة، ومنهم من سكن على جبل عرفات، ومنهم من سكن في المدينة، وكان اسمها في هذا الوقت (يثرب) ويعرفون أنها مكان هجرته.

---

٢ جامع البيان عن تأويل آي القرآن

ولذلك تروي كتب السيرة أن النبي ﷺ عندما وُلد وبعد الولادة بقليل أُصيب برمدٍ في عينيه، فحزن عليه جده عبد المطلب فقالوا له: هنا راهب يهودي على عرفات يعالج هذه الأمراض، فعندما رأى الراهب حضرة النبي ﷺ قال: إن هذا دواؤه معه خذ من ريقه وضع في عينيه يُشفى بإذن الله، فكانوا يعرفونه ولا يتوهون عنه أبداً.

ولما نزلت الملائكة وهو عند السيدة حليمة رضي الله عنها وأخذوه وأضجعوه وشقُّوا صدره وأخرجوا قلبه وغسلوه بماء زمزم، وختموه بخاتم النبوَّة، وخافت عليه السيدة حليمة وذهبت لأحد هؤلاء اليهود، فعندما رآه قال: يا معشر يهود اقتلوني واقتلوا هذا الغلام فإنه نبي هذه الأمة، فطالما أنك تعرف أنه نبي هذه الأمة، فنبي هذه الأمة معصوم، فكيف يُقتل؟!! ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (٦٧المائدة).

فكانوا يعرفونه تمام التمام، حتى أن الأخبار كانت قد وصلت إلى كل البقاع والأمصار أن النبي المختار نبي آخر الزمان آن آوان بعثته، وسيُبعث في مكة ويهاجر إلى المدينة وينتشر منها نور الله ﷻ، ونور شرعه وكتابه إلى كل بقاع الأرض.

إيمان تُبَّع ونُصرته للنبي[3]

ومن ضمن العجائب في نصرة الله لنبيه في حادثة الهجرة شيء عجيب وغريب، فأهل اليمن كان ملكهم تُبَّع، وكان اسمه أسعد الحَمْيَري، من قبيلة حِمير والتي كانت تحكم اليمن، أعطاه الله مالاً وصنع سلاحاً وكوَّن جنوداً وقال: أريد أن أُوسِّع المملكة وأملك كل الأرض، وهذا كان قبل بعثة النبي ﷺ بثلاث مائة سنة.

ظل يمشي حتى وصل إلى المدينة وكان اسمها يثرب واليهود كانوا هناك ومنتظرين، حتى أيام هجرة النبي كانوا كل يوم يخرجون في الصباح يقفون على الطرق لينظروه، وبعضهم كان يصعد النخل حتى يروه من بعيد فيعرفون الميعاد وحدَّده سيدنا موسى لهم كما أمره مولاه.

فلما أراد أن يُغير ويهجم على البلد خرج له أحبار اليهود وقالوا له: لن تتمكن من دخول هذه البلدة، فقال لهم: لماذا؟ قالوا: إن هذه البلدة هي مُهاجر نبي آخر الزمان، والله جهَّزها لهجرته.

---

٣ وردت قصة تبع بمصادر عديدة مثل البداية والنهاية، وخلاصة السير الجامعة ومعجم البلدان وكتب السيرة المطولة.

وكان رجلاً حكيماً، فكان دائماً معه مجموعة من العلماء يستشيرهم في الأمور الهامة وكان عددهم حوالي أربعمائة، معه الجيش ولكن مع الجيش مجموعة من العلماء في كل التخصصات ليستشيرهم في الأمور المهمة، فاستشارهم، فقالوا له: إن هذا الكلام حقٌ، وجاء في الكتب السماوية السابقة في التوراة والإنجيل على لسان موسى وعيسى عليهما السلام.

ماذا يفعل الرجل؟ قال للعلماء الذين معه: أنا سأبني لكل واحدٍ منكم بيتاً، وأُزوِّجكم، وأترك لكم نفقاتكم وتمكثوا في هذه البلد حتى إذا جاء هذا النبي تعاونوه وتؤازروه وتنصروه، وكبير العلماء بني له بيتاً من دورين، وبقية العلماء كل واحد بيتاً من دور واحد، وترك مع كبير العلماء رسالة وقال له: هذه الرسالة لنبي آخر الزمان إذا أردكته، وإذا لم تُدركه تعطيها لأولادك يسلموها لمن بعدهم حتى تصل لمن يُدرك هذا النبي فيُسلِّم هذه الرسالة لهذا النبي.

هاجر رسول الله ﷺ، وكانوا واقفين على أبواب المدينة وكلهم مجهزين تحية على قدر استطاعتهم لخير البرية، يريدون أن يحيُّوه، فمنهم من جهَّز لبناً، ومن جهَّز تمراً ومن جهَّز حلوى، ومن يحاول أن يمسك بناقته، فيقول لهم: دعوها فإنها مأمورة، والناقة تمر ببيت المسلم الذي نطق بالشهادتين وتقف وحدها حتى يقدِّم تحيته، وتمر مسرعةً إذا مرَّت ببيت اليهودي، فمن الذي عرفَّها بأنه يهودي؟!

ومن الذي عرفها بأن الآخر مسلماً؟! عناية الله، كان معها خط سير من ملك الملوك ﷻ .... تركوها فظلت تمشي حتى وصلت عند مكان واسع وبركت فيه، أين بركت؟ عند البيت ذو الدورين، ومن كان معه هذا البيت؟ كان مع سيدنا أبو أيوب الأنصاري وكان من ذرية كبير هؤلاء العلماء.

فكل واحد يريد أن يأخذ رحل الرسول فقال لهم: انظروا إلى أقرب باب لنا وندخله، قالوا: أقرب باب هو باب أبو أيوب، فدخل على باب أبي أيوب.

وبعد أن دخل واستقر قال له: أين رسالة تُبَّع يا أبا أيوب؟ فكان تُبَّع بني هذا البيت لكبير العلماء، وقال له: هذا يكون للنبي عندما يهاجر إلى هذا المكان.

أرأيتم كيف كان نصر الله له؟ منذ ثلاثمائة سنة، حتى إذا هاجر لا يسكن عند أحد، ولكن يسكن في بيته هو، والذي جهزَّه له المولى العلي ﷻ.

والرسالة كانت مكتوبة كتبها تُبَّع ببعض الحكم النظمية يقول فيها:

شهدت على أحمد أنه ... رسولٌ من الله باري النسم
فلو مُدَّ عمري إلى عمره ... لكنت وزيراً له وابن عم
وجاهدتُ بالسيف أعداءه ... وفرجت عن صدره كل هم

وقد قال ﷺ:

{ لا تَسُبُّوا تُبَّعًا، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ }[4]

فنحن نقول: أن أول من آمن به ﷺ سيدنا أبو بكر وكان هذا في عصر حضرة النبي، لكن أول من آمن في عالم الحقيقة بعد النبيين والمرسلين تُبَّع ملك اليمن.

وهؤلاء الذين سكنوا المدينة هم الأنصار، والذين نصروا النبي وآووه ونصروه وأعانوه حتى يُبلِّغ رسالة الله ﷻ إلى كل الآفاق:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾:

شرف الصديق

﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ :

هذه الآية تبين شرف الصديق رضوان الله تبارك وتعالى عليه، أدخله الله مع حضرة النبي خمس مرات، (ثاني إثنين) – (إذ هما في الغار) – (إذ يقول لصاحبه) - (لا تحزن) – (إن الله معنا) دخل سيدنا أبو بكر في معية حضرة النبي في هذه الآية الواحدة خمس مرات، حتى نعرف فضله ولذلك قال ﷺ:

٤ مسند أحمد والطبراني عن سهل بن سعد رضي الله عنه

{ لَوْ وُضِعَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى إِيمَانِ هَذِهِ الأُمَّةِ لَرَجَحَ بِهَا } [5]

وقال ﷺ:

{ مَا لأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ، مَا خَلا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِيهِ اللَّهُ بِهَا يَوْم الْقِيَامَةِ } [6]

وأنا أقول هذا الكلام لنتحسَّب عندما نسمع أو نذكر هذه الثُلة المباركة من أصحاب رسول الله، يحذُر على أي إنسان أن يخوض أو يسمح لأحدٍ جالسٌ معه أن يخوض:

{ إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا } [7]

كل إنسان يمسك لسانه، لأن هؤلاء الذين قال فيهم الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٨الفتح) وبعد كلام الله عنهم هذا، هل يصِح لنا أن نتكلم فيهم؟! الله ﷻ رضي عنهم وانتهى الأمر، والله يقول للنبي: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى)

---

٥ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكاني عن ابن عمر رضي الله عنهما
٦ جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه
٧ معجم الطبراني والبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

ويقول للصديق: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ (٢١الليل) آيات بينات تدل على قدر هؤلاء الأقوام عند الملك العلام ﷻ.

حسن تخطيط النبي في هجرته

﴿ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا :﴾

سيدنا رسول الله ﷺ مع أن الله سخَّر له كل الأشياء إلا أنه آثر أن يأخذ بطريق الأسباب، لماذا؟ لأنه قدوة، فقبل هذه الرحلة ذهب إلى بيت المقدس وصلَّى بالأنبياء والمرسلين، ثم صعد إلى السماوات السبع وذهب إلى الجنة، وذهب إلى النار، ورجع بعد كل هذه المسافات وفراشه الذي ينام عليه لم يبرُد بعد.

فكان يستطيع بخطوة واحدة أن يصل إلى المدينة، وما الذي يجعله يخرج خائفاً، ويختبئ في الغار، ويأتي بدليل؟ لأن القدوة لا بد أن تكون كذلك، لأنه لو لم يفعل هذا لقلنا: لا نستطيع فعل هذا لأننا لسنا مثل حضرة النبي فقد أخذها في خُطوة، ونتخذها حُجة، ولكن أراد الله أن تكون له الحُجة البالغة.

مع أن في إمكانه أن يخرق الأسباب، إلا أنه أصَّر أن يأخذ بالأسباب، وعلَّمنا كيف نرتِّب الأمور كلها كما ينبغي مع حُسن التوكل على مسبب الأسباب ﷻ.

وما ضيَّع هذه الأمة الإسلامية في زمننا إلا الهمجية التي انتشرت بين الناس، فلا يريد أحدٌ أن يُرتب شيئاً ويقول: خليها بالبركة، والبركة في الترتيب، ويقول لك: تظل متوكلاً على الله!!، وها هو التوكل فمن يتوكَّل على الله كحبيب الله ومصطفاه؟!.

فرتَّب الأمور كما ينبغي تماماً، متى يخرج من البيت؟ ومن ينام مكانه ليرُدَّ ودائع الناس؟ وأعطاه كشفاً بأصحاب الودائع حتى يقولون عنه: لا يزال أميناً كما عهدناه، ويدخل الغار من طريق غير مطروق، وغيَّر طريق المدينة ودار من جهة اليمن حتى لا يعرف أحدٌ عنه شيئاً ولا ينتبه أحد لذلك، ويمكث ثلاثة أيام، والدليل متفقون معه ويعرف الدروب ويعرف الصحاري، ومعه الجملين مجهزين، والبنت تأتي بالطعام والولد يسمع الأخبار ويأتي بها، مع أنه يعلم الأخبار من الله ﷻ، لكن ليعلِّمنا حسن ترتيب الأمور، ولذلك عندما جاء رجل إلى مجلس رسول الله ﷺ وكان راكباً ناقة، فنزل من عليها، وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟، فَقَالَ: " اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ "}[٨]

٨ البيهقي والحاكم عن عمرو بن أمية رضي الله عنه

يعني اعقلها أولاً أي اربطها، ثم توكَّل، فالتوكل يحتاج من الإنسان أن يعتمد على الله ويأخذ بالأسباب التي أوجدها الله جل في علاه.

دخلا الغار، وسيدنا أبو بكر لم يخف على نفسه، ولكن يخاف على رسول الله، ولذلك قال الله له على لسان الحبيب: (لا تحزن) ولم يقل له لا تخف، لأن الحزن على الغير، ولذلك عندما يتكلم الله على الأولياء قال:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢يونس) ما هذا؟

في أصحابهم وأتباعهم وأحبابهم الذين التزموا المنهج السوي على قدم حضرة النبي الصفي ﷺ.

فقال له: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾:

وسيدنا أبو بكر كان خائفاً، يحكي صاحب السيرة الحلبية رحمة الله عليه نقلاً عن الروايات المعتمدة: ((عندما وجد رسول الله أن سيدنا أبو بكر شديد الخوف فقال له: يا أبا بكر انظر، فنظر وجد في آخر الغار بحراً متلاطم الأمواج، وسفينة مجهزة، والبحارة على أُهبة الإستعداد للسفر، فقال: يا أبا بكر إن جاءوا من هاهنا، خرجنا من هاهنا)).

الإمدادات الإلهية للنبي

ما الأسلحة التي أمدَّ الله بها حضرة النبي؟ أسلحة لا تُعد ولا تُحد، أولها وأعظمها والتي ينبغي أن نبحث عنها أجمعين:

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ ﴾:

أنزل عليه السكينة والطمأنينة، وهل هو وحده؟ لا، ونحن معه أجمعين:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ وماذا تفعل السكينة؟

﴿ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمۡ ﴾ (٤الفتح) ودائماً المؤمن يطلب من الله السكينة، ويطلب الطمأنينة بذكر الله: ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (٢٨الرعد) الشيء الوحيد الذي يُطمئن القلب بالله ذكر الله جل في علاه.

﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا ﴾ :

نحن جميعاً نحفظ أنه أيَّده بالعنكبوت وبالحمامتين، لكن هذه أشياء رأيناها، والله يقول: ﴿لم تروها﴾ يعني جنود لم تروها، وما هذه الجنود؟ أول هذه الجنود قوله ﷺ:

{ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ }[9]

الدولة التي تسمع أن رسول الله ذاهبٌ تجاهها وبينه وبينهم سفر مسيرة شهر، يحدث لهم هلع وجزع وخوف ويُعلنوا التسليم!!!

وهذا الكلام حدث:

ملك الروم جهَّز خمسين ألف جندي وقال لهم: تذهبوا للمدينة وتجهزوا على هذا الرجل وننتهي من أمره، فخرجوا لبلاد الشام، وحضرة النبي بلغته هذه الأخبار من الخبير الأعلى ﷻ، فخرج وجنده لهم، وكان الزمن زمن صيف وكان شديد الحرارة، وكان المحصول الرئيسي النخل، وكان يطيب في هذه الفترة، فكيف يسافرون في هذا الوقت في شدة الحرارة ويتركون النخل؟ فكان اختباراً للمؤمنين.

فالذين خافوا قالوا: ﴿ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ﴾ (٨١التوبة) لكن الله فضحهم وقال لهم: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ (٨١التوبة) ولذلك سورة التوبة تُسمَّى الفاضحة لأنها فضحت المنافقين كلهم.

---

٩ البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه

فكان المنافقون يعتذرون!، لكن المؤمنين لا يعتذرون أبداً!!، بل الواحد منهم كان عندما يسمع دعوة رسول الله يلبي فوراً... وتحكى كتب السير:

{ أن حنظلة الغسيل كان قد ألمّ بأهله – دخل بزوجته -في حين خروجه إلى أحد ثم هجم عليه من الخروج في النفير ما أنساه الغسل ألا أعجله عنه، فلمّا قتل شهيداً أخبر رسول الله ﷺ بأن الملائكة غسلته، وروى حماد بن سلمة عن هشام بن عروة، وعن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: لامرأة حنظلة بن أبي عامر الأنصاري: «ما كان شأنه؟» قالت: كان جنباً وغسلت أحد شقي رأسه فلمّا سمع الهيعة خرج فقتل، فقال رسول الله ﷺ : لَقَدْ رَأَيْتُ الْمَلائِكَةَ تُغَسِّلُهُ }[١٠]

مع أن الشهيد لا يُغسَّل، لكن عندما يسمع النداء فوراً يذهب إلى رسول الله، وكان هذا حال المسلمين أجمعين.

١٠ أفستيعاب فى معرفة الأصحابسير السلف الصالحين للأصبهاني عن ابن عباس رضي الله عنهما

خرج رسول الله ﷺ ومعه جيشه ومشي خمسة عشر يوماً وبحثوا هناك عن الجيش فلم يجدوا، ولا آثار له على الأرض، لماذا؟ سلاح الرعب جعلهم يخافون وجبُنُوا وعادوا مرةً ثانية: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ (٢٦الأحزاب).

وهناك سلاح آخر، وهو سلاح التوفيق: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (٨٨هود) السيدة عائشة تقول لرسول الله:

{ مَا أُرَى رَبَّكَ إِلا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ } [١]

وما معنى ذلك؟ أن أى كل شيء يتمناه يحدث فوراً، لماذا؟ لأن الله ﷻ حالفه بتوفيقه، ولازمه بتوفيقه، فكان موفقاً في كل حركاته وسكناته لأنه لا يريد شيئاً من الدنيا إلا رضاء الله ووجه الله جل في علاه: ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

---

١١ البخاري ومسلم

نسأل الله ﷻ أن يجعل في هذا الزمان دين الإسلام هو الأعلى على كل الأديان، وأن يمحو الكفر والكافرين، واليهود ومن عاونهم أجمعين، وأن يطهر منهم بيت المقدس وأرض فلسطين، وأن يجعل المسلمين أخوةً متآلفين متكاتفين متحابين، وأن يُطفئ نار الحروب المشتعلة في البلاد الإسلامية، وأن يوحد صفوفهم ويجمع شملهم، ويجعلهم أجمعين عاملين بكتاب الله، آخذين بسنة رسول الله حتى يكتب لنا النصر كما كتبه لحبيبه ومصطفاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ ﴾ (التوبة)

٢٦: منازل الاستخلاف للمؤمنين[1]

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أتم علينا نعمته، وأنزل علينا سكينته، وجعلنا في الدنيا من خيار أحبته، ونسأله ﷻ أن يُكمل علينا المنة ويتم علينا النعمة، ويجعلنا جميعاً من أهل النظر إلى وجه حضرته يوم الدين، والصلاة والسلام على الحبيب المختار، الذي صافاه مولاه وصفَّاه من كل الأغيار، وجمَّله بالأنوار، وجعله باباً لكل الخيرات في الدنيا، ومفتاحاً لكل السعادات في الآخرة؛ سيدنا محمد طيب الذكر، وآله الكرماء، وأصحابه الحُلماء، وأتباعه الفقهاء، وكل من تبعهم على هذا الهُدى إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

مجتمع المؤمنين

كان من هَدي الله لحبيبه ومصطفاه ﷺ أن يصنع على يديه مجتمعاً إيمانياً مثالياً، يكون على هذا النموذج لكل مجتمعات المؤمنين في كل أسقاع الأرض من زمنه إلى يوم الدين، وإذا مشينا على هذا النهج القرآني الكريم نكون كما قال الله:

﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ (٥٤النور).

[1] المسجد الحسيني - طفنيس – إسنا ١من جماد الأول ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٢/١٠م

فتكون المجتمعات الإيمانية ليس فيها مشاكل ولا خلافات ولا شحناء ولا نزاعات ولا أي شيء يثير الريبة فيما بينهم، لأنهم مشوا على الضوابط القرآنية، وعلى النموذج العملي الذي صنعه الحبيب ﷺ في مدينته الفاضلة.

هذا المجتمع الإيماني يُزيل العصبيات، حتى العصبيات القبلية التي كانوا مستمسكين بها في الجاهلية، ويجعل كل المؤمنين في كل الأماكن وفي كل البلدان كما قال الرحمن: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١٠الحجرات).

عائلتنا الإسلامية كم فرد؟ حوالي ٢ مليار، فكلهم إخوة، وهي الحقيقة التي قررها القرآن، والتي نفذها النبي العدنان، وجعل الله ﷻ لها ضوابط إلهية في القرآن حتى لايجتهد أحدٌ من عند نفسه، ولا يبحث بفكره، ولا يحاول أن يسيطر على الأمور بعقله، لكن كل الأمور على ما نزل في الذكر الحكيم، وطبَّقه الرسول الرءوف الكريم ﷺ.

أُخُوة الإيمان

كل المؤمنين إخوة، ولهم أبٌ واحد، وهو سيدنا رسول الله ﷺ، وأمهاتهم أمهات المؤمنين: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾ (٦الأحزاب) فألغى هذه العصبيات كلها، ولذلك بعد أن ألغى العصبيات كلها قال لهم:

{ لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ }[٢]

إذاً العصبية لمن؟ لله، ولكتاب الله، ولسُنَّة رسول الله ﷺ، فهذا ابن فلان، وهذا ابن علان!! فألغى ذلك ﷺ وقال:

{ كُلُّكُمْ لآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ }[٣]

فلِم هذا الفخر والإنتساب؟! الإنتساب يكون إلى الإسلام، ولدين الله، ولكتاب الله، ولحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

هذا المبدأ رسَّخه سيدنا رسول الله بين أصحابه المباركين، حتى أنه بدأ بنفسه أولاً، وقال في رجلٍ قادم من بلاد فارس وهو سيدنا سلمان الفارسي:

{ سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ }[٤]

والرجل الحبشي ولونه كان أسوداً، وهو بلال ﷺ، والعرب كان لونهم ليس أسوداً ولكن بين بين، أي بين السواد والبياض، قال فيه فيما ورد من الأثر:

{ أدخل الإسلام بلالاً في نسبي وأخرج الكُفر أبا لهبٍ من نسبي }

---

٢ سنن أبي داود والبيهقي عن جبير بن مطعم رضي الله عنه
٣ مسند الربيع وشعب الإيمان للبيهقي
٤ الحاكم في المستدرك وابن سعد في الطبقات

مع أن أبا لهب فيه العصب وهو عمه، فأصبح النسب هو الإسلام، ولذلك جاء بعض نفر يسألون سيدنا سلمان الفارسي - ولم ينتبهوا للحقيقة - أنت إبن من؟ فمرة يقول لهم: أنا ابن من سجدت له الملائكة أجمعين، ومرة يقول لهم:

أبي الإسلام ليس لي سواه إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم

فكان الكل إخوة.

شروط الأُخُوة الإيمانية

وما شرط الأخوة الإيمانية؟ الشروط التي جاءنا بها ربنا ﷻ ليكون المجتمع مجتمعاً مثالياً ليس فيه شيء من المشاكل التي ذكرناها.

ولاية المؤمنين لبعض

الشرط الأول: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ لا بد أن تكون هناك ولاية بينهم، وما معنى ولاية؟ يعني تعاون، وتعاطف، وبر، وتنسيق، وصلة .. يُكمَّلون بعضهم، فيدخلون في قول الحبيب ﷺ:

{ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا } [٥]

٥ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه

فلو خلعنا من أي جدار قالبين من الطوب من أي موضع أفلا يختلُّ؟! نعم، لأن الحجارة متماسكة ببعضها، لذلك يجب أن يكون المؤمنين متكاتفين مع بعضهم في السراء والضراء وفي كل الأحوال، وهذا النموذج قال فيه رسول الله ﷺ؟

{ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى }[٦]

ليس في الصلاة ولا في الصوم ولكن في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم، ووصل بهم الأمر في هذا الحديث العظيم أن بعضهم كان يشعر بالجوع إذا جاع أخاه مع أن بينه وبينه مسافات!! انظر إلى أي مدى وصلت أحاسيسهم ببعضهم، يحس بجوع أخاه، أو يقول: أنا أحس أن أخي في المكان الفلاني به ألم من مرضٍ أتعبه، أو أنا أحس أن أخي في المكان الفلاني عنده مشكلة!! هذه الأحاسيس التي ارتقت باطنياً، وجعلتهم كلهم كأنهم جسدٌ واحد إذا اشتكى عُضوٌ منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمى، وفي رواية أُخرى:

{ الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِذَا اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ }[٧]

---

٦ صحيح البخاري ومسند أحمد عن النعمان بن البشير رضي الله عنه
٧ مسند أحمد وصحيح مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه

هذا الإحساس الراقي كان نتيجة الذوبان في مائدة القرآن، وفي التعاليم التي أتى بها النبي العدنان ﷺ.

المدينة المنورة لم يكن فيها كلها ولا البلاد التي حولها وحدة صحية، ولما أرسل ملك مصر له هدية، طبيباً وفرساً، وجاريتين، وأرسل له بعض العسل كان قد جلبه من بنها، وكانت مشهورة بالعسل في هذا الوقت، فَقَبِل النبي ﷺ العسل، والجاريتين والفرس، ورد الطبيب، وقال: ماذا نفعل بالطبيب، لماذا يا رسول الله؟ قال:

{ نحن قومٌ لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع }[٨]

ولم يكن فيها غير قاضٍ واحدٍ عينه سيدنا أبو بكر، والقاضي كان سيدنا عمر أعدل الأولين والآخرين بعد الأنبياء والمرسلين، مكث عام في القضاء، ولم تأته قضية واحدة ، فاستدعاه سيدنا أبو بكر ليأخذ راتبه السنوي[٩]، فقال: أنا لا أستحقه لأنني لم أعمل، فسأله: كيف لم تعمل؟ قال: لم تُعرض عليَّ قضية واحدة في هذه السنة!!، لماذا؟ لأنه كان بينهم وبين بعضهم محبة ومودة ورحمة وشفقة وعطف وحنان، وسمعوا حضرة النبي يقول:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }[١٠]

---

٨ ورد في زاد المعاد والبداية لابن كثير
٩ الراتب كان كل سـنة، وإلى عهدٍ قريب كان الأمر كذلك، وكان اسـمها "الميسـانية" فقبل أن تدخل المساجد الإوقاف كانت كل بلد يأتون برجل يقوم بخدمة المسجد ويعطوه ميسانية كأن يعطوه شيئاً من الزرع.
١٠ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

فوقفوا عند هذا الحديث، وعملوا به، فالذي لا أُحبه لنفسي لا أُحبه لغيري، فلم يكن هناك حتى قضية واحدة في البلد كلها، ولو رمزية بين إثنين لأنهم نفذوا تعاليم السماء، ومشوا على هدي الشريعة السمحاء، التي أرسى معالمها سيد الرسل والأنبياء ﷺ.

النصيحة بالطريقة الصحيحة

الشرط الثاني:

النصيحة بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾

ماذا تقتضي هذه المحبة؟ تقتضي أن كل مسلم لو رأى خطأ في أخيه المسلم ينصحه ولكن برفق ولين، ولا يكون أمام الآخرين، لأن النصيحة على الملأ فضيحة.

وإذا توقفت النصيحة بين المسلمين ستكون المشاكل التي نراها، لماذا؟ لأنه لم يعد أحدٌ يتقبل النصيحة، والناس الذين ينصحون يخافون أن يقدموا النصيحة حتى لايُقابل بما لا يُحمد عُقباه، لكنهم لم يكونوا هكذا، سيدنا عمر خليفة المسلمين وأمير المؤمنين كان يقول لهم: ((رحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوب نفسي)) يا إخواني من يرى فيَّ عيباً يقدمه لي، فذلك أعظم هدية يهديها لي، لماذا؟ حتى أُصلح من نفسي، فيرى تقديم النصيحة هنا هدية.

يبين لي عيوبي لأعمل فيها وأعالجها، ولذلك كان عمر واقفاً على المنبر ذات يوم فقال: أيها الناس اسمعوا واطيعوا، فقام سلمان وقال له: لا سمع ولا طاعة، فقال له: لماذا؟ فقال: أنت أعطيتنا كل واحد ثوباً وأنت تلبس الآن ثوبين، وانظر إلى الشجاعة الأدبية التي علَّمها لهم خير البرية، فقال عمر: أين عبد الله بن عمر، فقام، فقال له: أين ثوبك؟ فقال: عندما وجدت ثوبك قصيراً تبرعت لك بثوبي، فوضعت الثوبين مع بعضهما وأطلته، فقال سيدنا سلمان: الآن نسمع ونطيع!!.

كانوا سائرين على هذا النهج، وكانوا يقولون: ((أُخذ علينا العهد من رسول الله ﷺ أن ننصح كل مسلم))

وعلى سبيل المثال: لو مررت بتاجر ورأيته يغُشُّ في الميزان، وسكت ولم أنهه، أصبحت شريكاً في هذا الغش، لأنك رأيت وخفت أن تنصحه، وأنا لم أقل: أن تكلمه أمام المشتري، ولكن قُل له: مساررةً فيما بينك وبينه: يا فلان ما تفعله خطأ:

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ ﴾ (المطففين).

فلا بد أن ننصح ولكن بالطريقة اللطيفة، باللين والمودة والرحمة .. فتتحول كل المساوئ الموجودة في المجتمع إلى محامد، ولذلك قال الله في العنصر المهم بعد التعاضد والمحبة والوداد: ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾.

وحضرة النبي ﷺ أعطانا الطريقة السديدة فوجَّهنا إلى أنه لو أردت أن تأمر بالمعروف ويُسمع لك، فلا بد وأن تأمر نفسك أولاً، وبعد ذلك أولادك وأهلك، حتى لا تقول لأحدٍ: يا فلان اعمل كذا، فيقول لك: ابحث عن نفسك أولاً، يا فلان حجّب إبنتك، فيقول: انظر لإبنتك وزوجتك أنت، فقال ﷺ:

{ ابْدَأْ بِنَفْسِكَ، ثُمَّ بِمَنْ تَعُول}.[11]

فعندما يبدأ كل مؤمن بهذه القضية، ستنتهي المشاكل الإسلامية إن شاء الله.

تغيير المنكر

وماذا عن النهي عن المنكر؟ يقول أمير الأنبياء والمرسلين ﷺ:

{ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ }[12]

ما دامت ترى وتسكت فلا يصِّح ذلك، فماذا نفعل؟ قال ﷺ:

١١ شرح السيوطى على السنن الصغرى، شرح سنن الترمذى.
١٢ صحيح مسلم والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

{ أُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولُ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟، قَالَ: تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ }[١٣]

لو رأينا في الطريق رجلاً يرى نفسه قوياً، ويمسك برجلٍ ضعيف ويؤذيه، فهل ننظر ونسكت؟! لو سكتنا نكون آثمين، لكن لا بد وأن نتدخل، ونمنع هذا الظلم حتى ننفذ كلام رب العالمين ﷻ.

رأينا الأشياء التي ظهرت في المجتمع الحديث، مثلاً شاب يرى نفسه، وأبوه رجل كبير في السن، وأصبح ضعيف البنيان والحركة، والولد واقف في الشارع ويشتم أباه بأقبح الألفاظ، فهل نسكت على ذلك؟! لا، لا بد أن نتحرَّك، لأن المؤمن هو الشرطة الإلهية التي عيَّنها رب البرية للمحافظة على الأمن في المجتمعات الإسلامية، وليست الشرطة التي عينتها الدولة وتأتيك بناء عن طلب، لكن نحن أعيننا ترى بعضنا.

فعندما نفعل ذلك، حتى من أراد عمل شيء يخاف، وممن يخاف؟ من المسلمين والمسلمات، وأعطيكم مثالاً: مَنْ كان من زمن قريب يستطيع أن يشرب سيجارة في شارع أو في المواصلات أو في أي مكان في بلادنا الإسلامية في نهار رمضان؟ لا أحد، لماذا؟ ليس خوفاً من الشرطة، لكن كان الناس لا يتركوه يفعل ذلك، كذلك هل كان يستطيع أحدٌ أن يعاكس فتاة علانيةً أمام الناس؟ لا.

---

١٣ صحيح البخاري والترمذي عن أنس رضي الله عنه

لكن نرى الآن في رمضان محلات الأكل ومحلات الشرب مفتوحة، والناس تأكل وتشرب، وتجد من يركب بجوارك في المواصلة ويشرب السيجارة ويدخِّن عليك، لأننا تكاسلنا، ونقول: وأنا مالي وماله!! لكن لا يوجد شيء مثل هذا في الإسلام، ففي الإسلام نحن كلنا مسئولون على المحافظة على التعاليم التي جاءنا بها نبي الإسلام ﷺ، ولذلك قال ﷺ:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ }[١٤]

وهذا ما نراه الآن من غلاء ووباء وخلافات ومشاكل، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: " نَعَمْ، إِذَا ظَهَرَ الْخَبَثُ }[١٥]

وقد ورد في الأثر: أن الله سبحانه أوحى إلى ملك من الملائكة أن اخسف بقرية كذا وكذا، فقال: يا رب، كيف وفيهم فلان العابد؟! فقال: به فابدأ؛ فإنه لم يتمعّر وجهه فيَّ يومًا قط .... وقد ورد أن الله أوحي إلى يوشع بن نون: إني مهلك من قومك أربعين ألفًا من خيارهم، وستين ألفًا من شرارهم، قال: يا رب، هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟! قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي، وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم[١٦].

١٤ جامع الترمذي ومسند أحمد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه
١٥ جامع الترمذي ومسند أبي يعلي الموصلي عن عائشة رضي الله عنها
١٦ ابن أبي الدنيا في كتاب (الأمر بالمعروف والني عن المنكر)

أقل الأمر؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو أنني أمتنع عن التعامل مع هؤلاء البلطجية، لا أبيع له، ولا أشتري منه، ولا أُزوِّجه، ولا أتزوَّج من عنده كما أمرنا سيدنا رسول الله ﷺ ....فلا بد أن نُحيي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن ليس كإخواننا - هداهم الله – المتنطعين، والذين قال فيهم النبي:

{ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ }[17]

الذين يريدون أن يمسكوا بالعصا، ويسوقوا الناس، فالنبي لم يقل هذا، والله لم يقل هذا، ولكن قال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ (١٢٥النحل) بالحكمة أولاً، والموعظة تكون موعظة مقبولة؛ تقبلها النفوس، وتفرح بها القلوب، ولا تشمئذ منها.

إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة

الشرط الثالث والرابع:

لتكون حياة المجتمعات حياةً طيبة: ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾:

فإقامة الصلاة ستقوِّي الصلة بينهم وبين الله،

١٧ صحيح مسلم وأبي داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

وإيتاء الزكاة ستقوي الروابط بينهم وبين إخوانهم من عباد الله، فالمجتمع ليصلح يحتاج لرعاية الله، وعناية الله، وتوفيق الله، وكفالة الله، ونصرة الله .. وكلها لا تتأتَّى إلا بإقامة الصلاة والمحافظة على الصلاة في وقتها، وإخراج الزكاة، فعندما يعرف الفقير أن له نصيبٌ في ما عند الغني فلن يكون في قلبه حسد ولا حقد ولا غل نحو هذا الغني، بل يحرص على ماله ويحرص على أرضه، لأنه سيأخذ منها نصيبه.

فيجب أن نعمل على ما يقوِّي الصلة بيننا وبين حضرة الله، وما يقوِّي الروابط بيننا وبين من حولنا ممن يعيشون بيننا من خلق الله؛ بإخراج الزكاة التي فرضها علينا الله.

طاعة الله ورسوله

الشرط الخامس: وبعد ذلك نمشي في كل حركاتنا وخُطواتنا وكل أمورنا بحسب ما أمرنا به الله ورسوله: ﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ ويطيعون الله ورسوله في أي أمر، فأي أمر أُريد فعله لا بد أن أرجع أولاً للشريعة، وما تطلبه أنفذه، فإذا لم أعرف: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل) أتوجه للعالم وأسأله ماذا أفعل؟ حتى لا أفعل شيئاً إلا ويُرضي رب العزة ﷻ، وأحكي للعالم القضية بصدق، فلا أخدعه في كلامي لأنني أنا المسئول.

فكثير من العلماء الآن ـ ومعذرةً وأنا منهم ـ نهرب من مسائل الطلاق، لماذا؟ لأن من يعرض مسألته يكذب ويقول: ضعها في رقبة عالم واخرج منها سالم!! فأنت يا بني المسئول، وأنا أحكم على ما تقول، فماذا نفعل؟ نقول له: اذهب للجنة الفتوى.

وبعضهم يرسل آخر يسأل بالنيابة عنه، فيأتي إليَّ السائل فأسأله: هل أنت صاحب الواقعة؟ فيقول: لا، فأقول له: لا بد وأن أسمع منه ماقاله بالضبط، لأن الحكم ينبني على منطوق الكلام، وأعرف كذلك نيته عند النطق بهذا الكلام، فقد نحتاج إلى النية في الحكم الشرعي.

فلا بد للمؤمنين أن يطيعوا الله، ويعلموا العلم الصحيح في أي أمرٍ يريدون أن يصنعونه أو يفعلونه، هل هذا حرام أم حلال؟ فإذا لم أعرف، أرجع للسادة العلماء، والحمد لله البلاد أصبحت مملوءة بالعلماء، ولكن من أسأل منهم؟ العلماء أهل الوسطية الذين يدرسون ودرسوا المناهج الأزهرية، فهذه الوسطية الإسلامية الخالية من المذاهب السياسية والحزبية، وإنما الدين للديان ﷻ.

لأني لو سألت إنساناً متشدداً فأكون قد شددتُ على نفسي، أو لو سألت إنساناً متساهلاً فأكون قد ضيعتُ نفسي، فمن أسأل ؟ العلماء أهل الوسطية، وسيدنا عمر ﵁ كان يقول: ((لا تسأل إلا من ترى أنه يخشى الله ﷻ)) من ترى أن عنده خشية لله، وخوفٌ من الله، فهذا من تسأله لأنه سيُفتيك بما يراه حقاً وصواباً لأنه يخشى أن يُخطئ فيحاسبه مولاه ﷻ.

رحمة الله

من يمشي على هذا المنهج الذي ذكره الله ﷻ للأمة الإسلامية ماذا يكون له؟ أشياء كثيرة جداً: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ سيرحمهم في الدنيا من الغلاء، ومن الوباء، ومن المعاصي، ومن الفتن ما ظهر منها وما بطن، ويجعلهم وهم في الدنيا في حياةٍ طيبة، يقول فيها عز شأنه: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (٩٧النحل) وحياة طيبة يعني راحة البال، فينام الإنسان في آخر الليل وهو مرتاح البال، ليس بينه وبين أحدٍ عداوة، ولا قدم إساءة لأحد، ولا فعل جريمة مع أحد، فينام مرتاح البال، والله ﷻ يتولاه ويكفيه كل شئونه التي يحتاجها، فماذا يحتاج؟ كما قال حضرة النبي ﷺ:

{ مَنْ أَصْبَحَ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا }[18]

ماذا يريد الإنسان من الدنيا غير ذلك؟! رزق غدٍ لم يأت، ولا أعرف هل أكون موجودٌ فيه أم أقابل الخالق البارئ ﷻ، فلم أنشغل به؟ إذا كان هو قدَّر لي هذا اليوم فهو المتكفل لي بالرزق في هذا اليوم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (٥٨الذاريات).

يرحم الإنسان عند الموت، فتأتيه ملائكة الرحمة من الجنة يقبضون روحه ويبشرونه بفضل الله، ويستقبله الحبيب المختار ﷺ ومن معه من الصحابة الكرام والأولياء والصالحين، سيرحمه الله ﷻ في قبره، فيجعل مكانه روضة من رياض الجنة، ويفتح له كما قال الحبيب باباً من الجنة ينزل منه الروح والريحان إلى يوم القيامة.

ويجعل عمله نوراً يؤنسه في قبره، لا يحسِّ بوحشة، ولا يشعر بغربة لأن معه عمله الصالح الذي عمله يؤنسه في قبره، ويوم القيامة سيرحمه الله ﷻ عند تطاير الصحف، فيأخذ كتابه بيمينه، وعندما يأخذ الكتاب يطير من شدة الفرح ويقول لأهل الموقف:﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ ﴾ (الحاقة)

---

١٨ حلية الأولياء لأبي نعيم وابن حبان عن أبي الدرداء رضي الله عنه

فتقول الملائكة: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ ﴾ (الحاقة).

سيرحمه الله ﷻ عند الميزان، فيجد النبي العدنان ﷺ واقفاً بذاته عند ميزانه، إذا رجحت كفة ميزان حسناته هنَّاه وإلا شفع فيه عند الله، لأنها شفاعة الحبيب ﷺ.

سيرحمه الله عند الصراط فيمر كالبرق الخاطف، فلا تحتوشه النيران، ولا يشعر بجهنم ولهيبها وشررها، وإنما يمر كالبرق الخاطف، فرحمة الله لا تُعد ولا تُحد للمؤمنين الذين يوفون بهذه الشروط لرب العالمين ﷻ.

نعيم الجنة

وهذا وعد الله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ نعيم حسِّي تتمتع به الأجساد التي تُخلق وتعاد لها نشأتها في هذا الطور، ونعيم باطني نوراني معنوي مع رب العزة سبحانه وتعالى، يأخذون الإثنين مع بعضهما.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ والأنهار: ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (١٥محمد)

وكلها تجري في مجرى واحد، فلا يختلط اللبن بالخمر، ولا يختلط الخمر بالعسل، والخمر في الآخرة غير خمر الدنيا، فخمر الدنيا مُحرمٌ لأنه يغيب العقل، لكن خمر الآخرة مباح لانه تفضل به الكريم الفتاح ﷻ.

ولكي يطمئننا بأنه ﷻ لن يُخرجنا منها يوماً قال: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾:

ليعلمنا أننا خالدين فيها، ولن نخرج منها أبداً:

{ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: " نَعَمْ، وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَبُولُونَ فِيهَا وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَتَنَخَّمُونَ، إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ جُشَاءً، وَرَشْحًا كَرَشْحِ الْمِسْكِ، وَيُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ }[١٩]

لأن ثمار الجنة ليس لها فضلات ...زوإذا حدث يخرج عرق له رائحة طيبة كرائحة المسك، وهذه الصورة أراها لنا الله ونحن في الدنيا في حضرة النبي ﷺ، فكان ﷺ وهو في الدنيا - كما سيحدث لنا في الجنة إن شاء الله - عندما يعرق .... عرقه كان رائحته كرائحة المسك.

وكان يذهب أحياناً عند السيدة أم سليم - وكانت من كبار الصالحات من الصحابة المباركين - كان يقيل عندها في وقت الظهيرة، وذات يوم استيقظ فوجدها تمسك بمناديل وتمسح بها العرق وتعصرها في زجاجات، فقال لها:

---

١٩ مسند أحمد والطبراني عن جابر رضي الله عنه

{ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟، قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ، نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ }[20]

عندما يجدوا طيباً وتكون رائحته غير جميلة تضع فيه قطرات من عرق حضرة النبي فتكون رائحته زكيَّة ليس لها مثيل.

وجاءه رجل فَقَالَ:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي زُوَّجْتُ ابْنَتِي، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تُعِينَنِي بِشَيْءٍ، فَقَالَ: " مَا عِنْدِي مِنْ شَيْءٍ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ غَدًا فَتَعَالَ فَجِئْنِي بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةِ الرَّأْسِ وَعُودِ شَجَرٍ، وَآيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَنْ أَجِيفَ نَاحِيَةَ الْبَابِ ، قَالَ: فَأَتَاهُ بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةِ الرَّأْسِ وَعَودِ شَجَرٍ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الْعِرْقَ مِنْ ذِرَاعَيْهِ حَتَّى امْتَلأَتِ الْقَارُورَةُ، فَقَالَ: خُذْ، وَأْمُرْ بِنْتَكَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَطَيَّبَ أَنْ تَغْمِسَ هَذَا الْعُودَ فِي الْقَارُورَةِ وَتطَيَّبَ بِهِ، قَالَ: فَكَانَتْ إِذَا تَطَيَّبَتْ شَمَّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ رَائِحَةَ ذَلِكَ الطِّيبِ، فَسُمُّوا بَيْتَ الْمُطَيَّبِينَ }[21]

---

[20] البيهقي والطبراني عن أنس رضي الله عنه
[21] معجم الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

ففي الجنة سيكون أهل الجنة:

- خلودٌ بلا موت.
- وشبـــابٌ بلا هِرم.
- لا يتبولون ولا يتغوطون ولا يتنخمون .
- وإنما على ربهم ﷻ يتوكلون في كل أحوالهم.

﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾

ومساكن الجنة حضرة يقول فيها النبي:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ }[22]، وفي رواية أخرى:

{ لِمَنْ أَلانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ }[23]

هذه مساكن الجنة التي جهزها لنا رب العزة ﷻ:

- وكل ما في الجنة يعرف ما في نفس الإنسان ويأتيه بما يريد بدون أن يتحرك لسانه، فليس هناك شيء ينتظر حتى تطلب.

---

٢٢ صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه
٢٣ مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

- فلو أردت التفاح فإن الشجرة تتحرك إلى أن تأتي عندك ويُنزل لك الفرع تفاحة، فإذا أردت أكل تفاحة أخرى، فالأولى غير الثانية، كل واحدة لها طعمها ولها رائحتها ولها عظمتها لأن الله ﷻ لا يُعطي لشيء في الجنة طعماً واحداً لكل متشابه، كل واحد له خاصية خصَّه بها رب البرية ﷻ.
- أريد أن أزور فلان في الجنة، وهذا شيء في خاطري، فالسرير الذي أنا جالس عليه بدون أن أقول له شيئاً يتحرك من تلقاء نفسه ويأخذني إلى هناك.

فالجنة هكذا لا تحتاج إلى أوامر فهي تعرف ما يخلد في نفس الإنسان وفكره، لأن الله ﷻ سخَّرها لنا وخدَّمها لنا.

مقام الرضوان

وهذا للجسم ـ وماذا بعد ذلك؟ ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ بعد هذه المتع كلها يتجلى رب العزة عليهم فيقول:

{ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ، فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا } [٢٤]

فيحصلون هنا على:

﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٧٢) ﴾:

إذاً هاتان الآيتان من القرآن فيهما :

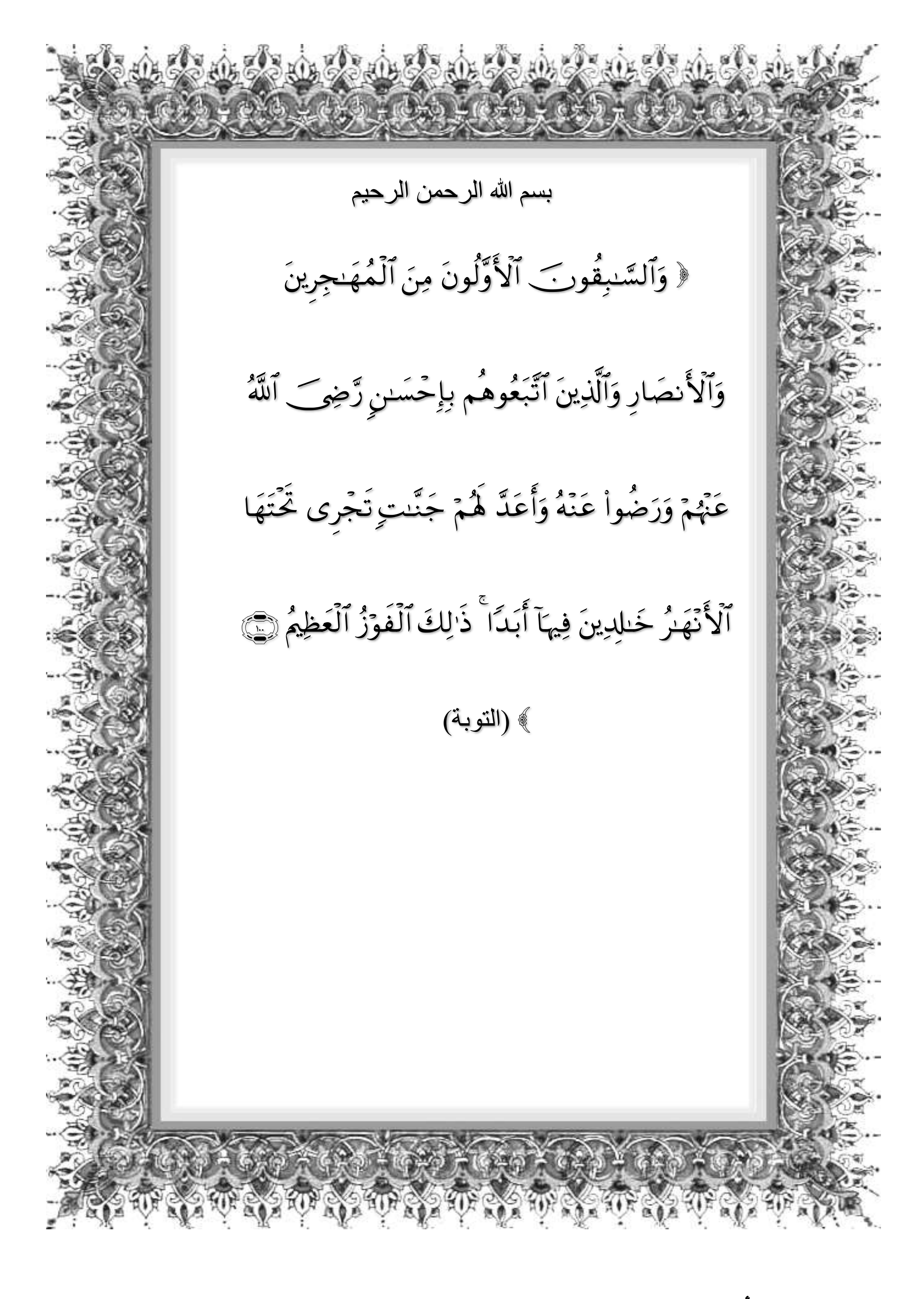
- صلاح الدنيا.
- وسعادة الآخرة.
- وجلاء الأحزان.
- وذهاب الهموم والغموم ....

فلماذا نترك كلام الرحمن ولا نعمل به؟!!.

٢٤ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

نسأل الله ﷻ أن يُفقهنا في ديننا، وأن يُلهمنا رشدنا، وأن يجعلنا عاملين بالقرآن، متبعين لسنة النبي العدنان، موفقين في طاعة الله في كل وقتٍ وآن، وأن يرزقنا ﷻ التسليم لحضرته، والمراقبة لمقام عزّته، ويجعلنا إخوةً متآلفين متكاتفين متوادين، ويُخرج من نفوسنا وصدورنا الأضغان والأحساد والأحقاد لإخواننا المسلمين وللخلق أجمعين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ

وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ

عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا

ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾

﴾ (التوبة)

٢٧: منازل أهل السابقية[1]

فضل الله على أمة النبي محمد

فضْل الله ﷻ على أمة الحبيب المختار لا نستطيع حده ولا عده، حتى أن أنبياء الله ورسله السابقين كان من يطلع منهم على أقدار رب العزة ويرى فضل هذه الأمة؛ يتمني أن يكون فردًا من أفراد هذه الأمة، مع أنه نبي مرسل!.

ومن جملتهم سيدنا موسى الكليم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام:

{ لَمَّا نَزَلَ بِالتَّوْرَاةِ قَرَأَهَا، فَوَجَدَ فِيهَا ذِكْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَقَالَ: " يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ الشَّافِعُونَ الْمَشْفُوعُ لَهُمْ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ الْمُسْتَجِيبُونَ وَالْمُسْتَجَابُ لَهُمْ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً أَنَاجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ يَقْرَءُونَهُ ظَاهِرًا، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً يَأْكُلُونَ الْفَيْءَ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي،

[1] عزبة البرج ـ طفنيس – إسنا ٢ من جماد الأول ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٢/١١م

قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً يَجْعَلُونَ الصَّدَقَةَ فِي بُطُونِهِمْ فَيُؤْجَرُونَ عَلَيْهَا، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحَدُهُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً وَاحِدَةً، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحَدُهُمْ بِسَيِّئَةٍ لَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً يُؤْتَوْنَ الْعِلْمَ الأَوَّلَ وَالآخِرَ، فَيَقْتُلُونَ قُرُونَ الضَّلالَةِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَ }[2]

كلما رأي فضلا؛ يقول: لمن هذا يا رب؟

فيقول: لأمة أحمد!

ويرى الفضل الآخر فيقول: لمن هذا يا رب؟ فيقول: لأمة أحمد!

وبعد أن رأى كل هذه الفضائل قال يا رب اجعلني من أمة أحمد؛ لأنك خصصت لهم هذا الفضل العظيم والكرم العميم.

---

٢ دلائل النبوة لأبي نعيم، وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه

كان أول ما قرأه في هذه الألواح النورانية أنهم الآخرون الأولون، لأننا بُعثنا في آخر الأمم، والآخرية لها علة ذكرها رب البرية مبينا سرها للحضرة المحمدية عندما قال له:

{ يَا حَبِيبِي يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَبِّ، قَالَ: هَلْ غَمَّكَ أَنْ جَعَلْتُكَ آخِرَ النَّبِيِّينَ، قُلْتُ: يَا رَبِّ لا، قَالَ: يَا حَبِيبِي، فَهَلْ غَمَّ أُمَّتَكَ أَنْ جَعَلْتُهُمْ آخِرَ الأُمَمِ، قُلْتُ: يَا رَبِّ لا، قَالَ: أَبْلِغْ أُمَّتَكَ عَنِّي السَّلامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنْ جَعَلْتُهُمْ آخِرَ الأُمَمِ لأَفْضَحَ الأُمَمَ عِنْدَهُمْ، وَلا أَفْضَحُهُمْ عِنْدَ الأُمَمِ }[٣]

- كذلك لا يطول مكثهم في القبور، فآخر فرد في القبور يلبث فيها أربعين عامًا حتى تقوم القيامة.
- نحن اطلعنا على مساوئ الأمم السابقة ولا يطلع على مساوئنا أحد غيرنا، فقد عرفنا ما حدث من أمم الأنبياء والمرسلين، منهم من كَذَّب، ومنهم من أهان وآذى أنبياء الله ورسله، لكن من سيأتي بعدنا ليرى ما فعلنا؟!

لا يبقى إلا الستار الغفار ﷻ، ....

ووعد هذه الأمة بالستر.

٣ تاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي عن أنس رضي الله عنه

الأولية والسابقية

وكيف يكونوا الأولين؟ الأولون في يوم الميثاق الأول عندما أخذ العهد على الذرية وكانوا صفوفًا روحانية نورانية، فكان الصف الأول في مواجهة رب البرية الأمة المحمدية:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ (١٧٢الأعراف).

فنحن الأولون السابقون، سبقنا كل الأمم في شهود حضرة المعبود، وسبقناهم في الرد، فأول من قال: (بَلَى) أمة الحبيب ﷺ، وكنا صادقين في العهد الأزلي لأننا أصحاب النور الأول في حضرة الأول، فقد قال ﷺ

{ كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ }[٤]

وفي حديث آخر:

{ إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ }[٥]

---

٤ مسند الشاميين للطبراني وأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه
٥ مسند أحمد وابن حبان عن العرباض بن سارية رضي الله عنه

كان آدم طينًا، وكان الحبيب كما قال الله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ (٨١الزخرف) قبل الملائكة المقربين والكروبيين وحملة العرش وجميع الأنبياء والمرسلين، فكان النبي ﷺ السابق في عبادة ربه ﷻ، فهو الأول وهم في الترتيب من بعده.

فلنا الأولية والسابقية في يوم العهد والميثاق، في مشاهدة جمال الكريم الخلاق، والرد على حضرة الألوهية من أجل هذه الميزة الإلهية وهي من فضل الله وإكرام الله ونعم الله على أمة حبيبه ومصطفاه.

لم يكن هناك عقل لنفكر أو ندبر، لكن كان هناك عقل نوراني فقط، والأرواح كانت مجردة، فلم يكن هناك أجساد ولا أشباح، وكان فضل الله ﷻ علينا عظيمًا، ولنا بهذا مقام السابقية.

بعد ذلك كان لنا السابقية في الذرية عندما وضعها الله ﷻ في ظهر آدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ولنا السابقية في المنازل العلية التي ادّخرها واختصّنا بها رب البرية ﷻ، فعندما نطلع على عطاء الله للأمم السابقة نجد عطاءنا - ولا أكون جائراً لو قلت أنه - يضاهي عطاء الأنبياء، مثال:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ (٤١النساء)

مثال آخر:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(١٤٣البقرة)

فأصبحنا في درجة تضاهي درجة الأنبياء في مقام الشهادة.

سيدنا رسول الله ﷺ كان يقول إخواني من الأنبياء ويقول لنا مع أننا في آخر الزمان وليس في عصره وأوانه:

{ وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي }[٦]

الشاهد هنا أنه ﷺ يقول: إخواني:

من مثلنا اشتاق الحبيب لذاتنا وتمنى يرآنا بقول صراح
إخوانه والناصرون لدينه والمرشدون بحضرة الفتاح

هذه رتبة نحن نباهي بها السابقين أجمعين ببركة سيد الأولين ﷺ، مع أننا لم نعمل عملًا يوصلنا إلى هذه الدرجة، ولكنه إنعام من الله، وإكرام من حبيب الله ﷺ.

٦ مسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

والإنعام ليس مقابل عمل بل تفضل من حضرة العظيم ﷻ:

لو أردنا أن نحصي مجالات السبق التي سبقنا فيها الآخَرين لن يسعفنا الوقت حتى لو أطال الله في أعمارنا ولبثنا في مجالسنا إلى يوم الدين .....

لكن نأخذ شذرات لنعرف فضل الله علينا.

أمة الحساب بالفضل

فنحن كما قال حضرة النبي ﷺ:

{ نَحْنُ الآخِرُونَ، الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٧]

المفروض أننا آخر الأمم، ومقتضي عقولنا جميعًا أن يبدأ الحساب من بداية الأمم، آدم وشيث وإدريس ونوح وهكذا، لكنّ الله ذكر أن أول من يحاسب نحن.

فنحن الأولون في الحساب قبل جميع الأمم، وحسابنا حساب خاص، فلن يطلع على مساوئنا أحد من السابقين؛ لأن الله ﷻ جعل حسابنا بيننا وبينه، وأرى أن معظم الأمة لن يذهبوا إلى أرض الموقف ولن يذهبوا إلى ميزان، لكن معظمهم يقومون من القبور إلى القصور في جنة النعيم.

---

٧ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

وهذا سر كشفه المولى الكريم للجهلاء الذين يقولون نحن أمة النبي، ونحن المسلمون فلماذا ابتلانا الله بالأمراض والفقر وكذا؟!! وأكثر الخيرات للنصارى واليهود والأمريكان وأهل أوروبا!! وهؤلاء لا يدركون أن الله يريد أن يجعلنا في الدنيا من الصابرين.

وهؤلاء الصابرون قال فيهم الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

(١٠الزمر) ليس لهم حساب، ولذا حضرة النبي كان حاضرًا عند أحد الأنصار فَوَجَدَهُ مَحْمُومًا وَلَهُ ضَجِيجٌ مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُ مِنَ الْحُمَّى فقال له:

{ الْحُمَّى كِيرٌ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، وَهِيَ نَصِيبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ }[8]

إذا أصيب بحمى فهذا نصيبه من نار جهنم مادام محافظًا على فرائض الله ﷻ، ويبتعد عن المعاصي التي نهى عنها الله ﷻ، لأنه قد يقول البعض: تأتيني الحمى ولكني لا أصلي، فهل أخذت نصيبي من النار؟ لا عذر لترك الصلاة، ولا عذر لترك الزكاة، ولا عذر لترك الصيام، ولا عذر لترك الحج لمن ملك الاستطاعة، لأن هذه الأعمال ليس لها إلا أعذار شرعية وضعها رسول ﷺ في تشريعاته المحمدية.

وقال ﷺ:

---

٨ شعب الإيمان للبيهقي وابن عساكر عن شمعون بن زيد رضي الله عنه

{ أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ وَالزَّلازِلُ وَالْقَتْلُ }[9]

حتى نخرج من هنا وليس علينا ديون لرب العزة ﷻ، ولذا نخرج من القبور إلى القصور.

نحن الأولون في الحساب، والأولون في أخذ الصحف، والأولون في الميزان، الأولون في الصراط، والأولون في دخول الجنة، قال ﷺ:

{ الْجَنَّةُ مُحَرَّمَةٌ عَلَى جَمِيعِ الأُمَمِ حَتَّى أَدْخُلَهَا أَنَا وَأُمَّتِي، الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ }[10]

أصناف السابقين الأولين

﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾:

هؤلاء السابقون الأولون جعلهم الله ثلاث طوائف:

﴿ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ ﴾:

٩ سنن أبي داود والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه
١٠ معجم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

المهاجرون، والأنصار، ونحن الذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين، فنحن مِنَ الذين وُضِعوا في هذه الآية.

متابعة أصحاب النبي أمر بها الله في كتابه الكريم، لأن بعض الجُهَّال يقولون لا نتبع إلا الرسول الكريم، رغم أن النبي ﷺ قال:

{ عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذ }[١١]

والنواجذ يعني الأسنان، ولم يقل عُضوا عليهما رغم أنهما مثنى، لكن قال: (عضوا عليها) وهذا دليل على أنهما سنة واحدة، لأنهم لا يفعلون شيئًا لحظّهم وهواهم، ولكنهم يجتهدون في ما لا يجدون فيه نص في كتاب الله أو حديث أو فعل لرسول الله ﷺ.

اتباع إجماع الصحابة

واجتهادهم أقرّه الله، وأقرّه رسول الله ﷺ، وبهذا فاجتهاد الصحابة نحن مأمورون باتباعه، لكن نتبع الإجماع الذي أجمع عليه الصحابة الكرام، لكن إذا كان لأحدهم رأي فهذا له لنفسه، أما نحن فنتبع الجماعة، قال ﷺ:

{ يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ }[١٢]

١١ جامع الترمذي وأبي داود عن العرباض بن سارية رضي الله عنه
١٢ جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما

مثال: سيدنا رسول الله ﷺ صلَّى التراويح ثلاث ليال، وصلَّى خلفه نفر من الصحابة، وفي اليوم الرابع امتلأ المسجد عن آخره فلم يخرج ﷺ، لأنه ﷺ كان حكيمًا وعلّمه الحكيم ﷻ، فلما خرج إلى صلاة الصبح قال لهم:

{ إِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا }[١٣]

لأنها لو فرضت سيعاقب تاركها، فظلوا في عصره ﷺ، وعصر سيدنا أبي بكر وشطرًا من عصر سيدنا عمر يصلون التراويح فرادى أو جماعات متفرقة، ولكن سيدنا عمر قرر جمعهم على إمام واحد يصلي بهم.

سيدنا عمر يحفظ القرآن وهو يَؤمهم في الصلوات، ولكنه كان خليفة وعنده مشاغل كثيرة أهم، وهي مشاكل الخلق، لأن هذه النافلة لنفسه لكن مصالح الخلق أهم وأولى، فمثلًا لو أنني في رمضان وصليت العشاء، وهناك صلاة تراويح، لكن توجد خصومة بين اثنين من جيراني ولو تركتهم قليلًا سيزيد الأمر سوءًا، فالأولى أني أترك صلاة النافلة وأذهب للصلح بينهم.

أو رجل عنده مريض يريد الذهاب به للطبيب فيؤدي الفريضة ويذهب فورًا للطبيب ويترك صلاة التراويح لأنها سنة ونافلة.

فأحضر سيدنا عمر الإمام الذي قال فيه النبي ﷺ:

---

١٣ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

{ وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ }[14]

صلى بهم عشرين ركعة اتفقوا عليها، غير الشفع والوتر، وظل سلفنا الصالح على هذه الكيفية، حتى جاء في عصرنا المتعالمين ومدَّعي العلم وقالوا الرسول ﷺ ما زاد عن إحدى عشرة ركعة كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ }[15]

وهذه صلاة التهجد:

وهي في النصف الثاني من الليل، وكان يصليها رسول الله ﷺ عشر ركعات، ويختم بوتر، وكان يطيل فيهن القراءة ﷺ، ويطيل الركوع والسجود!

وهذه الصلاة ليس لها علاقة بالتراويح، ولكنهم ادخلوا هذه في تلك وقالوا نجعل التراويح ثمان ركعات!! لكن النبي قال:

{ عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ }[16]

والخلفاء اتفقوا على عشرين ركعة، لم يعترض منهم أحد، سيدنا علي وسيدنا عثمان كانا يصليان معهم، وكذلك سيدنا سعد بن وقاص، وسيدنا عبد الرحمن بن عوف، وسيدنا الزبير بن العوام ... كل الصحابة كانوا يصلوها معهم، ولم يصلنا أبدًا أنهم اختلفوا على هذا الأمر حتى عصرنا هذا.

---

١٤ جامع الترمذي وابن ماجة عن أنس رضي الله عنه
١٥ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها
١٦ جامع الترمذي وأبي داود عن العرباض بن سارية ﷺ

لكن مدَّعي العلم في هذا العصر يظنون أنهم أعلم من كل السابقين، - سبحان الله - في سنة النبي الأمين ﷺ، لكن الهدي النبوي عشرين ركعة، لكن لو أراد أحد أن يصلي أربعة أو ثمانية أو عشر ركعات ويخرج فلا شيء في ذلك، لأن هذه سنن يأتي الإنسان منها ما استطاع ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٢٨٦البقرة).

لكن لا أقول أن هذا الوارد عن حضرة النبي، والزائد عنها باطل، كيف تكون باطلة؟!! نفترض أن إنسانًا صلى مائة ركعة بدلًا من أن يصلي عشرين ركعة، ما المانع من ذلك؟ هذا خير، ومن يستزد يزده رب العزة سبحانه وتعالى من فضله وكرمه، فلماذا أنهاه عن الصلاة؟! ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝ ﴾ (العلق).

مجموعة تريد أن تزيد، كيف نمنعهم ونقول لهم صلوا عشرين؟! كل فرد يصلي ما في وسعه، ومن يصلي العشاء ولا يصلي التراويح وينصرف هل عليه وزر؟ لا، ليس عليه وزر.

المهم في الأمر أن نحترم سنة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، لأن الله ﷻ أمرنا أن نتبعهم، والنبي ﷺ جعل ما يأتون به من أبواب الاجتهاد مكملًا لسنته صلوات ربي وتسليماته عليه.

﴿ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ﴾ :

المهاجرون طائفة، وهم كما ذكر البعض أنهم من حضروا غزوة بدر، ومنهم من قال أنهم من كانوا في بيعة الرضوان، لكن أصح الأقوال أنهم كل من هاجر إلى المدينة قبل فتح مكة؛ لأن النبي ﷺ قال:

{ لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ }[١٧]

﴿ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾:

والأنصار هم كل من نصر حضرة النبي ﷺ بنفسه، أو ماله، أو بلسانه، أو بأي وسيلة من الوسائل، حتى عصرنا هذا، فالذي ينصر رسول الله بنشر شريعته، ويبشر بسنته، ويهدي الناس إلى اتّباع ملّته .. كل هؤلاء سيدخلون في زمرة الأنصار والمهاجرين.

وكما ذكرنا سابقًا: من يهاجر في طلب العلم، والذي يهاجر لنشر الدين، والذي يهاجر للصلح بين المسلمين، والذي يهاجر لصلة الأرحام، كلهم يدخلون في المهاجرين.

التابعون بإحسان

ومع كل ذلك لنا خصوصية ذكرها رب البرية

١٧ البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ ﴾:

ونضع تحت كلمة (إحسان) آلاف الخطوط، يعني أنهم وقّروهم، ولم يخوضوا فيهم، وحافظوا على سمعتهم، ولم يتهموهم بباطل أو زور، ولم يشيعوا عليهم سوءًا، ولم يشنعوا عليهم بما ليس فيهم.

ويخرج منها كل من يسيء إلى الصحابة الكرام، وهم كثرة في عصرنا هذا، فهم يخوضون في سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا أبي هريرة وسيدتنا السيدة عائشة، هؤلاء القوم وهم الشيعة ليس لهم نصيب في ذلك الفضل، قال ﷺ:

{ إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا }[18]

لا نقول إلا خيراً، وقال محذراً:

{ لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ}[19]

يكفيهم أنهم :

- رأوا سيدنا رسول الله ﷺ...

١٨ معجم الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه
١٩ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

- وجاهدوا معه ...
- وكان يتنزل عليه الوحي وهو بينهم ...
- ، وكان منهم كتاب الوحي.....
- وهم الذين حملوا الشريعة الغراء إلى كل بقاع الأرض ....
- وهم الذين حملوا هذا الدين وبلغوه إلى العالم كله ......
- وهم من حفظوا القرآن ونقلوه متواترًا لا ينقص حرفًا واحداً عما نزل به أمين الوحي إلى آخر الزمان ...

وهذا إعجاز أن يظل القرآن إلى وقتنا هذا لم يتغير منه حتى شكلة واحدة، رغم أن الكتابة لم يكن بها تشكيل ولا نقط**!!** يكتبون الجيم والحاء والخاء بشكل واحد وكذلك الظاء والطاء وغير ذلك.

كانوا يأخذون القرآن تلقينا من النبي ﷺ .....!!!

ولذا لم تختلّ قراءة من القراءات، حتى القراءات المتواترة إذا كان فيها بعض التغيرات في بعض الكلمات فهي مثبتة، وقال فيها ﷺ:

{ إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ } [٢٠]

هم من حفظوا الدين وبلغوه إلى العالمين، فكيف لعاقل أن يسب أصحاب رسول الله ﷺ؟! فكل من يخوض فيهم، أو ينتقصهم، أو يشوّه صورة أحد منهم فهو خارج نطاق هذه الآية النورانية التي رسمها الله ﷻ لنا في هذه السورة المباركة وهي سورة التوبة.

جزاء أهل الرضا عند الله

فالمهاجرون والأنصار ومن سار خلفهم بإحسان إلى يوم الدين واحترموهم وعظموهم أعد الله لهم: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ :

بعض الجُهال يقول: لماذا تقول أبو بكر ﵁؟ نقول له: الله قال ذلك، فالله يقول:

﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾:

فلماذا لا نقول كذلك نحن؟!

هذا هو كتاب الله.

٢٠ البخاريومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وليس مرة واحدة: ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾

(١٨الفتح) ولم يقل: قد يرضى، بل قال: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ) لأن هذا الرضا سابق من قبل القبل، فلهم مقام الرضا عند الله وهو أعلى المقامات وأعلى من الجنات، ولذلك أهل مقام الرضا عندما يدخلون الجنة يقول لهم الله:

{ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ، فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا }[21]

وجنة الخلد لو ظهرت بطلعتها لفارقت حسنها بالزهد همتهم
لا كفء لله يحجبهم فيبعدهم أحدٌ تنزَّه تعلمه سريرتهم

ولذا فإنه ليفرحهم لم يبدأ بالجنة بل بدأ بالرضوان لأنهم أهل المقام الأكرم والأفضل والأعظم مقام الرضوان، ومقام الرضوان فوق جنات عدن، جعله الله ﷻ لتلقّي التحية والسلام من السلام ﷻ:

﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ ﴾ (٤٤الأحزاب):

---

٢١ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

ليس أكل وشرب وحور ولكن يلقون فيها تحية وسلام، تحيتهم تجليات إلهية، ومكاشفات ربانية، مؤانسات وملاطفات قدسية، خصوصية لهم من رب البرية ﷻ.

فطمأنهم الله وقال لهم هذا مقامكم الذي كنتم تريدونه، لأنهم كانوا في الدنيا كما قال الله: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف):

لا يريدون إلا وجه الله ﷻ.

ومع ذلك جهز لهم:

﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾:

وهناك آية أخرى: ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (٢٥البقرة) فتجري تحتها الأنهار

معناها أن القصور في وسط الأنهار وهذا غاية السمو والعزة، لكن من تحتها الأنهار معناها أن الأنهار تجري وبينها وبين القصور مسافة، فالأولى أكرم وأعظم، لأن الله ﷻ جعل الأنهار تتخلل هذه القصور والبيوت في جنة الخلد لهؤلاء المتقين.

والله ﷻ يجعلهم لا يشتهون شيئًا إلا ويوصله لهم، بل يعطيهم فوق ما يشتهون، وهذه الجنات حتى يطمئننا الله فيها ليس فيها موت، كما ورد في الحديث:

{ إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا عَلَى حُزْنِهِمْ } [٢٢]

لتكون حياة باقية بجوار الباقي ﷻ :

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾:

فعلى الإنسان أن يدخل في هذه المعية، ليكون من هؤلاء الأقوام ليكرمه الله كما أكرمهم، ويدخله في هذا النعيم المقيم في الدنيا ويوم الدين.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده المتأدبين مع أصحاب نبيه الكريم .....

ومن عباده المعظِّمين والمبجلين لسيد السادات والمرسلين في كل وقت وحين ....

وأن يرزقنا حسن الإتباع لمن سبقنا من أهل الإيمان ....

وأن يخلع علينا حلل الرضوان، ويهب لنا حقيقة الإيمان، وأن يتوفانا بيمناه، وأن لا يترك أنفسنا لملك ولا لشيء سواه، حتى نكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٢٢ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (التوبة)

٢٨: منازل البيع الرابح[1]

كل آية من القرآن نزلت على النبي ﷺ نزلت لسبب حدث، أو لحادثة وقعت في زمان ومكان، ولذا ينبغي على المسلمين والمؤمنين أن يتعرفوا على الأسباب التي من أجلها أنزل الله القرآن.

صحيح أن القرآن صالح لكل زمان ومكان، لكن إذا عرف السبب اتضح الرأي أكثر، وفطن إلى مراد الله الصادقون من عباد الله مع حبيب الله ومصطفاه منذ بعثته إلى يوم الدين.

وكان كثير من الصحابة بل أغلبهم جُلَّ اهتمامهم - حتى وقت جلوسهم سوياً - في وقت نزول الآيات، ومكان نزولها، وسبب نزولها، فبدلاً من حديثهم في أمور القيل والقال - كما نفعل الآن - كانت هكذا أحاديثهم الجانبية التي بينهم، كلها حول كتاب الله جل في علاه، وإذا عجزوا عن معرفة سبب ذهبوا إلى فطاحل العلماء الذين شربوا العلم شرباً من يد سيد الأنبياء ﷺ، مثل سيدنا الإمام علي الذي قال فيه النبي ﷺ:

---

١ الطومية - طفنيس – إسنا ٢ من جماد الأول ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٢/١١م

{ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ } [٢]

ومثل سيدنا عبد الله بن مسعود الذي قال عنه الإمام علي: ((عبد الله رجل مُليء علماً من رأسه إلى أخمص قدميه)) ومثل سيدنا عبد الله بن عباس الذي يطلق عليه ترجمان القرآن، لأن النبي ﷺ دعا له وقال:

{ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ } [٣]

وغيرهم من أصحاب حضرة النبي الأصفياء الأتقياء الأنقياء الذين زكاهم النبي ﷺ وقال عنهم:

{ أُدَبَاءُ حُلَمَاءُ عُقَلاءُ فُقَهَاءُ كَادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ } [٤]

وفي رواية أخرى:

{ عُلَمَاءُ حُكَمَاءُ كَادُوا مِنْ صِدْقِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ } [٥]

كلهم كانوا على هذه الهيئة، ليس فيهم من كان معه دكتوراه ولا ماجستير ولا غيره من الشهادات، لكنهم كان معهم دكتوراه في معرفة الله، ودكتوراه في الإحاطة بعلوم كتاب الله، ودكتوراه في السنن التي يفعلها رسول الله ومصطفاه، وكانت هذه هي همهم في قعودهم وحياتهم وممشاهم.

---

٢ الحاكم في المستدرك والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
٣ مسند أحمد وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما
٤ أحاديث منتقاه لأبي بكر الأنصاري عن سويد بن الحارث رضي الله عنه
٥ حلية الأولياء لأبي نعيم عن سويد بن الحارث رضي الله عنه

فكان سيدنا علي، وسيدنا عبد الله بن مسعود، وسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أجمعين على سبيل المثال؛ كان كلا منهم يقول: (سلوني فوالله لا تسألوني عن آية في كتاب الله إلا وأعلم أين نزلت، وفى أي وقت نزلت، ولِمَ نزلت) وهذا العلم - أسباب نزول الآيات - جمعه العلماء؛ يُعرِّف الإنسان أسباب نزول كل آية، ومنها عدة كتب؛ للنيسابوري والواحدي والسيوطي، وكلها جمعت أسباب نزول كتاب الله ﷻ.

أما هذه الآيات التي بين أيدينا فكان سبب نزولها أن سيدنا رسول الله ﷺ عندما وجد صدود من أهل مكه عن دعوة الله، ودين الله جل في علاه، بدأ بعرض نفسه على العرب، وبدأ بقومه ليؤمنوا بالله، ويصدقوا بكتاب الله، ويعاونوه في نشر دين الله ﷻ، لكن لحكمه يعلمها الله كذَّبه معظمهم إلا القليل، وآذوه، وكانوا يريدون أن يقتلوه، فبدأ بالبحث عن غيرهم، فذهب إلى الطائف فوجد منهم صدوداً.

وكان هناك سوق في موسم الحج في مكان قريب من مِنى، مكان تجلس فيه القبائل، وكل قبيلة تأتي بخطيبها وشاعرها ويعملون مسابقات في الشعر، وتكون مثل مسابقات ثقافيه كبيرة أيام الحج، فذهب حضرة النبي ﷺ وعرض نفسه على هؤلاء القوم فاستجاب له جماعة من أهل يثرب، لأنهم عرفوا من اليهود أوصاف حضرة النبي الله ﷺ التي أتى بها سيدنا موسى عليه السلام.

ومن جملة الأوصاف أنه سيهاجر من مكة إلى بلد مشهورة بالنخل، فعرف اليهود أن النبي سيهاجر إلى المدينة، فتركوا بلاد الشام حيث الرخاء والخير الكثير والنعم الوفيرة وسكنوا المدينة منتظرين ظهور نبي أخر الزمان سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وسيدنا موسي عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام أجاد في وصف حضرة النبي وحركاته وسكناته حتى جعلهم كما قال القرآن: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ (١٤٦البقرة) جعل اليهود يعرفون حضرة النبي كما يعرف أحدهم أبناءه.

وعندما سكن اليهود يثرب كانوا يحكون عن نبي أخر الزمان، وكانوا إذا حدثت حرب بينهم وبين قوم آخرين، ويجدون العدو شديداً وصعب المراس، كانوا يدعون الله برسول الله أن ينصرهم ويقولون: اللهم بحق النبي الذي سترسله في آخر الزمان انصرنا عليهم، وعندما يدعون بهذا الدعاء كان الأعداء يديرون ظهورهم لهم ويتركونهم يقتلونهم وتنتهي المعركة بفوزهم، وهذه عبارة مشهورة في اللغة العربية (منحوا أكتافهم).

ومع ذلك كفروا به بعدما أرسل إليه، ولذلك عاتبهم الله في ذلك وقال: ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٨٩البقرة) لأن الله ﷻ لم يكتب لهم سابقة الحسنى الأزلية.

بيعة العقبة

لكن الأنصار لما سمعوا منهم هذا الحديث عن هذا النبي وعرفوا أن هناك نبي سيخرج في هذا الزمان، وسيهاجر إلى بلادهم، استجابوا لدعوته، فضلاً أن الله كتب لهم السعادة والحسنى السابقة، وجعلهم أنصار رسوله ﷺ.

فآمن بحضرة النبي بضعة نفر ....

وفي العام التالي زادوا وبلغوا اثني عشرة رجلاً ....

واجتمعوا ومعهم حضرة النبي ﷺ، وعلَّمهم بعض قواعد الإيمان، وطلبوا منه أن يرسل معهم أحدٌ من أصحابة ممن تعلموا منه ﷺ فيعلمهم القرآن، ويفقههم ويصلي بهم، فأرسل معهم سيدنا مصعب بن عمير.... وهو أول مبشر بدين الإسلام في عهد الحبيب المصطفي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وبعد ذهاب مصعب ﷺ، وبعد عام عند موسم الحج كان قد انتشر الإسلام في ربوع المدينة، ولم يوجد بيت إلا ودخل فيه فرد أو اثنان في دين الله ﷻ.

فذهبوا لرسول الله ﷺ في وفد كبير عدده سبعين رجل، ومعهم ثلاث سيدات، لنعرف أن الإسلام يكرم المرأة من البداية، وأن السيدات لهن مكانه رفيعة في دين الله وعند الله ﷻ.

وسيدنا رسول الله ﷺ كان حريصاً، فحدد مقابلتهم في العقبة ... وهو موضع رجم إبليس الآن، وذلك في أخر الليل حتى يكون الناس نيام، وهناك لم يكن أحد يسكن بل كانوا يرمون الجمرات ثم يعودون، وكانوا يسكنون في مني، وطلب منهم أن يذهبوا إلى هناك قبيل الفجر، وأن يخرجوا من خيامهم فرادي ويذهبوا خفية، لأن معهم قوم ما زالوا على شركهم، ولم يؤمنوا بعد، فتجمعوا مع حضرة النبي ﷺ:

{ فقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: اشْتَرِطْ لِرَبِّكَ ولنَفْسِكَ مَا شِئْتَ، قَالَ: " أَشْتَرِطُ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَشْتَرِطُ لِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِيَ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكَمْ "، قَالُوا: فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ فَمَاذَا لَنَا؟ قَالَ: " الْجَنَّةُ "، قَالُوا: رَبِحَ الْبَيْعُ، لا نَقِيلُ وَلا نَسْتَقِيلُ، فَنَزَلَتْ: ((إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ)) الآيَةَ"}

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ :

المشترى هو رب العزة، والبائع هم المؤمنون، فماذا يشتري منهم؟

﴿ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾:

وما الثمن؟

﴿ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾:

ما كيفية السداد؟

﴿ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾:

وهناك قراءة أخرى: ﴿ فيُقْتَلُونَ ويَقْتُلُونَ ﴾ وهذه قراءة ورش.

وأين التوثيق؟

﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ :

هذه مكاتب التوثيق الإلهي؛ التوراة الصحيحة النازلة من حضرة الله غير المحرفة، والإنجيل الصحيح غير المحرف، والقرآن.

ومن يكون أكثر وفاء من الله ﷻ؟!

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ :

وبعد انتهاء البيع يقول لهم:

﴿ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ :

﴾ ولذا نحن تعلمنا عند انتهاء البيع نقول للمشتري مبروك، وهذه البشري تعلمناها من كتاب الله.

وهذه صورة العقد، اشترى فلان من فلان، ولابد من الإسم كاملاً، واشترى كذا، والثمن كذا، ويضع الثمن هل دفعات أم جملة واحدة، ومستعد للتوثيق في الجهات الرسمية، هذا هو صورة العقد التي علمنا إياها الله ﷻ ...

﴿ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

لطيفة

ولنا وقفه لطيفة: من الذي خلق النفس؟ الله ﷻ، ومن الذي تفضل علينا بالأموال والخيرات والبركات؟ الله ﷻ، فالله خلق النفس، وهو الذي تفضل علينا بالأموال والبركات ثم يقول لنا بعهم لي لنعرف أن هذا فضل من الله علينا، أعطانا ويشتري منا ما أعطانا، حتى نعرف أن هذا ليس بمهارتنا، ولكن بفضل الله ﷻ

جهاد النفس

لكن لماذا النفس، ولم يقل اشترى من المؤمنين قلوبهم مثلاً؟ لأن النفس هي من تلعب بالإنسان، وهي التي لا بد من جهادها، فإذا الإنسان جاهدها على شرع الله فاز ونجا، وإذا تركها لتمشي على هواها ضل وغوى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾ (النازعات).

الجهاد كله مع النفس، لأنها هي التي تحاول أن تجعل الإنسان يخالف منهج الله، وهي من تسول له المعاصي، وهي من تحبب إليه مواطن الغفلة، وهي من تزين له الشهوات، وتريده أن يقع في المحظورات، ولذا فالجهاد الأكبر هو جهاد النفس.

سيدنا رسول الله ﷺ كان في غزوة تبوك ومعه ثلاثون ألف من أصحابه الكرام وكانوا في حرب مع الروم وعند رجعوهم قال لهم:

{ قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ، قَالُوا: وَمَا الْجِهَادُ الأَكْبَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ }[٦]

---

٦ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والزهد الكبير للبيهقي عن جابر رضي الله عنه

ولم يقل الجهاد الكبير ولكن الأكبر أكبر جهاد هو جهاد النفس، لأن: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ (٥٣يوسف) هذه وظيفتها، ووسيلتها الشهوات والجوارح والأعضاء التي جعلها الله ﷻ في ظاهر الإنسان ليستعين بها على طاعة الرحمن، لكنها تريد أن تخذله وتجعله يستغلها في طاعة الشيطان والبعد عن حضرة الرحمن ﷻ.

فجهاد النفس هو الجهاد الأكبر، لكن القلب ملك مقلبه ﷻ، لا يستطيع أحد أن يبدله أو يغيره إلا الله:

{ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ }[7]

ولذلك جعل الله ﷻ فيه أعز وأعظم النعم الإلهية التي تفضل بها على عباده من الأولين والآخريين، فأعظم نعمة تفضل بها الله على خلقه الأسوياء الأصفياء هو الإيمان، وجعله في خزانة القلب، فلا يستطيع الشيطان أن يقترب ليسلب الإنسان الإيمان الذي جعله الله في قلب العبد المؤمن: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ (٢٢المجادلة)

فهو من كتب بذاته ﷻ.

فالشيطان عندما يوسوس لا يوسوس في القلب:

٧ جامع الترمذي وابن ماجة عن أنس رضي الله عنه

﴿ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ (٥الناس) الأوامر تخرج من النفس إلى الصدر، والصدر هو من يخرج الأوامر إلى الجوارح لتنفذ، لكن القلب محل الإيمان ومحل العرفان ومحل الهداية ومحل الولاية لا يستطيع الشيطان أن يصل إليه أو يدخله لأن الله ﷻ حصنه وجعل فيه أغلى نعمة تفضل بها على عباده وهي نعمة الإيمان، ولا يوجد ما في السموات ولا ما في الأرض ما يستطيع تحمل هذه النعمة إلا القلب، ولذلك ورد:

{ مَا وَسِعَنِي سَمَاوَاتِي وَلا أَرْضِي، وَلَكِنْ وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ }[٨]

هو الوحيد الذي فيه الجواهر المكنونة، والعلوم الإلهية المصونة، صاغها الله في قلب عبده المؤمن، وحفظه الله ﷻ بحفظه حتى لا يتسلل إليه شيطان، ولا يستطيع أن تصل إليه حتى النفس، ليكون دائما في حصون الأمن الإلهي عند الرحمن ﷻ.

فالنفس هي التي تحتاج إلى الجهاد، وهي التي عرضها الله لنا للبيع، قدمها لنا، وطلب منا أن نزكيها بالطاعات، وإلا ستضحك على صاحبها وتجعله ينزل إلى المعاصي والغفلات، وتجعله يخيب في حياته وطريقه، وإذا لقي الله ﷻ يندم ولا ينفع الندم:

---

٨ ذُكر في الإحياء للإمام الغزالي

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۞ ﴾ (الشمس).

فالنفس موطن كل جهاد، ولذلك هي من أمرنا الله ببيعها له، وهذه البيعة التي تمت مع الأنصار ذكرها الله في القرآن ليعلمنا أن كل فرد منا في عنقه بيعة لحضرة الرحمن.

مستندات البيع

وحتي يتم البيع لا بد من إتمام المستندات التي يتم بها قبول بيعه لله ﷻ.

التوبة

وهذه المستندات أولها:

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ﴾:

لا بد من أن يدخل نفسه في زمرة التائبين، وقال الله لنا جميعاً:

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣١النور).

وحتى أكون من التائبين هناك علامات لا بد منها، أولاً: ترك مجالسة الفاسقين والعصاه والمذنبين والمبعدين عن رب العالمين ﷻ، لأن الإنسان لو تاب إلى الله وأناب وظل متمسكاً بهؤلاء الأصحاب من الجائز في البداية أن يقدر على نفسه، ولكن هؤلاء هم شياطين الإنس، والله قدَّم شياطين الإنس على شياطين الجن، لأنهم أخطر، فالجن يوسوس في الصدر وعندما تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم يتركك ويذهب، لكن شيطان الإنس يمسك أذنك ويريد بأي طريقة أن يصدك عن ذكر الله وطاعة الله ليرجعك مرة أخرى معه، إذا لم تفلح معك طريقة يفكر لك في أخرى، ولا يكل ولا يمل، ولذا يجب علينا أن ننفذ الأمر الإلهي: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام)

قد تقول لنفسك: أجلس معهم لأهديهم، فبدلاً من أن تهديهم يضلوك هم!!.

يقول البعض: ما بال الصالحين يذهبون ليجالسوا هؤلاء لهدايتهم؟ الصالحون ذهبوا بإذن من الله، ولم يحركهم الهوى، ومادام هناك أمر من الله فيكون هناك شيء سيحدث بأمر من الله، ومعونة الله جل في علاه، لكنك مسكين ما تزال تجاهد نفسك، فلا بد أن تمنع نفسك عن هؤلاء القوم الظالمين؛ الذين ظلموا أنفسهم وابتعدوا عن طاعة الله، وانغمسوا في المعاصي.

وبعضهم يتباهي بالمعاصي التي اقترفها في هذه الحياة، وهل تعلم أن هؤلاء ليس لهم توبة قال ﷺ:

{ كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلا الْمُجَاهِرِينَ } [٩]

لأنه يتباهي بمعاصيه، إلا لو تاب توبة نصوحة صادقة، فيتوب عليه رب العالمين، لكن طالما مستمر بالمفاخرة بالمعاصي التي فعلها فلماذا أجالسه؟!.

ثانياً: لأكون من التائبين يجب أن أجالس الأخيار والمتقين والصالحين، لأكون معهم، لأن الله قال لنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة)

ابحث عنهم، واذهب إليهم في مجالسهم التي تتنزل فيها رحمة الله ﷻ، قال ﷺ:

{ أَحِبُّوا الْفُقَرَاءَ وَجَالِسُوهُمْ } [١٠]

والفقراء هم الفقراء إلى الله ﷻ، وكان بعض الصالحين لو رأي قوماً ضالين يخرج فيجري، وإذا قيل له لماذا؟ قال لأن غضب الله ينزل عليهم وأخاف أن ينزل عليهم وأنا معهم، وهذه حقيقة.

ولذا لا بد من الإنسان العاقل أن يبعد عن العصاة والضالين والمجاهرين، ويبحث عن الهداة المهديين؛ أهل الإستقامه ويصاحبهم، فيأخذوك معهم إلى الطريق القويم، الهادي إلى كرم الله، وعطاء الله، وكما قيل لحضرة النبي ﷺ: أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ؟ قَالَ:

---

٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٠ الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ مَنْ ذَكَّرَكُمْ بِاللَّهِ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَكُمْ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَذَكَّرَكُمْ بِالآخِرَةِ عِلْمُهُ }[1]

فنجهز ملف التوبة أولاً لكي نبيع، والشرط الأول للتوبة البعد عن الضالين أجمعين، الشرط الثاني أن نقترب ونصاحب الأتقياء والصالحين.

والشرط الثالث: أجاهد نفسي لأعمل بالتشريعات والسنن الواردة عن سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، ذهب رجل إلى الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه وقال له: يا إمام إني أريد أن أسير معك في طريق الله، فما شروط السير معك في طريق الله ؟ فقال له الإمام: ثلاثة شروط، مفارقة الأشرار، ومصاحبة الأخيار، والسير على المناهج الربانية والآثار النبوية.

العابدون

وبعد ذلك أجهز الملف الثاني:

﴿ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ﴾:

يكون لي عبادة لله ﷻ، وكلمة العابدون ليس معناها من يقوم الليل، ويصوم النهار، وليله ونهاره في تلاوة القرآن والأذكار فقط، ولكن العبادة أن يحرر نية قبل كل عمل حتى لو كان عمل لدنياه، أو أكل وشرب، أو نوم .. يجعل قبل كل عمل نية أن هذا العمل لله، فتصبح حياته كلها عبادة لله ﷻ.

---

١١ الأحاديث المختارة للمقدسي وشعب الإيمان للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه

أنا ذاهب للعمل، فأنوي قبل الذهاب للعمل أني ذاهب لإعفاف نفسي وأولادي عن سؤال الناس، فأستحضر هذه النية فيكون العمل كله عباده لله ﷻ، وعند الأكل أنوي أن أستعين به على تقوية الجسم ليقوي على طاعة الله ﷻ، فيكون الأكل عبادة، وأتزوج بنية أن أغض بصري عن النظر إلى ما حرمه الله عليَّ من خلق الله، فأصبح الزواج كله عبادة.

وعند النوم أستحضر نية أني أريح جسمي حتى لا يمل ولا يكل من عبادة الله ﷻ، فيصبح النوم عبادة، حتى أن بعض الصالحين كان يجعل نومه ورداً، كان سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه عندما يدخل ينام يقول: لا تقطعوا علىَ وردي!! كان يجعله ورد من ضمن الأوراد.

يجعل له ورد ينام من الساعة كذا إلى الساعة كذا، ليقوم بين يدي الله، كأن ينام بعد الظهر ولو نصف ساعة ليستعين بالقيلولة على قيام الليل، فأصبح النوم نفسه ورد، فقد قال ﷺ:

{ مَنْ نَامَ عَلَى تَسْبِيحٍ أَوْ تَهْلِيلٍ أَوْ تَحْمِيدٍ يُبْعَثُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ نَامَ عَلَى غَفْلَةٍ بُعِثَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعَوِّدُوا أَنْفُسَكُمُ الذِّكْرَ عِنْدَ النَّوْمِ، وَعِنْدَ الْمَوْتِ }[١٢]

١٢ الثاني من الفوائد المنتقاه لأبي القاسم الأزجي عن الحكم بن عميررضي الله عنه

من نام على ذكر الله كان نومه كله ذكر لله ﷻ، ويُكتب له قيام لله ﷻ: ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ (١٧الذاريات) وهذا ليس معناه أنهم لا ينامون الليل، ولكن معناه أنهم إذا ناموا ناموا على ذكر الله الواحد الأحد الفرد الصمد، فيكون نومه ذكر لله ﷻ.

فإذا قعد فيكون إما ذاكراً لله ﷻ، أو قارئاً للقرآن، أو يصلح بين المتخاصمين، أو يصل رحمه، أو يذهب لفقير ليواسيه، أو يذهب لأحد إخوانه في الله ﷻ ليرفعوا شأن بعض.

كل هذه عبادات وقيام لله، فالقيام ليس قاصراً على الصلاة فقط، بل القيام في كل أعمال البر والخير التي يعملها العبد لله ﷻ.

فالعابدون هم الذين حولوا حياتهم كلها؛ حتى اللهو واللعب إلى طاعة لله ﷻ: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحۡيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾ (١٦٢الأنعام).

الحامدون

فإذا كانت حياته كلها طاعة لله فإنه يحتاج إلى ملف ثالث:

﴿ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ﴾:

يحمد الله، ويشكر الله على النعم العظيمة التي اختصه بها الله، فيكون من الشاكرين الحامدين.

والحمد لا يكون إلا لله، أما الشكر فيكون يكون لله ولخلق الله، ولذلك قال ﷺ:

{ إِذَا حَشَرَ اللَّهُ الْخَلائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ، اصْطَنَعَ إِلَيْهِ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِهِ مَعْرُوفًا: هَلْ شَكَرْتَهُ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْكَ فَشَكَرْتُكَ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: لَمْ تَشْكُرْنِي إِذْ لَمْ تَشْكُرْ مَنْ أَجْرَيْتُ ذَلِكَ عَلَى يَدَيْهِ }[13]

لكن الحمد لا يكون إلا لله رب العالمين، ولذلك السيدة أم رومان زوجة سيدنا أبو بكر وأم السيدة عائشة أم المؤمنين، بعد حادثة الإفك ونزول آيات البراءة، تلاها حضرة النبي ﷺ، فقالت لعائشة:

{ قُومِي إِلَيْهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: لا، وَاللَّهِ لا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلا، أَحْمَدُ إِلا اللَّهَ ﷻ}[14].

البعض يظن أنها غاضبة من حضرة النبي، لكنها تعرف الحقيقة أن الحمد لا يكون إلا لله، ولكن الشكر يكون لله ولخلق الله: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ (١٤لقمان).

---

١٣ معجم الطبراني وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها
١٤ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

والحمد لله على عطاياه، يعني يشكره شكراً خاصًا، ويعلم علم اليقين أن السبب في كل نعمة والسبب في كل بر هو الله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (٥٣النحل).

السائحون

وبعد ذلك يكون له عبادة خاصة، من باب العبادات التي يرى فيها الله أنه تغلب على نفسه، وأصبح مجاهدً في سبيل الله:

﴿ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ :

والسياحة الربانية أنواع كثيرة، وعندما سُئل حضرة النبي ﷺ عن السياحة قال:

{ إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى }[15]

وفي رواية أخرى:

{ فَإِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْحَجُّ، وَالْعُمْرَةُ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }[16]

الحج إلى بيت الله سياحة، والجهاد في سبيل الله سياحة، وطلب العلم والسفر لأجله سياحة لله ﷻ، قال ﷺ:

١٥ سنن أبي داود والحاكم في المستدرك عن أبي إمامة رضي الله عنه
١٦ الجليس الصالح للمعافي بن زكريا عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه

{ مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ }[١٧]

وهناك سياحة أخرى وهي بالفكر؛ أن الإنسان يتفكر في الأكوان، وينظر فيها بعين الإعتبار، ليهتدي بدلائل قدرة الله على إبداع صنع الله جل في علاه.

وهناك سياحة بالقلب؛ إذا أُطلق القلب من عقاله، وفك الغرام هذه العقالات التي تحبسه، لأنه لا يفك هذه الحبال إلا شده الغرام والشوق والهيام، حتى يصل إلى درجة الإصطلام لله ﷻ، وللحبيب الأول ﷺ، فإذا انفك عقال القلب فيسيح في ملكوت السموات والأرض: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لم يذهب بجسمه لكنه ذهب بقلبه: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام).

إذا أكرم الله سبحانه وتعالى الإنسان بالفتوح، وسطعت عليه أنوار الروح تكون السياحة في تجليات الأسماء والصفات التي تعم جميع العوالم العلويات والسفليات، لأنها كلها قائمة بأسماء الله وصفاته ﷻ.

فالسماء مرفوعة بإسم الله الرافع، والأرض مبسوطة بإسم الله الباسط، والجبال قوتها من إسم الله القوي .. فيسوح بالروح بأسماء الله وصفاته فيرى الكون كله عاليه ودانيه منفعلاً بأسماء الله ﷻ وصفاته القدسية.

---

١٧ جامع الترمذي والطبراني عن أنس رضي الله عنه

إذا أكرم الله العبد، ونفخ فيه بعد ذلك من روحة القدسية، فتكون السياحة بالنفخة القدسية، وتكون في الجمالات الإلهية، والكمالات الربانية، وهذه سياحة لأهل الكمال وأهل الوصال من أمة حضرة النبي ﷺ.

الراكعون الساجدون

بعد هذه السياحة يرى أنه ينبغي عليه أن يطيل الركوع والسجود لله ﷻ:

﴿ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ﴾ :

لأن خير عبادة يتعبد بها المرء لمولاه هي الصلاة، فالذي يريد المقام المحمود ليكون مع رسول الله في المقام المحمود عليه بـ: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ (الإسراء).

الذي يريد المقام المحمود عليه بالمداومة على الصلاة كالحبيب ﷺ، وأصحابه الكرام، والأولياء ذوي المقام من بعده إلى عصرنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ثم يأمره الله ﷻ أن يهدي عباد الله إلى الله بالحكمة والموعظة الحسني، وليكون هادياً يسيطر على النفوس ويحتوي القلوب لا بد أولا أن يأمر نفسه وينهاها:

﴿ ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾:

يأمر نفسه بالخير وينهاها عن المنكر، حتى إذا أمر غيره استجاب:

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليمُ
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى كيما يصح به وأنت سقيمُ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويُقتدى بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

هذا جزء من قصيدة لأبي الأسود الدؤلي يترجم حال أصحاب رسول الله ﷺ، ومَن بعدهم من الصادقين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

حفظ حدود الله

آخر ملف من هذه الملفات لنأخذ البيعة مع الله:

﴿ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ﴾ :

وحدود الله يعني التشريعات التي نزلت في كتاب الله، أو وضحها رسول الله في سننته من عند مولاه ﷻ.

ولا بد من المحافظة على هذه الحدود، ومن يتعداها:

﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ (١الطلاق)!

لم يظلم غيره ولكن ظلم نفسه!!!

لذا لا بد أن يحافظ على جميع الحدود التي حدَّها لنا حضرة المعبود ﷻ، بمعني لا يعمل عملاً إلا إذا عرف الحكم الشرعي في العمل، وإذا لم يعرف يسأل: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل) يسأل السادة العلماء أهل الخشية في أي عمل.

لا يعمل عملاً من هواه، ثم يبحث عن السادة العلماء ليحلوا له هذا الفعل!

لكن قبل بدء أي عمل لا بد أن يعرف حدود الله، مثال:

شاب يريد الزواج لا بد قبل الزواج أن يعرف ما هي حقوقه على زوجته، وما هي حقوقها عليه، ولا بد أن يعرف الأمور الشرعية للجماع مع زوجته، ويحافظ عليها بالكلية، فهناك أمور محرمة، وهناك أمور حلال.

بعض الشباب في هذه الأيام يقول لا أعلم أن هذا حرام، لماذا لم تسأل قبل فعله؟! فهذا عذر أقبح من ذنب.

يأتيني أحباب كثر يقولون أنا عملت كذا، فما الحل؟ أنت فعلت ذلك وانتهى الأمر فالسؤال لا بد أن يكون قبل العمل، هل أفعل ذلك أم لا؟.

والبعض يسأل أفعل ذلك أم لا ؟فأقول له: الحلال كذا والحرام كذا!

فيذهب ويفعل ما في نفسه ويرجع يقول لي: نفسي غلبتني وعملت كذا، وهذه مصيبة عظمي يقع فيها معظم المسلمين في هذا الزمان؛ أن كل واحد جعل من نفسه مفتي لنفسه، وإذا أحس في يوم من الأيام بندم يذهب إلى أحد الناس ليستشيره ليحلل له، فيأتي لمثلي فيحرمه له، فيذهب لأخر فيحرمه له، ويبحث عن غيره حتى يجد متساهلاً يوافقه على ما عمله!! فأنت في هذه الحالة تغش نفسك:

﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ ﴾ (١الطلاق).

لكن أصحاب رسول الله ومَن بعدهم من السلف الصالح إلى يومنا هذا؛ كان الواحد منهم يسأل قبل العمل، فإن أذن له السادة العلماء العارفون الأجلاء سارع إلى التنفيذ، وإن منعوه انتهى فوراً ولا يفكر في هذا الأمر مرة أخرى!!!

لأنه يرجو النجاة، ومن يرجو النجاة فهذه هي طرقها ومسالكها:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تمشي على اليبس

السفينة تريد بحراً وماءاً، وكذلك فمن يرجو النجاة ويمشى مع المذنبين والعصاة فهو يطمع في محال، لكن لا بد للإنسان من المحافظة على حدود الله ﷻ!

وعليه لكي يحافظ على حدود الله أن يبدأ بتعلم الأحكام الشرعية التي أوجبها علينا الله، وهي موجودة في القرآن الكريم، وفي سُنَّة النبي الكريم، ويستزيد فيسأل أهل الخشية من السادة العلماء الأجلاء قبل كل عمل.

إذا استوفى الإنسان هذه الشروط علماً وعملاً أصبح داخلاً في هذه البيعة الإلهية، وضمن الله له هذه العطية، لأن الله ضمن له الجنة، ويوم القيامة يقول فيه تعالي:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٨٢الأنعام).

اللهم أعنا على أنفسنا ...

وانصرنا عليها نصراً عزيزاً؛ وأمدنا بمددك الذي لا ينقطع حتى نكون من عبادك التائبين العابدين الحامدين السائحين الراكعين الساجدين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والحافظين لحدود الله ....

واجعلنا ممن ذكرتهم في هذه الآية .....

واجعل لنا نصيب في هذه العناية .....

واجعلنا من الذين يوفون مع الله بعهدهم ولا ينقضون الأيمان .....

واجمعنا على حضرة نبينا ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار .....

واسلك بنا سبيلهم في الدار الآخرة .....

واجعلنا معهم في جنة النعيم أجمعين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

إشارات خاصة في هذه الآية

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾

بيعة المحسنين

يشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، فماذا يشتري من المحسنين؟ وماذا يشتري من الموقنين؟ لكل مقام مقال، فإذا كان اشترى من المؤمنين النفس والمال فيشتري من المحسنين الروح والسر والخفا والأخفا .. ولذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

فبذلت الروح لما أن أتى الداعي وبشر
وقليل بذل روحي للمليك وفيه أعذر

يبيع روحة ويرى أنه لم يقدم شيء، وقليل بذل روحي لله ﷻ، فالمحسنين يبيعون الروح لرب العالمين بأن لهم المنة، فالمؤمنين لهم الجنة أما هؤلاء لهم المنة.

والمنة هي العطايا الإلهية الخاصة، والتنزلات الربانية، والفيوضات القدسية، ترفع عنه الستائر ليتمتع بما هو مؤهل له من حظيرة القدس العلية .. عطاءات خاصة لمخصوصين، وهي غير الجنة التي هي لكل الأولين والآخرين، لكن هذا نصيب المحسنين الذين يبيعون الروح والحقائق الخفية كالسر والخفا والأخفا .. لينالوا المنة من الله ﷻ.

بيعة الموقنين

أما الموقنين لا يرى الواحد منهم لنفسه في داخله ولا خارجه شيء يملكه في الدارين، بل يرى نفسه عبداً لمولاه؛ يلبس ثوب العبودية، ويتبرأ من كل الدنيا والآخرة بالكلية، لأنه لايرجو إلا ذات الله ﷻ العلية، وهي داخلة في قول الله:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَهُ ﴾ (١٢٢الأنعام).

أمات نفسه عن شهواتها وحظوظها وأهواءها، وأمات إراداته وخطراته، وأمات كل شيء يجري منسوب لذاته، وأصبح منصباً بالكلية يرجو الإشارة العلية من الحضرة الإلهية، ويمتثل بها لأنه أقام نفسه عبداً لله ﷻ:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَهُ ﴾ (١٢٢الأنعام) ......

احتيا بالله، وأصبح كما قال الله:

{ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ }[١٨]

١٨ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

- هذا هو المقام ....
- احتيا ليس بالروح ولا بالنفس مثل الآخرين ....
- لكنه حي بالله:

﴿ فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام)

وهذه التي يقول فيها السادة أصحاب هذا المقام:

((العبد وما ملكت يداه ملك لسيده ومولاه))

هو كله لله:

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (١٥٦البقرة)....

وليس كما تقال في موت الأجسام فقط!

ولكن تقال في موت النفوس التي تجاهد في الوصول إلى رضا الملك العلام!!

إنا وأموالنا وأولادنا وأنفاسنا وسكناتنا وحركاتنا كلنا لله ﷻ.

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ (١٥٧البقرة) :

وصلوات يعني صلات تصلهم مباشرة من الله ﷻ إلى قلوبهم وأرواحهم وأسرارهم، صلوات ورحمة، فلا يحس بتعب في الجهاد، ولا مكابدة الشدائد، وإنما يجاهد ليشاهد، فيتلذذ بالمجاهدات لما يتنزل الله له فيها من أنواع المشاهدات.

- الأول يجد مكابدات في قيام الليل وفي صيام النهار، لكن هذا يجد لذة الأنوار الإلهية، والتجليات الربانية، فتذهب عنه المشقة بالكلية، وهذه رحمة الله:

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ (١٥٧البقرة)

مهتدون به إليه، وواصلون بفضله إليه!!!، لا بعلم ولا بعمل، بل بفضل الله ربي، وبطه خير رسلي.

لا تقل إن وصولي بالعمل أو بقطع الوقت في طول الأمل
إن مولانا تنزه عن علل إنه الرب المنزه والكبير

وهؤلاء هم أبدال النبيين والمرسلين، والأفراد الوارثين الذين اجتباهم واصطفاهم رب العالمين، ويقول فيهم الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

ليس الرقى إلى العليا بأعمال	ولا الوصول بأحوال وأموال
لكنه منة من فضل واهبه	به تعد جميلاً بين أبدال
خلق عظيم وإيقان ومعرفة	بالله ذي الفضل والإحسان والوالي
إذا عرفت مقام الله خفت وفي	هذا المقام تنال القرب بوصال

فهذه بعض الإشارات في هذه الآية .....

وهي خاصة لمخصوصين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبة وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾

مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾



۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢ ﴾ (التوبة)

٢٩: منازل الصادقين فى المعية[١]

هذه الآيات التي بين أيدينا تبين التربية الإلهية، والنظرات المحمدية لأصحابه المباركين، والتي سار على نهجها بعد ذلك إلى يوم الدين كُمَّل الصالحين والصادقين من المريدين، ولهذا يجب أن نعرفها ونعرف سبب نزولها، والتي أنزل الله ﷻ فيها وفي شأنها هذا البيان القرآني.

وقصص الأنبياء والمرسلين، وقصص الصحابة مع خير النبيين التي ذكرت في كلام رب العالمين يقول الله لنا فيها أجمعين: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١١١يوسف) وعبرة أي اعتبار وتذكر وتفكر وتدبر؛ حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من أوزار، ولكن يكونوا عند الله ﷻ من الصادقين الذين امتدحهم الله ﷻ في كلامه المبين.

قصة غزوة تبوك

قصة هذه الآيات باختصار: سيدنا رسول الله ﷺ عندما أصبح قريبًا من بسط نفوذه على الجزيرة العربية كلها، قام ملك الروم - وكان عاصمته القدس الآن في بلاد الشام - فجهز مائتي ألف مقاتل، وأراد أن يرسل هذا الجيش؛

[١] مسجد الشيخ أبودوح – طفنيس – إسنا ٣ من جماد الأول ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٢/١٢م

لكي يقضي على النبي ومن معه، فسمع حضرة النبي أن الروم سيخرجون ويأتون إلى الجزيرة العربية، وكان النبي في ذلك الوقت ليس معه إلا الجمع القليل، ولا يملك من المال إلا القلة القليلة؛ لأن الجزيرة العربية كانت كلها صحراء وأتباعه معظمهم من الفقراء.

والثروة الرئيسية للمدينة المنورة كانت التمر من النخل، وحياتهم كلها متوقفة على التمر، وصادف أن الرحلة قبل جمع التمر بقليل، فلا يوجد إمكانيات مادية، ولا أعداد بشرية، لكن علَّمهم الله وعلَّمهم نبيهم أنه لا بد للاستجابة لله ورسوله إذا أمرا بذلك.

وأنتم تعلمون أن أحدهم في ليلة عرسه، وفي فجر هذا اليوم سمع الداعي يدور في المدينة يقول هيا للقتال؛ فخرج على الفور وقالت له زوجته اغتسل أولًا قال لها: أبطأت على رسول الله ﷺ؛ فخرج ولم يغتسل، وهذا كان في غزوة أحد، ودخل المعركة ورزقه الله ﷻ الشهادة، فنظر حضرة النبي بعينه النورانية الإلهية فوجد الملائكة تغسله بين السماء والأرض، ونحن نعلم أن الشهيد لا يغسل ولا يكفّن، ويدفن في ملابسه التي قابل الله ﷻ فيها، فنصلي عليه وندفنه بهذه الهيئة، وكذلك الذي يموت محرمًا حاجًا إلى بيت الله الحرام, فعندما رأي رسول الله ذلك، وأراد أن يعلم أصحابه المباركين سر ذلك قال لهم:

{ إِنَّ صَاحِبَكُمْ تُغَسِّلُهُ الْمَلائِكَةُ، فَسَلُوا صَاحِبَتَهُ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ خَرَجَ لَمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ وَهُوَ جُنُبٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لِذَلِكَ غَسَّلَتْهُ الْمَلائِكَةُ }[2]

فكانوا إذا سمعوا النداء من سيد الرسل والأنبياء؛ تركوا ما في أيديهم، وسارعوا إلى نداء الله ورسوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (٢٤الأنفال) لابد أن تستجيبوا على الفور.

فعندما جاء الأمر من رسول الله بالخروج، كان جماعة من المنافقين أرادوا أن يثبطوا عزيمة المؤمنين، فقالوا: لماذا يأخذنا لهذا المكان البعيد في الحر؟! يجب أن ينتظر قليلًا بعد الحر: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ﴾ فرد الله عليهم فقال: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ (٨١التوبة) ففضح الله المنافقين في هذه المعركة النبوية الشريفة.

فماذا نصنع يا رسول الله؟ والزاد قليل، والزرع الذي نريد حصاده، فقال ﷺ واضعًا الأساس في العقيدة الإسلامية الشرعية للتكافل الاجتماعي بين المسلمين، والتي تحل مشاكل المسلمين في أي وقت وحين:

---

٢ صحيح ابن حبان والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

{ مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ }[٣]

ففعلوا ذلك فوجدوا أنه لا يكفي، فتناوب كل ثلاثة على ركوبة، يركب أحدهم، وإثنان يمشيان، والنبي ﷺ بدأ بنفسه، فقال له أصحابه: يا رسول الله اركب أنت ونحن نكفيك فقال ﷺ:

{ مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الأَجْرِ مِنْكُمَا }[٤]

فخرج بالجيش وكان عدده ثلاثين ألفًا، وهذه أكبر قوة حربية تجهزت في عهد حضرة النبي، وحضرة النبي ﷺ خصه الله بخصوصية يقول فيها:

{ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ }[٥]

عندما يكون ذاهبًا إلى قوم وبينه وبينهم سفر شهر يقذف الله في قلوب هؤلاء القوم الرعب من حضرته؛ فيتفرقون ولا يجتمعون، وهذا سلاح رباني خص الله ﷻ به المؤمنين أجمعين إذا صدقوا مع الله سبحانه وتعالي في كل وقت وحين.

فمن الذي تخلف عن رسول الله؟ كانوا حوالي خمسة وثمانين رجلًا كلهم من المنافقين، إلا ثلاثة كانوا من الصادقين، منهم سيدنا كعب بن مالك، وهذا كان من شعراء حضرة النبي، وكان يدافع عن النبي ﷺ بشعره.

---

٣ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
٤ مسند أحمد وابن حبان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
٥ البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه

فهو الذي يقص فيقول: كانت غزوة تبوك وكنت في خير حال، وعندي وسعة، فكلما أردت أن أتجهز قلت: الوقت طويل والتجهز لا يأخذ مني إلا القليل، إلى أن قرروا السفر، فقلت: أنا من الممكن أن أجهز نفسي وألحق بهم، ولكن بعد أن سار الجيش وجد نفسه أنه لا يستطيع اللحاق بهم، يقول: فنظرت إلى المدينة فلم أجد أحدًا تخلف إلا رجال من المنافقين، وهؤلاء لا يقيم لهم حضرة النبي وزنًا؛ لأنه كان يعلمهم، وهؤلاء قال الله له فيهم: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة).

ذهب رسول الله، وكانت مسافة السفر حوالي سبعمائة كيلو، وانظروا إلى هذا العبء، رحلوا وهم شبه سائرين، والأقوات قليلة، والزاد نادر وشحيح، لكن الله قذف في قلوب الأعداء الرعب، فجيش الأعداء الذي كان مكونًا من مائتي ألف هرب وترك المكان ورجع بمجرد أن سمعوا أن النبي ذاهب إليهم، لكي يتحقق قول النبي ﷺ:

{ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ }[٦]

فذهب النبي إلى هذا المكان؛ لكي يرهب هؤلاء الأقوام وأمثالهم ورجع، وكان كالعادة كل من في المدينة يسلم عليه، والذي له عذر يأتي ليقول عذره، فأتوا الخمسة والثمانين، كل واحد منهم يذكر عذره، ويتبسم له النبي ظاهراً، أما سيدنا كعب بن مالك يقول: عندما أتي دوري قلت: يا رسول الله،

---

٦ البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه

والله ما كنت في عيش أرغد ولا أهنأ ولا أسعد من هذا الوقت، فقال حضرة النبي: أما هذا فقد صدق، وترك حكمه إلى الله ﷻ، وكان معه رجلان مثله، فكانوا ثلاثة لم يقدموا أعذاراً عن طريق الكذب أو الخداع لرسول الله ﷺ.

عاقبة الصدق

والله يُعلِّمنا عاقبة الصدق لهؤلاء الصادقين، ماذا يفعل معهم رسول الله؟ وما ذنب التخلف عن رسول الله؟ ذنب لا يعلم مداه إلا الله عز جل، وأراد ﷺ أن يخرجوا من هذا الذنب ولا يكتب في سجلاتهم ولا يحاسبون عليه عند ربهم ﷻ، فحكم على أصحابه ألا يكلمونهم ولا يلقون السلام عليهم، ولا يردون السلام عليهم إذا ألقوه هم، ولا يجالسونهم، ولا يخالطونهم.

أرأيتم العقوبة!! ولماذا هذه العقوبة؟ تطهير من البشير النذير ﷺ، وأصحاب حضرة النبي امتثلوا لهذا الأمر، وهذا كان درسًا عمليًا، وبيانًا نبويًا؛ يبين لنا فيه رسول الله ﷺ أنه لو أن فردًا في داخل المجتمع ضرب بقوانين البلد والمجتمع عرض الحائط، فما الذي علينا لكي نقوِّمه؟ علينا أن نفعل كما أمر النبي، لا نكلمه، ولا نرد عليه، ولا نعامله، ولا نخالطه، فماذا تكون النتيجة؟ لا بد أنه سيؤنّب نفسه ويرجع إلى أصله ويصالح من حوله، لأن هذا هو العلاج الإلهي الذي قرّره الله سبحانه وتعالي لحضرة النبي ﷺ وصحبه الكرام.

سيدنا كعب بن مالك كان أكثر الثلاثة معاناة، فالإثنان الآخران دخلا بيتهما ولم يخرجا، وأما هو فكان يخرج ويذهب للمسلين ويقول: لهم السلام عليكم ولا يردون، وهو يقول، كنت ألقي على الرسول صلى الله عليه سلم السلام وأراه وأقول، ربما يحرك شفتيه ويرد ولكن لا أسمع الرد.

كان يخالط لكي ينجو من هذا الإثم المبين، فيقول: ومما زاد في معاناتي، كنت في السوق فإذا برجُلٍ من الروم يسأل عني يقول: أين كعب بن مالك؟ فدلوه عليَّ، فقال: معي رسالة لك من ملك الروم، فقرأ الرسالة فقال: بلغني أن صاحبك قلاك - أي أبغضك - فتعالى إلينا نيسّر لك كل أمر، يدعوه ليذهب إلى الروم لكي يحميه وينصره ويساعده ويعاونه، فقلت: هذا من البلاء الذي نزل عليَّ أيضًا، وأمسكت بالرسالة وحرقتها، وهذا دليل على الصدق.

وظلت هذه الحالة شهر، وبعد الشهر زاد العقاب، لأن حضرة النبي أمرهم بعدم مخالطتهم لزوجاتهم أو الاقتراب منهم، فجاءت زوجة أوهو حدهم سيدنا مرارة بن الربيع وكان رجلًا كبيرًا فقالت: مرارة شيخ كبير ولا يخدمه أحد غيري، فقال لها ﷺ: اخدميه ولكن لا يقربك، واستمر هذا الحال خمسين يومًا، أرأيتم التربية الإلهية؟! وتربية الصالحين بهذه الكيفية، لكن من الذي يتحملها؟!.

التوبة

بعد اليوم الخمسين نزل على سيدنا رسول الله ﷺ قبول توبة هؤلاء القوم:

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾ :

وهذا فيه جمال إلهي، فهل النبي فعل شيئًا؟ هل الذين معه فعلوا هذا الشيء؟ لا، لكن لو كان الخطاب مباشرة للذين خُلِّفوا؛ لخرجت نفوسهم من أجسادهم فورًا، لكن لكي يخفف الله عنهم الأمر قال:

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾.

أما الذين خُلِّفوا فما كان حالهم:

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ لكي نعلم أن التوبة ليست من العبد أولًا، لكنها من الله، فالرجل الذي يقول للسيدة رابعة العدوية رضي الله عنها: هل لو تبت؛ يتوب الله ﷻ عليَّ؟ قالت: لا، بل لو تاب الله عليك؛ لتبت، ألم تسمع قول الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ فالتوبة تبدأ من الله ﷻ أولًا.

جمال الصدق

ثم يأمرنا الله أن نكون مثل هؤلاء، ولا نكون كالمنافقين إن أردنا فضل الله وإكرام الله وعطاءات الله ونصرة الله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾:

فيعاهد نفسه على عدم الكذب، ولو في مزاح، أو سخرية، أو استهزاء، أو في أي حديث؛ لكي يكون مع الصادقين، لأن هؤلاء الصادقين هم الذين يبْلُغوا مرتبة الصديقين، فكيف يكون من الصديقين، وهم أعلى رتبة عند الله ﷻ بعد النبيين والمرسلين؟ قال ﷺ:

{ عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا }[٧]

ولذلك الذي يسلك طريق الله ﷻ أول أساس يؤسس طريقه عليه أن يبني حياته كلها على الصدق، سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ وأرضاه كان من القبائل العربية التي هاجرت في بداية الدعوة الإسلامية إلى بلاد فارس، وأبوه مات وهو صغير، وكان له أخ واحد، وكانت أمه من الصالحات.وكان يُحصِّل العلم من البلاد التي يقيم بها؛ فحصّل حتى لم يبق المزيد في البلاد المجاورة، وكان عنده رغبة شديدة في العلم، بعد ذلك أراد أن يذهب إلى بغداد، وكانت عاصمة الدولة العباسية، وكانت كلها علم وحكمة، وكان مؤدبًا أدبًا إسلاميًا، فاستأذن أمَّه بطلب العلم في بغداد، فكانوا مؤدبين، فإذا قالت لا، لن يذهب.

٧ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

فلم يقل أذهب بغير رضا أمي، لأن رضا الوالدين من رضا الله ﷻ، لأن كثير من الشباب في هذا الزمان يقول أريد أن أتزوج فلانة وأمي وأبي لم يوافقوا عليها، فنقول له: طاعة الوالدين فرض والزواج سُنة ولا يجوز للمؤمن أن يترك الفرض من أجل سُنة، فهل يجوز أن نترك فريضة العشاء ونصلى ألف ركعة لله؟ لا تغني عن الفريضة، فطاعة الوالدين فريضة، ولم يكن عندهم علم أنهم لو أطاعوا الوالدين فإن الله ﷻ سيحدث له بعد ذلك أمرًا يرى فيه الخير كل الخير.

الإمام الترمذي رضي الله عنه إسمه الحكيم الترمذي، وهو أول رجل في العالم الإسلام يتكلم في علوم الأولياء، كان في بلد إسمها ترمذ في أوزبكستان الآن في روسيا، وأصحابه خرجوا لطلب العلم، فذهب لكي يستأذن أمه، كان وحيد وأبوه متوفي، فقالت: له تتركني لمن؟! فأنا لا يوجد لي أحد غيرك؛ فلبى طلبها، لكنه كان غير سعيد.

وكان يذهب إلى المقابر؛ لكي يفرج عن نفسه، فذهب مرة إلى المقابر، ففوجئ برجل يقول له: هيا لكي أعلمك، وتعال كل يوم في ميعاد كذا وأنا أعلمك، وكانوا مهذبين، فلم يقل له من أنت؟ أو من الذي أرسلك؟ وبعد أن أتم تعليمه قال له الرجل: أتعلَم مَن أنا؟ قال له: لا، قال له، أنا الخضر، أرسلني الله ﷻ إليك لتعليمك لبرك بأمك!!.

فبِبِرّه بأمه أرسل له الله الخضر الذي علَّم موسى لكي يعلمه، ولذلك جاء بما يعجز الأولين الآخرين في علوم الولاية.

فسيدي عبد القادر الجيلاني استأذن أمه، فأذنت له، وقالت له: أبوك ترك لك أنت وأخاك ثمانين دينارًا؛ لك أنت أربعين دينارًا، وهو أربعين دينارًا، فأعطتها له، ثم قالت له: طالما أنك ذاهب إلى طلب العلم فعاهدني أن لا تكذب، فعاهدها، وكانوا عندما يريدون السفر يسافرون مع قافلة لكي يحمي بعضهم بعضًا من قطاع الطريق، فسار في قافلة، وفي الطريق خرج عليهم قطاع طريق فأخذوا كل الذي مع القافلة من أموال وسلاح، وخيول وجمال، وأتوا عنده فقالوا له: ماذا معك؟ فقال: أربعين دينارًا، فسخروا منه ولم يصدقوه؛ لأنهم يعرفون أن الناس يكذبون.

وأخذوه إلى زعيمهم، فقالوا له: هذا الغلام أمره غريب نسأله ونقول له ماذا معك فيقول: معي أربعين دينارًا ونحن لا نرى شيئًا معه، فقال له الزعيم: ماذا معك؟ قال: أربعين دينارًا وأخرجها له، فقال له: ولمَ لمْ تكذب؟ قال: لأن أمي أخذت عليَّ العهد ألا أكذب، وهنا عناية الله، وكان في ذلك الوقت ليس بشيخ ولا مرشد في طريق الله، بل ذاهبًا لطلب العلم، فقال لهم زعيمهم: هذا لا يكذب لأنه عاهد أمه على عدم الكذب، ونحن عاهدنا الله ﷻ بالوفاء بدين الله ونقطع الطريق، إني تائب على يد هذا الغلام، فقالوا له ونحن كذلك، فقال لهم: ردوا للقافلة كل ما أخذتموه منها لتصح توبتكم إلى الله ﷻ!!، انظروا للصدق من البداية جعله شيخًا:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

فمن الممكن أن تقول: الصادقون في الكلام مع العباد, أو تقول: الصادقون فيما عاهدوا عليه رب العباد ﷻ، وهؤلاء قال الله فيهم: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأحزاب) متى عاهدنا الله؟ كلنا عاهدنا الله في يوم الميثاق قبل خلق آدم وقبل خلق الأرض، جمعنا الله أرواحًا نورانية، وأخذ علينا الميثاق أجمعين: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدۡنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (١٧٢الأعراف).

فهؤلاء عرفوا هذا العهد، وحافظوا عليه، وبعض الصالحين يعيش في هذا المشهد وهو في الدنيا، يستحضره ويرفع عنه الله الأستار، ويسطع على قلبه الأنوار، ويذهب منها الأغيار، ويشرق على قلبه هذا اليوم فيراه كما نرى الشمس في وضح النهار، ولذلك كان بعضهم وهو يسير يقول: بلى بلى، ما هذا؟ فيقول: أنا أردد العهد، كأنه يعيش في العهد ويردده،.

سألوا الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه: أتذكر يوم الميثاق؟ قال نعم وأعلم من كان فيه عن يميني ومن كان فيه عن يساري. ... ومن هذا اليوم ائتلفت القلوب، فالذين كان بينهم وبين بعضهم ألفة هناك؛ يأتلفوا هنا، والذين كان بينهم خلاف هناك فيأتون هنا لا يحبون بعضهم ولا يميلون إلى بعضهم، قال ﷺ:

{ الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ }[٨]

فالذين تعارفوا هناك وائتلفوا هنا هم المؤمنون الصادقون الذين واجههم الله بجماله، أما الكافرون والمبعدون فواجههم الله بقهره وجلاله، فالمؤمنون قالوا: (بلى) وهم متلذذون، والآخرون قالوا: (بلى) وهم كارهون.

هذا هو اليوم الأول الذي أخذ الله علينا العهد فيه، ولذلك حضرة النبي يذكرنا به؛ لكي نصدق فيما عاهدنا الله ﷻ عليه، ما وظيفة النبوة؟ ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (٢١الغاشية)

يذكرهم بهذا اليوم، وما حدث فيه.

ليس معلم، ولكن من الذي علم؟ ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝ ﴾ (الرحمن) والنبي يذكرنا بما علَّمنا إياه حضرة الرحمن سبحانه وتعالي.

---

٨ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه

فالصادقون الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه في يوم الميثاق الأول، والصادقون الذين وفوا بالشريعة المطهرة والعمل بها خلف إمام الأنبياء والمرسلين ﷺ.

ثم بعد ذلك عاتب الله ﷻ الذين تخلفوا عن حضرة النبي، وقال لهم:

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ لماذا؟

لأن كل حركة وكل سكنه لها أجر عظيم عند الله ﷻ:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ﴾ في هذا السفر:

﴿ ظَمَأٌ ﴾ أي عطش ﴿ وَلَا نَصَبٌ ﴾ أي تعب، ﴿ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي جوع ﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا ﴾ أي يذهبون في أي مكان ﴿ يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً ﴾ في هذا السفر:

﴿ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا ﴾ أي طريقًا بين جبلين ﴿ إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾.

سيدنا رسول الله ﷺ، دعا للتبرع لجيش المسلمين، فأتى سيدنا عثمان رضي الله عنه وأرضاه وقال:

{يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلاسِهَا، وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ ثَلاثُ مِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلاسِهَا، وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَنَزَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: " مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ "}[٩]

أي فاز وجاز وأصبح داخلًا في قول الواحد القهار:

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٨٢الأنعام).

٩ جامع الترمي ومسند أحمد عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه

وبعد نزول هذه الآية أصر أصحاب حضرة النبي أن لا يتخلفوا عن رسول الله طرفة عين ولا أقل، كل نداء ينادي به رسول الله فالكل يلبي، لكن الله رفق بهم فقال:

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ :

عندما تخرجون كلكم وتتركون حضرة النبي فمن الذي يعلمكم العلوم التي يقولها النبي في غيبتكم، فلا بد أن ينتظر منكم جماعة لكي يتلقوا من حضرة النبي، ويحفظوا القرآن الذي أنزل على النبي، ويحفظوا السنة والأحاديث التي يقولها حضرة النبي ويُعلِّموها.

فكان هذا تخفيف من الله، ورحمة بأصحاب رسول الله ﷺ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩ ﴾ (التوبة)

٣٠: منازل الرأفة المحمدية[1]

خصوصية النبى وأمته

الآيات التي بين أيدينا الآن هي آخر آيات سورة التوبة:

وفيها لنا بيانٌ إلهي؛ يبين فضل الصحابة البررة الكرام، ويبين فضل الأمة كلها، ويبين بعد ذلك فضل الحبيب المختار ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين.

فقد ارتدَّ كثيرٌ من العرب بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وقيَّض الله ﷻ لهذه الأمة رجلاً صَدَق فيما عاهد الله عليه، ولا غرو أن يُسمَّى الصديق ﷺ، أراد أصحاب النبي ومنهم عمر أن يتساهل أبو بكر - ولو قليلاً - مع المرتدين، لأنه كان مطلبهم الأساسي أن يتنازل الخليفة عن الزكاة ويتركهم ولا يُحصِّلها منهم ماداموا يؤدون الصلاة، ولكنه ﷺ قال: { وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ }[2]

---
[1] الحميدات شرق – إسنا ٤ من جماد الأول ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٢/١٣م
[2] البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

سيدنا عمر كان شديداً فأراد أن يستلينه، لكنَّ الروح الإلهية التي انبثت في جسد الصديق الضعيف النحيف كانت كجيشٍ بأكمله، فاندفع فيه قائلاً: جَبَّارٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خَوَّارٌ فِي الإِسْلامِ[٣] . ....

ولذلك قال عمر لأحد جلساءه بعدأن قال له:.... أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، فقَالَ وَهُوَ يَبْكِي:

{ وَاللَّهِ لَلَيْلَةٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَيَوْمٌ خَيْرٌ مِنْ عُمَرَ، وَآلِ عُمَرَ، هَلْ لَكَ أَنْ أُحَدِّثَكَ بِيَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: أَمَّا اللَّيْلَةُ، فَإِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ هَارِبًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ خرج لَيْلا، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَجَعَلَ مَرَّةً يَمْشِي أَمَامَهُ، وَمَرَّةً خَلْفَهُ، وَمَرَّةً عَنْ يَمِينِهِ، وَمَرَّةً عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا هَذَا يَا أَبَا بَكْرٍ؟ مَا أَعْرِفُ هَذَا مِنْ فِعَالِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَذْكُرُ الرَّصْدَ، فَأَكُونُ أَمَامَكَ، وَأَذْكُرُ الطَّلَبَ، فَأَكُونُ خَلْفَكَ، وَمَرَّةً عَنْ يَمِينِكَ، وَمَرَّةً عَنْ يَسَارِكَ لا آمَنُ عَلَيْكَ، قَالَ: فَمَشَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَهُ كُلَّهُ حَتَّى أَدْغَلَ أَطْرَافَ أَصَابِعِهِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ حَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَجَعَلَ يَشْتَدُّ بِهِ حَتَّى أَتَى بِهِ فَمَ الْغَارِ، فَأَنْزَلَ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لا تَدْخُلُهُ حَتَّى أَدْخُلَهُ قَبْلَكَ، فَإِنْ يَكُ فِيهِ شَيْءٌ نَزَلَ بِي دُونَكَ، قَالَ: فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ، فَإِنَّ فِي الْغَارِ خَرْقًا أَسُدُّهُ، وَكَانَ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، فَمَزَّقَهُ،

---

٣ دلائل النبوة للبيهقي

وَجَعَلَ يَسُدُّ بِهِ خَرْقًا خَرْقًا، فَبَقِيَ جُحْرَانِ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَمَلَهُ، فَأَدْخَلَهُ الْغَارِ، ثُمَّ أَلْقَمَ قَدَمَيْهِ الْجُحْرَيْنِ، فَجَعَلَ الأَفَاعِي، وَالْحَيَّاتُ يَضْرِبْنَهُ، وَيَلْسَعْنَهُ إِلَى الصَّبَاحِ، وَجَعَلَ هُوَ يَتَقَلَّا مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يَعْلَمُ بِذَلِكَ، وَيَقُولُ لَهُ: يَا أَبَا بَكْرٍ لا تَحْزَنْ، إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى رَسُولِهِ السَّكِينَةَ وَالطُّمَأْنِينَةَ لأَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَهَذِهِ لَيْلَتُهُ، وَأَمَّا يَوْمُهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نُصَلِّي وَلا نُزَكِّي، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: نُزَكِّي وَلا نُصَلِّي، فَأَتَيْتُهُ لا آلُوهُ نُصْحًا، فَقُلْتُ: يَا خليفة رَسُولِ اللَّهِ، ارْفُقْ بِالنَّاسِ، وَقَالَ غَيْرِي ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ وَارْتَفَعَ الْوَحْيُ، وَوَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالا مِمَّا كَانُوا يُعْطُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَقَاتَلْنَا مَعَهُ، فَكَانَ وَاللَّهِ شَدَيْدَ الأَمْرِ، فَهَذَا يَوْمُهُ }[٤].

فجهَّز سيدنا أبو بكر إحدى عشر جيشاً، ووجههم إلى كل الجهات التي ارتدَّت عن الإسلام، وكانت أكبر جبهة في هذا الوقت جبهة مسليمة الكذاب الذي ادَّعى النبوة، والتف حوله قبيلته وبعض القبائل العربية طمعاً في المغانم الدنيوية، وأرسل سيدنا أبو بكر جيشاً بقيادة خالد بن الوليد ﵁ ومعه عددٌ كبيرٌ من الصحابة الأجلَّاء، وفي هذه المعركة قُتل عددٌ كبيرٌ من الصحابة.

---

٤ تاريخ دمشق لابن عساكر ودلائل النبوة للبيهقي

جمع القرآن

وبعدها ببرهة قال له سيدنا عمر:

{إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، إِلا أَنْ تَجْمَعُوهُ وَإِنِّي لأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟! فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، يقول أبو بكر: فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لِذَلِكَ صَدْرِي، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ}[٥].

كان القرآن عندما ينزل على رسول الله ﷺ كان يتلوه على أصحابه المباركين، فمنهم من يحفظه في صدره، ومنهم من يُسجله كتابةً في قطعة من الجلد، أو على حجر، أو على قطعة عظم، فلم يكن هناك ورقٌ بعد.

وكانت الكتابة بغير نقط ولا تشكيل، فالباء كالتاء والثاء، والجيم كالحاء والخاء؛ وكذلك السين كالشين، والصاد كالضاد، والدال كالذال، والراء كالزاي، والطاء كالظاء، والفاء كالقاف، وهكذا لا يوجد نقط، والنقط جاء بعد فترة طويلة، كذلك لا يوجد كسرة ولا فتحة ولا ضمَّة، فلم تكن هذه الأشياء موجودة أيضاً.

---

٥ صحيح البخاري عن زيد بن ثابت

وكانت كتابة مُفرقَّة مفرَّدة وليست ككتابتنا هذه، ومع ذلك حفظ الله كتابه من التبديل والتغيير، لأن الله تعهَّد بذاته بحفظ كلماته التي أنزلها على نبينا صلوات ربي وتسليماته عليه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ (٩الحجر).

وإلى الآن أي إنسانٍ يؤلف كتاباً ويراجعه وبعد المراجعة مرات ومرات لا بد وأن يجد أخطاء، لكن كلام الله ليس فيه خطأٌ واحد.

الإمام الشافعي رضي الله عنه وضع كتاباً أسماه (الأم) وراجعه ثمانين مرة، وفي كل مرة يجد أخطاءً، وبعد المرة الثمانين قال رضي الله عنه: ((أبى الله أن يجعل كتاباً خالياً من الخطأ إلا كتابه)).

فمن يختار لهذه المهمة؟

صاحب التخصص الذي خصَّصه حضرة النبي، لأن حضرة النبي وزَّع التخصصات على أصحابه الكرام، وقال:

{ أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ بْنُ كَعْبٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ }[٦]

٦ جامع الترمذي وابن ماجة عن أنس رضي الله عنه

خزيمة بن ثابت صاحب الشهادتين

فاتفقوا على أن زيد بن ثابت لأنه كان من كُتَّاب الوحي ليقوم بمعاونة جمعٍ من الصحابة الحُفَّاظ بجمع القرآن الكريم، وكان منهجهم في الجمع أن يجمعوا ما كتبه الأصحاب، كل من عنده جلد أو عظم أو حجر مكتوب يُحضره، ويطابقونه على ما يحفظونه في صدورهم وفي صدور الحُفاظ الآخرين، إلى أن وصلوا إلى هذه الآية التي نحن بصددها الآن، فلم يجدوا أحداً قد كتبها نهائياً، وهم يعلمون أن رسول الله قرأها ويحفظونها، ولكن لا يوجد أحدٌ قد سجلَّها كباقي آيات القرآن.

من الذي يشهد أنه سمعها من رسول الله شفاهاً؟ صحابي جليل إسمه خُزيمة بن ثابت ﷺ، وهذا الرجل - لتعلموا أن الأمور الإلهية لا تسير بعشوائية، ولكنها بترتيبٍ دقيقٍ يُرتبه رب البرية ﷻ – كان له موقف مع رسول الله ﷺ، فقد ورد أن النبي ﷺ:

{ ابْتَاعَ فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِيٍّ، فَاسْتَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَقْضِيَهُ ثَمَنَ فَرَسِهِ، فَأَسْرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَشْيَ وَأَبْطَأَ الأَعْرَابِيُّ، فَطَفِقَ رِجَالٌ يَعْتَرِضُونَ الأَعْرَابِيَّ فَيُسَاوِمُونَهُ بِالْفَرَسِ، وَلا يَشْعُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتَاعَهُ، فَنَادَى الأَعْرَابِيُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ مُبْتَاعًا هَذَا الْفَرَسِ وَإِلا بِعْتُهُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَمِعَ نِدَاءَ الأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ: أَوْ لَيْسَ قَدِ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ؟! فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: لا وَاللَّهِ مَا بِعْتُكَهُ،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلَى، قَدِ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ، فَطَفِقَ الأَعْرَابِيُّ يَقُولُ: هَلُمَّ شَهِيدًا، فَقَالَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَايَعْتَهُ، فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خُزَيْمَةَ، فَقَالَ: بِمَ تَشْهَدُ؟، فَقَالَ: بِتَصْدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهَادَةَ خُزَيْمَةَ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ }[٧]

شهادته بشهادتين، يعني لا يحتاج لأحدٍ آخر معه، فالآية لم يسمعها أحدٌ شفاهة إلا خُزيمة، فذهبوا إلى سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وقالوا: لا يوجد أحدٌ سمعها إلا خُزيمة، فقال لهم: إن شهادة خُزيمة بشهادة رجلين، لنعرف مكانة أصحاب حضرة النبي ﷺ.

مكانة الرسول ومنزلة أمته

ولنا نحن مكانة؛ مكانة الأمة، فرب العزة ﷻ، يخاطب الأمة كلها، الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وكل الأمة إلى يوم الدين، ويقول لنا:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾

فعندما ننظر في القرآن نجد أن الله ﷻ عندما خلق أرواح النبيين والمرسلين جمعهم وأخذ عليهم العهد والميثاق لحضرته،

٧ سنن أبي داود والحاكم في المستدرك

وأثبت ذلك في كتاب الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ (٨١آل عمران) فكما قال للأنبياء قال لنا، قال لهم: ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ وقال لنا: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ فهو كما أنه رسولنا فهو رسول الأنبياء والمرسلين أجمعين.

ما الواجب على الأنبياء السابقين أجمعين؟

﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ ﴾ (٨١آل عمران):

لا بد أن يؤمنوا برسول الله، وينصروا رسول الله ﷺ، بأن يبشروا بدعوته، ويخبروا بصفاته النورانية، وأحواله التقية النقية، ويأمروا أتباعهم أن من يحضر زمانه وعصره وأوانه لا بد أن يُجدد الإيمان على يد رسول الله ﷺ.

ويجب أن ننتبه لملحظ هنا، وهو أن الله جعل هذه الأمة في منزلة تُضاهي منزلة أنبياء الله ﷻ، ولذلك حتى في مقام الشهادة يقول الله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ (٤١النساء) كل نبي شهيد على أمته، ومن الذي يشهد على الأنبياء وأممهم؟ سيدنا رسول الله ﷺ.

وقال لنا نحن: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١٤٣البقرة).

فكل نبي يشهد على أمته فقط، لكننا سنشهد على الأنبياء وعلى أممهم أجمعين، وهذا وضَّحه سيدنا رسول الله ﷺ في حديثه الميمون المبارك:

{ يُدْعَى نُوحٌ فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، وَمَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ، فَيُقَالُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، قَالَ: فَيُؤْتَى بِكُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)) وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ }[٨]

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ تُدْعَى فَيُقَالُ: أَتَشْهَدُونَ أَنَّ رُسُلِي هَؤُلاءِ قَدْ بَلَّغُوا عُهْدِي إِلَى مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، رَبِّ، نَشْهَدُ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا }[٩]

من الذي يشهد لهم؟ العدول من أمة محمد ﷺ، الذين لا يرجون إلا وجه الله، ويجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.

---
٨ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
٩ الجامع في تفسير القرآن

فيشهدون للنبي ويقولون: وجدنا ذلك في الكتاب الذي نزل على نبينا وهو القرآن الكريم، ويذكرون الآيات البينات التي نزلت في حق هذا النبي.

فنحن يوم القيامة سنكون شهداء على الأنبياء وعلى أممهم لنعرف المنزلة العظيمة التي أكرمنا الله بها ببركة رسول الله.

ونحن في آخر الزمان لنا خصوصية عند رسول الله، كان ﷺ إذا تحدَّث عن الأنبياء يقول: إخواني من الأنبياء والمرسلين، ثم يأتي فينا نحن الضعفاء في هذا العصر المملوء بالفتن والجفاء فيقول:

{ وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي }[١]

لم يقل أتباعي أو أبنائي ...

لكنه جعلنا في رُتبة عُظمى تضاهي رتبة الأنبياء.

فرفع الله ﷻ شأننا لأنه جعلنا أهلاً لهذا الخطاب، وزاد في رفعة شأننا فقال:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾:

١٠ مسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

هذا الرجل منكم، لأنه دعوة إبراهيم: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ ﴾ (١٢٩البقرة)

فاستجاب الله له، ولذلك كان ﷺ يقول:

{ أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ } [١]

قربى النبي من أمته

وانظر معي إلى كلمة ﴿ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾ :

فلو قلنا أن فلان هذا من العائلة، يعني يحمل هم العائلة كلها، لأنه منهم، فهو ﷺ منا، ونحن منه صلوات ربي وتسليماته عليه.

وأعلى الله ﷻ شأنه ورفع قدره وفاخر بنَسَبه وقال في القراءة الأخرى:

﴿ من أنْفَسِكُم ﴾:

أي من أنفَسِ العائلات ﷺ، قال ﷺ في الحديث الصحيح:

{ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ } [٢]

١١ الطبقات الكبرى لابن سعد وتاريخ الطبري
١٢ صحيح مسلم والترمذي عن وائلة بن الأسقعرضي الله عنه

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا، وثُمَّ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَاخْتَارَ مِنَ الْخَلْقِ بَنِي آدَمَ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ بَنِي آدَمَ الْعَرَبَ ثُمَّ اخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ مُضَرَ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ مُضَرَ قُرَيْشًا، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ اخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ }[١٣]

فهو ﷺ مع أنه منّا إلا أن الله حفظ منزلته، وأعلى شأنه وقدره، وجعله أعلانا نسباً، وأطهرنا نسباً، لأنه إبن الذبيحين، إبن إسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

ونحن، ومن قبلنا ومن بعدنا؛ لا يستطيع أحدٌ أن يُدرك قيمة هذا النبي ولا قدره عند الله، فكان لا بد لرب العزة ﷻ أن يبين بذاته قدر نبيه ﷺ لنعرفه ونتعرف عليه.

الشيخ ابن الفارض رحمة الله عليه كان كثير المناجاة لحضرة الله، وأنشد قصائد لا تُعد ولا تُحصى في مناجاة مولاه ﷻ، وبعد موته رآه أحد إخوانه في المنام فقال: يا سيدي لِمَ لم تمدح النبي ﷺ في قصائدك؟ فأجابه مناماً فقال:

أرى كل مدحٍ في النبي مُقصِّرا	وإن بالغ المُثني عليه وأكثرا
إذ الله أثنى بالذي هو أهله	عليه فما مقدار ما تمدح الورى

١٣ معجم الطبراني والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

من الذي يستطيع مدح رسول الله بعد مدح الله له؟! لذلك دائماً نقول للأحباب: إذا أردتم أن تمدحوا رسول الله، وتُبينوا صفاته العلية وأقداره الربانية فعليكم بالقرآن، فإن القرآن هو الذي بيَّن الصفات الكريمة التي حبا بها الله ﷻ هذا النبي العدنان ﷺ.

تيسير النبي لأمته

والصفات التي عندنا في هذه الآيات، هي الصفات التي نحتاجها، والتي تتعلق بنا جماعة المؤمنين، وليست كل الصفات الخاصة لسيد الأنبياء والمرسلين، فكل موضع له صفاتٌ خاصة، لكن هذه الصفات التي ذكرها الله لنا لنعرف قدر النبي وحبه وعطفه وشفقته وحنانه علينا صلوات ربي وتسليماته عليه: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ والعنت يعني المشقة، فكان يعزُّ عليه أن يفرض على أمته شيء فيه مشقة عليهم، ولذلك كان دائماً يُيسِّر ويقول:

{ إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ }[14]

لما نزلت فريضة الحج قال ﷺ:

---

١٤ صحيح البخاري وجامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا، فقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلاثًا، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ}[١٥]

وخرج إلى صلاة التراويح في رمضان في مسجده المبارك ذات يوم فصلى الحاضرون بصلاته، وكانوا قلة لأنه لم يُعلن قبلها عن صلاة التراويح، وصلى في اليوم الثاني فزاد العدد، وصلى في اليوم الثالث فكثر العدد حتى أصبح قريباً من نصف المسجد، فلما عرف الناس في اليوم الرابع امتلأ المسجد عن آخره، فصلى العشاء ودخل بيته ولم يخرج، فلما خرج لصلاة الفجر قال:

{ قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْكُمْ }[١٦]

وفي رواية أخرى:

{ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ شَأْنُكُمْ اللَّيْلَةَ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ فَتَعْجَزُوا عَنْهَا}[١٧]

فجعلها سُنَّة على التيسير، فمن يصلي يوم ويترك يوم فليس عليه شيء، ومن يصلي ركعتين فلا مانع، ومن يصلي ثمانية فلا مانع، ومن لم يصلي نهائياً فليس عليه شيء، لأنها نافلة وليست فريضة.

---

١٥ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٦ صحيح مسلم وأبي داود عن عائشة رضي الله عنها
١٧ مسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

فكان ﷺ في تشريعه الذي جاء به من عند ربه أن يُيسِّر لأمته، ولو تتبعنا هذه التيسيرات نحتاج إلى وقت طويل، حتى أن الله استجاب لحضرته وقال: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ (١٦التغابن).

وعلَّم أصحابه ذلك، فعن أبي هريرة ﷺ قال:

{ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ((لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةُ، وَالصِّيَامُ، وَالْجِهَادُ، وَالصَّدَقَةُ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ))، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ، نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ((لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا))، قَالَ: نَعَمْ، ((رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا))، قَالَ: نَعَمْ،((رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ))، قَالَ: نَعَمْ، ((وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ))، قَالَ: نَعَمْ }[١٨]

ولذلك كانت وصيته للأمة جمعاء من عصره إلى يوم الدين أن من يُرد أن يُشدد فليشدد على نفسه، لكن لا يُشدد بالنسبة لغيره، فكان ﷺ يُشدِّد على نفسه، ويأمر بالتخفيف لغيره، تخفيف ورحمة للأمة.

كان يصوم الأيام المتتابعة؛ صيام الوصال بلا إفطار ولا سحور ، وأرادوا متابعته في ذلك فقال لهم:

١٨ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي، فَتَكَلَّفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ }[١٩]

فضرب المثل للدعاة في كل زمانٍ ومكان إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، من يرد التشديد فليشدد على نفسه، ولكن بالنسبة للناس يخفف ويُيسر، لأن هذا هو النهج الذي مشى عليه الحبيب المختار ﷺ.

حرصه على الأمة

﴿ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم ﴾ :

لم يترك باباً من أبواب الخير أو باباً من أبواب العمل الصالح يوصِّل إلى الجنة وإلى رضاء الله إلا ودلنا عليه، ولم يترك باباً من أبواب الشر إلا ونهانا عنه وحذرنا منه، ولذلك قال فيه ربه لنا أجمعين:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (٧الحشر).

١٩ بحر الفوائد للكلاباذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

لأنه لا ينطق عن الهوى وإنما يُبلغ عن الله جل في علاه، فمن حرصه علينا لم يترك شاردةً ولا واردةً في حياتنا الفردية، ولا في حياتنا الأُسرية، ولا في حياتنا الإقتصادية، ولا في حياتنا الإجتماعية، كالعلاقات الزوجية وتربية الأولاد ومعاملة الجيران وحق الوالدين وصلة الأرحام .. إلا ووفَّاها حقها.

رأفته ورحمته

﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ :

لم يخلق الله ﷻ نبياً من الأنبياء بأسماءه الإلهية إلا نبينا ﷺ، من هو الرءوف الرحيم؟ الله ﷻ، لكنه خلع هذه الأوصاف على حبيبه ومصطفاه ﷺ، فهو ﷺ رءوف بنا في الدنيا، ورءوف بنا في الآخرة، ولذلك طلب من الله ﷻ أن نكون أول المُحاسبين يوم الدين، مع أننا آخر الأمم، فلما أجابه ربه قال ﷺ:

{ نَحْنُ الآخِرُونَ، الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [٢٠]

٢٠ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

وكان في مجلس فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ:

{ اللَّهُمَّ، أُمَّتِي، أُمَّتِي، وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلا نَسُوؤُكَ }[٢١]

كل ما تطلبه سنُجيبه لك، ونزل عليه قول الله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى) سيعطيك إلى أن ترضى، سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه قال في هذه الآية: ((ولا يرضى ﷺ وواحدٍ من أمته في النار)).

لماذا؟ سيدخل في الشفاعة، فله ﷺ شفاعة عند الميزان، وشفاعة عند تطاير الصُحف، وشفاعة عند الصراط، وشفاعة لمن يدخل النار، وشفاعة لعُلو الدرجات في الجنة لمن كان في درجةٍ دنيا ويريد أن يكون في درجة أعلى .. شفاعات لا عد لها ولا حد لها غير الشفاعة العُظمى للخلق أجمعين في بداية الحساب صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

٢١ صحيح مسلم وابن حبان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

فهو ﷺ من رأفته بنا طلب من الله ﷻ أن يُعطيه ما يريد، وطلب من الله ﷻ أن لا يفضحنا بين الأمم يوم القيامة!!

فسيدنا إبراهيم كان يطلب لنفسه فقط، فلم يُدخل حتى أبناءه مع أنهم أنبياء ولا أمته: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٨٧الشعراء) والخزي يعني الفضيحة، فالحساب الكل سيراه:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء).

لكننا يا حظّنا بحضرة النبي، بشرنا الله كلنا في سورة التحريم وقال: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ (٨التحريم)! وليس من معه في زمانه، ولكن من معه إلى يوم القيامة، كيف هذا يا رسول الله؟ قال:

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ}[٢]

---

٢٢ صحيح البخاري وابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما

ولذلك يكون حسابنا في البداية، بيننا وبين الله، وإسمه حساب بالفضل، وبعده يأتي الحساب للأمم بالعدل، يُحاسب كل امرئٍ على الكثير والقليل والقطمير، لأن هذه خصوصية لأمة الهادي البشير النذير سيدنا محمد ﷺ.

﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾:

ومن رأفته ورحمته بنا ﷺ أنه لم يترك شيئاً سيحدث لأمته إلى قيام الساعة إلا وحدَّث عنه حتى نعرفه ولا يكون لنا حجَّة، فكل مانراه في زماننا وكل من رآه ممن كان قبلنا ولمن يأتي بعدنا له نصيبٌ في أحاديث حضرة نبينا ﷺ، ليُعَرِّف أمته حتى يجوزوا ويفوزوا ويمشون على المنهاج القويم والطريق المستقيم الذي يُنجِّي من فتن الدنيا وأهوالها وأهواءها وأطماعها وشهواتها وزهرتها الفانية، ويفوز بفضل الله وإكرام الله جل في عُلاه، ولذلك لما رأى زماننا قال:

{ سَيَكُونُ بَعْدِي فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا وَيُمْسِي كَافِرًا وَيُصْبِحُ مُؤْمِنًا }[٢٣]

---

٢٣ معجم الطبراني عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه

وفي رواية أخرى قال:

{ سَتَكُونُ فِتَنٌ، قِيلَ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ }[٢٤]

فالمخرج لنا من فتن هذا الزمان القرآن، ليست تلاوة القرآن فقط، ولكن العمل بالقرآن، فإن القرآن كتابٌ أُنزل لنتدبره ثم نعمل به، ومن فضل الله ﷻ علينا أن يسَّر لنا هذا الأمر: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (١٧القمر).

يسره الله للناس كلهم، ولذلك عندما يذهب أحدنا للبيت الحرام يعجب، يرى بعض المسلمين غير العرب جالس يقرأ في المصحف بلغة عربية فُصحى ويبكي، وهذا معناه أنه متأثر، فإذا كلمته تجده لا يجيد كلمة واحدة باللغة العربية!!، فكيف قرأ القرآن؟! وكيف فهم القرآن؟! لكن كما قال الله: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (١٧القمر)

ولم يقل الله: هل من تالي، ولكن (مدكر) يقرأ ويتذكر ويتفكر.

كان معي في الحج ذات مرة رجلٌ أُمي، وعند الكعبة قال: يا رب أريد أن أقرأ القرآن، والدعاء هناك مستجاب، وهناك ملائكة من حول الكعبة كل ما يُكلفون به أن يقولوا: (آمين) وآمين يعني: اللهم استجب، فرجع الرجل من الحج فكان إذا أمسك بالمصحف يقرأ القرآن من أوله إلى آخره بالترتيب، فإذا أعطوه الجرنال مثلاً فلا يعرف كلمة واحدة، ولا يستطيع قراءته!! وهذا إعجاز الرحمن ﷻ.

---

٢٤ سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

فإن الله ﷻ يسَّر القرآن لأهل القرآن أجمعين، ولكننا نحتاج للتدبر والتذكر والتفكر والعمل بالقرآن، إلى أن يكون الواحد منا صورة من الأخلاق الإلهية التي جاء بها القرآن، كحضرة النبي ﷺ الذي كان خُلُقه القرآن، فيكون صورة من أخلاق القرآن.

لكن نقرأ القرآن ونفعل عكس ما قرأناه من كتاب الرحمن، فنكون قد عرَّضنا أنفسنا لغضب الله ﷻ، كأن أقرأ قول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة) وبمجرد أن أسلِّم من الصلاة ويُكلمني أحد في موضوع ما أكذب عليه!!، فهل هذا يصح؟ لا.

فقراءة القرآن يكون عهداً بينك وبين الرحمن؛ أن تنفذ ما تلوته بين يديه من كلامه ﷻ، حتى يكرمك بعد ذلك بأنوار القرآن، والعلوم المبثوثة في القرآن، والحكم الربانية التي في حنايا القرآن، وغيرها من الفضائل التي لا نهاية لها ولا عد لها وكلها في كتاب الرحمن ﷻ: ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ (١٢يس).

سيدنا علي رضي الله عنه كان عندما يُفقد منه شيء يقول لهم: انتظروا حتى أعرف أين ضاع، فسألوه: كيف؟ فيقول: لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله ﷻ.

لماذا؟ لأنه عندما يقرأ القرآن بصدق يلهمه الله بالموضع الذي ضاع فيه هذا الشيء، مادام اتقى الله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة).

كفاية الله

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ :

لو تولوا أي أعرضوا عنك فقل (حسبي الله) يعني يكفيني الله، ومن يكفِه الله فمن يستطع في الدنيا أن يؤذيه أو يتعرض له بسوء؟!.

ومن فضل الله أن هذه الآية التي أعطاها الله خصوصية لرسول الله، أيضاً أعطاها لنا في كتاب الله، فقال: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٣الطلاق) وحسبه يعني كافيه، فيكفيه كل همٍ وكل غمٍ إن شاء الله، ولذلك ورد عن النبي ﷺ أنه قال:

{ مَنْ قَالَ: حَسْبِيَ اللَّهُ، لا إِلَهَ إلا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: لأَكْفِيَنَّ عَبْدِي صَادِقًا كَانَ، أَوْ كَاذِبًا }[٢٥]

ولذلك كان بعض الصالحين أو كثيرٌ منهم يضعونها في أورادهم، وكان بعضهم يقول من يُكررها سبع مراتٍ صباحاً بعد الفجر وسبع مراتٍ مساءً بعد المغرب يكفيه الله ﷻ كل همٍ وكل غمٍ، ويكون في حصانة الله وفي كفالة الله وفي رعاية الله.

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ :

والعرش مخلوق لكنه يُحيط بالسماوات والأرض، وكل المخلوقات الأرضية والسماوية، ومع ذلك يحكي الشيخ محي الدين بن عربي رضوان الله عليه عن مناجاة

٢٥ الدعاء للطبراني

حدثت بين العرش وبين سيدنا رسول الله ﷺ في ليلة المعراج، فيقول عندما وصل إلى العرش تمسَّك العرش بأذياله وناداه بلسان حاله كما جاء بالأثر:

((يا محمد أنت في صفاء وقتك، آمن من مقتك، وأُريد أن تشهد لي بالبراءة مما نسبه أهل الزور إليَّ، أو تقوَّله أهل الغرور عليَّ، زعموا أنِّي أسع من لا مثيل له، وأُحيط بمن لا كيفية له، وعزَّته وجلاله لستُ بالقريب منه وصلاً، ولا بالبعيد عنه فصلاً، خلقني فجعلني أعظم مخلوقاته، فكنتُ أشدُّهم منه ارتعاداً وارتعاشاً، فكتب على قائمتي: لا إله إلا الله فازدُتُ لهيبة إسمه ارتعاداً وارتعاشاً، فكتب: محمد رسول الله فسكن لذلك قلقي وهدأ روعي، فإذا كانت هذه بركة إسمك عليَّ فكيف إذا وقع جميل نظرك إليَّ؟! قال: فأجابه رسول الله ﷺ: أيها العرش إليك عني إنِّي مشغولٌ عنك، لا تشوِّش عليَّ خلوتي)).

لأنه كان ذاهباً إلى الجلوة الكُبرى، والخلوة العُظمى حيث لا زمان ولا مكان ولا محيط ولا أفلاك، حيث لا حيث، حتى لا يظن أحدٌ أن هناك مكان فيه الله - حاشا لله - وإنما كان هذا إعلاءً لقدره، لأنه وصل في الرُقيِّ مبلغاً ومدىً لم يصل إليه أحدٌ من خلق الله.

حتى أن الملائكة وقفوا وقالوا: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (١٦٤الصافات) وقال الحبيب: يا أخي يا جبريل أهاهنا يترك الخليل خليله؟ قال: أنا لو تقدمتُ لاحترقت - من أنوار حضرة العزّة - وأنت لو تقدمتَ لاخترقتَ.

لماذا؟ لأن جبريل نورٌ ملكوتي، لكن رسول الله من نور الله، والنور الإلهي غير النور الملكوتي، فكان ﷺ في معراجه كما قال الرجل الصالح:

وحكمة إسراء الحبيب إغاثةً	لعالمه الأعلى ورحمة حنَّانِ
ولم يك رب العرش فوق سماءه	تنزَّه عن كيف وعن برهان
ولكن لإظهار الجمال لأهله	من العالم الأعلى ونيل أمان

هو مرسلٌ رحمة للعالمين وأهل العالم الأعلى يريدون نصيبهم من رحمة سيد الأولين والآخرين، فالأمر كله إظهاراً لقدره ﷺ.

الذي يحمل العرش رب العرش، وليس العرش من يحمل الله - حاشا لله، فالعرش محمولٌ بقدرة الله، ومعمولٌ بحكمة مولاه جل في عُلاه كما أخبر النبي ﷺ.

﴿ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ :

أما العظيم فهذه صفة لله تبارك وتعالى، ولذلك هناك قراءة وإن كانت شاذَّة: ﴿ الْعَظِيمُ ﴾ بالرفع وليست بالجر، ليكون العظيم هو الله ﷻ.

نسأل الله ﷻ أن يُفقهنا في ديننا، وأن يُلهمنا رشدنا، وأن يعلمنا علماً نافعاً، وأن يُعلمنا ما لم نكن نعلم، وأن يعيننا على العمل بما علمنا، وأن يبلغنا مرادنا، وأن يجعل لنا منزلةً عليَّةً عنده، ودرجةً كريمةً مع حبيبه ومصطفاه، وأن يكشف عنا كل حجاب حتى نتمتع بوجه الحبيب المختار يقظةً ومناماً، دنيا وآخرةً، حلّاً وترحالاً

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

إنتهى الجزء الأول بحمد الله تعالى وتوفيقه

المراجع

١. أسرار القرآن – السيد محمد ماضى أبوالعزائم، دار الكتاب الصوفي: ج: ١:٧.

٢. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، الشيخ نعمة الله بن محمود النخجواني، دار ركابى للنشر الغورية القاهرة.

٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة ، تحقيق أحمد عبدالله القرشي، طبع على نفقة د.حسن عباس زكى.

٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، د.محمد سيد طنطاوى، دار المعارف.

٥. تفسير روح البيان، اسماعيل حقى البروسوى، دار الفكر.

٦. تفسير الشعرواى، أخبار اليوم.

٧. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفى، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٨. التفسير الصوفي للقرآن، محى الدين الطعمى، دار الروضة.

٩. عرائس البيان في حقائق القرآن، روزبهان البقلى، دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٠. في رحاب التفسير، عبدالحميد كشك، المكتب المصري الحديث.

١١. مختصر تفسير ابن كثير، محمد على الصابونى، دار القلم.

١٢.حاشية الصاوى على تفسير الجلالين، تحقيق عبدالله المنشاوى، دار الحديث، القاهرة.

١٣.تفسير الجلالين المحلى والسيوطي، دار التراث العربي.

١٤.تفسير الجيلاني، الشيخ عبدالقادر الجيلاني، مركز الجيلاني للبحوث العلمية ، اسطنبول.

١٥.تفسير القرآن الكريم ، د.عبدالله شحاته، دار غريب القاهرة.

١٦.تيسير الكريم الحنان في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدى، المكتبة الإسلامية بالقاهرة.

١٧.غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابورى، دار الصفوة.

١٨.غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض، الحلبى، القاهرة.

١٩.مختصر تفسير الشعراوى، منى الهاشمى، دار المعارف.

٢٠.تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، اسماعيل حقى، اختصار محمد على الصابونى، دار القلم.

٢١.صفوة التفاسير، محمد على الصابونى، دار القرآن الكريم، بيروت.

٢٢.لطائف الإشارات، الإمام القشيري، تحقيق د.إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٣.بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزبادى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامى.

٢٤.معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية.

٢٥.المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب الجمهورية.

٢٦.أسباب النزول، الواحدى النيسابورى، دار نهر النيل، القاهرة.

٢٧.كلمات القرآن تفسير وبيان، حسنين محمد مخلوف، دار المعارف.

٢٨.جامع البيان في متشابه القرآن، د.أبوسريع محمد أبوسريع، دار الطباعة المحمدية.

٢٩.موسوعة الحديث الشريف الإلكترونية.

المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد



۞ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت ww.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية.

۞دعـوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

قائمة المؤلفات

٩٦ كتابا في أربع عشرة سلسلة:

أولاً : فى تفسير القرآن الكريم (٥)

(٤) نفحات من نور القرآن (ج١)، (١٧) نفحات من نور القرآن (ج٢)، (٤٨) أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام (٢ط)، (٩١) الآداب القرآنية مع خير البرية ﷺ، (٩٣) أسرار خلة إبراهيم عليه السلام، (٩٦) تفسير آيات المقربين (جزء أ١).

ثانياً: الفقه (٧)

(٢) زاد الحاج والمعتمر (٢ط)، ،(٥) مائدة المسلم بين الدين و العلم (٢ط) (ترجم إنجليزى وإندونيسى*) (٥٢) كيف تكون داعياً على بصيرة (٥٤) مختصر زاد الحاج والمعتمر (٢ط)، (٧١) الصيام شريعة وحقيقة (٧٢) إكرام الله للأموات (٩٥) صيام الأتقياء.

ثالثا : الحقيقة المحمدية: (١١)

(٧) حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣ط)، (١٣) إشراقات الإسراء ج١(٢ط)، (٢٢) الكمالات المحمدية (٢ط)، (٢٣) الرحمة المهداة، (٣٣) واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ (٢ط) (ترجم للإنجليزية)، (٣٥) إشراقات الإسراء ج٢، (٦١) السراج المنير، (٧٠) ثانى اثنين، (٨٥) الجمال المحمدى ظاهره وباطنه، (٨٧) تجليات المعراج، (٩٠) شرف شهر شعبان..

رابعاً: من أعلام الصوفية: (٥)

(١) الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط)، (٣) الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة، (٤١) المربى الربانى السيد أحمد البدوى، (٤٥) شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى (٢ط)، (٥٩) الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى.

خامساً: الدين والحياة: (٧)

(٢٦) إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام (٢ط) (٣٤) كيف يحبُّك الله (٣ط) (مترجم إنجليزى)،(٣٩) كونوا قرآنا يمشى بين الناس (٢ط)(مترجم إنجليزى)، (٥٠) قضايا الشباب المعاصر، (٦٧) بنو إسرائيل ووعد الآخرة، (٧٥) أمراض الأمة وبصيرة النبوة (تم تنزيل أكثر من ٢٥٠٠٠ نسخة إليكترونية من هذا الكتاب من الموقع)، (٩٢) فقه الجواب (إجابة أسئلة الموقع).

سادساً: الخطب الإلهامية للمناسبات: (٧)

(١٦) المولد النبوى، (١٧) شهر رجب والإسراء والمعراج,(١٨) شهر شعبان و ليلة الغفران، (١٩) شهر رمضان و عيد الفطر،(٢٠) الحج و عيد الأضحى، (٢١) الهجرة ويوم عاشوراء، (٥٥) الخطب الإلهامية مجلد: المناسبات الدينية (٣ط).

سابعاً: الخطب الإلهامية العصرية : (١)

(٧٨) الأشفية النبوية للعصر.

ثامناًً: المرأة المسلمة (٤)

(٩) تربية القرآن لجيل الإيمان (٢ط) (ترجم إنجليزى)، (٤٣) المؤمنات القانتات (ترجم إنجليزى)،

(٤٤) فتاوى جامعة للنساء(٢ط)، (٧٤) الحب والجنس فى الإسلام،

ثامناً: الطريق إلى الله: (١٢)

(٦) طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (٢ط)(ترجم للأندونسية)، (٢٥) طريق المحبوبين وأذواقهم، (٢٨) المجاهدة للصفاء و المشاهدة (٢ط)،(٣٠) علامات التوفيق لأهل التحقيق، (٣١) رسالة الصالحين، (٣٢) مراقى الصالحين، (٥٧) تحفة المحبين ومنحة المسترشدين فيما يطلب فى يوم عاشوراء للقاوقجى (تحقيق)، (٦٠) نوافل المقربين،(٦٤) أحسن القول، (٧٩) دعوة الشباب العصرية للإسلام.(٨٨) مجالس تزكية النفوس ج١، (٨٩) مجالس تزكية النفوس ج٢,

تاسعاً: الأذكار والأوراد (٧)

(٨) مفاتح الفرج (١٢ط) (ترجم إنجليزى وأندونيسى)، (١٥) أذكار الأبرار،(٣٧) مختصر مفاتح الفرج (٥ط) (٣٨) أذكار الأبرار (صغير)(٣ط)،(٤٠) أوراد الأخيار (تخريج وشرح)(٢ط)، (٥٦) نيل التهانى بالورد القرآنى،(٧٣) جامع الأذكار والأوراد،

عاشراً: دراسات صوفية معاصرة: (١٥)

(١٠) الصوفية و الحياة المعاصرة، (١١) الصفاء والأصفياء،(١٢) أبواب القرب ومنازل التقريب، (٢٩) الصوفية فى القرآن والسنة (٣ط) (ترجم للإنجليزية ،(٣٦) المنهج الصوفى والحياة العصرية،(٤٢) الولاية والأولياء،(٤٩) موازين الصادقين، (٥١) الفتح العرفانى،(٥٣) النفس وصفها وتزكيتها، (٥٨) سياحة العارفين، (٦٣) منهاج الواصلين، (٦٥) نسمات القرب، (٦٨) العطايا الصمدانية للأصفياء،(٧٧) شراب أهل الوصل، (٨٣) مقامات المقربين.

حادى عشر: الفتاوى (٥)

(٢٤) فتاوى جامعة للشباب،(٧٦) فتاوى فورية ج١،(٨٠) فتاوى فورية ج٢،(٨٤) فتاوى فورية ج٣، (٨٦) فتاوى فورية ج٤

ثانى عشر: أسئلة صوفية (٢)

(٢٧) نور الجواب على أسئلة الشباب (ترجم للإنجليزية)،(٦٩) الأجوبة الربانية في الأسئلة الصوفية،

ثالث عشر: حوارات مع الآخر (٣)

(٨١) سؤالات غير المسلمين، (٨٢) حوارات الإنسان المعاصر،(٩٤) أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين.

رابع عشر: شفاء الصدور: (٤)

(٤٦) علاج الرزاق لعلل الأرزاق. (٢ط)، (٤٧) بشائر المؤمن عند الموت (٣ط)، (٦٣) بشريات المؤمن في الآخرة.(٦٦) بشائر الفضل الإلهي،

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـــرة
مكتبة المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام ميدان الحسين
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
مكتبة جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
مكتبة التوفيقية	٢٥٩٠٤١٧٥	١ عمارة الأوقاف بالحسين
بازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
مكتبة العزيزية	٢٥٩١٥٢٢٤	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الفنون الجميلة	٢٥٩٠٠٧٨٦	١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة
مكتبة الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
مكتبة القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبه خلف الأزهر
مكتبة نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة .
المكتب المصري	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ شارع شريف
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
مكتبة دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ شارع عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش د. حجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الأزهرية	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
مكتبة أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
المكتبة الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ شارع الصنادقية بالأزهر
مكتبة الروضة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة

		الإسـكندرية
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطـة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة سيبويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشير أحمد إسماعيل، سيدى جابر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل- أ/ أحمد الأبيض
		الأقـــاليم
كشك عبد الحافظ	محمد -------	الزقازيق- بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
مكتبة قربة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا- ٩ش سعيد والمعتصم أمام كلية التجارة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ - شارع السودان أمام السنترال، أ/سامى أحمد عبد السلام
مكتبة صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة - شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارىء أ/عماد سليمان
مكتبة الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ/عاطف وفدى
مكتبة صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة- ش الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، ح كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم ح محمد الأتربى	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	طلخا – المنصورة- بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا

مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس،ش الشهداء، ح حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي أمام التكوين المهنى
كشك أبو الحسن	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	قنا- أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
كشك القرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا- إسنا - ش السيدة زينب- الحاج محمد الريس والأستاذ محمد رمضان محمد النوبى
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى محمد عبد العاطى المنسى

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بأنحاء الجمهورية. ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيل نسخة الطباعة مجانا من موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.com وعلى موقع www.askzad.com موقع الكتاب العربى ، أوطلبها من الناشر: دار الإيمان والحياة،١١٤ ش١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠-٠٢، ف: ٢٥٢٦١٦١٨-٠٢

الفهرست

من مكتبة
تفسير القرآن الكريم
للشيخ فوزى محمد أبوزيد



تحت الطبع إن شاء الله

١- الإمام أبو العزائم . سيرة حياة

٢- آداب المحبين

